

جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ
دِيَارُ الْوَقْفِ الشَّيْعِيِّ

تراث البصرة

مَجَلَّةُ فِصْلِيَّةٍ مُحْكَمَةٌ
تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الْبَصْرِيِّ

تصدر عن :

الْعَتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْمَقْدِسِيَّةُ
فَيْمِ شُؤْنِ الْعِلْمِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِسْتِثْنَائِيَّةِ

مَرْكَزُ تَرَاثِ الْبَصْرَةِ

السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ - المَجْلَدُ الثَّانِي - العَدَدَانِ الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ

مُحَرَّم - رَبِيعُ الْآخِرِ ١٤٤٠ هـ

أَيْلُول - كَانُونُ الثَّانِي ٢٠١٨ م



الترقيم الدوليّ

ردمد: 2518-511X Print ISSN:

ردمد الإلكتروني: 2617-6734 Online ISSN:

07722137733 - 07800816579 Mobile:

Email: basrah@alkafeel.net

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٥٤) لسنة ٢٠١٧م

جمهورية العراق - البصرة

العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث البصرة.
تراث البصرة : مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث البصري / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية مركز تراث البصرة - البصرة، العراق : العتبة العباسية
المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث البصرة، 1438 هـ = 2017 -
مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم
فصلية - السنة الثانية، المجلد الثاني، العددان الخامس والسادس (ايلول/كانون الثاني 2018) -

ردمد : 2518-511X

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات باللغة الانجليزية.

1. البصرة (العراق) - تاريخ - دوريات. 2. الشعر العربي - العراق - البصرة - تاريخ ونقد - العصر
الأموي، 661-750 - دوريات. 3. العلماء المسلمون - تراجم - دوريات. الف. العنوان.

LCC : DS79.9.B3 A8373 2018 VOL. 2 NO. 5-6

DDC : 910.45

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة المائدة: الآية (٣)




أمر جامعي

م/ مجلة تراث البصرة

إشارة الى ما تم مناقشته في محضر مجلس الجامعة بجلسته الثالثة عشر واستناداً
للمصالحات المخولة لنا تقرر الاتي :

اعتماد مجلة تراث البصرة الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية
لأغراض الترقية العلمية في جامعتنا .


٢٠١٧/٧/٢
الأستاذ الدكتور
ثامر أحمد الحمدان
رئيس الجامعة

نسخة منه إلى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- عمادة كلية الآداب / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- عمادة كلية التربية بنات / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- امانة مجلس الجامعة / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- مركز تراث البصرة / العتبة العباسية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- قسم الدراسات والتخطيط والمتابعة
- الصادرة

نجلاء //

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
رئاسة جامعة واسط
قسم
البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher
Education & Scientific
Research
Presidency of Wasit
University



الرمز :
العدد : ١١٨٥

٢٠١٧/ ٨ / ٢١
١٤٣ / / هـ

.....
/ / 201

KUT. WASIT. IRAQ
Rabee' District / University
City

www.uowasit.edu.iq
E-mail:
po@uowasit.edu.iq

امـرر جامـعي

م/مجلة تراث البصرة

إشارة إلى ماتم مناقشته في محضر مجلس الجامعة
بجلسته الثالثة عشرة المفتوحة (الجزء الثالث) للعام
الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٨ واستنادا
إلى الصلاحيات المخولة إلينا تقرر الآتي :

اعتماد مجلة (تراث البصرة) الصادرة من مركز تراث
البصرة التابع للعتبة العباسية لأغراض الترقية العلمية في
جامعتنا.

الأستاذ الدكتور

عبد الرزاق احمد النصيري
رئيس جامعة واسط
٢٠١٧/٨/ ٢١

نسخة منه الى///

- *مكتب السيد رئيس الجامعة / للتعاضل بالاطلاع...مع التقدير.
- *مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية / للتعاضل بالاطلاع...مع التقدير.
- *مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية / للتعاضل بالاطلاع...مع التقدير.
- *قسم البحث والتطوير مع الأوليات.
- *قسم الشؤون المالية
- *قسم الرقابة والتدقيق
- *قسم الموارد البشرية
- * وحدة قاعدة البيانات
- *المصادر

٢٠١٧



Ref. No.:

Date: / /

العدد : ٩٩٨٠٢

التاريخ : ٢٠١٧ / ١٠ / ٢٠

امر جامعي

استنادا الى الصلاحيات المخولة لنا واشارة الى المادة (١٠) من تعليمات الترقيات العلمية مرقم ٣٦ لسنة ١٩٩٢ النافذة (البند الثاني) وقرارات الجلسة الثانية لمجلس جامعة بابل للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨ تقترح: اعتماد مجلة (تراث البصرة) الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة لاغراض الترقيات العلمية في جامعتنا على ان تقيد الجهات القائمة على تحرير المجلة بالالتزام بما يلي:

- الشروط التي منحت على اساسها صفة مجلة محكمة معتمدة من جامعة بابل وفي حالة مخالفتها للشروط المثبتة في المحضر فسوف لا تعتمد على اساس الصفة اعلاه .
- تزويدنا بنسخة من المجلة بشكل دوري .

أ. د. عادل هادي البغدادي

رئيس الجامعة وكالة

٢٠١٧/١٠/٢٠

صورة منه الى:

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير ... للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .

- السيد رئيس الجامعة المحترم للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .

- السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .

- مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة ... للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .

- شعبة المعلوماتية والادارية ... مع الاحترام .

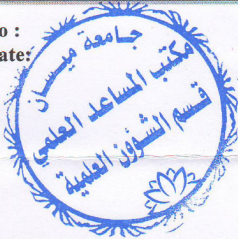
قسم البحث والتطوير ... مع الاوليات .

الصادرة .





No :
Date:



« بيجشنا والحشد الشعبي العراق أقوى وأمضى »

العدد : ش ع / ٥٩٩
التاريخ : ٢٠١٨ / ١ / ١٥

(امر جامعي)

م / اعتماد مجلة

- إشارة الى كتاب امانة مجلس الجامعة المرقم (م . ج / ٧٧٠ س) في ٢٦ / ١٢ / ٢٠١٧ والمتضمن محضر الجلسة الثالثة للدراسة الصباحية لمجلس جامعتنا للعام الدراسي ٢٠١٧ / ٢٠١٨ المنعقد بتاريخ ٢٠١٧ / ١٢ / ١٤ تقرر:
- قبول اعتماد مجلة تراث البصرة في الترقّيات العلمية في جامعتنا كونها تتبع الاساليب العلمية في نشر البحوث والمقالات العلمية حسب المادة (١٠) من تعليمات الترقّيات العلمية في الجامعات العراقية رقم (٢٦) لسنة ١٩٩٢.
 - اعتماد المجلة اعلاه لغرض الترقّيات العلمية ابتداءً من تاريخ ٢٠١٧ / ١٢ / ١٤.

أ.م.د . علي عبد العزيز الشاوي
رئيس الجامعة / وكالة
٢٠١٨ / ١ / ١٥

نسخة منه إلى /

✳ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير.

✳ مكتب السيد رئيس الجامعة / لتفضل بالاطلاع مع التقدير.

✳ مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والدراسات العليا / لتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.

✳ مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون القانونية والادارية / لتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.

✳ الكليات كافة / مكتب السيد العميد / للاطلاع ... مع التقدير.

✳ الامانة العامة للعتبة العباسية المقدسة / كتابكم المرقم (٧٥١٤) في ١ / ٧ / ٢٠١٧.

✳ قسم الشؤون العلمية / شعبة البحوث العلمية ... مع التقدير.

✳ لجنة الترقّيات المركزية

✳ شعبة البريد المركزي / الصادر.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Kerbala University
Research and development
department



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
فيما يخص التطوير
١٦٢٥
٢٠١٨/١/٢٥

Issu :

No. :



العدد: ٤٣٣ / ٢٥
التاريخ: ٢٥ / ١ / ٢٠١٨

أمر جامعي

إستناداً إلى الصلاحيات المخولة لنا وبناءً على توصية اللجنة المشكلة في كلية
التربية للعلوم الانسانية بموجب الامر الإداري المرقم د/٤٣٠٣/٨ في ٢٠١٧/١٢/٢٨.
تقرر الآتي:
إعتماد مجلة تراث البصرة الصادره من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة
لأغراض الترقيات العلمية في جامعتنا واعتباراً من تاريخه اعلاه.

أ.د. منير حميد السعدي

رئيس الجامعة

2018/1/25

نسخة منه الى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة المحترم...مع التقدير.
- مكتب السيد المساعد العلمي المحترم...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية.
- الصادرة .

الايميل: Scientific.affairs@uokerbala.edu.iq



((معا لمساندة قرائنا المسلحة الباسلة لحرر الارهاب))

No:
Date :

العدد : ب / ٢٠٥
التاريخ : ٢٠١٨/٣/ ٢٥

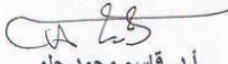
إلى / ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة / الأمانة العامة

م/تحكيم مجلة

تحية طيبة ...

أشارة الى كتابكم ذي العدد ٧٥١٢ في ٢٠١٧/ ٧/١ ، المتضمن تحكيم مجلة تراث البصرة واعتمادها لأغراض الترقية . نرفق لكم ربطاً الامر الجامعي ذي العدد ١٩٧٩ في ٢٠١٨/٣/١٩ والمتضمن اعتماد مجلة (تراث البصرة) للدراسات الانسانية والعلمية لإغراض الترقيات العلمية في جامعتنا .

للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير



أ.د. قاسم محمد حلو
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية/وكالة
٢٠١٨/ ٣/ ٢٥

نسخة منه إلى :

- مكتب السيد رئيس الجامعة/للتفضل بالاطلاع.. مع التقدير
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية/للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.
- قسم الرقابة والتدقيق الداخلي/للتفضل بالاطلاع ..مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية /مع الأوليات
- الصادرة :

سند ٢٠٥/٣

العراق – محافظة المثنى - السماوة- المنطقة التعليمية – جامعة المثنى

www.mu.edu.iq
Email... muthannaresearch@gmail. rdd@mu.edu.iq

موقع جامعة المثنى
البريد الإلكتروني

٢٠١٨ / ٣ / ٢٥

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة

المشرف العلمي

الشيخ عمار الهلائي

رئيس قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

رئيس التحرير

الشيخ شاكر المحمدي

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعيد جاسم الزبيدي / جامعة نزوى / سلطنة عمان.

أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري / بيت الحكمة / بغداد.

أ.د. طارق نافع الحمداني / كلية التربية / جامعة بغداد.

أ.د. حسن عيسى الحكيم / الكلية الإسلامية الجامعة / النجف الأشرف.

أ.د. فاخر هاشم سعد الياسري / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة.

أ.د. مجيد حميد جاسم / كلية الآداب / جامعة البصرة.

أ.د. جواد كاظم النصر الله / كلية الآداب / جامعة البصرة.

أ.م.د. محمود محمد جايد العيداني / عضو الهيئة العلمية في جامعة المصطفى (ع) /

قم المقدسة.

مدير التحرير

أ.م.د. عامر عبد محسن السعد
كلية الآداب / جامعة البصرة

سكرتير التحرير

د. طارق محمد حسن مطر

هيئة التحرير

- أ.د. حسين علي المصطفى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة.
أ.د. رحيم حلو محمد / كلية التربية - بنات / جامعة البصرة.
أ.د. شكري ناصر عبد الحسن / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة.
أ.د. نجم عبد الله الموسوي / كلية التربية / جامعة ميسان.
أ.م.د. عبد الجبار عبود الحلفي / كلية الإدارة والاقتصاد / جامعة البصرة.
أ.م.د. محمد قاسم نعمة / كلية التربية - بنات / جامعة البصرة.
أ.م.د. عماد جغيم عويد / كلية التربية / جامعة ميسان.
أ.م.د. صباح عيدان العبادي / كلية التربية / جامعة ميسان.
أ.م.د. علي مجيد البديري / كلية الآداب / جامعة البصرة.

تدقيق اللغة العربية

د. طارق محمد حسن مطر

تدقيق اللغة الإنجليزية

الأستاذ المساعد هاشم كاطع لازم

الإدارة المالية

سعد صالح بشير

الموقع الإلكتروني

أحمد حسين الحسيني

التصميم والإخراج الطباعي

محمد شهاب العلي

ضوابط النشر في مجلة (تراث البصرة)

يسرُّ مجلة (تراث البصرة) أن تستقبل البحوث والدراسات الرّصينة على وفق الضوابط الآتية:

١- أن يقع موضوع البحث ضمن اهتمامات المجلة وأهدافها (تُعنى بقضايا التراث البصريّ).

٢- أن تكون البحوث والدراسات على وفق منهجية البحث العلميّ وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٣- أن يُقدّم البحث مطبوعاً على ورق بحجم (A4)، وبثلاث نسخ، مع قرص مدمج (CD)، على أن يكون عدد كلمات البحث بحدود (٥٠٠٠-١٠٠٠) كلمة، ومكتوباً بخطّ (Simplified Arabic)، وأن ترقّم الصفّحات ترقّياً متسلسلاً.

٤- أن يُقدّم عنوان البحث وملخص البحث باللّغتين: العربيّة والإنجليزيّة، وبحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أن تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف الأرضي أو المحمول، والبريد الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث، أو الباحثين، في صلب البحث، أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٦- أن يُشار إلى الموامش في آخر البحث، وتُراعى الأصول العلميّة المتعارفة في التوثيق، والإشارة بأن تتضمّن: (اسم الكتاب، رقم الصّفحة).

٧- أن يزود البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويُراعى في إعدادهما الترتيب الأبجديّ لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات، أو أسماء المؤلفين.

٨- أن تُطبع الجداول والصُّور واللُّوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشَّكل إلى مصدرها أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- أن تُرفق نسخة من السِّيرة العلميّة للباحث إذا كان ينشر في المجلة للمرّة الأولى، وأن يُشار إلى ما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنّه لم يُنشر ضمن أعمالها، كما يُشار إلى اسم أيّة جهة علميّة أو غير علميّة قامت بتمويل البحث أو ساعدت في إعداده.

١٠- أن لا يكون البحث منشوراً، ولا مقدّماً إلى أيّة وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

١٢- تخضع البحوث لتقويم علميٍّ سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها، سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليّة الآتية:
أ- يبلغ الباحث بتسلّم المادّة المرسلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب- يُحظر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج- البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

د- البحوث المرفوضة يُبلّغ أصحابها بذلك من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، ومكافأة مالية.

١٣- يُراعى في أسبقية النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

ج- تاريخ تقديم البحوث كلّما يتمّ تعديلها.

د- تنوع مجالات البحوث كلّما أمكن ذلك.

١٤- تُرسل البحوث على البريد الإلكتروني للمركز:

(Basrah@alkafeel.net)، أو تُسلّم مباشرة إلى مقرّ المركز على العنوان الآتي:

(العراق/ البصرة/ البراضعية/ شارع سيّد أمين/ مركز تراث البصرة).

وفّقكم الله لخدمة بصرتنا العزيزة وعراقنا الغالي.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

إنَّ الحرصَ على أن تكون خطوات الإصدار العلميَّ ثابتةً وواثقةً ومتواصلةً، وأن يكون العملُ على ذلك دؤوباً ومهنيّاً، مهمّةٌ هي -بلا أدنى شكّ- كبرى وجسيمة. وقد زاد من أهميّة هذا الأمر تزاخم المجالات العلميّة في فضاء البحث والمعرفة؛ ولذا يتأكّد حرص (تراث البصرة) -مركزاً ومجلّة- للمرّة الخامسة على تحقيق الإضافة العلميّة النوعيّة في المجالات المختلفة، والسعي إلى الإفادة من وجهات النظر المتعدّدة، بمرجعياتها، وتنوّع أدواتها المنهجية في قراءة التراث البصريّ عن قرب، وبشكلٍ مباشرٍ ودقيقٍ.

يجسّد تعدّد المقاربات وتنوّعها تجدّد العلاقة مع التراث، واستنطاقه، والكشف عن ظواهره ومعطياته، فضلاً عن محاورته عبر استيعاب خصوصيّته، والانتقال بها إلى ما يطرّو وعينا بالحاضر، وقدراتنا على بنائه، والابتكار فيه، وتجديده؛ فمن أنماط المقاربة النظر النقديّ في بعض الآثار الشاخصة، سواء كانت مادّية أم معرفيّة، بوصف العناية بالآثر المكانيّ جزءاً من الإحساس بمشاركة هذا الآثر للحياة الراهنة حضورها وامتداد نبضه فيها.

ولا ينفصل هذا عمّا يحمله الآثر المكانيّ من دلالة، وما تحتزّنه ذاكرته من أحداث

ومواقف ووجوه ارتبطت به، واكتسب هو بدوره منها هويته وخصوصيته. أمّا ما يمتلكه الأثر المعرفي من حيوية في الوجود وفاعلية في الحضور، فأمرٌ فريدٌ ومهمٌ جدّاً، حتّى أنّ قراءته تبتعد طوعاً عن مجرد الفعل الاستعاديّ للملاحة، لتتجاوز به باتجاه تأمل هذا الامتداد الحيويّ في المعرفة الراهنة، ولا شكّ في أنّ لكلّ دراسة مداها الذي تصل إليه، فالتفاوت في ذلك أمرٌ مألوف وطبيعيّ في الدراسات الأكاديميّة.

في ضوء ذلك، يبقى البحث في الأثر الخاصّ بمدينة ما محرّضاً فاعلاً على التنقيب والبحث، ومحفزاً على التفكير في جزئيات خاصّة-وربّما غائبة- والكتابة عنها، وإظهارها للقارئ، ومن هنا تبرز فاعلية المكان المحدّد (البصرة هنا) في استشارة فعل البحث والكتابة، فتتراحم القراءات منقّبة وكاشفة عن المهمل وغير المألوف من الموضوعات، أو عن محاولة قراءة الظواهر الكبيرة والمهمّة بطريقة جديدة، ومن زاوية مختلفة.

بين دفتي هذا العدد تكون (البصرة) مكاناً تنطلق منه القراءات والرؤى، وليس ذلك لدافع محليّ ضيق؛ إذ لا تستقيم سبل المعارف مع المنطلقات الضيّقة، ولا تتسع معطياتها مع الانغلاق على هدف محدّد ومقيّد، فتحديد المكان جاء لغرض معاينة أثره في ما أنتج من وعي ومعرفة اخترقا حدود الجغرافيا، وخطوط الأزمنة ليتّصلا بفضاء الكتابة والإبداع الرّحب. ولعلّ من ذلك ما سيجده القارئ الكريم في دراسات هذا العدد الجديد من المجلّة لأقلام أكاديميّة مختلفة، تنوّعت اختصاصاتها، والموضوعات التي بحثت فيها، إلّا أنّ ما يجمعها هو التماثل في الغاية، وارتباط مرجعيّاتها بمتعلّقات المكان وأثره.

هياة التحرير

المحتويات

الفقيه البصريُّ المتبحِّر، الشَّيْخُ مفلَحُ الصَّيْمِرِيِّ، وكتابُهُ (غايةُ المرام في شرح شرائع الإسلام): عرضٌ ودراسةٌ (بيع المسوخ والسَّباع أنموذجاً) ٢٣
أ.م.د. محمود محمَّد جابيد العيداني

جامعة المصطفى العالمية/ قم المقدسة/ إيران/ قسم الفقه والأصول
شُعراءُ البصرة صَوْتُ الإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ وَالِاِقْتِصَادِيِّ (العَصْرُ الْأُمَوِيُّ أنموذجاً) ٩٥

أ.م.د. سجا جاسم محمَّد - م.د أنوار مجيد سرحان
كلية الآداب/ جامعة بغداد

عليُّ بنُ زيد بنِ جُدعان البصريُّ، ودورهُ الفكريُّ في روايةِ أحاديثِ التشيع ١١٩
أ.م.د. علاء حسن مردان اللَّامِي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

مَعْمَرُ بنُ راشِدِ البصريُّ (٩٥-١٥٣هـ/ ٧١٤-٧٧٠م)، ومروياته عن أهل البيت عليهم السلام ١٥٥

أ.م.د. محمَّد علي حسين - م.د مها عبد الرحمن حسين
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم التاريخ

١٩٩
البصريُّ الأمويُّ العُتْبِيُّ، وأثرُهُ في التَّدوينِ الإسلاميِّ
أ.م.د. تيسير احميد عبل الرُّكابي - جامعة البصرة/ كلية القانون
م.د. محمَّد احميد عبل الرُّكابي - مديرية تربية البصرة

جهودُ العلماءِ البصريِّينَ في تأطيرِ منظومةِ القيمِ والمبادئِ الخُلُقِيَّةِ (الجاحظُ أنموذجاً من خلال كتابه «تهذيبُ الأخلاق»)

٢٤٩
أ.م.د. خليل خلف الجبوري - أ.م.د. رشيد الطيِّف إبراهيم
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

٢٩١

التّعايش الدّينيّ في مدينة البصرة من خلال كُتُب الرّحلات

أ.د. متعب خلف جابر - م.د. منتصر حسن دهيرب

جامعة المثنى / كلّية التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم التاريخ

٣٢٣

الأهميّة التاريخيّة لموقعي شجرة آدم وتلّ خيابر الأثريّين

أ.م.د. محسن مشكل فهد الحجاج

مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ

٣٥٧

ظواهر صوتيّة في لهجة بني مالك (شمال البصرة)

أ.م.د. انجيرس طعمة يوسف

جامعة البصرة/ كلّية الآداب/ قسم اللّغة العربيّة

٣٩٩

الشيخ إبراهيم فرج الله/ حياته وشعره

م.د. وسام جمعة لفته المالكي

جامعة البصرة/ كلية التربية/ القرنه

٤٢٥

تاريخ جامع الميرزا في البصرة، والوقيّات التابعة له

م. عبّاس فالح حسن المرهون/ جامعة البصرة- كلّية التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم

علوم القرآن

م.م. أحمد فرج فليح/ جامعة البصرة - كلّية التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم التاريخ

Security and Economic Role of the North of Basra (Jaza'er of Basra)
During the Ottoman Era (1546 - 1869) **17**

Professor Hussain A. Ubaid Al-Mustafa

Department of History, College of Education for Human Sciences, University of Basra

الفقيه البصريُّ المتبحِّرُ، الشَّيخُ مُفْلِحُ الصَّيْمِرِيِّ
وكتابه (غاية المرام في شرح شرائع الإسلام)
عرض ودراسة
(بيع المسوخ والسَّباع أنموذجاً)

Basri Juristic Scholar Sheikh Mofleh Al-
Saimery and his Book (The Purpose of
Intention in Explaining the Laws of Islam)
Selling of Monsters or Predators as an Example

أ.م.د. محمود محمّد جايد العيدانيّ
جامعة المصطفى العالميّة / قم المقدّسة / إيران

Dr. Mahmood M. Chaied Al-Edany, assistant professor
Al-Mustafa University, Holy Qum, Iran

ملخص البحث

لعملية الاستنباط والفقه عند الإمامية طريقة فنية منضبطة، ومنهج فني صارم، يتبع مراحل مشخصة محدّدة، يلتزم بها الجميع، ويمكن النظر إلى هذه الطريقة وذلك المنهج من زاويتين: أولاهما: كون عملية الاستنباط عملية بحث علمي، والأخرى: كونها عملية تشتمل على الكثير من الحجج الشرعية، ولا بدّ من مراعاة التسلسل بين هذه الحجج حين الإفتاء، وتحديد الموقف النهائي من المسألة محلّ البحث.

والمرجع في تحديد مراحل عملية الاستنباط ومنهجها أمران محوريان، أولهما: الهدف من العملية، وهو تشخيص الحجّة على الموقف الشرعي، والثاني: علم الأصول؛ إذ هو العلم المسؤول عن تأسيس وتنقيح القواعد الخاصة بهذه العملية، وتشخيص الترتيب والتسلسل الفني بينها، فهذان المرجعان يتحدان في العمل، فيُشخصان المراحل التي لا بدّ من اتّباعها حين الممارسات الفقهية.

وهذه المراحل في عملية الاستنباط الأنموذجية الكاملة خمس، وهي:

أ- تشخيص مقتضى الأصل الجاري في المسألة محلّ البحث.

وهو في المقام الاستصحاب، الذي يقتضي الفساد والبطلان.

ب- البحث في عمومات الصّحة وإطلاقاتها.

وهذه فرع كون المبيع مالاً شرعاً؛ بوجود الفائدة المحللة المقصودة، وهذه المرحلة تسمى بمرحلة المقتضي للصحة.

ج- البحث عن المخصّص والمقيّد لعمومات الصحة وإطلاقاتها.

وهي مرحلة المانع من جريان المقتضي.

د- البحث عن المعارض للمخصّص والمقيّد.

هـ- تشخيص الموقف من التعارض.

ومن الواضح بعد عرض -ولو مبسّط- للمراحل المتقدّمة الذّكر أنّ الذهاب إلى صحة معاملة ما، يجب فيه إثبات تحقّق المقتضي للصحة، وهو وجود فائدة محلّلة مقصودة في المبيع، لتجري عمومات الصحة وإطلاقاتها في المرحلة الثانية، وإثبات عدم المانع؛ وذلك بعدم المخصّص والمقيّد في المرحلة الثالثة من مراحل العملية.

ولو رجعنا إلى كلام المحقّق الصّيمريّ في العيّنة التي اخترناها للتوضيح والاستفادة، وقسناها على أساس المقياس والمعيّار المنتخب، وهو الطريقة الفنيّة للاستنباط المتقدّمة الذّكر، لوقفنا على جميل ما صنع، وعلى دقيق ما اختار، وأنّ كلامه في المقام كلام فنيّ، غاية في الفنيّة، والدقّة، والمهنيّة، والبساطة أيضاً، والبعد عن التكلّف؛ فقد ذهب إلى صحة المعاملة على المسوخ، وعلى السّباع كلّها؛ وذلك بوجود المقتضي اللازم، وعدم المانع من عمل ذلك المقتضي؛ بعد ذهابه إلى الطّهارة في الجنسين، ووجود الفائدة المحلّلة المقصودة، فعملت عمومات الصحة وإطلاقاتها بلا أيّ مخصّص أو مقيّد.

وهذا ما ينبغي الاعتراف به بالنسبة إلى ما وجّه **فتاوى** به كلام من ذهب إلى

البطلان في المقام؛ فقد تبين أن من ذهب إلى البطلان إنما ذهب إليه، إما من أجل عدم المقتضي؛ من باب حكم العرف، أو من باب أن النجاسة مانعة من الانتفاع والاستفادة مطلقاً، وإما من أجل وجود المانع؛ من باب البناء على أن عنوان النجاسة يصلح علّة للمنع من البيع، حتى على فرض وجود المنفعة المقصودة عرفاً، وكلاهما غير تام.

Abstract

Deduction and jurisprudence are strictly handled by Imami doctrine. This approach is looked at from two different angles: First, the deduction process is considered to be a scientific research process; the other one includes many legal pretexts. Deciding the stages of the deduction process is based on two pivotal points. The first point is the aim of this process, namely diagnosing the evidence of the legal situation. The second is the discipline that is in charge of the rules of this process. The scholar Al-Saimery, however, adopts a highly technical, professional, and precise, though simple, a style.

المقدمة

الفقه والفقاهة أمران لازمان لكل أمة تريد أن تعيش بعزة وكرامة، ولهذين طريقتيهما الخاص، المليء بالجهود والجِدِّ والعناء، وقد كتبَ اللهُ تعالى التوفيق لبعض، فتسَنَّموا أعلى قمم الفقه، وعالم الاستنباط والفقاهة، فتركوا تراثاً عظيماً يلزم الاستفادة منه لكل مَنْ رام الوصول.

ومن هذا التراث الثر، الذي لم يلقَ ما يستحقُّه من الاهتمام: كتابُ (غاية المرام في شرح شرائع الإسلام)، للفقيه البصريِّ المتبحِّر، المحقِّق، الشيخ (مُفْلِح الصَّيْمَرِي)؛ إذ هو من جملة الكتب الفاخرة في الفقه والفقاهة، ومن القويِّ كونه أوَّلَ شرحٍ من شروحات كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) للمحقِّق الحلِّي رحمته كما سيأتي دليله، الذي كان مدار البحث والتحقيق لقرون متطاولة؛ حتَّى أن أروع وأوسع ما كُتِبَ في الفقه من دورات كاملة إنَّها كانت شراً استدلالياً له، ككتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، للعلامة، الفقيه، الشيخ محمد حسن النجفي، صاحب الجواهر رحمته.

وقد ضمَّ هذا الكتاب - أعني: غاية المرام - من اللآلئ والمرجان الكثير؛ فإنَّه وإن كان شراً مبسّطاً غير مفصَّل لكتاب الشرائع، إلا أنَّه - على بساطته واختصاره - كتاب منهجيّ استدلاليّ من المستوى العالي في الوقت نفسه، يكشف

عن دقة وعلمية وفقاهة من الطراز الأول للبصري المحقق الصيُمري **رَدِّدُ**، نعم، من الواضح أنَّ الوقوف على هذه اللّثائى يحتاج إلى الغواص الماهر المتخصّص، المزوّد بالآلات والأدوات المناسبة للاكتشاف والتذوق.

وأما بالنسبة إلى الغرض والهدف من هذا البحث، فلن نجد لبيانه أجمل ولا أجلى ممّا ذكره المصنّف نفسه في مقدّمته في سياق سبب كتابته: «أمّا بعد، فإنّ علم الفقه ممّا تمسّ الحاجة إليه، وواجب؛ لتوقّف تمام نظام النوع عليه، وقد صنّف فيه العلماء المتقدّمون، والسلف الماضون (عليهم رحمة الله ورضوانه)، كتباً متعدّدة مطوّلات، وأخر متبذّدة مقتصرات، ولم يتركوا شيئاً ممّا يُحتاج إليه من الفتوى والرّوايات، فمن أفصح ما نهضت به أفهامهم، وأنقح ما جرت فيه أقلامهم، كتاب (شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام)، تصنيف، الإمام، الأكرم، والفقيه الأعظم، عين الأعيان، ونادرة الزّمان، قدوة المتقدّمين، وأفضل العلماء الرّاسخين، نجم الملة والحقّ والدين، أبي القاسم، جعفر بن سعيد الحلّي (قدّس الله نفسه الرّكيّة، وأفاض على تربته المراحل الرّبانيّة)، قد ضمّنه جميع أصول الأحكام المشتهرة عن الأئمة الكرام، مع إضافة الفروع اللّطيفة، والتحقيقات الشّريفة، بلفظ رائق حسن محرّر، يفوق على الجمان إذا تشطّر، فرغب فيه لتهديه الراغب، واشتدّ عليه لفصاحته حرص الطالب، حتّى عمرت به المدارس، ونُصبت على تدريسه المجالس، وهو مع شدّة احتياج الناس إليه، وعظم إكبابهم عليه، قد اشتمل على تردّدات، ومسائل خلافيات، فربّما تعمّر على الطلبة تحقيّقها، فتعسّفوا سلوك طريقها، فأحببتُ أن أعمل له شرحاً، كاشفاً لتردّداته، مبيّناً لمبهمه ومشكلاته، مبرزاً لرموزه ونكاته؛ لتزداد به رغبة الراغب، وتعظم

بإضافته إليه منفعة الطالب»^(١).

وأردت -بدوري- أن أقوم ولو ببعض ما قام به الرجل **تدئ** لكتاب الشرائع، فأعرض إلى أنموذج مما ذكره في كتابه، فأتناوله تناولاً علمياً من زاوية أخرى، تكشف عن قدرة الرجل وتسلّطه في عالم الاستنباط، ودقته العالية، وخبرته الطويلة، وسعة باعه في هذا المجال.

أعني من كلّ ذلك: أنّ العمل على العينة المختارة سيكون على أساس منهج خاصّ مناسب للهدف من هذا البحث، ألا وهو عرض الأفكار والمواقف على أساس ما نسمّيه بالطريقة الفنيّة للاستنباط، ومنهج الاستنباط، وهو أمر سيّضح جلياً حين الخوض في المطالب المختلفة للبحث بعونه تعالى؛ فإنّه المنهج الأمثل لتحقيق الهدف؛ إذ يوفرّ الطريق، ويوفّر الوسائل والمؤونة اللّازمين للوصول إلى الهدف المتقدّم الذكر.

ولا يفوتني أن أذكر أنا أيضاً ما ذكره **تدئ** بعد ما تقدّم من كلامه؛ إذ قال: «هذا، مع أنّي قصيرُ الباع في هذه الصّناعة، قليلٌ ما يصحّبني من البضاعة، لكنّ، إذا أمحلت البلاد، رعيّ الهشيم، وإذا تعذّرت الموارد، ورِدَ الآجنُ المقيم، فأسأل الله أن يُلهمني فيه الصّواب، ويعصمني من الخلل والاضطراب، وأن يجعله جنةً واقيةً في المعاد، ومنفعةً باقيةً للعباد، إنّه الكريم الجواد، يُعطي السّائل فوق المراد»^(٢).

فنسأل الله تعالى العون والتّوفيق.

المبحث الأول

التعريف بالمؤلف والمؤلف

المطلب الأول: التعريف بالفقيه الشيخ مفلح الصيّمريّ

من الواضح أنّ الغرض من عقد هذا المبحث ليس هو الوقوف التفصيليّ على حياة الشّيخ مفلح الصّيمريّ البصريّ أو كتابه الثمين، وإنّما التعريف بهذه الشخصية بمقدار ما يتطلبه الوقوف على مؤلّف الكتاب الذي نحن بصدد عرضه ودراسته، بالنسبة إلى الأنموذج المختار منه، ويكفي في الباقي ما سنستفيدة من المطلب الآتي، ومن المبحث الثاني بمطالبه المختلفة من وقوف على شخصيّة هذا العلّامة من فقهاء البصريّين، ومبدعيهم.

١- الاسم والنسب

ذكر الحرّ العامليّ في أمل الآمل معرّفًا بالصّيمريّ: «الشّيخ مفلح بن الحسين الصّيمريّ»^(٣).

إلا أنّ الأغا بزرك الطهرانيّ لم يقبل بأنّ اسم الوالد هو (الحسين)، مصرّاً على أنّ الصّحيح هو (الحسن)؛ فقال في التعريف بابن الشّيخ مفلح (حسين): «حسين الصّيمريّ: بن مفلح بن الحسن»، ثمّ قال: «رأيتُ إجازة والده مفلح بخطّه على ظهر (القواعد) للعلّامة، كتبها لتلميذه... وصورة إمضاءه: كتبه الفقير إلى ربّه

الغنيّ، مفلح بن حسن... بن صلاح الصّيمريّ»^(٤).

وهو ما اختاره مدافعاً عنه أتمّ الدّفاع السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة؛ إذ يقول: «الشيخ مفلح بن الحسن بن راشد - أو رشيد - بن صلاح، الصّيمريّ، البحرانيّ»^(٥).

وفي التعريف بابنه، الفقيه المتبحّر حسين الصّيمريّ، يقول في تعريف والده: «الحسن بن راشد بن صلاح الصّيمريّ البحرانيّ»^(٦).

وهو ما اختاره السيّد الطباطبائيّ، بحر العلوم في رجاله؛ إذ يقول في التعريف بولده الشيخ حسين: «وله كتاب: محاسن الكلمات في معرفة التّيات، وهو من محاسن الكتب، وقد حكى فيه كثيراً من فوائد والده الشيخ مفلح بن حسن، في شرح الموجز، وشرح الشرائع. وأمّا جواهر الكلمات، فهو لوالده الشيخ مفلح المذكور»^(٧).

وهو ما اختاره المحقّق الماحوزيّ في فهرسته لعلماء البحرين؛ إذ قال: «ومنهم: الشيخ مفلح بن حسن بن راشد الصّيمريّ، نزيل قرية سلماباد»^(٨).

وهو ما اختاره البلاديّ البحرانيّ في (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين)؛ إذ قال: «الشيخ، الفقيه، العلّامة، الخبر، الأديب، الفهامة، الشيخ مفلح بن حسن الصّيمريّ البحرانيّ»^(٩).

وقد ذكر المحقّق الشيخ أغا بزرك الطهرانيّ في الذريعة في التعريف بكتاب (كشف الالتباس عن موجز أبي العباس) أنّه «للشيخ مفلح بن الحسن الصّيمريّ، تلميذ أحمد بن فهد صاحب الموجز المذكور... ونسخه السيّد محسن القزوينيّ بخطّ عليّ بن محمّد الحلّي، كتبه في الحلة، وفرغ في الخميس ١٥ محرّم في ١٠٠٥،

وفي آخره صورة خطّ المؤلّف، بعنوان: مفلح بن حسن الصّيمريّ، وإنّه فرغ من التّأليف في ٢٨ رمضان ٨٧٨هـ^(١٠).

وفي بداية رسالة المصنّف في صيغ العقود، المسماة (جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات)، ما نصّه: «وبعد، يقول العبد الفقير إلى ربّه الغنيّ، مفلح بن حسن الصّيمريّ...»^(١١).

وهو ما جاء أوّل مخطوطة كتابه (كشف الالتباس عن موجز أبي العباس): «فيقول الفقير إلى ربّه الغنيّ، مفلح بن حسن الصّيمريّ»^(١٢).

وكذا سيأتي بعد قليل ما نقله المحقّق أغا بزرك الطهرانيّ في الذريعة، حين التعريف بكتاب الشيخ (جواهر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات)^(١٣).

ويعضد ذلك كلّ ما جاء بخطّ حفيده، الشيخ عبد الله، ابن الشيخ حسين، ابن الشيخ مفلح، الصّيمريّ؛ فقد نقل صاحب (أنوار البدرين) في ترجمته ما نصّه: «وجدت بخطّه في آخر المجلّد الأوّل من تحرير العلامة، في النسخة التي عندنا، إجازة لبعض تلامذته، بهذه الصّورة: وأجزت له روايته عنيّ، عن والديّ، المرحوم الشيخ حسين، عن والده، المرحوم الشيخ مفلح بن حسن...»^(١٤).

وعلى هذا، فالصّحيح أنّ اسم أبيه (حسن) لا (حسين)، لا سيّما مع ملاحظة الكلام الأخير للأغا بزرك عن خطّ يد الرّجل نفسه، وخطّ يد الحفيد، فما نقله (أمل الأمل)، وسار عليه الأفنديّ في الرّياض، واختاره الخونساريّ في (روضات الجنّات) غير تامّ^(١٥).

وأما بالنّسبة إلى الجدّ، فقد وقع الخلاف بين الأعلام أيضاً في أنّه راشد أو رشيد، وقد تقدّمت كلماتهم في ذلك، ويبدو أنّ الصّحيح هو (راشد) لا رشيد،

لا سيّما مع ما نقله المحقّق أغا بزرك الطهرانيّ في الذريعة حين التعريف بكتاب الشيخ، المسمّى (جواهر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات)؛ إذ قال: «للشيخ مفلح بن الحسن بن رشيد بن صلاح... ورأيتُ نسخاً أخرى، أوله: الحمد لله ربّ العالمين.. وآخره: قد فرغ من تعلّيقه مصنّفه ومؤلّفه، الفقير إلى الله الغنيّ، مفلح بن حسن بن رشيد الصيّمرّي»^(١٦).

ضبط الاسم والنسب

وأما بالنسبة إلى ضبط الاسم والنسبة، فقد تكلم عن ضبط الاسم المحقّق المامقانيّ في كتابه في علم الرجال (تنقيح المقال)، قائلاً: «مُفْلَح: بضمّ الميم، وسكون الفاء، وكسر اللّام، بعدها حاء مهملة»^(١٧)، ووافقه في ذلك السيّد الطباطبائيّ في رجاله^(١٨).

وأما بالنسبة إلى النسب، فقد تكلم عن ذلك حين التعريف بأحمد بن إبراهيم ابن أبي رافع الصيّمرّي، قائلاً: «الصيّمرّي: بالصاد المهملة المفتوحة، ثمّ الياء المثناة التحتانيّة الساكنة، ثمّ الميم المفتوحة وقد تُضمّ، والفتح أفصح، ثمّ الرّاء المهملة، ثمّ الياء؛ نسبة إلى صيّمر، بلدة بين خوزستان وبلاد الجبل، أو إلى صيّمر، نهر بالبصرة، عليه قرى عامرة»^(١٩).

وفي (تاج العروس): «صيّمر، كحيدر، وقد تُضمّ ميمه، والفتح أفصح: بين خوزستان وبلاد الجبل. وصيّمر: نهر بالبصرة عليه قرى عامرة... وصيّمرّة ناحية بالبصرة بقم نهر معقل»^(٢٠).

وهناك قول ثالث في (صيمر) التي ينتسب إليها الشيخ مفلح، وهو ما احتمله

صاحب (أنوار البدرين)، من أنه نقل عن البعض من ثقاته وجود منطقة في قرية (سلماباد) بالبحرين تُعرف بصيمر، واحتمل أن الصَّيْمَرِيَّ نسبة إليها، خصوصاً وأنه مدفون في تلك القرية كما سيأتي^(٢١).

الموقف من الاحتمالات الثلاثة

والصَّحيح: أن الشَّيْخ الصَّيْمَرِيَّ من صَيْمَر البصرة، وإليك التفصيل:
أمّا الاحتمال الأخير، وهو كونه من قرية صيمر في البحرين، فيدفعه الشَّيْخ نفسه؛ إذ له شعرٌ واضحٌ صريحٌ نقله السيّد الأمين في أعيان الشيعة في أنه لم يكن من أهل البحرين، وإنّما انتقل إليها ونزلها؛ إذ يقول:

وما أسفني على البحرين لكنّ لإخوانٍ بها لي مؤمنينا
دَخَلْنَا كَارِهِينَ لَهَا فَلَمَّا أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا كَارِهِينَا^(٢٢)

وكذا لما حكاه في (أنوار البدرين) بنفسه، عن الشَّيْخ سليمان الماحوزيّ البحرانيّ، القريب العهد بالمؤلف؛ بأنّ أصله من صَيْمَر، وانتقل إلى البحرين، وسكن قرية سلماباد^(٢٣).

هذا علاوة على ما سيأتي في ترجيح احتمال كون النسبة إلى صَيْمَر البصرة.
وأما الاحتمال الثاني، وهو أن تكون النسبة إلى صَيْمَر التي بين خوزستان وبلد الجبل، فيُبعد ما ذكره العلامة المحقّق الأغا بزرك الطهرانيّ في الذريعة؛ إذ يقول في التعريف بكتاب (غاية المرام في شرح شرائع الإسلام): «وهو من صَيْمَر البصرة، ثمّ انتقل إلى البحرين، وسكن بقرية سلماباد»^(٢٤).

٢- ولادته، ووفاته، وقبره

على حدّ ما راجعته من الكتب التي تكلمت عن حياة الشّيخ مُفلح، لم أجد أحداً قد صرّح بسنة ولادته، ولا بسنة وفاته، والمعروف أنّه من علماء القرن التاسع؛ فقد انتهى من تأليف رسالته (جواهر الكلمات) سنة (٨٧٠هـ)^(٢٥)، وفي سنة (٨٧٨هـ) انتهى من كتابه (كشف الالتباس)^(٢٦).

علاوة على ذلك، ذكر الحرّ العامليّ أنّه كان معاصراً للمحقّق، الشّيخ عليّ بن عبد العالي الكركيّ^(٢٧). وكذا كان من تلامذة المحقّق ابن فهد الحلّي^(٢٨)، الذي توفّي في (٨٤١هـ)، وهو في الرّابعة والثمانين من عمره^(٢٩).

وعلى هذا، فيقوى ما ذهب إليه السيّد محسن الأمين؛ من أنّ وفاته كانت حدود سنة (٩٠٠هـ)^(٣٠).

وأما بالنسبة إلى قبره، فالصّحيح أنّه في قرية سلّما باد، في البحرين، كما ذكره في (أنوار البدرين)؛ إذ قال: «وقبره في قرية سلّما باد من البحرين، وقبر ابنه الصّالح، الشّيخ حسين، إلى جنبه»^(٣١)، ونقل عن الشّيخ سليمان الماحوزيّ في ترجمة الشّيخ حسين ابن الشّيخ مُفلح قوله: «وقبره وقبر أبيه في قرية سلّما باد، وزرتهما مرّة»^(٣٢)، فلا يُعتنى بما ادّعي خلافاً لذلك^(٣٣).

٣- أساتذة الشّيخ الصيمريّ، وتلامذته

على حدّ اطلاعنا، فقد كان الشّيخ مُفلح من تلامذة العلّامة، الشّيخ، العابد، جمال الناسكين، أبي العبّاس، أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي، وقد تقدّم ذلك عن المصادر.

بل جاء ذلك في مقدّمة كتابه (كشف الالتباس)؛ إذ يقول أوّله: «وبعد،

يقول الفقير إلى ربّه الغنيّ، مفلح بن حسن الصّيمريّ: إنّ كتاب (الموجز الحاوي لتحرير الفتاوي)، من تصانيف شيخنا الأعظم، وإمامنا الأعلم، أبي العبّاس، أحمد بن فهد الحليّ قدّس نفسه الزكيّة، وأفاض على تربته المراحم الربّانية»^(٣٤). وأمّا تلامذته، فيأتي ابنه الشيخ حسين على رأسهم^(٣٥)، وقد قيل في التعريف به، أنّه لم يُعثر له عشرة، وكان للنّاس فيه اعتقاد عظيم، وكان مستجاب الدّعوة، كثير العبادات،... وأنّه تتلمذ على والده، واستجاز من المحقّق الكركيّ، فأجازه، له عدّة مؤلّفات مرموقة، وقد توفّي سنة (٩٣٣هـ)، وقبره كما تقدّم في قرية سلما باد إلى جنب والده^(٣٦).

وقد تقدّم إجازته لبعض من استجازه، فراجع.

٤- منزلة الشّيخ الصّيمريّ العلميّة

يمكن النّظر إلى منزلة الشّيخ الفقيه المحقّق الصّيمريّ من أكثر من زاوية، لربّما يأتي على رأسها زاويتان: أولاها: كلمات المدح الواردة من المحقّقين والمتخصّصين، والثانية: نتاجات الصّيمريّ، فهي تشهد بمستوى الرّجل العلميّ، وإليك هنا بعض الكلمات، وأُحيل النّظر من زاوية المؤلّفات على الفقرة التالية؛ إذ سنعرض فيها بعض ما للرّجل من مؤلّفات جليّة:

١- في أمل الأمل للحرّ العامليّ: «الشّيخ مفلح بن الحسين، الصّيمريّ: فاضلٌ، علامةٌ، فقيهٌ، له كتب، منها: شرحُ الشّرائع، وشرحُ الموجز، ومختصرُ الصّحاح، ومنتخبُ الخلاف، وله رسالة سَمّاها جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات، وهي دالّة على علمه، وفضله، واحتياطه»^(٣٧).

٢- وعنه يقول الشيخ سليمان الماحوزي: «من علماء البحرين، الشيخ، الفقيه، العلامة، الشيخ مفلح بن حسن الصيمري... وله التصانيف الفائقة، المليحة، منها: شرح الشرائع، وقد أجاد فيه وطبق... وله شرح الموجز، موجز الشيخ جمال الدين بن فهد الحلبي، أظهر فيه اليد البيضاء... ومنها: كتاب (جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات)، مليح، كثير المباحث، غزير العلم»^(٣٨).

وذكره -أيضاً- في الفهرست الذي أعده لعلماء البحرين، ذاكراً جملة من مؤلفاته، التي ستعرض لذكرها بعد قليل^(٣٩).

٣- وفي (أنوار البدرين): «الشيخ، الفقيه، العلامة، الحبر، الأديب، الفهامة، الشيخ مفلح بن حسن الصيمري البحراني»، ثم نقل كلام الشيخ الماحوزي، الذي نقلناه قبل قليل، ثم قال: «وهذا الشيخ **تتلى** من رؤساء الطائفة المحقة، وفتاويه كثيرة منقولة مشهورة في كتب الأصحاب، كالجواهر، والمقاييس، ومفتاح الكرامة، وغيرها»^(٤٠).

٤- وفي (روضات الجنّات)، نقل ما تقدّم هنا عن (أمل الآمل)، ثم قال: «ورأيت -أيضاً- من جملة مصنّفات... وقد اشتمل على مسائل معلّلات، ينشر لها الخاطر، وغرائب نكات يلتذُّ بها الناظر، كما ذكره المصنّف في مفتّح كتابه المذكور»^(٤١).

٥- وأمّا الأغا بزرك الطهراني، والسيد محسن الأمين، فقد نقلّا ما تقدّم من الكلمات في مدحه بدون أيّ ردّ، ما يفهم منه قبولهما لها تمام القبول^(٤٢).

٦- وفي الرياض في سياق التعريف بالشيخ حسين ولد الشيخ مفلح: «هو ووالده من مشاهير العلماء، وأبوه هذا هو شارح الشرائع بشرح مشهور»^(٤٣).

وفي الذريعة: «القصاصُ المليحة: للشيخ مفلح بن الحسن الصيمري البصري، أوردها الشيخ الصالح فخر الدين في مجالسه، كما صرح به الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البصري، في رسالة تاريخ علماء البحرين»^(٤٤).

هـ - مؤلفاته القيّمة

ألّف الشيخ الصيمريُّ العديدَ من الكتب القيّمة في مجالات مختلفة؛ فقد كتب في الفقه، والأصول، والعقائد، وحتى الشعر، ثمّ له العديد من الكتب التي شرح فيها ما كتبه عمالة الفنّ، أو اختصرَ فيها تلك الكتب، حينما كان يشعر بلزوم الشرح والاختصار؛ للاستفادة المثلّي من تلك الكتب، وإليك التفصيل:

- ١ - غاية المرام في شرح شرائع الإسلام^(٤٥).
- وهو الكتاب المائل للدراسة والعرض، وسيأتي بعض الكلام عنه في المطلب التالي بعونه تعالى.
- ٢ - التبينات في الإرث والتّوريثات.
- وهو رسالة في الفرائض والموارث^(٤٦).
- ٣ - أصول الدّين.
- وهو رسالة مختصرة، يبيّن فيها أصول الدّين، وجعلها على شكل مسائل^(٤٧).
- ٤ - تكفير ابن قرقور.
- وهو رسالة مختصرة بكفر ابن قرقور، وهو من أعيان أهل البحرين، وكان ذلك بسبب تلاعبه بأمر الدّين الحنيف^(٤٨).
- ٥ - التّنبية على غرائب من لا يحضره الفقيه.

جمع فيه فتاوى الشيخ الصدوق، المخالفة للإجماع، والمسائل المرفوضة عند فقهاءنا المتقدمين^(٤٩).

٦- جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات.

رسالة علمية عميقة وظريفة، تدلّ على غزارة علم مؤلّفها، وفضله، واحتياطه، مدحها الشيخ سليمان الماحوزي، معبراً عنها بالكتاب، قائلاً: «مليح، كثير المباحث، غزير العلم»^(٥٠).

٧- العقد الجمان في حوادث الزمان.

وهو مختصر من تاريخ الياضي^(٥١).

٨- تلخيص الخلاف.

لخص فيه كتاب الخلاف لشيخ الطائفة الطوسي^(٥٢).

٩- رسالة في الطواف^(٥٣).

١٠- القصائد المليحة^(٥٤).

ديوان شعر ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة^(٥٥).

المطلب الثاني: التعريف بكتاب (غاية المرام في شرح شرائع الإسلام)

وهو الكتاب المائل للدراسة والعرض، وهو من مفاخر ما كتب في شرح كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام)، للمحقق الحلي.

قال في (الذريعة) نقلاً عن الشيخ سليمان الماحوزي صاحب (مشايخ الشيعة): «غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، للشيخ مفلح بن الحسن الصيمري، المذكور... ذكره الشيخ سليمان الماحوزي في عداد علماء البحرين،

وقال: قد أجاد في شرحه، وطبق المفصل، وبيّن التردّدات، وهو كبيرٌ، في مجلدين. أقول: وما رأيته بكتبه من النسخة تاريخ كتابته (٩٨١)، في قرب ثلاثين ألف بيت، أوله: (الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، وأنعم علينا بالتكليف المؤدّي إلى دار السلام)، وهو شرح بـ (قال-أقول) على مواضع يحتاج إلى الشرح»^(٥٦).

وفي (أنوار البدرين) نقل عن الماحوزيّ ما تقدّم، بزيادة: «له التصانيف الفائقة المليحة، منها: شرح الشرائع»^(٥٧).

وأما السيّد المحقّق الأمين في أعيان الشيعة، فقد احتمل أن يكون الكتاب أوّل شرح من شروحات كتاب الشرائع، فقال: «ولعله أوّل شروح الشرائع»^(٥٨).

وهذه كلمة عظيمة لو صحّت، واحتمل صحتّها كبيرٌ جدّاً؛ بالنظر إلى نقطتين: الأولى: ما هو الموجود المعروف من شروحات هذا الكتاب؛ فإن أقرب شرح معروف للشرائع، هو شرح الشهيد الثاني له بكتابه (مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام)، الذي يقول عنه الأغا بزرك في الذريعة: «وفرغ منه سنة أربع وستين وتسعمائة، وفرغ من جزئه الأوّل يوم الأربعاء لثلاث مضت من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، وفرغ من جزئه الرابع، الذي رأيته بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ البردوليّ العامليّ في أواخر جمادى الثانية سنة ثلاث وستين وتسعمائة، وفرغ منه الكاتب المذكور في ليلة الخميس، السابع عشر من رجب، سنة سبع وثمانين وتسعمائة»^(٥٩).

الثانية: ما ذكره المصنّف نفسه أوّل كتابه؛ إذ قال: «قد ضمّنه جميع أصول الأحكام المشتهرة عن الأئمة الكرام، مع إضافة الفروع اللطيفة، والتحقيقات

الشريفة، بلفظ رائق حسن محرّر، يفوق على الجمان إذا تشطّر، فرغب فيه لتهديه الرّاغِبُ، واشتدّ عليه لفصاحته حرصُ الطالب، حتّى عمرت به المدارس، ونُصِبَتْ على تدريسه المجالس، وهو مع شدّة احتياج النّاس إليه، وعظم إكبابهم عليه، قد اشتمل على تردّدات، ومسائل خلافيّات، فربّما تعمّر على الطلبة تحقيّقها، فتعسّفوا سلوكَ طريقها، فأحببتُ أن أعمل له شرحاً، كاشفاً لتردّداته، مبيناً لمبهمه ومشكلاته، مبرزاً لرموزه ونكاته؛ لتزداد به رغبة الرّاغِب، وتعظم بإضافته إليه منفعة الطالب»^(٦٠).

فلو كانت هناك شروحات قد سبقت شرحه، لأشار إليها رحمه الله، ولقال -مثلاً- إنّها ليست بالكافية، أو أحببتُ الإضافة، أو غير ذلك.

الغرض من تأليف الكتاب

وعن غرض المصنّف من تأليف الكتاب، تعرّض لذلك أوّل كتابه بقوله: «أمّا بعد، فإنّ علمَ الفقه ممّا تمسّ الحاجةُ إليه، وواجبٌ؛ لتوقّف تمام نظام النّوع عليه، وقد صنّف فيه العلماء المتقدّمون، والسّلف الماضون (عليهم رحمة الله ورضوانه)، كتباً متعدّدة مطوّلات، وأخرى متبدّدة مقتصرات، ولم يتركوا شيئاً ممّا يحتاج إليه من الفتوى والرّوايات، فمن أفصح ما نهضت به أفهامهم، وأنقح ما جرت فيه أقلامهم، كتاب (شرائع الإسلام في معرفة الحلال والحرام)، تصنيف الإمام الأكرم، والفقير الأعظم، عين الأعيان، ونادرة الزّمان، قدوة المتقدّمين، وأفضل العلماء الرّاسخين، نجم الملة والحقّ والدين، أبي القاسم، جعفر بن سعيد الحليّ (قدّس الله نفسه الزّكيّة، وأفاض على تربته المراحم

الرَّبَّانِيَّةِ)، قَدْ ضَمَّنَهُ جَمِيعَ أَصُولِ الْأَحْكَامِ، الْمَشْتَهَرَةِ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْكَرَامِ، مَعَ إِضَافَةِ الْفُرُوعِ اللَّطِيفَةِ، وَالتَّحْقِيقَاتِ الشَّرِيفَةِ، بِلَفْظٍ رَاقٍ حَسَنٍ مُحَرَّرٍ، يَفُوقُ عَلَى الْجَمَانِ إِذَا تَشَطَّرَ، فَرَغَبَ فِيهِ لَتَهْذِيبِهِ الرَّائِبِ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ لِفَصَاحَتِهِ حِرْصُ الطَّالِبِ، حَتَّى عَمَرَتْ بِهِ الْمَدَارِسَ، وَنُصِبَتْ عَلَى تَدْرِيسِهِ الْمَجَالِسَ، وَهُوَ مَعَ شِدَّةِ احْتِيَاجِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَعَظَمِ إِكْبَاهِهِمْ عَلَيْهِ، قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى تَرَدُّدَاتٍ، وَمَسَائِلِ خِلَافِيَّاتٍ، فَرَبَّمَا تَعَسَّرَ عَلَى الطَّلَبَةِ تَحْقِيقُهَا، فَتَعَسَّفُوا سُلُوكَ طَرِيقِهَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْمَلَ لَهُ شَرْحاً، كَاشِفاً لَتَرَدُّدَاتِهِ، مَبِيناً لِمَبْهَمِهِ وَمَشْكَالَاتِهِ، مَبْرَزا لِرُمُوزِهِ وَنَكَاتِهِ؛ لِتَزْدَادَ بِهِ رَغْبَةَ الرَّائِبِ، وَتَعْظُمَ بِإِضَافَتِهِ إِلَيْهِ مَنَفْعَةُ الطَّالِبِ، فَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ، وَعَمِلْتُ هَذَا الْكِتَابَ، رَاجِياً مِنَ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ. وَسَمَّيْتُهُ (غَايَةُ الْمَرَامِ فِي شَرْحِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ)، مُقْتَصِراً عَلَى إِنْشَاءِ التَّرَدُّدَاتِ، وَإِيضَاحِ الْخِلَافِيَّاتِ، مِنْ غَيْرِ إِطْنَابٍ فِي الْأَدَلَّةِ وَالرَّوَايَاتِ، لِثَلَايِمِلِهِ النَّاضِرِ، مَعَ إِضَافَةِ مَا يَلِيقُ فِي الْبَابِ، مِنَ الْفُرُوعِ وَالتَّنْبِيهَاتِ، لِيُنْشَرَحَ لَهُ الْخَاطِرُ.

هَذَا، مَعَ أَنِّي قَصِيرُ الْبَاعِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، قَلِيلٌ مَا يَصْحَبُنِي مِنَ الْبُضَاعَةِ، لَكِنْ، إِذَا أَمَحَلَتِ الْبِلَادُ، رُعْيِيَ الْهَشِيمِ، وَإِذَا تَعَذَّرَتِ الْمَوَارِدُ، وَوَرَدَ الْآجُنُّ الْمَقِيمُ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَنِي فِيهِ الصَّوَابَ، وَيَعْصِمَنِي مِنَ الْخَلَلِ وَالْاضْطِرَابِ، وَأَنْ يَجْعَلَ جُنَّةً وَاقِيَةً فِي الْمَعَادِ، وَمَنْفَعَةً بَاقِيَةً لِلْعِبَادِ، إِنَّهُ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ، يُعْطِي السَّائِلَ فَوْقَ الْمَرَادِ»^(٦١).

وَقَالَ تَمَثَّلْ فِي خَاتِمَةِ الْكِتَابِ: «وَهَذَا آخِرُ مَا قَصَدْنَا إِيْرَادَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَنَا أَلْتَمِسُ مِنْ أَوْلِي الْأَذْهَانِ الصَّافِيَةِ، وَالْعُقُولِ الْوَاقِيَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْاعْتِرَافِ، النَّظَرَ إِلَيْهِ

بعين الإنصاف، وإصلاح ما يتحققونه غلطاً لا يقبل التأويل؛ فإنني في زمان
يُستكثر فيه القليل، ويُرضى منه باليسير دون الجليل، ومع هذا، فمن نظر إلى
كتابي هذا بعين الفكر والاعتبار، وأعرض عن التقليد لأهل الفضل والاشتهار،
وأتبع قول أمير المؤمنين: «لا تنظر إلى مَنْ قال، وانظر إلى ما قال، فإنَّ الرِّجال
تُعرفُ بالحقِّ، ولا يُعرف الحقُّ بالرِّجال»، عرفَ فضلَ هذا الكتاب على ما
سواه، وأنَّه لم يُسبق إلى مثل إيجاز لفظه وبسط معناه، واتخذهُ كنزاً يرجع عند
الحاجة إليه، ويعوّل في المهمّات عليه؛ لأنَّه اشتمل على تفصيل مجملات، وإيضاح
مشكلات، وفتح مرتقات، وفروع وتنبّهات، لم تنهض بها المطوّلات، وقصرت
عنها المقصورات، فأسأل الله أن يتقبّله بأحسن قبول، ويبلغ فيه المأمول، فإنَّه
تعالى بفضله يقبل اليسير، ويجازي عليه بالكثير، ولنقطع الكلام حامدين لله ربّ
العالمين، ومصلّين على محمّد وآله الطّاهرين»^(٦٢).

المبحث الثاني

بيع المسوخ والسَّباع

عرضٌ ودراسةٌ

المطلب الأوَّل

الطريقة الفنيَّة للاستنباط في الأحكام الوضعيَّة

الكلام كلّه إنّما هو في استنباط الحكم الوضعيّ؛ إذ هو العيّنة المختارة من كتاب غاية المرام، ولربّما توقّفنا يوماً في الحكم التكليفيّ إذا شاء الله تعالى. ولكي نحقّق الهدف، فإنّ من اللازم الكلام بالتفصيل عن عمليّة الاستنباط المنضبطة، كما يمارسها الفقيه، فنعرض ما جاء في الكتاب على طبق هذه الطريقة، فيتحقّق الاستعراض، ونقف على مقدار البراعة التي يتمتّع بها الصيّمريّ الفقيه.

الطريقة الفنيَّة للاستنباط ومراحلها الكليّة في الحكم الوضعيّ

تنبيهٌ مهمّ

وينبغي التنبيه هنا على أنّ الكلام إنّما هو في الهيكلية العامّة والخطوط العامّة لعمليّة الاستنباط، لا في جزئيات كلّ مرحلة من المراحل التي تمرّ بها هذه العمليّة؛ فإنّ ذلك تابع لخصوصيّات كلّ مسألة يبحث الفقيه عن حكمها، فنقول:

إنَّ عمليّة استنباط الأحكام الشرعيّة بكلا نوعيها: ما كان بغرض تشخيص الحكم التكليفيّ، وما كان بغرض تشخيص الحكم الوضعيّ، تابعة لطريقة فنيّة دقيقة خاصّة، ذات مراحل كليّة مشخّصة ومرتبّة وهيكلية ثابتة يجب أن تتّبع في كلّ عمليّة استنباطيّة منضبطة، بخلاف ما قد يتوهّمه غير المتخصّص. ولنذكر الأدلّة على الطريقة الفنيّة التي سنستعرضها بصورة عامّة، محيلين الكلام التفصيلي على محله.

والأدلّة على ذلك ما يأتي:

- ١- ملاحظة الهدف من عملية الاستنباط، ووظيفة الفقيه ومسؤوليته، والمطلوب منه من خلالها؛ إذ هو تشخيص موقف الشريعة طبق حجّة شرعيّة.
- ٢- علم الأصول، والقواعد العامّة التي يقدّمها للفقيه لكي تكون أدواته التي يستفيد منها في ممارساته الفقهيّة؛ إذ هذا العلم هو المسؤول عن تحديد مراحل عمليّة الاستنباط، وترتيبها، كما سنرى بالتفصيل.
- ٣- واقع عمليّات الاستنباط التي نراها في الآلاف من الكتب الاستدلاليّة على مرّ تاريخ الفقه والفقاهة؛ إذ هي شاهدة بما نحن فيه. نعم، لا بدّ من النظر بعين متخصّصة للوقوف على ذلك.
- ٤- كلمات كثيرة منشورة هنا وهناك خلال مطالب مفصّلة في مواضيع مختلفة، كما لربّما نتعرّض لبعضها خلال البحث.

النقطة الأولى: إمكان النظر إلى عملية الاستنباط من زاويتين

مختلفتين

وقبل الدخول في مراحل عملية الاستنباط، وترتيب مراحلها، وتسلسلها، والوقوف على الطريقة التي تتفاعل فيها في ما بينها لتختلف النتيجة النهائية، إليك هذه النقطة المنهجية الفنية الغاية في الأهمية؛ بحيث يتضح بها الكثير من الإشتباهاات، ويزول فيها الكثير من الضبابية وسوء الفهم، لا سيما من قبل مَنْ لا خبرة له في عالم الفقه والفقاهة والاستنباط.

الزاوية الأولى: زاوية كون عملية الاستنباط عملية تفكير منطقيّ (سير

البحث العلميّ)

المقصود بهذه الزاوية: النظر إلى عملية الاستنباط من زاوية كونها عملية تفكير منطقيّ منضبط، يمرّ بها الفقيه خلال ممارسته لعملية تشخيص الموقف إزاء المسألة محلّ البحث، من بداية تعرّضه للسؤال عن الموقف الشرعيّ إزاء تلك المسألة، أو اختياره للبحث فيها، وانتهاء بتشخيصه لهذا الموقف؛ إذ تمرّ هذه الممارسة بمراحل مشخصة محدّدة مرتّبة ترتيباً منطقيّاً عقلائياً منضبطاً، تفرضه -كما قلنا- الظروف العلميّة المنطقيّة الفنيّة الموضوعيّة، أعني: الهدف من ممارسة عملية الاستنباط من جهة، والعلم المرجع في هذه العملية من جهة ثانية: أي: علم الأصول.

ويكفي لإثبات أصل المرحليّة مجرّد تصوّر أنّ العملية عملية بحث علميّ يزاولها المتخصّص، وهل يوجد بحث علميّ بلا تشخيص مسبق لمراحله؟!

الزاوية الثانية: زاوية كون عملية الاستنباط إفتاء طبق «حجة شرعية» (تسلسل الحجج الشرعية)

وأما الزاوية الثانية التي يمكن النظر من خلالها إلى عملية الاستنباط، فهي زاوية الحجة والدليل الذي يستند إليه الفقيه في فتواه؛ بحيث يكون هو الحجة في ما بينه وبين ربه.

نعني هنا بالدقة: الترتيب المنطقي الفني المنضبط بين الحجج والأدلة التي يمكن أن تكون مستنداً صحيحاً معتبراً شرعاً للفقيه في تشخيص الموقف، وهو ما اعتدنا سماعه وعهدنا العمل به من الجميع في علم الأصول وعلم الفقه؛ من تقديم للحجج بعضها على بعض حسب الظروف والحالات المختلفة، من قبيل: تقديم الدليل الاجتهادي «المحرز» على الدليل الفقاهتي «غير المحرز»، ومن تقديم الخاص والمقيّد على العام والمطلق، ومن قبيل: تقديم الأصل العملي السببي على المسببي، ومن قبيل تقديم الروايات المتعارضة تعارضاً غير مستقرّ أو مستقرّ بعضها على بعض؛ وفق ما يتبنّاه الفقيه في بحوثه الأصولية المختلفة.

ومن المهمّ الالتفات هنا، إلى أنّ مسير عملية الاستنباط من كلّ من الزاويتين يخالف مسيرها من الزاوية الأخرى ويعاكسه في الاتجاه تماماً؛ فبينما سترى أنّ هذا المسير طبق الزاوية الأولى سيبدأ من تنقيح الأصل العملي الجاري في المسألة محلّ البحث، سترى أنّ مسيرها طبق الزاوية الثانية سينتهي بهذه المرحلة؛ بمعنى: أنّ الفقيه لن يعتمد على الأصل العملي وما يقتضيه إلا في نهاية المطاف طبقاً للزاوية الثانية، وفي حالة فقدان الدليل المحرز على خلاف هذا المقتضى، وهو ما سيأتي بالتفصيل.

إلا أن الذي ينبغي الانتباه إليه في المقام، هو أن الاختلاف في الاتجاه بين السيرين المتقدمي الذكر، لا يعني أبداً التصادم والتضاد والتخاصم بينهما، بل كلا السيرين في خدمة هدف واحد، هو الهدف من الممارسة الفقهية، ألا وهو تشخيص الموقف الشرعي من المسألة محل البحث، وهو ما ستشاهده في ما يأتي بيئاً واضحاً بعونه تعالى بالتفصيل.

النقطة الثانية: مراحل عملية استنباط الحكم الوضعي للمعاملة

أولاً: مراحل عملية استنباط الحكم الوضعي للمعاملة طبق الزاوية الأولى
ولنبداً ببيان عملية استنباط الحكم الوضعي للمعاملة طبق الزاوية الأولى، وما هي المراحل التي يمر بها تفكير الفقيه منذ نقطة البداية والانطلاق، وحتى نقطة الانتهاء بتشخيص ذلك الموقف، سواء أكان الحكم، أم الوظيفة العملية تجاهه، كما تعلمنا في علم الأصول من معنى هذين المصطلحين؟
وبما أنه لن يمكن بيان المراد بصورة واضحة جداً إلا بمثال عملي، فإننا سنفترض أن الفقيه أراد أن يستنبط حكم بيع المسوخ مثلاً -وهو ما سيأتي معناه بالتفصيل، ولكن فلنأخذ (الفيل) أنموذجاً؛ لأنه الوارد في كلام الصيمري في العينة المختارة - من حيث الوضع - الصحة والبطالان - وإن الكلام كله هنا سيكون افتراضياً من أجل التوضيح.

المرحلة الأولى: تشخيص مقتضى الأصل العملي الجاري في المسألة محل

البحث

لما كان الهدف من الاستنباط تشخيص الحجة على الحكم الشرعي، فإننا

لو رجعنا إلى علم الأصول، لشخص لنا المرحلة الأولى من مراحل عملية الاستنباط، وأنه تشخيص مقتضى الأصل العمليّ الجاري في المسألة محلّ البحث؛ ودليل الأصول واضح؛ إذ إنّ الفقيه يعيش الشكّ في الحكم الآن، ومرجع الكلّ في حالة الشكّ هو الأصل العمليّ.

والأصل العمليّ الأوّل في المعاملات من حيث الصّحة والفساد هو «أصالة الفساد».

وتقريب التمسك بأصالة الفساد وجريانها في المقام، كما يأتي:

بعد إجراء المعاملة (البيع) في ما نحن فيه على الفيل مثلاً، نشكّ في حدوث النقل والانتقال في متعلّق البيع، فهل انتقلت السلعة (الفيل) إلى المشتري، وخرجت عن ملكيّة البائع؟ وهل انتقل الثمن من ملكيّة المشتري إلى ملكيّة البائع، أم لا؟ لو شككنا في حدوث ذلك، فإنّ الأصل (الاستصحاب) يقتضي عدم الحدوث، فهو الحالة المتيقّنة السابقة التي لا ننقضها إلّا باليقين، والمفروض أنّنا -الآن- ونحن في بداية الطريق شاكون في الصّحة وعدمها.

وكما ترى، فإنّنا تمسكنا في المقام بما جعله الشارع حجة في الحالة التي يعيشها الفقيه، وهي الشكّ، والحجة في هذه الحالة هي الأصل العمليّ، ومقتضاه الفساد. هذه بداية الطريقة المنطقيّة لعملية الاستدلال الفقهيّ، فهي تبدأ أبداً بالانطلاق مما يقتضيه الأصل العمليّ الجاري في المسألة محلّ البحث، وهو ما تشهد به كلماتهم الغاية في الكثرة؛ قال المحقّق الخوئيّ رحمته في بعض الموارد: «وحيث أنّ تعارضهما بالإطلاق، فيتساقطان، فنبقى نحن ومقتضى القاعدة والأصل الجاري في المقام، وهو يقتضي...»^(٦٣)، وغيره كثير لمن راجع^(٦٤).

المرحلة الثانية: البحث عن دليل عام أو مطلق على خلاف مقتضى الأصل

العملي

وبعد أن اتّضحت المرحلة الأولى من مراحل عملية الاستنباط، واتضح أنّ الفتوى هي بطلان المعاملة طبقاً لمقتضى الأصل العمليّ وأصالة الفساد، ولما كنّا لازلنا في ممارسة عملية البحث عن «فتوى طبق حجة معتبرة شرعاً»، فإنّ المنطق والعقل وعلم الأصول يقتضيان سؤالاً بسيطاً في المقام، وهو: هل يمكن للفقهاء -الآن- أن يفتي بالفساد بمقتضى الأصل العمليّ المزبور ما دام هو الأصل الجاري في المرحلة الأولى من مراحل عملية الاستنباط؟

ونلاحظ أنّ السؤال المتقدم سؤال منطقيّ اقتضته طبيعة الحالة التي يعيشها الفقيه، وليست أمراً ارتجالياً على غير هدى ولا بصيرة.

وجواب السؤال المنطقيّ المتقدم نجدها في علم الأصول؛ فهو المرجع في المقام، ولو رجعنا إلى هذا العلم، لكان الجواب واضحاً كما تعلّمناه؛ إذ نعرف جميعاً أنّ الأصل العمليّ لا يكون حجة إلا في حالة تحقق موضوعه، وموضوعه كما يعرف الجميع هو «الشكّ في الحكم الواقعيّ»، وإلاّ، كان التمسك بالأصل والإفتاء على طبقه خطأ فاحشاً، وإفتاء بغير حجة شرعية والعياذ بالله^(٦٥).

الكلمة المتقدمة على اختصارها، تعني: أنّ المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط فنيّاً وشرعياً، هي البحث عن دليل يرفع موضوع الأصل العمليّ، ليثبت خلاف مقتضاه، أعني: «صحّة» المعاملة، فإنّ توافّر هكذا دليل، تركنا مقتضى الأصل العمليّ، وصرنا لو كنّا نحن والمرحلة الثانية إلى الصحّة؛ إذ مع الدليل المحرز الاجتهاديّ الرافع للشكّ، كيف تصل النوبة إلى مقتضى الأصل

العمليّ؟!!

وبناء على هذا الذي تقدّم، فإنّ المرحلة الثانية، هي البحث عن دليل محرز حجّة على خلاف مقتضى الأصل العمليّ، ليثبت صحّة المعاملة. إلا أنّ ما ينبغي الالتفات إليه ونحن نصل إلى هذه المرحلة الثانية، هو أنّ الفقيه في هذه المرحلة لا يبحث عن أيّ دليل على خلاف مقتضى الأصل العمليّ، وإنّما يبحث عن نوع خاصّ من الأدلّة؛ إذ إنّّه يبحث عن دليل «مطلق» أو «عام» على خلاف مقتضى الأصل العمليّ، وهو المسمّى في كلمات المتخصّصين باسم «العامّ الفوقانيّ»، و«العموم الفوقانيّ» الكلمة الواضحة جدّاً في تقدّم هذه المرحلة على غيرها من المراحل الثلاثة القادمة.

ويأتي هنا دور كلّ دليل محرز يصحّح المعاملة محلّ البحث (بيع الفيل) في كلامنا حسب ما فرضنا بعمومه أو إطلاقه، أي: بعنوان «البيع» وما له من مشتقّات، أو بعنوان «العقد» مثلاً، أو عنوان «التجارة عن تراضٍ مثلاً»، وهو ما نسمّيه بعمومات الصّحّة وإطلاقاتها، سواء أكانت قطعيّة أم لا.

والذي يذكر هنا عادة هو الآيات الكريمة والرّوايات الشريفة الدالّة على صحّة المعاملة بعمومها أو إطلاقها، تلك التي يسمّونها الأدلّة الإيضائيّة العامّة، وهي الأدلّة التي وردت كضابطة لما يصحّ أو يبطل من المكاسب بعنوانها العامّ الواسع جدّاً، كقوله سبحانه وتعالى في الآية (٢٧٥) من سورة البقرة المباركة: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾، وقوله في الآية (١) من سورة المائدة المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وقوله أيضاً في الآية (٢٩) من سورة النساء المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾،

وقوله **عَلَيْكُمْ**: «الْبَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَفْتَرَقَا»^(٦٦)، وغيرها، الواردة في صحة البيع ونفوذه.

نكات منهجية فنيّة دقيقة لا بدّ من التنبيه عليها في المقام

وهنا نكات منهجيّة فنيّة دقيقة لا بدّ من التنبيه عليها:

الأولى: اشتراط انطباق عناوين العمومات والإطلاقات

من الواضح: أنّ جريان العمومات والإطلاقات في المرحلة الثانية مشروط بتحقيق العنوان المأخوذ في العامّ أو المطلق على المعاملة، كالبيع والتجارة عن تراضي أو العقد مثلاً، وأمّا مع عدم إحراز ذلك، فإنّ المورد يكون مما لا يزال تحت مقتضى الأصل العمليّ الذي يقتضي الفساد.

وعلى هذا، فلا بدّ من التحقيق في معنى وحقيقة كلّ واحدٍ من العناوين التي أخذت في عمومات الصّحة وإطلاقاتها، وما يقال هنا، هو أنّ حقيقة «البيع» لا تتحقّق خارجاً إلّا في حالة كون المبيع «مالاً» شرعاً، وهو ما لا يصدق إلا بوجود «الفائدة المحلّلة المقصودة» في الشيء، فإذا وجدت هذه الفائدة، كان الشيء مالاً شرعاً، وتحقّق ما نسّميه «مقتضى صحّة المعاملة» بالمعنى الذي أشرنا إليه في ما تقدّم، من أنّ المورد يكون مشمولاً في هذه الحالة لعمومات الصّحة وإطلاقاتها، الجارية في المرحلة الثانية من مراحل عمليّة الاستنباط، لينقطع بذلك العمل بالأصل العمليّ، لتكون النتيجة صحّة المعاملة لهذه العمومات.

والكلام نفسه في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾، الذي يُعدّ إرشاداً إلى اشتراط الماليّة في المبيع.

فإذا انطبق عنوان «البيع» مثلاً على بيع الفيل النجسة، وذلك بوجود الفائدة المحللة المقصودة، أو عنوان «العقد» أو «التجارة عن تراضٍ»، أو غيرها من العناوين المأخوذة في العمومات والإطلاقات على فرض وجودها، جرت هذه العمومات والإطلاقات، لتكون النتيجة هي الفتوى بالصحة لهذه الأدلة المحرزة، قطعية كانت أو غير قطعية.

الثانية: الفائدة المحللة المقصودة وتأثيرها على عملية الاستنباط وكما ترى، فإنّ تعبير «فائدة محللة قصودة»، مكوّن من ركنين (عنصرين) جيء بهما وصفاً للفائدة، وهما: «المحللة»، و«المقصود».

أمّا الركن الأول، فلا شكّ في لزوم الرجوع فيه إلى الشارع؛ فهو المرجع الوحيد في كون فائدة ما محللة أم لا.

وأمّا الركن الثاني، فالمقصود به أن تكون الفائدة مهمّة كليّة بحيث يميل نوع العقلاء إلى اقتناء العين بسبب هذه الفائدة.

وعلى هذا، فالمرجع في تشخيص تحقق هذا الركن هو نوع العقلاء؛ فهم المقياس في كون فائدة ما مهمّة أم لا.

إلا أنّنا لو تأملنا قليلاً في العبارة المتقدّمة، لوجدنا أنّ الحقيقة هي أن المرجع في تحقق هذا الركن الثاني هو الشارع أيضاً، كما كان في الركن الأول، كلّ ما في الأمر، أن الشارع أقرّ ما عليه العرف والعقلاء في تشخيص الأهميّة.

وعلى هذا، فالقاعدة: إنّ نوع العقلاء معتبر شرعاً ما لم يتدخل الشارع بنفسه لينقض ما هوّ لاء عليه. فانتبه.

ما تقدّم أخيراً، سيفتح الباب على معلومة فنيّة أخرى غاية في الأهميّة، وهي:

أنَّ المرحلة الثانية كما قلنا وإنَّ كانت ما تقدّم، وهي البحث عن «عمومات وإطلاقات صحّة المعاملة»، إلا أنَّ الفقيه لو بحث ولم يجدها جارية في المسألة محلّ بحثه؛ وذلك بأن بحث ووجد أنَّ نوع العقلاء لا يعتبرون فائدة ما «مقصودة»، فإنَّ هذا لا يعني بأيّ حال من الأحوال انتهاء عمليّة الاستنباط والحكم بعدم الصّحة؛ بل لا بدّ عليه من أن يطوي المراحل التالية لهذه العمليّة؛ إذ يبقى احتمال تدخّل الشارع وحكمه بكون فائدة ما من فوائد العين محلّ البحث مقصودة عن أحد طريقين:

الأوّل: التدخّل المباشر: وذلك بأن يدلّ دليل على كون المنفعة مهمّة مقصودة.
الثاني: غير المباشر: وذلك بأن يدلّ دليل في ما سيأتي من المرحلة الرابعة على صحّة بيع العين التي حكم العقلاء بعدم كونها ذات فائدة مقصودة.
وفي الطريقتين، لا يعني تدخّل الشارع كما قلنا تنازلاً عن اشتراط المنفعة المقصودة في العين، وإنّما هو مجرد تدخّل من قبله في بعض الأحيان في تحديد نوع الفائدة التي يحكم عليها بكونها مقصودة.

وأما الدليل على كون البحث عن جريان أو عدم جريان عمومات الصّحة وإطلاقاتها هي المرحلة الثانية، فقد تقدّم إجمالاً؛ إذ هو مقتضى الهدف من عمليّة الاستنباط، وهو قرار علم الأصول، وكذا هناك -طبعاً- استقراء الواقع من عمليّات الاستنباط من الفقهاء الفحول بمختلف طبقاتهم؛ يكفي في إثبات ذلك ملاحظة مصطلحين متّفق عليهما بينهما كما تقدّم، وهما: مصطلح «العام الفوقاني»، ومصطلح «العموم الفوقاني»، اللذان يُعدّان من المصطلحات الشائعة بينهما في مختلف ما يمارسونه من عمليّات استنباط، عندما يواجههم تعارض

بين خاصين في مورد من الموارد؛ حيث تكون النوبة عندهم في حالة تعارض الخاصين وتساقطهما هو الرجوع إلى هذا العام، ما يعني بكل وضوح كونه هو المرجع والمرحلة التي تسبق مرحلة التعارض هذه^(٦٧).

وكذا تعبيرهم بكون المرجع بعد التساقط في الخاصين هو العام، كما في قول المحقق الخوئي: «وعلى تقدير التعارض والتساقط، يُرجع إلى العمومات والمطلقات الدالة على صحة العقود، وقد عرفت ذلك كله في ما تقدم»^(٦٨). والكلمات المشابهة كثيرة غاية في الكثرة عن فطاحل عمليات الاستنباط والاستدلال^(٦٩).

ينبغي التنبيه على أن هذه المرحلة الثانية تسمى في كلماتهم بمرحلة مقتضي الصحة؛ فإن المنفعة المحللة المقصودة هي مقتضي صحة المعاملة، وهي البيع في ما نحن فيه.

المرحلة الثالثة: البحث عن مخصص أو مقيد لعمومات الصحة وإطلاقاتها
وبعد أن اتضح المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط، وتبين أن الفتوى هي صحة المعاملة طبقاً لعمومات الصحة وإطلاقاتها بشرطها وشروطها، ولما كنا لازلنا في ممارسة عملية البحث عن «فتوى طبق حجة معتبرة شرعاً»، فإن المنطق والعقل يقتضيان إعادة ما تقدم من سؤال عين لنا المرحلة الثانية المتقدمة من مراحل عملية الاستنباط، وهو: وهل يمكن للفقهاء -الآن- أن يفتي بالصحة اعتماداً على تلك العمومات والإطلاقات؟
وجواب السؤال المنطقي المتقدم نجدها في علم الأصول أيضاً، ليجيبنا -بعد

الأخذ بالنظر إلى الهدف من عملية الاستنباط - بأن «حجّة» العام والمطلق فرع عدم وجود المخصّص والمقيّد^(٧٠)؛ وإلا، كان هذان الأخيران متقدّمين؛ تقدّم القرينة على ذبها كما حُقّق في هذا العلم، ما يعني: أنّ المرحلة التالية من مراحل عملية الاستنباط ستكون: البحث عن المخصّص والمقيّد لعمومات الصّحة وإطلاقاتها، وفي الحقيقة، البحث هنا عن وجود أو عدم وجود مانع يمنع من عمل المقتضي السابق.

فإنّ بحثنا عن المخصّص والمقيّد بأنواعه الأربعة الرئيسة (الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل)، وفرضنا أنّه كان موجوداً، كما لو كان في رواية مثلاً: «من السُّحْت ثمن الفيل»، أو «ثمن المسوخ»، ولنفرض أنّه دالٌّ على البطلان، فهذا الحديث متقدّم - من حيث الحجّة - على العام والمطلق، كما نعلم. ما وصلنا إليه من نتيجة، يعني: لزوم طرح سؤال منطقيّ هنا أيضاً، وهو: وهل يُفتي الفقيه - الآن - وقد وجد المخصّص والمقيّد طبق هذين، بالبطلان؟

المرحلة الرابعة: البحث عن الدليل المعارض للمخصّص أو المقيّد

السؤال المنطقيّ السابق يعبّر عن المرحلة الرابعة من مراحل عملية الاستنباط؛ إذ لا بدّ من الرجوع مرّة أخرى إلى علم الأصول، لنسمع الأصويّ يقول: إنّ كان هذا «المخصّص والمقيّد» حجّة، أمكن لك أيّها الفقيه أن تُفتي به، وإلا، فلا.

ويأتي السؤال الآخر حتماً: متى يكون حجّة؟

فيأتي الجواب من علم الأصول أيضاً: إنّ كان تامّاً دلالة وسنداً.

ويأتي هنا عملان للفقيه، أوّلها: التأكّد من كون هذا الدليل تامّاً سنداً ودلالةً

مع غُضِّ النظر عن وجود أو عدم وجود المعارض، فهل هذا الدليل تامٌّ في نفسه؟ فإن لم يكن تامّاً، فهذا يعني: عدم وجود أيٍّ مخصَّص أو مقيّد في البين، لتبقى العمومات والإطلاقات هي المرجع في الفتوى، وأمّا إذا افترضنا أنّه تامٌّ في نفسه، تصل النوبة إلى المهمّة الثانية للفقهاء في هذه المرحلة، وهي: البحث عن وجود أو عدم وجود معارض لهذا الحديث في مورده، وهو بيع الفيل، وهذا البحث يمثل المرحلة الرابعة من المراحل المنطقيّة من عمليّة الاستدلال الفقهيّ، حيث البحث عن دليل معارض غير العامّ فوقانيّ.

ولو افترضنا وجود هكذا دليل معارض مجوّز لبيع الفيل، كما لو كان في رواية تامّة الدلالة والسند مثلاً على سبيل الفرض لا غير: «لا بأس ببيع الفيل» أو «المسوخ»، أو غيره من الروايات الواردة في المقام، فيقع التعارض حينئذٍ بين الدليلين الأخيرين: «الدليل المفروض في المرحلة الثالثة، والدليل الأخير المفروض في المرحلة الرابعة»، وهما ما يُقصد عادة بما تقدّم من مصطلح «الخاصين»، لتكون عمومات الصّحّة وإطلاقاتها المقصود من مصطلح «العموم فوقانيّ» كما تقدّم، فننتقل بذلك إلى المرحلة الخامسة من مراحل عمليّة الاستنباط، وهي مرحلة تعيين الموقف من التعارض الواقع.

وقد رأينا أن تعيين المرحلة الرابعة لم يكن عملاً اعتباطياً ارتجالياً أيضاً، شأنه في ذلك شأن تعيين المراحل المتقدّمة، وإنّما كان عملاً اقتضته طبيعة المرحلة التي وصلها الفقيه في رحلته نحو القيام بوظيفته، وتحقيق هدفه، وتعيين الفتوى بدليل حجة، كما هو الحال تامّاً في تعيين المرحلة الخامسة التالية.

المرحلة الخامسة: تشخيص الموقف من التعارض

ولما كنّا نعيش حالة تعارض بين الأدلّة (الروايات كما هو المفروض في المقام والغالب في غيره)، فإنّ المتعيّن في مثل هذه الحالة الخوض في تشخيص الموقف من التعارض، العمل الذي هو من اختصاص علم الأصول وما ينقّحه الفقيه الأصوليّ فيه، لنجده يقول: لا بدّ من تشخيص نوع التعارض أولاً وقبل كلّ شيء؛ فإنّ كان «مستقراً»، أعملنا قواعده التي يرتضيها الأصوليّ ويبنى عليها، من إعمال المرجّحات أولاً، من موافقة الكتاب أولاً، ثمّ مخالفة العامّة ثانياً مثلاً، أو ما يذهب إليه المجتهد في المقام، فإنّ نفعنا تلك المرجّحات، فرجّحت كفّة واحد من المتعارضين، كان العمل على طبقه، كما لو رجّحنا الرواية المجوّزة؛ باعتبارها موافقة للكتاب والعمومات القرآنيّة التي ذكرناها في المرحلة الثانية مثلاً، وعلى سبيل الفرض، وكانت النتيجة حينئذٍ هي صحّة البيع في ما نحن فيه؛ للعمومات والإطلاقات الجارية في المرحلة الثانية من مراحل عمليّة الاستنباط؛ بعد أن سقط المخصّص والمقيّد (المانع) بالتعارض وقوانينه، وللخاصّ الجاري في المرحلة الرابعة من مراحل تلك العمليّة أيضاً؛ بعد تقدّمه على معارضه بموافقته للكتاب.

وأما إذا رجّحت كفّة الرواية المانعة على سبيل الفرض ليس إلّا، فإنّ النتيجة ستكون المنع من البيع، وعدم نفوذه؛ لهذه الرواية المانعة؛ باعتبارها ستقيّد وتخصّص الإطلاقات والعمومات التي ذكرناها في المرحلة الثانية من مراحل عمليّة الاستنباط، وسقوط معارضها الخاصّ الدالّ على الصّحّة الجارية في المرحلة الرابعة.

وأما إذا لم تفدنا المرجّحات - والكلام كلّ افتراضيّ - وصلت النوبة إلى ما يختاره المجتهد في الأصول، من التساقط، كما عليه المشهور إلى اليوم، أو غير ذلك، من التخيير، أو التوقّف مثلاً.

فلو اختار التساقط مثلاً، ستكون النتيجة هي صحّة البيع، لماذا؟ لأنّ العمومات والإطلاقات لا زالت حجة بعد سقوط المخصّص والمقيّد لها (المانع) بالمعارضة السابقة، وأما سقوط الدليل الخاصّ على الصّحة بالمعارضة، فإنّ من الواضح أنّه لا يؤثر على سقوط العامّ والمطلق على الصّحة؛ إذ هذا عامّ فوقاني لا علاقة له بالمعارضة بين الخاصّين المتصارعين، فليس العامّ والمطلق طرفاً في هذه المعركة أبداً.

وأما لو اختار التخيير، فإنّه يختار أحد المتعارضين كما يشاء، لتكون النتيجة على طبق اختياره هذا.

هذا كلّ لو كان التعارض مستقراً، وأما إذا لم يكن كذلك، كما لو فرضنا أنّ الرواية المانعة الواردة في المرحلة الثالثة كانت تمنع من بيع الفيل قبل ظهور عاجه مثلاً، كما لو كان الوارد فيها هو: «ثمن الفيل قبل ظهور عاجه سحت»، ولا تنس أنّ الكلام كلّ افتراضيّ، فإنّ النتيجة حينئذٍ تقدّم هذه الرواية المانعة على الرواية المجوّزة؛ بعد كون المانعة أخصّ من تلك، فيتعيّن تقييد المجوّزة بالمانعة، لتكون النتيجة هي جواز بيع جميع الفيلة للرواية المجوّزة المطلقة، وعمومات الصّحة وإطلاقاتها في هذا المقدار - إلا الفيل قبل ظهور العاج - للرواية المحرّمة، التي تقيّد الرواية المجوّزة وتخصّص وتقيّد عمومات الصّحة وإطلاقاتها على نحو واحد.

ولك أن تفترض الآن العكس، بأن تكون الرواية المجوّزة مقيّدة بفيل من جنسٍ خاصٍّ دون المحرّمة، فماذا ستكون النتيجة؟

النتيجة ستكون هي حرمة بيع جميع أجناس الفيلة وضعاً-لِلرواية المحرّمة المطلقة- إلا الفيل الوارد في الرواية المجوّزة؛ للرواية المجوّزة التي تتقدّم في هذا المقدار على أختها؛ لكونها أخصّ منها، ولعمومات الصّحّة وإطلاقاتها التي لا تزال تجري في هذه الحصّة من الفيل أيضاً؛ بعد عدم شمولها بالمخصّص والمقيّد.

ثانياً: مراحل عمليّة استنباط الحكم الوضعيّ للمعاملة طبق الزاوية الثانية بما تقدّم من مراحل عمليّة الاستدلال الفقهيّ للحكم الوضعيّ للمعاملة، من زاوية كونها عمليّة بحث علميٍّ، يتّضح المراد من السّير طبق الزاوية الثانية التي يمكن النظر من خلالها لهذه العمليّة، وهي زاوية الحجّة التي يمكن الإفتاء على طبقها من قبل الفقيه؛ فبينما بدأنا رحلة الاستدلال الفقهيّ طبق الزاوية الأولى من عمليّة تنقيح الأصل العمليّ، لننتقل بعده إلى الدّليل المحرز بأنواعه، وجدنا أنّ المسير من حيث الحجّيّة كان عكس ذلك؛ فإنّه لما يتمّ آخر هذه الرحلة من مرحلة، بمعنى: أنّ رحلة عمليّة الاستدلال الفقهيّ بوصفها عمليّة تفكير منطقيّ بدأت من الأصل العمليّ، ومنه إلى المطلق والعامّ، ومنه إلى الخاصّ والمقيّد، ومنه إلى المعارض لهذا الخاصّ والمقيّد، ومنه إلى علاج التعارض وبيان الموقف منه، بدأنا الرحلة من حيث الحجّيّة على العكس من ذلك؛ فبدأنا بتقديم الخاصّ والمقيّد في حالة وجوده وتمايّته على العامّ، ثمّ العامّ والمطلق في حالة وجوده وتمايّته على الأصل العمليّ، ثمّ تقديم الأصل العمليّ الجاري في محلّ البحث أخيراً ومستقراً ومقاماً، فإنّه لا حجّيّة للأصل مع وجود المطلق أو العامّ،

ولا حجّة لهُذين مع وجود الخاصّ أو المقيّد، وهكذا، فلا يجوز الإفتاء إلّا بما انتهينا إليه من الدليل كما اتّضح بما لا مزيد عليه.
هذه هي مراحل عمليّة الاستنباط للحكم الوضعيّ كما يمارسها الفقيه المنضبط^(٧١).

المطلب الثاني

بيع المسوخ طبق الطريقة الفنيّة للاستنباط

أولاً: ما المقصود بالمسوخ؟

الكلام في هذه المسألة في المسوخ، ولما كان الكلام في أنموذج من نماذج هذه الحقيقة، وهو الفيل، الذي يتوقّف الموقف النهائيّ عليه، فلا بدّ من معرفة المقصود بالمسوخ، فما المقصود بالمسوخ؟
قال في معجم مقاييس اللّغة، وهو المعجم الذي يهتمّ بأصل الكلمة وأساسها: «(مسوخ) الميم، والسّين، والخاء كلمتان: إحداهما: المسخ، وهو يدلّ على تشويه، وقلة طعم الشّيء، ومسخه الله: شوّه خلقه من صورة حسنة إلى قبيحة»^(٧٢).
وشبهه في (الصّحاح)، و(تاج العروس)^(٧٣).
وقال الطبرسيّ في مجمع البيان: «والمسخ: قلبُ الصّورة إلى خِلقة مشوّهة، كما مُسَخ قومٌ قردهً وخنازير...»^(٧٤).

وشبهه في التبيان للشيخ الطوسيّ، وزاده: «والمسخُ نهايةُ التّكليس»^(٧٥).
وقد ورد في الكافي للكلينيّ حديث عن المسخ والمسوخ، قال: «عن أبي الحسن

الرَّضَا عليه السلام، قَالَ: الْفِيلُ مَسْخٌ، كَانَ مَلِكًا زَنَاءً؛ وَالذَّبُّ مَسْخٌ، كَانَ أَعْرَابِيًّا دُبُونًا؛ وَالْأَرْزَبُ مَسْخٌ، كَانَتْ امْرَأَةً تَحُونُ زَوْجَهَا، وَلَا تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضِهَا؛ وَالْوَطَاطُ مَسْخٌ، كَانَ يَسْرِقُ ثَمُورَ النَّاسِ؛ وَالْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ؛ وَالْجَرِيْتُ وَالصَّبُّ فِرْقَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يُؤْمِنُوا حَيْثُ نَزَلَتْ الْمَائِدَةُ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَتَاهُوا، فَوَقَعَتْ فِرْقَةٌ فِي الْبَحْرِ، وَفِرْقَةٌ فِي الْبَرِّ؛ وَالْفَارَةُ فَهِيَ الْفُؤَيْسِقَةُ؛ وَالْعَقْرَبُ كَانَ تَمَامًا؛ وَالذَّبُّ وَالزُّبُورُ كَانَتْ لَحَامًا يَسْرِقُ فِي الْمِيزَانِ (٧٦).

وقد وقع الاختلاف بين الفقهاء في عدد المسوخ؛ ففي (مفتاح الكرامة) للسَّيِّد جواد العاملي: «ربما انتهت بعد الجمع بين الأخبار وكلام الأصحاب إلى ما يقرب من ثلاثين» (٧٧).

وكذا تناول المحقق البحراني في (الحدائق) مسألة الاختلاف في المقام، فقال: «إنَّ الروايات قد اختلفت في أنواع المسوخ زيادة ونقصاً، ووجوداً وفناء» (٧٨). ثم نقل روايات متعددة في المسوخات (٧٩). وعلى آية حال، فقد عُدَّ الفيل في الروايات من المسوخ، وهذا يكفي في المقام.

ثانياً: بيع المسوخ طبق الطريقة الفنية للاستنباط

فلننقل أولاً ما أورده الصَّيْمَرِيُّ في ما يرجع إلى بيع المسوخ: قال رحمته الله: «قال رحمته الله [أي: المحقق الحلي في الشرائع]: وفي [جواز التَّكْسُّبِ بـ] الفيل تردّد، والأشبه جواز بيعه؛ للانتفاع بعظمه. وقيل: يجوز بيع السَّباع كلّها؛ للانتفاع بجلدها أو ريشها، وهو الأشبه.

أقول [والقول للشيخ الصيمري]: هنا مسألتان:

الأولى: في المسوخ، وَمَنَعَ من بيعها أكثر المتقدمين، وهو بناء على القول بنجاستها.

وذهب أكثر المتأخرين إلى القول بجواز بيعها، من غير فرق بين الفيل وغيره، بل كل عين طاهرة تقبل الذكاة، وهي أعيان طاهرة على المختار، يُتَفَعُّ بجلودها إن كانت بريّة، ودهنها إن كانت بحريّة، لكن، يجب أن يقصد في البيع ما يجوز الانتفاع به من تلك الأعيان، لا ما لا يجوز^(٨٠).

التوضيح طبق الطريقة الفنيّة للاستنباط

لو تأملنا النصّ المتقدّم، لرأينا عنصرين محوريّين في الموقف النهائي من جواز أو عدم جواز التكبُّب بالفيل، وما هو إلّا مجرد مثال للمسوخ كما تقدّم، وهما:

١- وجود الفائدة.

٢- طهارة المبيع.

فمن ذهب إلى البطلان، فإنّما يمكن أن يكون قد ذهب إليه لأحد سببين:

١- عدم وجود المقتضي.

٢- وجود المانع.

أمّا المقتضي، فقد تقدّم بالتفصيل المقصود به، وأنّه كون المبيع مالاً شرعاً، الذي هو تابع بدوره إلى وجود فائدة محلّلة مقصودة فيه، فإذا تحقّقت الفائدة المحلّلة المقصودة -وقد تقدّمت الحالات التي تتحقّق فيها، والمرجع في ذلك- كان المبيع مالاً شرعاً، فإذا كان كذلك، جرت عمومات الصّحة وإطلاقاتها في

المرحلة الثانية من مراحل عمليّة الاستنباط، من قبيل: قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ وغيره، وإذا جرت، خرجنا من مقتضى الأصل العمليّ الجاري في المرحلة الأولى من مراحل عمليّة الاستنباط كما تقدّم بالتفصيل؛ فقد تقدّم أنّ الأصل وما يقتضيه من أصالة الفساد هو المنطلق في هذه العمليّة.

إلى هنا، وصلنا إلى أنّ المنفعة المحلّلة المقصودة إذا تحقّقت، جرت العمومات والمطلقات، وانقطع العمل بأصالة الفساد التي كانت مقتضى الأصل العمليّ. وبهذا، يتبيّن محوريّة ما تقدّم في العبارة، من أنّ وجود الفائدة في المبيع مجوّز لبيعه.

وأما النقطة المحوريّة الثانية، وهي طهارة المبيع، ففي الحقيقة، هي كلام في المرحلة الثالثة من مراحل عمليّة الاستنباط؛ حيث البحث - كما تقدّم بالتفصيل - عن وجود المانع من جريان مقتضى الصّحة المتقدّم أو عدم جريانه؛ إذ نعلم أنّ المقتضي لا يعمل مع وجود المانع من عمله.

والتفصيل:

ذهب أكثر القدماء إلى كون عنوان النّجاسة علّة مانعة من صحّة البيع؛ وذلك اعتماداً على دليلين رئيسين، أولهما: الرّوايات، وثانيهما: الإجماع. ولما لم يكن البحث إلّا توضيحاً لما اختاره الصّيمريّ في ما نحن فيه من الصّحة، وتوضيحاً لمن خالفه فذهب إلى البطلان، فإنّنا سنقتصر على ما ذكره أستاذ الفقهاء والمجتهدين في هذا المجال في مكاسبه المحرّمة، وتبعه عليه جميع المحقّقين بعده^(٨١)؛ إذ قال:

«إذا قام الدليل الخاص على جواز الانتفاع منفعة مقصودة بشيء من النجاسات، فلا مانع من صحّة بيعه؛ لأنّ ما دلّ على المنع عن بيع النجس من النصّ والإجماع ظاهر في كون المانع حرمة الانتفاع؛ فإنّ رواية (تحف العقول) المتقدمة^(٨٢) قد علّل فيها المنع عن بيع شيء من وجوه النجس بكونه منهياً عن أكله وشربه... إلى آخر ما ذكر فيها. ومقتضى رواية (دعائم الإسلام) - المتقدمة^(٨٣) أيضاً - إناطة جواز البيع وعدمه بجواز الانتفاع وعدمه»^(٨٤).

ثمّ وجّه كلام من يتوهمّ ذهابه إلى كون النجاسة علّة مانعة من الفقهاء كابن زهرة في الغنية^(٨٥)، والشيخ في الخلاف^(٨٦)، فخر الدّين في شرح الإرشاد^(٨٧)، والفاضل المقداد في التنقيح^(٨٨)، بأنّ المنع فيها إنّما هو من جهة عدم الفائدة المحلّلة المقصودة^(٨٩).

ثمّ ذكر مؤيّدات لما توصّل إليه من نتيجة عدم مانعيّة النّجاسة^(٩٠). وما تقدّم في هذه العبارات الشّيقة عن أستاذ الفقهاء والمجتهدين، زبدته: أنّ النجاسة لا تصلح لمجرّدها مانعاً، وأنّ عنوان النجاسة وكون الشيء من النجاسات لا يصلح علّة مانعة من الجواز، وأمّا ما دلّ على عدم جواز بيع النجاسات، فإنّما أساسه القول بحرمة الانتفاع بالنجاسة، وهذا معناه: أنّ النجاسة تمنع من تحقّق مقتضي الصّحّة؛ عن طريق إثباتها لعدم حلّيّة المنفعة المترقّبة من النجس، فحتّى لو كانت العين النجسة ممّا يُستفاد منها فائدة مقصودة مهمّة، إلّا أنّ الرّكن الثاني من مركّب (المقتضي) مفقود، وهو كون المنفعة المهمّة محلّلة كما تقدّم بالتفصيل، وإذا لم يتحقّق المقتضي، فلا تجري عمومات الصّحّة وإطلاقاتها، وإذا لم تجر هذه، فلازلنا على ما انطلقنا منه من مقتضى الأصل العمليّ، ألا وهو البطلان والفساد.

وبهذا، يتبيّن التوجيه الفنيّ لقوله **تَنْتَهَى** في ما نقلناه من عبارته بقوله: «الأولى: في المسوخ، ومنع من بيعها أكثر المتقدمين، وهو بناء على القول بنجاستها». وزبدة التوجيه: إنّ القدماء لما كانوا يبنون على نجاسة المسوخ أولاً، وأنّ النجاسة تصلح علّة للمنع من البيع، فقد ذهبوا إلى المنع من البيع؛ فحتّى لو قلنا بوجود الفائدة المحلّلة المقصودة، فإنّ غاية ما سيثبت ذلك هو وجود المقتضي للصّحة، وهذا لا يجري مع وجود المانع.

نعم، يُحتمل أنّ البعض إنّما ذهب إلى المنع من البيع لا بسبب وجود المانع بالتوجيه السابق، وإنّما لعدم وجود المقتضي من الأساس؛ وذلك بتوجيه أنّه قد ورد الدليل بحرمة الانتفاع بالنجاسة، فلا تكون هذه الأعيان ما لا شرعاً. هذا بالنسبة إلى العبارة المتقدّمة وذهاب القدماء إلى البطلان، في العبارة التالية، وتوجيه قول القائلين بالجواز.

قال **تَنْتَهَى**: «وذهب أكثر المتأخّرين إلى القول بجواز بيعها، من غير فرق بين الفيل وغيره، بل كلّ عينٍ طاهرة تقبلُ الذكاة، وهي أعيانٌ طاهرة على المختار، يُتَنَفَّعُ بجلودها إنّ كانت بريّة، ودُهنها إنّ كانت بحريّة، لكن، يجب أن يقصد في البيع ما يجوز الانتفاع به من تلك الأعيان، لا ما لا يجوز».

وتوجيه القول بالصّحة الذي اختاره المتأخّرون، ومنهم الصّيمريّ **تَنْتَهَى**، قد اتضح إلى حدّ كبير ممّا تقدّم في بيان الطريقة الفنيّة للاستنباط، وما تقدّم قبل قليل في توجيه البطلان، وإليك تَمّة توضيح ذلك:

تقدّم أنّ القول بالصّحة فرع تماميّة المقتضي وعدم المانع، فكُلّ مَنْ يذهب إلى الصّحة، يجب أن يبرز المقتضي أولاً، ويبرز عدم المانع ثانياً، وإلاّ، ما تمّ له قوله،

وكان ممن يقول بالبطلان.

أما المقتضي، فيكون تماميته - كما تقدّم - بإبراز تحقّق كون المسوخ مالا شرعاً، وهذا بنفسه - كما تقدّم بالتفصيل - فرعُ ثبوت الفائدة المحلّلة المقصودة فيه، أي: بتحقّق كلا العنصرين، وهذا تامّ كالآتي:

أما المنفعة المحلّلة؛ فإنّ المانع المتصوّر من تحقّق هذه المنفعة إنّما هو كون المسوخ من الأعيان النجسة، شأنها في ذلك شأن الكلب والخنزير البريين مثلاً، إلّا أنّ الصّحيح - وهو الذي يختاره الصّيمريّ - هو الطّهارة؛ قال في كتابه هذا نفسه في باب النّجاسات: «الثالثة: المسوخ، وبنجاستها قال الشيخ وسار؛ لأنّ المسوخ محرّم بيعها، ولا مانع سوى النجاسة، وقال المصنّف والعلامة بالطهارة؛ للأصل، ولما رواه عبد الحميد بن سعد»^(٩١).

فإذا لم تكن المسوخ نجسة، فإنّه يجوز الانتفاع بها؛ وذلك لأنّ الأصل في هذه الفائدة الجواز والحليّة؛ وذلك لأصالة البراءة، وكفى بها دليلاً على الجواز، إن لم نقل بأنّ الدليل المحرز على الجواز والحليّة أيضاً، وهو قوله تعالى في الآية^(٩٢) من سورة البقرة: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ إذ استفاد منها الشيخ الأنصاريّ، فأسّس قاعدة هي جواز الانتفاع بالأعيان النجسة إلّا ما خرج بالدليل، والمسوخ لم تخرج بأيّ دليل^(٩٣).

لا يقال: هبّ أنّ المسوخ أعيان طاهرة، ولكنّها لا تقبل الذكاة، فإذا ذُبِحت، فإنّها تكون ميتة، وميتة ذي النفس السائلة نجسة، فرجعت المشكلة مرّة أخرى. فإنّه يقال: لم يثبت عدم قبول المسوخ للذكاة، بل الصّحيح قبولها لذلك^(٩٤)، فلا مشكلة من هذه الناحية.

والنتيجة: الانتفاع بالمسوخ جائز تكليفاً، بالمنفعة محللة، فإذا تحقق العنصر الأول للمالية شرعاً، وهو حليّة المنفعة، كاستعمال عظم الفيل مثلاً، فإن العنصر الثاني - وهو كون المنفعة المحللة مقصودة - مما يرجع فيه إلى النوع - كما تقدّم بالتفصيل - بمقتضى القاعدة، ولو رجعنا إلى نوع العرف، لوجدناهم يحكمون بأنّ لكثير من المسوخ منافع مقصودة، من قبيل العاج في الفيل؛ إذ يمكن استعماله في التحفّيات، وكذا الأمشاط كما في الرواية عن الصادق عليه السلام، وهكذا الجلود والدّهن، وغيرهما من المنافع.

وعلى هذا، فالمقتضي للصّحة تامّ في المسوخ.

وأما عدم المانع؛ فإنّ المانع المتصوّر - كما تقدّم - هو كون عنوان النجاسة يصلح علّة مانعة من البيع في المرحلة الثالثة من مراحل عمليّة الاستنباط كما مرّ عليك بالتفصيل، وهذا مردود؛ بعد كون المختار عدم كون المسوخ من الأعيان النجسة.

فالمقتضي موجود، والمانع مفقود، فيصحّ بيع المسوخ، ومنه الفيل.

نعم، كما رأينا، فإنّ القضية كلّها مبتنية على تحقّق المقتضي بوجود الفائدة المحللة المقصودة، وعدم المانع؛ بعد عدم كون المسوخ من الأعيان النجسة.

وما يمكن أن يُورد على الشيخ الصّيمريّ وهو يذهب إلى جواز المعاملة على الفيل، هو عدم ذكره ولو على نحو الإشارة إلى ما مرّ من رواية عبد الحميد بن سعد عن الصادق عليه السلام؛ فإنّ الوارد فيها هو السّؤال عن جواز بيع عظام الفيل وضعاً، وقد كان الجواب بالجواز.

وإذا قيل بأنّ الوارد في الرواية إنّما هو الفيل، والكلام في بيع المسوخ بصورة

عامّة، فإنّ جوابه سهل؛ فإنّ العُرف لا يفهم آية خصوصيّة للفيل، فلا يحمل الرواية على الموضوعيّة لتكون خاصّة بموردها، وإنّا يحملها على الطريقيّة، فيكون الثابت بالرواية صحّة بيع المسوخ كلّها، بل كلّ عين لها منفعة محلّلة مقصودة كمنفعة عظام الفيل.

نعم، هذا كلّ بشرط عدم المانع كما تقدّم، ولا مانع في المقام كما مرّ بالتفصيل. بقي مطلب مهمّ في المقام (اشتراط قصد المنفعة المحلّلة وعدم قصد المنفعة المحرّمة.

بعد جميع ما تقدّم، بقي مطلب لابدّ من تماميّته لكي يتمّ الإفتاء بالصحّة، وتستقرّ الفتوى بها، وهو ما أشار إليه **تدش** بقوله: لكن، يجب أن يُقصد في البيع ما يجوز الانتفاع به من تلك الأعيان، لا ما لا يجوز». وإليك المقصود بذلك:

من جملة ما يحرم التكبّب به هو ما يحرم لتحريم ما يقصد به، وهو ثاني أنواع ما يحرم التكبّب به عند المحقّقين^(٩٤).

وقد استدلّ الشيخ الأنصاريّ على بطلان البيع في حالة قصد المنفعة المحرّمة بجملة من الأدلّة، منها: أنّ المعاملة من أكل المال بالباطل، فيكون باطلاً، قال **تدش**: «المسألة الثانية: يحرم المعاوضة على الجارية المغنيّة، وكلّ عين مشتملة على صفة يُقصد منها الحرام إذا قُصد منها ذلك، وقُصد اعتبارها في البيع على وجه يكون دخیلاً في زيادة الثمن... ويدلّ عليه أنّ بذل شيء من الثمن بملاحظة الصّفة المحرّمة أكلٌ للمال بالباطل»^(٩٥).

وفي الحقيقة، الاستدلال بالآية الكريمة على البطلان يرجع إلى المرحلة الثانية

من مراحل عمليّة الاستنباط، حيث اشترط تحقّق المقتضي كما تقدّم بالتفصيل؛ إذ مراد الآية هو اشتراط الماليّة في المبيع، وأنّ البيع باطل لعدم المقتضي مع قصد المنفعة المحرّمة، على الرّغم من وجود الفائدة المحلّلة المقصودة، وذلك لقصد المحرّمة.

وأما اشتراط قصد المحلّلة؛ فإنّ توجيهه هو أنّ البائع إذا لم يقصد هذه المحلّلة، فإنّ الثمن سيوزّع عرفاً على المنافع كلّها، أي: ما كان منها محلّلاً وما كان محرّماً، فإذا كان قسم من الثمن مقابلاً للمحرّمة، كان هذا الجزء من المعاملة باطلاً؛ لأنّه من أكل المال بالباطل، وبطلان هذا الجزء يستلزم بطلان المعاملة كلّها، لما ذكره من قاعدة أنّ الصّحّة أو البطلان لا تتبعّض بالنسبة إلى المبيع الواحد، فالمبيع الواحد عرفاً إمّا أن يكون حكمه الصّحّة أو يكون حكمه البطلان، وحيث كان جزء من المعاملة عليه باطلاً، فإنّه لن يمكن الحكم عليه بالصّحّة، فيكون حكمه البطلان. فانتبه.

المطلب الثالث

أولاً: المقصود بالسّباع

وفي المصباح المنير للفيومي: «ويقع السّبع على كلّ ما له ناب يعدو به ويفترس، كالذّئب والفهد والنّمر، وأمّا الثّعلب، فليس بسبع، وإن كان له ناب؛ لأنّه لا يعدو به، ولا يفترس، وكذلك الضبع، قاله الأزهرّي»^(٩٦).
في معجم مقاييس اللّغة: «السّين والباء والعين: أصلان مطّردان، صحيحان: أحدهما: في العدّد، والآخر: شيء من الوحوش.

فالأوّل... وأمّا الآخر، فالسَّبْعُ واحدٌ من السَّباع. وأَرْضُ مَسْبَعَةٍ، إذا كَثُرَ سَبَاعُهَا»^(٩٧).

وفي القاموس: «والسَّبْعُ، بضم الباءِ وفتحها وسكونها: المُفْتَرَسُ من الحيوانِ، ج: أسْبَعٌ، وسِبَاعٌ»^(٩٨).

ثانياً: بيع السَّباع طبق الطريقة الفنيّة للاستنباط

بما تقدّم في المطلب السَّابق، اتّضح الهدف، واتّضح الطريق، واتّضحت المؤونة في هذا المطلب الثاني بالنسبة إلى توضيح كلام المحقّق الصِّميرِيّ في بيع السَّباع طبق الطريقة الفنيّة للاستنباط، وإليك التفصيل:

قال **تتعلّق**: «الثانية: في السَّباع، وجوّزَ ابنُ إدريس بيعها جميعاً؛ لطهارتها، وللانتفاع بريشها وجلودها، ولأصالة الجواز، إلّا ما قام الدليل على المنع منه. وحرّم الشيخُ في (النهاية) و(الخلاف) ما عدا الفهد. وأجازَ المفيدُ بيعَ الفهد وسباع الطير. والمعتمدُ الجواز مطلقاً»^(٩٩).

والوارد في العبارة المتقدّمة ثلاثة آراء بالنسبة إلى بيع السَّباع، وهي:

١- جواز بيع جميع السَّباع

وهذا لابن إدريس في كتابه (السَّرائر)؛ إذ يقول: «فأمّا السَّباع من الطير وغيره، فعندنا أنّ أسنارها طاهرة، وهي طاهرة، ويقع عليه الذّكاة عندنا بغير خلاف، وإنّما لا يقع الذّكاة على الكلب والخنزير، فأمّا السَّباع، فيقع عندنا عليها الذّكاة، ويحلّ بيع جلودها بعد ذكاتها، واستعمالها بعد دباغها، في جميع الأشياء،

ما عدا الصَّلَاةَ عَلَى مَا قَدَّمَاهُ»^(١٠٠).

٢- التحريم إلا في الفهد

وهو للشيخ الطوسي في (النهاية) و(الخلاف).

قال في النهاية: «وبيع جميع السباع، والتصرّف فيها، والتكسّب بها محظور، إلا الفهود خاصّة؛ فإنّه لا بأس بالتكسّب بها والتجارة فيها؛ لأنّها تصلح للصّيد»^(١٠١).

٣- التحريم إلا في الفهد وسباع الطير

وهو للمفيد **رحمته**.

قال في المقنعة: «والتجارة في القردة، والسباع، والفيلة، والذئبة، وسائر المسوخ، حرام. وأكل أثمانها حرام... والتجارة في الفهود، والبزاة. وسباع الطير التي يصاد بها، حلال»^(١٠٢).

توجيه الأقوال المتقدمة حسب الطريقة الفنيّة للاستنباط
ولتوضيح الأقول الثلاثة المتقدمة أو غيرها، يكفينا أن نوضح المستهدف بالتوضيح، أقصد: كلام المحقّق الصّيمري **رحمته**، وهو كما رأينا قول قد تبع فيه ما ذهب إليه ابن إدريس في السرائر، وهو ما نقلته لك قبل قليل.
وما ذكره المحقّق الصّيمري في المقام على وجازته، تفوح منه الطريقة الفنيّة للاستنباط المتقدمة الذكر، وخطواته التي اختارها لعملية الاستنباط واضحة جليّة لذي عينين؛ إليك بيان ذلك طبق الطريقة الفنيّة للاستنباط المتقدمة:
قال **رحمته**: «الثانية: في السباع، وجوّز ابن إدريس بيعها جميعاً؛ لطهارتها،

وللانتفاع بريشها وجلودها، ولأصالة الجواز، إلا ما قام الدليل على المنع منه». تقدم أن القول بالجواز والصحة فرع تامة مقتضي؛ بوجود الفائدة المحللة المقصودة، وعدم المانع، من النجاسة أو غيرها، وإن شئت، فعبر بقولك: فرع تامة الاستدلال بعمومات الصحة وإطلاقاتها، وهذا كما ترى فرع عدم وجود المخصص والمقيّد في المرحلة الثالثة من مراحل عملية الاستنباط، وهذا بالضبط ما أشار إليه المحقق الصيّميّ بعبارة المتقدمة على وجازتها.

عندما قال: «لظهارتها»، فقد أشار إلى عدم المانع كما تقدم؛ إذ مذهب القدماء أن النجاسة علّة مانعة من صحة البيع، حتّى لو قلنا بوجود الفائدة المحللة المقصودة، وحيث يذهب الفقيه إلى عدم النجاسة في السّباع، فإنّ من الواضح أنّه ليس من مانع في هذه الحالة.

وإن قلت: هذا عدم المانع، فأين المقتضي من الأساس؟

قلنا: المقتضي أشار إليه بقوله بعد كلامه السابق مباشرة: «وللانتفاع بريشها، وجلودها»؛ إذ هو إشارة واضحة إلى الفائدة المحللة المقصودة؛ إذ لما كانت طاهرة، فالأصل البراءة وجواز الانتفاع، بعد وقوع التذكية على السّباع، فما ذكّي، فهو طاهر، فالفائدة محلّلة.

وأما المقصودة، فقد ذكرنا أنّ القاعدة فيه العُرف وما يقوله، وهو يقول بوجود فوائد مهمّة مقصودة عديدة في السّباع، منها: ما ذكره في عبارته بقوله: «وللانتفاع بريشها، وجلودها».

وعلى هذا، فالفائدة المحللة المقصودة متحقّقة، وإذا كانت متحقّقة، جرت عمومات الصحة وإطلاقاتها في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط، كما

تقدّم بالتفصيل، وإذا جرت، قطعت العمل بالأصل العملي الذي كان المنطلق في المرحلة الأولى، وهو ما كان يقتضي الفساد والبطلان. نعم، تقدّم أنّ جريان العمومات والإطلاقات في هذه المرحلة الثانية فرع عدم ما سمّيناه بالمانع، الذي هو في الحقيقة المخصّص والمقيّد في المرحلة الثالثة، وقد تقدّم أنّ المانع المتصور هو عنوان النجاسة، وقد تقدّم أنّنا لا نقول بها، بل نقول بالطهارة.

وعلى هذا، فالمقتضي موجود، والمانع مفقود، وإلى التمسك بهذه العمومات والإطلاقات وعدم المانع، أشار **قَدْ** بقوله أخيراً: «ولأصالة الجواز إلّا ما قام الدليل على المنع منه».

ونعود لننبّه على أنّ مقصود الفقيه وهو يعبر في المعاملات بقوله: لأصالة الجواز، ليس هو أنّ مقتضى الأصل العملي الذي ينطلق منه في المرحلة الأولى هو الصّحة والجواز، كيف وكلّهم قائل بأنّه الفساد؛ تبعاً للاستصحاب؛ بعد عدم جريان أصالة البراءة في الأحكام الوضعيّة، وإنّما المقصود -كما تقدّم- هو عمومات الصّحة وإطلاقاتها؛ إذ يعبر البعض عن مقتضى هذه العمومات والإطلاقات بالأصل، ويقصدون القاعدة^(١٠٣).

وعلاوة على ما تقدّم، تجد توجيه ذلك واضحاً بعدم اكتفاء الفقيه المستعمل لهذا التعبير به في مقام الاستدلال عادة، بل يحتاج بالضرورة إلى إبراز عدم المانع، وهو ما نشاهده واضحاً في كلام المحقّق الصيمري في المقام؛ إذ بعد قوله: «ولأصالة الجواز»، قال مباشرة: «إلّا ما قام الدليل على المنع منه»، وهو ما يمثل عدم المانع في المرحلة الثالثة من مراحل عمليّة الاستنباط.

وبهذا، يتّضح الوجه في اختيار المحقّق الصّيمريّ الجواز في المقام، وهو ما ذكره بقوله: «والمعتمد الجواز مطلقاً»؛ إذ هو يذهب إلى ما يذهب إليه ابن ادريس تماماً، فالسّباع طاهرة، ولها الفوائد المحلّلة المقصودة، وعليه، فالمقتضي موجود، والمانع مفقود، فيجوز البيع في جميع السّباع، بلا فرق بين أفرادها، نعم، بشرطها وشروطها، والفائدة المقصودة عرفاً من شروطها كما اتّضح.

الخاتمة

هناك الكثير ممّا يمكن ذكره في هذه الخاتمة من النتائج، إلّا أنّنا سنكتفي بالمهمّ منها:

١- لعمليّة الاستنباط عند الإماميّة طريقة فنيّة منضبطة، تتّبع منهجاً ذا مراحل مشخصّة محدّدة.

٢- مراحل عمليّة الاستنباط يمكن النظر إليها من زاويتين: أولاًهما: كون هذه العمليّة عمليّة بحث علميٍّ، والأخرى: كونها عمليّة إفتاء طبق حجة، وهناك تسلسل بين الحجج.

٣- مراحل عمليّة الاستنباط ليست أمراً ارتجالياً لا يتبع مرجعيّات واضحة موثوقة، وإنّما المرجع فيه بعد كون الهدف من العمليّة هو تشخيص الحجّة على الموقف الشرعيّ، علم الأصول، وهو العلم المسؤول عن تأسيس وتنقيح القواعد الخاصّة بهذه العمليّة.

٤- لعمليّة الاستنباط الأنموذجيّة الكاملة خمس مراحل، وهي:

أ- تشخيص مقتضى الأصل الجاري في المسألة محلّ البحث.

ب- البحث في عمومات الصّحّة وإطلاقاتها.

ج- البحث عن المخصّص والمقيّد لعمومات الصّحّة وإطلاقاتها.

د- البحث عن المعارض للمخصّص والمقيّد.

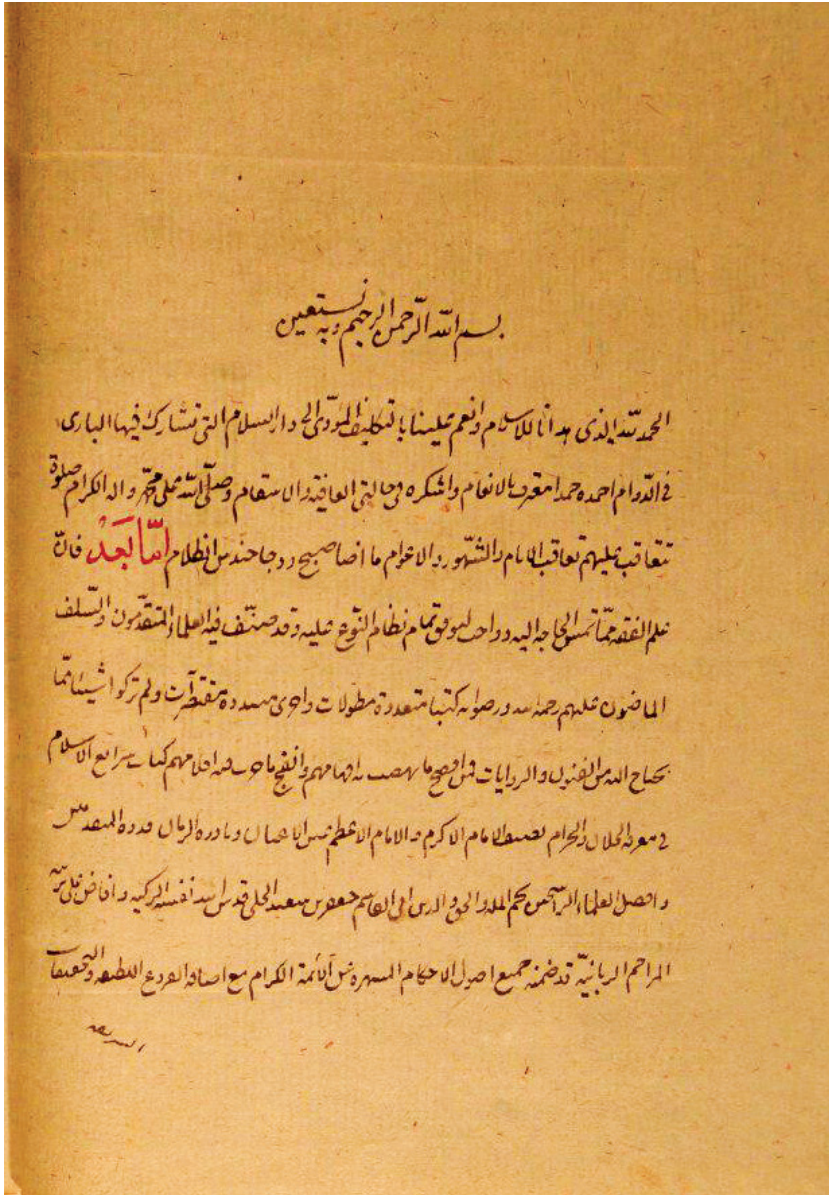
هـ- تشخيص الموقف من التعارض.

٥- للذهاب إلى صحّة معاملة ما، يجب إثبات تحقّق المقتضي للصّحة، وإثبات عدم المانع.

٦- كلام المحقّق الصّيمريّ فنيّ غاية في الفنيّة بناء على مراحل الطريقة الفنيّة للاستنباط المعروضة في البحث؛ فقد ذهب إلى صحّة المعاملة على المسوخ وعلى السّباع كلّها بلا فرق بين أفرادها؛ وذلك بوجود المقتضي وعدم المانع من الصّحة؛ بعد ذهابه إلى الطهارة في الجنسين، ووجود الفائدة المحلّلة المقصودة.

وكذا بالنّسبة إلى ما وجّه به كلام من ذهب إلى البطالان؛ فقد تبين أنّ من ذهب إلى الفساد إنّما ذهب إليه، إما من أجل عدم المقتضي؛ من باب حكم العرف، أو من باب أنّ النجاسة مانعة من الانتفاع والاستفادة مطلقاً، وإمّا من أجل وجود المانع؛ من باب البناء على أنّ عنوان النّجاسة يصلح على المنع من البيع، وكلاهما غير تامّ.

الصفحة الأولى من كتاب (غاية المرام في شرح شائع الإسلام)



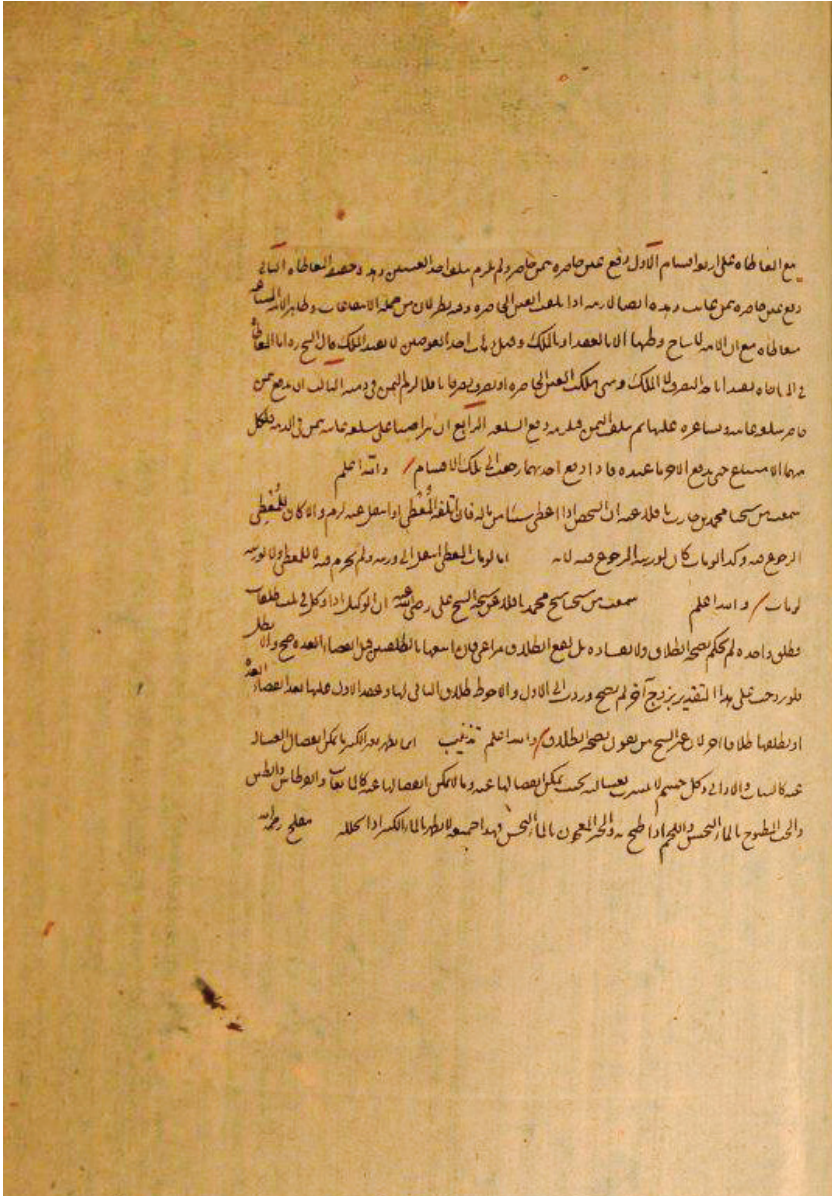
الصفحة الثانية من كتاب (غاية المرام في شرح شائع الإسلام)

الشرع بلفظ اربع حرم ينفق على الجحان اذا وخرج اليه الدرهم واشتد له الحاجة حرم على الطالب
حتى يفر منه اليه ليس بصحة بل بفساد الحرام هو مخرج شدة احتياج الناس وقطع الكفاية عنده فاسئل عن ردات مسائل
خلات وبما عسر على الطلبة فحسبها معسقا اسكت طريقها فاحسن ان يعمل لغيرها كما سفل الرواية عند المتوهم
ومستطاب مبرز الرموزة وحكاية لرداوة رغبة الرقاب وعظم ما صادف الله مسقط الطال فاستقرت استجابة و
وعلمت هذا الكتاب را حاسن اسر على الرب وستمسك بما يلزم في مرجع اربع الاسلام مقتصر على ائمة الزردا
را اصاح الخلاف في غير احاط في لاد واد الرضا لكتايل الناظر مع اصاحه ما لم ين في الحاشية من المخرج في التبعات
ليفتش له الى طر مع الى قصه الناج في بده الصياغة فليس بالصحي بل بضاعة لكن اذا امكن البلد عن التبعات واذا
لعرس الموارد والجن المقيم فاسال الله ان يلهيهم فيه الصواب ويعينهم على الحق والاضطراب وان يحمد جنه
وانه في العباد ومبغوا فيه المعاصي والكريم الخواص وعلى السائل في رد المدا **مقدمة** ان ائمة اهل البيت مع ما ذكره
في هذا الكتاب من الامور والاراد والاطهر من ائمة اهل البيت والاصح ما دل عليه اصول المذهب والاصول
والاطلاق السليمة والانس سلة الرد وما اجمل ان من عهده والاحوط على لاد لونه والندب والذكر على ائمة
الكره الناجح ما لا اجماع عليه فيه والادني هو مرجع احدى نولس من ائمة اهل البيت ما دلت على اذابة ان وجد
فولا يعقل العقول ولم يحد منه لئلا يعمل في سبيل العلم ولم يحد منه لئلا يخرج هو بعد ما حكم من منطق
الاسكوتية اما لئلا المسكوتية او لما حكم من المسنون كانه لا يحرم الاضحية بحرم العصر وسمى المسكوتية في ائمة
الى مسكوتية

الصفحة قبل الأخيرة من كتاب (غاية المرام في شرح شائع الإسلام)

[illegible]

الصَّفحة الأخيرة من كتاب (غاية المرام في شرح شائع الإسلام)



الهوامش

- ١- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ١/ ٣٧-٣٨؛ وص ٥ من مخطوطة مكتبة السيّد البروجرديّ، برقم ٢٨٦.
- ٢- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ١/ ٣٩.
- ٣- أمل الآمل، القسم الثاني: ٢/ ٣٢٤-٣٢٥.
- ٤- طبقات أعلام الشيعة: ٤/ ٦٦.
- ٥- أعيان الشيعة: ١٠/ ١٣٣.
- ٦- أعيان الشيعة: ٥/ ٧٠.
- ٧- الفوائد الرّجاليّة (رجال السيّد بحر العلوم): ٢/ ٣١٥.
- ٨- فهرست علماء البحرين: ص ٧٧-٧٨.
- ٩- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين: ص ٧٤.
- ١٠- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٨/ ٢٠-٢١.
- ١١- ص ١١٩ يمين. كتابخانه مجلس شورای ملي، رقم: ٥٣٥٤ في الفهرست.
- ١٢- ص ١ يمين. كتابخانه مجلس شورای ملي، رقم: ٣٩٧٣ في الفهرست.
- ١٣- لاحظ: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥/ ٢٧٩، وسيأتي نصّ الكلام.
- ١٤- أنوار البدرين: ص ٧٧.
- ١٥- لاحظ: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ٥/ ٢١٥؛ وروضات الجنّات: ٧/ ١٦٨..
- ١٦- الذريعة: ٥/ ٢٧٩.
- ١٧- تنقيح المقال في علم الرجال: ٢٣/ ٧٦.
- ١٨- لاحظ: الفوائد الرّجاليّة (رجال بحر العلوم): ٢/ ٣١٤.
- ١٩- تنقيح المقال في علم الرجال: ٥/ ١٩٧.
- ٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس: ١٢/ ٣٤٨-٣٤٩.

- ٢١- أنوار البدرين: ص ٧٥.
- ٢٢- لاحظ: أعيان الشيعة: ١٠/ ١٣٣.
- ٢٣- لاحظ: أنوار البدرين: ص ٧٤.
- ٢٤- الذريعة: ج ١٦، ص ٢٠.
- ٢٥- لاحظ: الذريعة: ٥/ ٢٧٩، نقلاً عن الشيخ سليمان الماحوزي في مخطوطته (مشايخ الشيعة).
- ٢٦- لاحظ: الذريعة: ١٨/ ٢٠-٢١.
- ٢٧- لاحظ: أمل الآمل: ٢/ ٣٢٤-٣٢٥.
- ٢٨- لاحظ: الذريعة: ١٦/ ٢٠. روضات الجنات: ٧/ ١٦٩.
- ٢٩- لاحظ: رجال بحر العلوم: ٢/ ١١١.
- ٣٠- لاحظ: أعيان الشيعة: ١٠/ ١٣٣.
- ٣١- أنوار البدرين: ص ٧٦.
- وقرية سلما باد من القرى المأهولة إلى يومنا هذا. لاحظ: هامش كتاب: فهرست علماء البحرين: ص ٧٩.
- ٣٢- أنوار البدرين: ص ٧٦.
- ٣٣- ادعى الميرزا عبد الله أفندي في الرياض، نقلاً عن رسالة تحفة الإخوان الفارسية، والشيخ الطهراني نقلاً عن كتاب مشايخ الشيعة، أن القبر في هرمز. لاحظ: رياض العلماء: ٥/ ٢١٥؛ وطبقات أعلام الشيعة (الضياء اللامع في القرن التاسع): ص ١٣٨. فيما ذهب إسماعيل باشا البغدادي إلى كونه في الحلة السيفية. لاحظ: هدية العارفين: ٢/ ١٩٢.
- ٣٤- ص ١ يمين. كتابخانه مجلس شورای ملي، رقم: ٣٩٧٣ في الفهرست.
- ٣٥- لاحظ: الفوائد الرجالية (رجال بحر العلوم): ٢/ ٣١٤.
- ٣٦- رياض العلماء: ٢/ ١٧٨-١٧٩؛ وأنوار البدرين: ص ٧٦؛ وأمل الآمل: ٢/ ١٠٣؛ وأعيان الشيعة: ٦/ ١٧٤.
- ٣٧- أمل الآمل: ٢/ ٣٢٤.
- ٣٨- أنوار البدرين: ص ٧٤.
- ٣٩- فهرست علماء البحرين، سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني: ص ٧٧-٨٠.

- ٤٠- عن أنوار البدرين: ص ٧٥.
- ٤١- روضات الجنّات: ١٦٩/٧.
- ٤٢- لاحظ: الذريعة: ١٦/٢٠؛ وأعيان الشيعة: ١٠/١٣٣.
- ٤٣- رياض العلماء: ١٧٨/٢.
- ٤٤- الذريعة: ١٧/٨٩.
- ٤٥- لاحظ: الذريعة: ١٦/٢٠؛ وأنوار البدرين: ص ٧٥؛ وروضات الجنّات: ٧/١٦٨..
- ٤٦- لاحظ: الذريعة: ٣/٣٣٥.
- ٤٧- لاحظ: الذريعة: ١١/٥٤٣.
- ٤٨- لاحظ: الذريعة: ١١/١٥٥.
- ٤٩- لاحظ: الذريعة: ٤/٤٣٨؛ وروضات الجنّات: ٧/١٦٩؛ هدية العارفين: ٢/٤٦٩.
- ٥٠- لاحظ: أنوار البدرين: ص ٧٥.
- ٥١- لاحظ: مصفّى المقال في مصنّف علم الرجال: ص ٤٦١.
- ٥٢- لاحظ: الذريعة: ٤/٤٢٢.
- ٥٣- لاحظ: الذريعة: ١١/٨٨.
- ٥٤- لاحظ: الذريعة: ١٧/٨٩.
- ٥٥- لاحظ: الذريعة: ٩/٣.
- ٥٦- الذريعة: ١٦/٢٠؛ نام كتاب:، الشيخ آقا بزرك تهراني، إسماعيليان قم وكتابخانه اسلاميه تهران، ١٤٠٨.
- ٥٧- عن أنوار البدرين: ص ٧٥.
- ٥٨- أعيان الشيعة: ٥/٧٠.
- ٥٩- الذريعة: ٢٠/٣٧٨.
- ٦٠- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ١/٣٧-٣٨؛ وص ٥ من مخطوطة مكتبة السيّد البروجرديّ، برقم ٢٨٦.
- ٦١- المصدر السّابق.
- ٦٢- المصدر السّابق: ج ٤، ص ٤٩٢-٤٩٣.
- ٦٣- التنقيح في شرح العروة الوثقى (تقريراً لأبحاث السيّد الخوئيّ الفقهيّة)، كتاب

- الطهارة: ٢١٢/١٠. لاحظ له أيضاً: كتاب الصلاة: ٤/٤٠٤.
- ٦٤- لاحظ: مستند الشيعة: ١/٢٣٩؛ مصباح الفقيه: ٢/٣٠٠؛ حاشية المكاسب، كتاب البيع، الآخوند الخراساني: ص ١٢؛ دروس في علم الأصول الحلقة الثانية: ص ٣٢، ٤٩.
- ٦٥- راجع: بحث شرائط جريان الأصول العملية في الكتب الأصولية، من قبيل: كفاية الأصول المقصد السابع: في الأصول العملية: ص ٣٣٣؛ فوائد الأصول (تقريراً لأبحاث الميرزا النائيني الأصولية): ١/٢٤٠، ج ٢، ص ٥٨؛ محاضرات في أصول الفقه (تقريراً لأبحاث المحقق الخوئي الأصولية): ١/١٩٨.
- ٦٦- وسائل الشيعة: ٦/١٨.
- ٦٧- لاحظ: المعجم الأصولي: ٢/٣٤٨، العموم الفوقاني.
- ٦٨- مصباح الفقاهة: ٤/٩٩.
- ٦٩- راجع: حاشية المكاسب (المحقق الإيرواني): ص ٩٤؛ هداية الطالب إلى أسرار المكاسب: ١/٧٧؛ مستمسك العروة الوثقى: ١١/١٧٢؛ مصباح الفقاهة: ١/٣٢٣؛ ٢/١٤٢؛ كتاب الصلاة (الخوئي): ٤/٢١٦، ٥١٨؛ منتقى الأصول: ٧/٣١٧.
- ٧٠- للوقوف على هذه المرحلة راجع الكتب الأصولية تحت عنوان: الخاصّ والعام، وعنوان: المطلق والمقيّد؛ وعنوان: تعارض الأدلة؛ من قبيل: كفاية الأصول: ١/٢٣٣. دراسات في علم الأصول (تقريراً لأبحاث السيّد الخوئي في الأصول): ٨/٢.
- ٧١- لمزيد من التفصيل والكثير من التطبيقات العملية، لاحظ كتابنا (نيل المآرب في شرح المكاسب: ج ١-٨)، وكذا كتابنا (من سلسلة الفقه التعليمي)، ج ١-٢. وكذا راجع دروسنا على قناة برنامج التلجرام الخاصة بدروس المكاسب المحرّمة.
- <https://t.me/SheikhMahmoudAlEidani>
- ٧٢- معجم مقاييس اللغة: ٥/٣٢٣.
- ٧٣- الصّاح تاج اللغة وصحاح العربيّة: ١/٤٣١؛ تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٦٩/١.
- ٧٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/٢٨٦.
- ٧٥- التبيان في تفسير القرآن: ٨/٤٧٣.
- ٧٦- الكافي: ١٢/٢٢٣.

- ٧٧- مفتاح الكرامة: ٤/٤٣.
- ٧٨- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: ٥/٢٢٣. وجميع الروايات التي نقلها تجدها في كتاب الوسائل، الباب (٢) من أبواب الأطعمة المحرمة.
- ٧٩- لاحظ: المصدر السابق.
- ٨٠- غاية غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ٢/٥-٦.
- ٨١- يمكنك الاطلاع على التفصيل الكافي لهذه المسألة بمراجعة كتابنا (نيل المآرب في شرح المكاسب): ١/٢٩٨-٣٠٩.
- ٨٢- تحف العقول عن آل الرسول: ص ٣٣١.
- ٨٣- دعائم الإسلام: ٢/١٨، الحديث (٢٣)، مع اختلاف سير.
- ٨٤- المكاسب: ص ٣٤-٣٦.
- ٨٥- ابن زهرة في الغنية ضمن كتاب (الجوامع الفقهية): ص ٥٢٤.
- ٨٦- الخلاف كتاب البيوع المسألة (٣١٢).
- ٨٧- حكاية السيد العاملي عن فخر المحققين في مفتاح الكرامة: ٤/١٣.
- ٨٨- التنقيح: ٢/٥.
- ٨٩- المصدر السابق.
- ٩٠- راجع: المصدر السابق: ص ٣٦.
- ٩١- غاية غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ١/١٠٢.
- ٩٢- قال في المكاسب: «ولكن الأقوى وفاقاً لأكثر المتأخرين جواز الانتفاع بالأعيان النجسة» إلا ما خرج بالدليل...». المكاسب: ١/٨٣-٨٤.
- ٩٣- لاحظ: غاية غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ٤/٢٢.
- ٩٤- لاحظ: المكاسب، للشيخ الأنصاري: ١/١٢٢.
- ٩٥- المكاسب، للشيخ الأنصاري: ١/١٢٨.
- ٩٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي: ١/٢٦٤.
- ٩٧- ١٢٨/٣.
- ٩٨- ١/٧٢٦. وشبهه مع بعض الاختلاف في التاج. لاحظ: ٢١/١٦٧-١٦٨؛ ولسان العرب، لاحظ: ٨/١٤٧.

- ٩٩- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ٢/ ٤-٦.
١٠٠- لاحظ: السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: ٣/ ٤٢٣.
١٠١- النهاية: ١/ ٣٦٤. ولاحظ: الخلاف: ١/ ٦٢.
١٠٢- المقنعة: ص ٥٨٩.
١٠٣- لاحظ من أجل ذلك: محاضرات في الفقه الجعفري (تقريراً لأبحاث السيّد الخوئي الأصوليّة): ١/ ٦١٥. وكذا تقارير درسه المسماة (مصباح الأصول): ٢/ ٣٩٠.
وكذا لاحظ: ما ذكره الشيخ اليوسفي في أصول الشيعة لاستنباط أحكام الشريعة: ٣/ ١٥٠- ١٥١. وغيرها كثير.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أصول الشيعة لاستنباط أحكام الشريعة، محمد حسين اليوسفي، الناشر: مركز فقهية أئمة أطهار عليهم السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ. ش.
- ٣- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٤- أمل الآمل، محمد بن الحسن (الحَرَّ العاملي)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، المطبعة: مطبعة نمونه، قم، ١٣٦٢ ش.
- ٥- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، عليّ البلاديّ البحرانيّ، الناشر: مكتبة المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، ١٩٨٦ م.
- ٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، دار الهداية، لبنان، ١٩٦٧ م.
- ٧- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، تحقيق: أحمد العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٠٩ هـ.
- ٨- تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحرّانيّ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة (إيران)، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- ٩- تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقانيّ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٢٣ هـ.
- ١٠- التنقيح في شرح العروة الوثقى (تقريباً لبحث السيّد الخوئي)، عليّ الغرويّ التبريزي، كتاب الطهارة، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ١٤١٣ هـ.
- ١١- التنقيح في شرح العروة الوثقى (تقريباً لبحث السيّد الخوئي)، عليّ الغرويّ التبريزي، كتاب الصلاة، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ١٤١٣ هـ.

- ١٢- حاشية المكاسب، المحقق الميرزا عليّ الإيرواني، الطبعة الحجرية، كتابفروشي نجفي بقم، ١٣٧٩هـ.
- ١٣- حاشية المكاسب، محمد كاظم الآخوند الخراساني، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، (د.ت).
- ١٤- الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د.ت).
- ١٥- الخلاف، الشيخ الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي بقم، سنة ١٤٠٧هـ. والطبعة الحجرية المطبوعة في إيران.
- ١٦- دراسات في علم الأصول (تقريباً لأبحاث السيّد الخوئي في الأصول)، عليّ الحسيني الشاهرودي، مؤسسة دائرة المعارف، فقه إسلامي بر طبق مذهب أهل البيت عليه السلام، قم، إيران، ١٤١٣هـ.
- ١٧- دروس في علم الأصول - الحلقة الثانية، السيّد الشهيد محمد باقر الصدر، تحقيق وتعليق: مجمع الفكر الإسلامي، قم، إيران، ١٤١٢هـ.
- ١٨- دعائم الإسلام، أبو حنيفة، النعمان، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.
- ١٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد محسن (أغا بزرك الطهراني)، دار الأضواء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- ٢٠- روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات، محمد باقر الخوانساري، إسماعيليان، قم، إيران، ١٣٩٠هـ.
- ٢١- رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله بن عيسى الأفندي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ٢٢- السّرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ابن إدريس الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- ٢٣- الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٤- طبقات أعلام الشيعة، محمد محسن (أغا بزرك الطهراني)، إسماعيليان للطباعة

- والنشر، قم، إيران، (د.ت).
- ٢٥- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ مفلح الصيّمري، المحقق: الشيخ جعفر الكوثرائي العاملي، الناشر: دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٦- الغنية (الجوامع الفقهيّة)، ابن زهرة، الطبعة الحجرية.
- ٢٧- فهرست علماء البحرين، سليمان بن عبد الله، الماحوزي، البحراني، تحقيق: فاضل الزاكي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١هـ.
- ٢٨- فوائد الأصول (تقريباً لأبحاث الميرزا النائيني الأصولية)، الشيخ محمد علي، الكاظمي، الخراساني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، إيران، (د.ت).
- ٢٩- الفوائد الرجالية (رجال السيّد بحر العلوم)، السيّد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، منشورات مكتبة الصادق، الطبعة الأولى، ١٣٦٣هـ. ش.
- ٣٠- الكافي، محمد بن يعقوب، الكليني، باهتمام: محمد الدرايتي، الناشر: دارالحديث، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ. ش.
- ٣١- كفاية الأصول، محمد كاظم الآخوند، الخراساني، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ.
- ٣٢- النّهاية، الشيخ الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ٣٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٣٤- محاضرات في الفقه الجعفريّ (تقريباً لأبحاث السيّد الخوئي في المعاملات)، عليّ الحسيني الشاهرودي، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٠٨هـ.
- ٣٥- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، مفلح الصيّمري، مخطوطة مكتبة السيّد البروجردي، برقم (٢٨٦).
- ٣٦- مستمسك العروة الوثقى، السيّد محسن الطباطبائي الحكيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
- ٣٧- مستند الشيعة في أحكام الشريعة، أحمد النراقي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، سنة ١٤٠٥هـ.

- ٣٨- مشايخ الشيعة، الشيخ سليمان الماحوزي، مخطوطة، نقلنا بعض فقراتها عن كتاب أنوار البدرين وغيره.
- ٣٩- مصباح الأصول، أبو القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ١٤١٣هـ.
- ٤٠- مصباح الفقه (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي في المعاملات)، محمد علي التوحيدي، التبريزي، قم، انتشارات داورى، ١٣٧٧ش.
- ٤١- مصباح الفقيه، آغا رضا بن محمد هادي، الهمداني، تحقيق: المؤسسة الجعفرية لإحياء التراث، قم، (د.ت.).
- ٤٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت.).
- ٤٣- مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، آغا بزرك الطهراني، دار العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- ٤٤- المعجم الأصولي، محمد صنقور علي، البحراني، منشورات نقش، المطبعة: عترة، تاريخ النشر: ١٤٢٦هـ.
- ٤٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ٤٦- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة، محمد جواد، الحسيني، العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم.
- ٤٧- المقتعة، محمد بن محمد (الشيخ المفيد)، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- ٤٨- المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري، إعداد: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، قم، ايران، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٤٩- من سلسلة الفقه التعليمي، محمود العيداني، المطبعة: الكوثر، ٢٠٠٤م.
- ٥٠- متقى الأصول (تقريراً لأبحاث السيد الروحاني في الأصول)، عبد الصاحب الحكيم، قم، ١٤١٦هـ.
- ٥١- نيل المآرب في شرح المكاسب، محمود العيداني، الناشر: ريجانه بيامبر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

- ٥٢- هداية الطالب إلى أسرار المكاسب، الميرزا فتاح الشهيدي، التبريزي، مطبعة الاطلاعات، تبريز، سنة ١٣٧٥هـ.
- ٥٣- هَدِيَّةُ الْعَارِفِينَ فِي أَسْمَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ وَآثَارِ الْمُصَنِّفِينَ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ، دَارُ إِحْيَاءِ التَّارِثِ الْعَرَبِيِّ، بيروت، بدون تاريخ.
- ٥٤- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن (الحَرَّ العاملي)، دار إحياء التَّارِثِ الْعَرَبِيِّ، بيروت، ١٣٩١هـ.

- مواقع إلكترونية:

- ٥٥- عنوان قناة التلجرام لدروس المكاسب للباحث:
<https://t.me/SheikhMahmoudAlEidani>

شُعْرَاءُ الْبَصْرَةِ صَوْتُ الْإِصْلَاحِ السِّيَاسِيِّ
وَالْاِقْتِصَادِيِّ
(الْعَصْرُ الْأُمَوِيُّ أُنْمُودَجًا)

Poets of Basra The Voice of Political and
Economic Reforms
The Umayyad Era as an Example

أ.م.د. سجا جاسم محمد م.د. أنوار مجيد سرحان
كلية الآداب / جامعة بغداد

Dr. Saja J. Mohammad, assistant professor

Dr. Anwar M. Sarhan, Lecturer

(College of Arts, University of Baghdad)

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير داعية، رسول الهداية والموودة والرحمة، محمد ﷺ، وعلى آله الغر الميامين المطهرين.

وبعد:

لا يخفى على المتتبع لبيئة البصرة ما انما زت به من دراسات متنوعة شملت العلوم كافة، ومن بين هذه العلوم الأدب؛ إذ عرفت البصرة بحركة أدبية متطورة عبر العصور الأدبية كافة، وقد وقف شعراء البصرة عند الكثير من القضايا الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية لغرض النقد، والتنبيه، والمعالجة. فقد كان الشعراء صوت الشعب في بيئة البصرة، فنقلوا للقارئ الكثير من الصور التي وجدت في المجتمع البصري قديماً وحديثاً، وقد ظهرت العديد من الدراسات التي عُنيت بالحركة الأدبية في البصرة. وقد جاء بحثنا هذا ليسلط الضوء على حركة الإصلاح السياسي والاقتصادي التي عبر عنها شعراء البصرة في العصر الأموي، وقد سار البحث على وفق خطة معينة، فقد جاء على تمهيد وضحنا فيه مصطلح الإصلاح، ولا سيما السياسي والاقتصادي. بعد ذلك قسمنا البحث على مبحثين، تناولنا في الأول: الإصلاح السياسي، ودرسنا في المبحث الثاني الإصلاح الاقتصادي، وتبعنا ذلك بخاتمة عرضنا فيها أهم نتائج البحث.

Abstract

Basra has been well-known, throughout history, for its various movements and activities. The literary movement has been one of the most outstanding among other movements. Poets of Basra tackled social, political, economic, and other aspects. They have been the voice of the people. For this purpose, they conveyed to the reader, in the past and in present, images representing Basra milieu. The present research paper sheds light on the movement of political and economic reforms in the city during the Umayyad period. The paper is divided into an introduction where the term 'reform' is explained especially in its political and economic aspects. Then these two aspects are studied in detail followed by a conclusion.

التمهيد

الإصلاح اسم من الفعل (صلح)، نقول: صَلَح، يَصْلَحُ، وَيَصْلُحُ، صَلَاحاً، وَصُلُوحاً، وَالصَّلَاح: ضد الفساد^(١). فالإصلاح هو التغيير، والتقويم، والتحسين.

ومّا تقدّم، فإنّ الإصلاح يعني: حركة تغيير في مجالٍ ما، كأن يكون سياسياً، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً، يرمي إلى تغيير حالةٍ ما، وإحداث تغيير نوعيٍّ فيها، وهذا التغيير يكون لصالح المجتمع. وفي بحثنا هذا قصدنا بصوت الإصلاح، كون الشاعر في العصور الأدبية كلّها كان يمثل صوت الشعب، وكان ينقل الظواهر الإيجابية والسلبية التي كانت في المجتمع، وبما أنّ الإصلاح ظاهرة اجتماعية كونها تنتج من المجتمع بهدف تغيير حالة ما، لذا كان شعراء البصرة صوت الإصلاح السياسي والاقتصادي في العصر الأمويّ.

أمّا قولنا: الإصلاح السياسي، فنقصد به أصوات الشعراء التي ارتفعت بهدف إحداث تغيير يخصّ الجانب السياسي في الدولة، كأن يكون تغيير حاكم، أو والٍ، أو قانون سياسيٍّ، وغير ذلك.

أمّا الإصلاح الاقتصادي، فنقصد به: الدعوة إلى تغيير حالة اقتصادية في المجتمع، كأن ترتفع الأصوات لغرض رفع المستوى المعيشي لفئة معيّنة من

المجتمع تعاني من الفقر وغيره.

يبقى أن نقول: إنَّ الإِصْلَاحِينَ السِّيَاسِيِّ وَالِاِقْتِصَادِيِّ يَخْتَلِفَانِ مِنْ عَصْرِ إِلَى آخِرٍ، بِحَسَبِ أحوال التطوُّر والتجديد التي تشهدها العصور المختلفة.

وفي ضوء دراستنا لشعر البصريين، توضَّحت لنا ثلاثة خطوط، سار فيها الشَّعر في البصرة، وهذه الخطوط رسمت تفاعلات الحياة بما فيها من تراثٍ وقيمٍ؛ إذ ثمة تفاعل بما كان، وبما هو كائن، وبما سيكون، وهذه الخطوط هي، الأول: تاريخي يقف عند تمثيل الشُّعراء لماضي أمتهم، والثاني: عصريَّ يحدِّد الحياة الواعية المتمثلة في آثار الآخذين بها مباشرة، والثالث: بين هذه النزعات التي ترمي إلى التحرُّر من قيود بعينها؛ في سبيل إيجاد حياة أكثر مثاليَّة، وأقدر على توفير السَّعادة^(٢). ومن بين هذه الخطوط يظهر لنا تيار الإصلاح الذي جاء به شعراء البصرة، محاولين إصلاح ما وُجِدَ مِنْ خَلَلٍ سِيَاسِيٍّ أَوْ اِقْتِصَادِيٍّ، عَنْ طَرِيقِ شَعْرِهِم الَّذِي قِيلَ بَيْنَ أَيْدِي الْخُلَفَاءِ وَالْوَلَاةِ؛ كَوْنِهِمْ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ سَفَرَاءَ عَنْ قَوْمِهِمْ فِي نَقْلِ الْحَالَةِ، وَهَذَا مَا سَتَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ فِي بَحْثِنَا هَذَا.

المبحث الأول: الإصلاح السياسي

مثّل الشّعْر في بيئة البصرة ميداناً واسعاً لدراسة مظاهر مختلفة لحياة مجتمع البصرة، فقد كان مرآة صادقة معبرة عن نشاطات وفعاليات إنسانية وعوامل شتى، ظهرت في بناء المجتمع البصريّ الفكريّ والعقائديّ، وفي علاقاته الاجتماعيّة، وما يحكمها من عاداتٍ وتقاليّد وأصولٍ تقوم عليها، فضلاً عن علاقاتها الاقتصاديّة وما ينشأ عنها من أنماط معيشيّة بتأثيرات البيئة وطبيعتها الجغرافيّة والنظام الاقتصاديّ الذي تقوم عليه، والنظام السياسيّ الذي يسيطر عليها، متمثلاً بالدولة الأمويّة، وما تبعها من صراعٍ سياسيٍّ امتدّ من نهاية حكم عثمان إلى نهاية العصر الأمويّ. فكان العصر الأمويّ حافلاً بالصّراعات السياسيّة المختلفة، ويرافق هذه الصّراعات ظاهرة أخرى وُجدت في العصر الأمويّ، ولا سيّما في مجتمع البصرة، تمثّلت بظاهرة التّرف والبذخ التي عُرف بها الأمويّون، إلاّ أنّه على الرّغم من ذلك، كان المجتمع يشكو سوء الأوضاع الاقتصاديّة، فضلاً عن سوء الأوضاع السياسيّة، ففساد بعض الحكّام والولاة والسّعاة، وقبولهم الرّشاوى، وفرضهم الضّرائب، واستبدادهم بالأموال وحرمان الآخرين منها، كان دافعاً للشّعراء للنهوض بمهمّاتهم جاعلين الشّعْر مرآة ناطقةً ومعبرةً عن الوضع السياسيّ، والاقتصاديّ، اللّذين أخذوا أشكالاً عديدةً ولبوساً متنوّعةً،

فأطلقوا أصواتهم للتعبير عن تلك الأوضاع، ثائرين مطالبين بالإصلاح، محاولين رفع الظلم عمَّن ظلم، والتخفيف عمَّن أحسَّ بالعوز والحاجة. ومن بين هؤلاء الشعراء (شعراء البصرة)، فقد كان للشعراء البصريين دورٌ كبيرٌ ومشهودٌ له في الدِّفاع عن شرف قومهم، والمنافحة عن حقوقهم، والتحدُّث بلسانهم في مختلف المناسبات والقضايا التي تهمهم. ومن بين ما ارتفعت به أصوات الشعراء الدعوة إلى الإصلاح السِّيَاسِيِّ كردَّة فعلٍ منهم أمام سياسة بعض الولاة والحكَّام في البصرة الذين اتبعوا نهج الإثراء عن طريق السرقة وحيازة الأموال العامة، من ذلك أبيات قالها الشاعر أبو الأسود الدؤليَّ لحارثة بن بدر الغدائي، الذي عُيِّنَ أميراً على سُرَّق إحدى مناطق الأهواز، قائلاً: (من الطويل)

أحارِ بن بدرٍ قد وُليتَ ولايةً	فكنْ جُرْداً فيها تخونُ وتسرقُ
فلا تحقرنْ يا حارٍ شيئاً تُصيبُهُ	فحظُّك من مُلكِ العراقيّ سُرْقُ
فإنَّ جميعَ النَّاسِ إمَّا مكذِّبٌ	يقولُ بما يهوى وإمَّا مُصدِّقُ
يقولونَ أقوالاً بظنٍّ وشُبْهةٍ	فإنَّ قِيلَ هاتوا حقَّقوا لم يحقِّقوا
ولا تعجزنْ فالعجزُ أخبثُ مركبٍ	فما كلُّ مدفوعٍ إلى الرِّزْقِ يُرزقُ
وبَارِزٌ تميماً بالغنى إنَّ للغنى	لساناً به المرءُ الهيوبَةُ ينطقُ ^(٣)

والملاحظ أنَّ الشاعر استعمل أسلوب السَّخرية لنقد حالة السرقة التي عُرف بها عددٌ من الولاة والأمراء، وغرضه في ذلك رفع صوته للمتلقي لغرض الإصلاح والتنبية، ولا سيَّما أنَّ الشاعر بدأ قصيدته بأسلوب النداء بالهمزة (أحارِ بن بدرٍ...)، الذي خرج إلى معنى التنبية والتحذير للمخاطب.

ونراه في أبياتٍ أخرى يوجَّهُ نقده إلى والي البصرة الحارث بن عبد الله القُبَاعِ،

الذي لا همَّ له سوى التمتع بما لاذ الحياة، وترك أمور الرعيّة، فضلاً عن شخصيّته التي تميّزت بعدم قدرتها على إحكام الأمور وتديرها، وإعطاء الرأى والثبات فيه، ما أدّى إلى ضياع حقوق الرعيّة؛ بسبب ضعف شخصيّة الوالي أو العامل، فرفع هذه الأبيات إلى عبد الله بن الزبير لغرض الإصلاح قائلاً: (من الوافر)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُزِيتَ خَيْرًا أَرْحَنًا مِنْ قُبَاعِ بَنِي الْمُغِيرَةِ
بَلَوْنَاهُ وَلَمْنَاهُ فَأَعْيَا عَلَيْنَا مَا يُؤْمَرُ لَنَا مَرِيرَهُ
عَلَى أَنْ الْفَتَى نَكْحَ أَكُوْلُ وَمَسْهَابٌ مَذَاهِبُهُ كَثِيرُهُ^(٤)

أمّا الفرزدق، فقد كان صوت قومه، فقد «اعتدّ نفسه سيّد تميم، والمدافع عنها والناطق باسمها»^(٥) قائلاً في ذلك: (من الطويل)

أَنَا ابْنُ تَمِيمٍ وَالْمَحَامِي الَّذِي بِهِ تُحَامِي إِذَا عُرِبَتْ تَفَرَّى أَدِيمُهَا^(٦)

ومّا قاله في دعوة للإصلاح، وجّهها إلى الوليد بن عبد الملك ينتقد فيها عمّاله، وجورهم على الرعيّة، قائلاً: (من الوافر)

رَجَاكَ الْمَشْرِقَانِ لِكُلِّ عَانٍ وَأَرْمَلَةٌ وَأَصْحَابِ الثُّغُورِ
وَكُنْتَ جَعَلْتَ لِلْعَمَالِ عَهْدًا وَفِيهِ الْعَاصِمَاتُ مِنَ الْفُجُورِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشْفِي بَعْدِلَ يَدَيْكَ أَدْوَاءَ الصُّدُورِ
فَكَيْفَ بِعَامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا يُكَلِّفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبُدُورِ
وَأَتَى بِالْدَّرَاهِمِ وَهِيَ مِنَّا كِرَافِعَ رَاحَتِيهِ إِلَى الْعُبُورِ
إِذَا سُقْنَا الْفَرَاثُ لَمْ يُرْذَهَا وَصَدَّ عَنِ الشُّوْبَةِ وَالْبَعْرِ
إِذَا وَضَعَ السَّيَاطَ لَنَا نَهَارًا أَخَذَنَا بِالرَّبَا سَرَقَ الْحَرِيرِ
فَادْخَلْنَا جَهَنَّمَ مَا أَخَذْنَا مِنَ الْإِرْبَاءِ مِنْ دُونِ الظُّهُورِ

فَلَوْ سَمِعَ الْخَلِيفَةُ صَوْتَ دَاعٍ يُنَادِي اللَّهَ هَلْ لِي مِنْ مُجِيرٍ؟
وَأَصْوَاتُ النِّسَاءِ مُقَرَّنَاتٌ وَصَبِيَانُ هُنَّ عَلَى الْحُجُورِ
إِذَا لَأَجَابَهُنَّ لِسَانُ دَاعٍ لِدِينِ اللَّهِ مِغْضَابٌ نَصُورٍ^(٧)

ويُعدُّ الرَّاعي النميريُّ من أبرز الشعراء الذين دعوا إلى الإصلاح السِّيَاسِيِّ ضدَّ الظلم والفساد الناتج عن قسوة السَّعة والعمَّال، الذين أَرهقوا قومه، وأفقرهم بفرضهم الضرائب الباهظة، ومعاملتهم القاسية؛ إذ عمدوا في أحيان كثيرة إلى الضرب والإذلال، فلم يكن الشَّاعر «بائساً ولا محروماً؛ ولكنه كان يشعر بما يشعر به قومه ويحسُّ بما يحسُّون...»^(٨)، ولعلَّ قصيدته التي بعث بها إلى عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) تعبَّر عن مدى المرِّ والألم اللَّذين أحسَّ بهما الشَّاعر؛ نتيجة ما لحق بقومه من السَّعة الذين لم يمتثلوا لأوامر الحاكم، فالشَّاعر «ندب نفسه محامياً عن قومه ناقداً عمَّال الخليفة»^(٩)، ويقول فيها: (من الكامل)

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً شَكَّوْا إِلَيْكَ مُظْلَمَةً وَعَوِيلاً
مِنْ نَازِحٍ كَثُرَتْ إِلَيْكَ هُمُومُهُ لَوْ يَسْتَطِيعُ إِلَى اللَّقَاءِ سَبِيلاً
طَالَ التَّقَلُّبُ وَالزَّمَانُ وَرَابَهُ كَسَلٌ، وَيَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ كَسُولاً
أَوَّلِيَّ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ عَشِيرَتِي أُمْسَى سَوَامُهُمْ عَزِيزٌ فَلُولاً
قَطَعُوا الْيَمَامَةَ يَطْرُدُونَ كَأَنَّهُمْ قَوْمٌ أَصَابُوا ظَالِمِينَ قَتِيلاً
يَجِدُونَ حُدُباً مَائِلاً أَشْرَافُهَا فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَدْعُنَ رَعِيلاً
شَهْرِي رَبِيعٌ مَا تَذُوقُ لُبُونُهُمْ إِلَّا مُحُوضاً وَخُفَّةً وَدَوِيلاً
حَتَّى إِذَا جُمِعَتْ نُجُيْرُ طَرْقُهَا وَثَنَا الرَّعَاءُ شَكِيرَهَا الْمُنْحُولاً
وَأَتَوْا نِسَاءَهُمْ نَبِيبٌ لَمْ يَدْعُ سُوءُ الْمَحَابِسِ تَحْتَهُنَّ فَصِيلاً^(١٠)

ويُلاحظ أنَّ الأبيات تشير إلى عمق إيمان الشاعر، والتزامه القبلي تجاه أمور قومه؛ فبعد أن عبَّر عن همومه الذاتية المتمثلة بتقدُّم العمر ومشكلاته، انتقل إلى بيان الحالة التي لحقت بقومه عن طريق مخاطبة الممدوح، مُبيناً له ما أصاب قومه من تفرُّق في البلاد، وسوء أحوالهم الاقتصادية؛ نتيجة جور السَّعة وسيطرتهم على زمام الأمور، ثمَّ يخاطب الشاعر الخليفة خطاباً مباشراً، وهو يلتبس منه أن يرفع عن قومه ما أصابهم بسبب ظلم السَّعة الذين طغوا وأساءوا معاملة الرعيَّة، حتَّى أنَّهم اعتدوا على شيخ القبيلة؛ لعدم امتثاله أوامرهم: (من الكامل)

فَادْفَعْ مَظَالِمَ عَيَّلْتَ أَبْنَاءَنَا عَنَّا وَانْقِذْ شِلُونَا الْمَأْكُولَا
إِنَّ السَّعَاةَ عَصَوْكَ حِينَ بَعَثْتَهُمْ وَأَتَوْا دَوَاهِيَّ لَوْ عَلِمْتَ وَغُولَا
إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتُمْ أَنْ يَعْدِلُوا لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتَ فَتَيْلَا
أَخَذُوا الْمَخَاضَ مِنَ الْفَصِيلِ غُلْبَةً ظُلْمًا وَيَكْتُبُ لِلْأَمِيرِ أَفْيَالَا
أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْرُومَهُ بِالْأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولَا^(١١)

يتَّضح من الأبيات أنَّ الشاعر اتخذ دور السِّفير عن قومه وقبيلته لدى الخليفة، مستنجداً ومستغيثاً به؛ لينقذ قومه من عمال الصَّدقات والسَّعة الذين أنزلوا بهم أشدَّ أصناف التعذيب والتنكيل؛ لكي يؤدِّوا ما فرضوه عليهم من الصُّرائب التي كانت سبباً في حرمانهم وعوزهم وفقرهم، فكانت قصيدته «تقريراً سياسياً في مدَّة متقدِّمة من التاريخ، ولكونها تعكس جانباً من الواقع السِّياسي الظالم»^(١٢). وللشاعر قصيدة أخرى قال عنها: «مَن لم يرولي من أولادي هذه القصيدة...

فقد عَقْنِي»^(١٣)، قال فيها: (من البسيط)

إِنِّي وَإِيَّاكَ وَالشَّكْوَى الَّتِي قَصَّرْتُ خَطْوِي وَنَائِيكَ وَالْوَجْدُ الَّذِي أَجْدُ

أَزْرَى بِأَمْوَالِنَا قَوْمٌ أَمَرْتَهُمْ بِالْعَدْلِ فَيَنَافَمَ أَتَقَوَّامَا قَصَدُوا
نُعْطِي الزَّكَاةَ فَمَا يَرْضَى خَطِيئَهُمْ حَتَّى نَضَاعِفَ أَضْعَافاً لَهَا عَدَدُ
أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلُوبَتُهُ وَفَقَّ الْعِيَالُ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبْدُ
وَاخْتَلَّ ذُو الْمَالِ وَالْمُتْرُونُ قَدْ بَقِيَتْ عَلَى التَّلَاتِلِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عُقَدُ
فَإِنْ رَفَعَتْ بِهِمْ رَأْسًا نَعَشْتَهُمْ وَإِنْ لَقَوْا مِثْلَهَا فِي قَابِلٍ فَسَدُّوا^(١٤)

ونلاحظُ في القصيدة إحساساً عالياً بالظلم والألم اللذين لحقا بالشاعر وقومه من عمال الصدقات، ابتدأها بمدح عبد الملك بن مروان، وتطرق بعدها إلى إظهار حالة الظلم التي شعر بها تجاه قومه، الناتجة عن ظلم السُّعاة الذين ضاعفوا الزكاة؛ ليثروا على حساب الرعية، حتى وصل أمر فقرائهم إلى احتياج أغنيائهم؛ لذا عبّر الشاعر عن ذلك بطريقة الاسترحام والاستعطاف، لطلب مساعدة الخليفة، فإن لم يُنصفهم فالهلاكُ مصيرهم، وإن أنصفهم فقد أحياهم. ونجدُ صورةً أخرى من الإصلاح السِّيَاسِيِّ نادى بها شعراء البصرة تمثلت بسياسة العصبية القبلية؛ إذ اعتمدت السياسة الأموية في إقامة حكمها على إثارة العصبية والنعرات القبلية؛ لكي تشغل بها القبائل العربية وتبعدها عن معارضة الحكم الأموي^(١٥). ما أدّى إلى زرع روح الفرقة بين القبائل، وفقدان الوحدة العصبية والسياسة التي تمثل قوّة القبائل، فكانت بدلاً عنها نزعة المصلحة والمنفعة والفرقة التي زرعها بعض الحكّام والولاة، ما دفع بالشُعراء إلى استغلال الوضع، فقد «استطاعوا أن يستغلّوا هذه القبليّة وما تنطوي عليه من عصبِيّات في شعرهم، ليكونوا الألسنة الناطقة لقبائلهم المعبرة عن حياتها»^(١٦)، فوجد من الشُعراء مَنْ قام بدور السّفير عن قبيلته، أو عن بعض القبائل التي تكلم بلسانها؛

ليان ما لحقها من أذى بسبب العصبية القبليّة، ونظير ذلك قول جرير: (من الوافر)

أَلَا هَلْ لِلْخَلِيفَةِ فِي نِزَارٍ فَقَدْ أَمْسَوْا وَأَكْثَرُهُمْ كُلُّوْ
وَتَدْعُوكَ الْأَرَامِلُ وَالْيَتَامَى وَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ بِهِ حَوِيلُ
وَتَشْكُو الْمَاشِيَاتُ إِلَيْكَ جَهْدًا وَلَا صَعْبٌ لَهُنَّ وَلَا ذَلُولُ
وَأَكْثَرُ زَادِهِنَّ وَهْنٌ سَفْعٌ حُطَامُ الْجُلْدِ وَالْعَصَبُ الْمَلِيلُ
وَيَدْعُوكَ الْمُكَلَّفُ بَعْدَ جَهْدٍ وَعَانٍ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الْكُبُولُ
وَمَا زَالَتْ مُعَلَّقَةً بِنَدِيٍّ بَذِي الدِّيَاسِ أَوْ رَجُلٍ قَتِيلُ
فَرَجَتْ لَهُمَّ وَالْحَلَقَاتِ عَنْهُمْ فَأَحْيَا النَّاسَ وَالْبَلَدُ الْمُحُولُ
إِذَا ابْتَدَرَ الْمَكَارِمُ كَانَ فِيكُمْ رَبِيعُ النَّاسِ وَالْحَسْبُ الْأَثِيلُ^(١٧)

إذ يستنجد الشاعر في هذه الأبيات بالحاكم عبر مدحه لرفع ما وقع من ظلم وحيف على القبائل النزارية؛ بسبب سياسة بعض الخلفاء والولاة، ولاسيما الحجاج، واصفاً الخليفة بالربيع الذي يُعيد الحياة والهناء إلى الأرض الجذبة الفقيرة! ونراه في قصيدة أخرى يحاول التقرب من الخليفة عبد العزيز بن مروان، من خلال مدحه، ومن ثم يقرب بين قيس وبين تميم والحكومة؛ إذ إن الشاعر كان في عصبية «تميمياً قيسياً»^(١٨)، قال: (من الطويل)

فَإِنَّ تَمِيمًا فَاعْلَمَنَّ أَخُوكُمْ وَمَنْ خَيْرٌ مَنْ أَبْلَيْتَ عَافِيَةً شُكْرًا
إِذَا سِتُّمْ هِجْتُمْ تَمِيمًا فَهَجْتُمْ لِيُوثَ الْوَعَى يَهْصِرْنَ أَعْدَاءُكُمْ هَضْرًا
نَقُودُ الْجِيَادِ الْمُقْرَبَاتِ عَلَى الْوَجَى لِأَعْدَائِكُمْ حَتَّى أَبْرِنَاهُمْ قَسْرًا^(١٩)
فالشاعر اتخذ موقفه هذا؛ للخلاص من الظلم الذي لحق هذه القبائل بسبب

العصبية، ولا سيما أن بني أمية قَرَّبوا القبائل اليمينية، وآثروهم بالعطاء والمساندة. أمَّا الفرزدق التميمي، فمن مواقفه حيال هذه العصبية، التي أدت إلى لحاق الأذى بقبائل كثيرة، موقفه من قبائل مضر في العراق والشَّام، مناصراً لها، واقفاً ضدَّ خالد القسريِّ اليميني الذي انتهك حرمة هذه القبائل وسلبها حقوقها، ما دفع بالشاعر إلى الوقوف بجانبها، مستنجداً بـ بهشام بن عبد الملك لإنقاذ قبائل مضر، مترجماً له هذا الظلم بأبيات منها: (من الطويل)

بَكَتْ عَيْنُ مُحْزُونٍ فَطَالَ انْسِجَامُهَا وَطَالَتْ لِيَالِي حَادِثٍ لَا يَنَامُهَا
فَإِنْ نَبِكَ لَا نَبِكَ الْمُصِيبَاتِ إِذْ أَتَى بِهَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ جَمَّ خِصَامُهَا
وَلَكِنَّا نَبْكِي تَنْهَكَ خَالِدٍ مُحَارَمَ مِنَّا لَا يَحِلُّ حَرَامُهَا
أَرَى مُضَرَ الْمَصْرِينَ قَدْ ذَلَّ نَصْرُهَا وَلَكِنْ قِيساً، لَا يُذِلُّ شَامُهَا
فَمَنْ مُبْلَغٌ بِالشَّامِ قِيساً وَخِنْدِفاً أَحَادِيثَ مَا يُشْفِي بُرءِ سِقَامُهَا
أَحَادِيثَ مِنَّا نَسْتَكِيهَا إِلَيْهِمْ وَمُظْلَمَةً يَغْشَى الْوُجُوهَ ظِلَامُهَا^(٢٠)

فقد قام الشاعرُ بدور السفير؛ لِيُبَيِّنَ للخليفة سياسة خالد القسريِّ التعصبية حيال قبائل مضر، التي ذلَّتْ، وباتت العيون تبكيها بكاءً مستمراً، بعدما انتُهكت حرمتها، وحرمت حقوقها.

وهكذا نجد أنَّ الشعر كان الصَّورة الناطقة والمعبرة عن سوء معاملة بعض العَمال والسُّعاة، وظلمهم للرعية؛ لذا نهض الشعراء للتعبير عن هذه الطبقات، محاولين الإصلاح عن طريق استرداد أموال النَّاس من أيدي المستغلين، مؤدِّين مهمةً إنسانيةً وقياديةً في الوقت نفسه، ومتعاملين مع الحياة في إطار التفاعل والامتزاج بقضاياها المهمة.

المبحث الثاني: الإصلاح الاقتصادي

ارتفعت أصوات شعراء البصرة للتعبير عن الإصلاح الاقتصادي الناجم عن دوافع وأسباب متعددة. فنجد من الشعراء الذين مثّلوا قومهم لدى الخلفاء والولاة محاولة منهم لإنقاذهم ممّا هم فيه من فقر وجوع، عبّر تصويرهم حالة فقرهم، الشاعر الفرزدق الذي مدح الوليد بن عبد الملك (ت ١٢٦هـ) بقوله: (من الطويل)

فَكَمْ مِنْ مُنَادٍ، وَالشَّرِيفَانِ دُونَهُ

إِلَى اللَّهِ تُشْكِي وَالْوَلِيدِ مَفَاقِرُهُ

فَقَالُوا: أَغْنَيْنَا إِنْ بَلَغْتَ بَدْعُوهَ

لَنَا عِنْدَ خَيْرِ النَّاسِ، إِنَّكَ زَائِرُهُ

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنْ يُبْلِغِ اللَّهُ نَاقَتِي

وَأَيَّايَ أَنْبِيَّ بِالَّذِي أَنَا خَابِرُهُ

أَغْنِ مُضَرًّا! إِنَّ السَّيْنَ تَتَابَعَتْ

عَلَيْهَا بَحْرٌ يَكْسِرُ الْعَظَمَ جَارِرُهُ

وَهُمْ حَيْثُ حَلَّ الْجُوعُ بَيْنَ تِهَامَةٍ

وَخَيْبَرٍ وَالْوَادِي الَّذِي الْجُوعُ حَاضِرُهُ

بِوَادٍ بِهِ مَاءُ الْكِلَابِ وَبَطْنُهُ
 بِهِ الْعَلَمُ الْبَاقِي مِنَ الْجُوعِ سَاجِرُهُ
 وَهَمَّتْ بِتَذْيِيعِ الْكِلاَبِ مِنَ الَّذِي
 بِهَا أَسَدٌ إِذْ أَمْسَكَ الْغَيْثَ مَاطِرُهُ
 أَغْنَيْنِي بِكُنْهِي فِي نِزَارٍ وَمُقِيلِي
 فَإِنِّي كَرِيمُ الْمَشْرِقَيْنِ وَشَاعِرُهُ
 وَإِنَّكَ رَاعِي اللَّهِ فِي الْأَرْضِ تَنْتَهِي
 إِلَيْكَ نَوَاصِي كُلِّ أَمْرٍ وَآخِرُهُ^(٢١)

فالشاعرُ لسان قومِهِ لدى الخليفة، واصفاً ما حلَّ بهم من جوعٍ وفقْرٍ؛ بسبب
 الجذب والقحط اللّذين أصاباهم، راسماً صورة فقرهم وحاجتهم بطريقة
 الوصف التقريريّ للحالة، وعبر ألفاظ تبعث في النفس الأسى والألم والحزن،
 وغرضه من ذلك الوصول إلى غاية في بيان حالهم أولاً، وإثارة استرحام الممدوح
 وتعاطفه ثانياً، وتحريك الهمة لتحقيق طلب الإغاثة ثالثاً.

ونجد للشاعر أبيات أخرٍ محتجّ فيها على سياسة معاوية حين حرم الخُتات
 المجاشعيّ كامل عطائه، فجاء بأبيات انمازت بالقوّة، والاحتجاج العنيف لما وقع
 على الختات من ظلم، قائلاً: (من الطويل)

أَتَأْكُلُ مِيرَاثَ الْخُتَاتِ ظُلَامَةً وَمِيرَاثَ حَرْبٍ جَامِداً لَكَ ذَائِبَةً
 فَلَوْ كَانَ هَذَا الدِّينُ فِي جَاهِلِيَّةٍ عَرَفْتَ مِنَ الْمَوْلَى الْقَلِيلُ حَلَايِبَةً
 وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ لَأَبْدَيْتُهُ، أَوْ عَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبَةً^(٢٢)

فالشاعر مثّل مجتمع البصرة في مطالبتهم بالإصلاح الاقتصاديّ، والعدل

الاقتصاديّ والإنصاف، وحسن تدبير الأمور الماليّة التي تخصّ الرعيّة، ولهذا نجده يثور على يزيد بن عبد الملك حين ولّى عمر بن هبيرة على البصرة، قائلاً في ذلك: (من الوافر)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ وَالِ شَفِيقٌ لَسْتَ بِالْوَالِي الْحَرِيسِ
أَأْطَعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدِيهِ فَزَارِيًّا أَحَدٌ يَدُ الْقَمِيصِ^(٢٣)

ويستمرّ الشّاعر الفرزدق بأداء مهمّته أمام مجتمعه، محاولاً إصلاح الوضع الاقتصاديّ لدى البعض منهم، عن طريق قصائد المديح التي يوجّهها إلى الخلفاء والولاة، التي ينقل عبرها الحالة التي يريد التعبير عنها، من ذلك قوله في مدح سليمان بن عبد الملك: (من الطويل)

أَلَسْتَ تَرَى مِنْ حَوْلِ بَيْتِكَ عَائِداً بِقَدْرِكَ قَدْ أَعْيَا عَلَيْهَا احتياها
فَكَيْفَ تُرِيدُ الْخَفْضَ بَعْدَ الَّذِي تَرَى نِسَاءً بَنَجِدِ عُيْلٌ وَرَجَالُهَا
وَسُودَاءُ فِي أَهْدَامٍ كَلَّيْنِ أَقْبَلَتْ إِلَيْنَا بِهِمْ تَمْشِي وَعَنَّا سُؤَالُهَا
عَلَى عَاتِقَيْهَا اثْنَانِ مِنْهُمْ، وَإِنَّهَا لَتُرْعَدُ قَدْ كَادَتْ يَقْصُصُ هُزَالُهَا
وَمِنْ خَلْفِهَا ثِنْتَانِ كِلْتَاهُمَا لَهَا تَعَلَّقَ بِالْأَهْدَامِ، وَالشَّرُّ حَالُهَا
وَفِي حَجْرِهَا تَحْزُومَةٌ مِنْ وَرَائِهَا شُعِيَاءُ، لَمْ يَتِمَّ لِحَوْلِ فَصَالُهَا
فَحَرَّتْ، وَأَلْقَتْهُمْ إِلَيْنَا كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ مَحَلٍّ، جَانِبُهَا رِثَالُهَا
إِلَى حُجْرَةٍ كَمِنْ خِبَاءٍ وَقَبَّةٍ إِلَيْهَا، وَهَلَاكِ كَثِيرٌ عِيَالُهَا^(٢٤)

قام الشّاعر بنقل الحالة إلى الممدوح بصورة مباشرة، وتصوير حيّ للحالة، عن طريق وصف أزياء النّساء، وأشخاصهنّ المتهالكة، مع وصف عامّ لحالة البؤس والفقر، عن طريق حوار على لسان زوجته النّوار.

ونجده في قصيدة أخرى يخاطب بها عمر بن عبد العزيز، قائلاً:

وساقنا من قسا يزجي ركائبنا إليك مُنتجع الحاجات والقدر
وجائحات ثلاث ما تركن لنا مالا به بعدهن الغيث يُنتظر
ثنتان لم يتركنا لحمًا وحاطمة بالعظم حمراء حتى اجتاحت الغرر
فقلت: كيف بأهلي حين عَضَّ بهم عامٌ له كل مالٍ مُعنقٍ جزر؟
عامٌ أتى قبله عامانٍ ما تركا مالا ولا بلَّ عوداً فيها مطرٌ^(٢٥)

ونجد الشاعر جرير في قصيدة مدح فيها الحجاج ينقل له في نهايتها صورة عن حالة الفقر والجوع التي تعرّض لها الناس طالباً لإصلاح الحالة، قائلاً:

ألا نشكو إليك زمانٍ محلٍ وشرب الماء في زمن الجليلد
ومعتبة العيالٍ وهم سغابٌ على درّ المجالحة الرفود
زماناً يترك الفتيات سوداً وقد كان المحاجر غير سودٍ^(٢٦)

وفي قصيدة أخرى يخاطب بها عمر بن عبد العزيز، يمزج فيها بين المدح وطلب الاستغاثة لتغيير الوضع الاقتصادي لقومه، قائلاً:

أذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني الذي بلغت من خبري
ما زلت بعدك في دارٍ تعرّفتني قد عي بالحيّ إصعادي ومُنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود باديهِ ولا يعود لنا بادٍ على حَصْرِ
كم بالمواسم من شعشاء أرملة ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصر
يدعوك دعوةً ملهوفٍ كأن به خبلاً من الجنّ أو خبلاً من النّسر
ممن يعدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطير
يرجوك مثل رجاء الغيث تجرهم بُوركٌ جابر عظم هيض مُنكسرٍ

فَإِنْ تَدْعُهُمْ فَمَنْ يَرْجُونَ بَعْدَكُمْ أَوْ تُنَجِّ مِنْهَا فَقَدْ أَنْجِيتَ مِنْ ضَرَرٍ^(٢٧)
ومما تقدّم يتّضح لنا أنّ الظروف السّياسيّة والاقتصاديّة دفعت بالشّعراء إلى ترك الدّيار، والوقوف بين أيدي الخلفاء والولاة، ونظّم قصائد المديح فيهم؛ للظفر بعطفهم، ومحاولة للتغيير والإصلاح السّياسيّ، والاقتصاديّ، عن طريق ما كانوا ينظمونه من قصائد، ومنها: قصائد المديح التي أصبحت في العصر الأمويّ «أثراً من آثار الحياة الاقتصاديّة، أو هو وسيلة من وسائل التغلّب على المشكلات الاقتصاديّة التي يعانيها صاحبه»^(٢٨).

الخاتمة

- وبعد هذه الرّحلة بين سطور دواوين شعراء البصرة، توصّلنا إلى الآتي:
- ١- كان سوء الأوضاع السّياسيّة والاقتصاديّة في البصرة في العصر الأمويّ، سبباً لظهور الإِصلاح السّيّاسيّ، والاقتصاديّ.
 - ٢- قصّداً بالإِصلاح السّيّاسيّ: محاولة تصحيح الخلل السّيّاسيّ الحاصل بسبب سياسة بعض الخلفاء والولاة وعمّال الصّدقات والسّعاة، أمّا الإِصلاح الاقتصاديّ، فقصدنا به إِصلاح الوضع الاقتصاديّ لدى فئات معيّنة في مجتمع البصرة؛ بسبب الظلم الذي لحق بهم من سياسة الدّولة، أو بسبب الظروف المناخيّة، والعوامل الطّبيعيّة التي أدّت إلى حدوث مجاعة عند بعض القبائل.
 - ٣- استطاع شعراء البصرة القيام بمهمّة الإِصلاح، والمطالبة به على أكمل وجه، عن طريق وقوفهم بين أيدي الخلفاء والولاة؛ للمطالبة بحقوقهم، والإِصلاح والتّغيير، والضرب على أيدي الفاسدين، فضلاً عن دورهم في تنبيه المخاطب، على كلّ ما وُجد من حالات الظلم السّيّاسيّ والاقتصاديّ، والدّفع به إلى طريق الإِصلاح، ورفع الظلم عن المظلومين.
 - ٤- كان من أهمّ الشّعراء الذين تحمّلوا مهمّة الإِصلاح، وقاموا بدور السّفراء لدى الخلفاء؛ لتحقيق غاياتهم في الإِصلاح هم: الفرزدق، وجريّر، والرّاعي النّميريّ.

الهوامش

- ١- ينظر: لسان العرب مادة (صلح).
- ٢- ينظر: الحياة الأدبية في البصرة: ص ٢٦٥-٢٩٠.
- ٣- ديوان أبي الأسود الدؤلي: ص ١١٨-١١٩.
- ٤- المصدر السابق: ص ١٠٨-١٠٩، يمرّ: يفتل، المريّة: الحبل الطويل الدقيق وقيل العزيمة، إمرار الحبل: إحكام قتله.
- ٥- الحياة الأدبية في البصرة: ص ٢٨٤.
- ٦- ديوان الفرزدق: ٢/ ٨٢٠.
- ٧- المصدر السابق: ١/ ٣٥١-٣٥٣.
- ٨- الراعي النميريّ عصره-حياته-شعره: ص ١٦٨.
- ٩- الحياة الأدبية في البصرة: ص ٢٨٣.
- ١٠- شعر الراعي النميريّ: ص ٥٤-٦١. الظلمة: الصّحّة، شلو الإنسان: جسده بعد بلاء، الغول: الدّاهية، وكلّ ما أهلك الإنسان فهو غول، الأفيّل، من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر، عريف القوم: سيّدهم، الحيزوم: الصّدر وقيل: ما استدار بالظهر والبطن، الأصبحيّة: السّياط من القدّ، تُسبت إلى أصبح الحميريّ.
- ١١- شعر الراعي النميريّ: ص ٥٩.
- ١٢- القصّة والحكاية في الشّعْر العربيّ في صدر الإسلام والعصر الأمويّ: ص ٢٩٣.
- ١٣- خزانة الأدب: ٣/ ١٤٦.
- ١٤- شعر الراعي النميريّ: ص ٨٩-٩١، الحلوبة: النّاقة التي تحلب، وفق العيال: لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه، السّبد: الشّعْر وقيل: الوبر، التلاتل: الشّدائد، العقد: البقايا القليلة.
- ١٥- يُنظر: العصبية القبليّة: ص ٢٤٣.

- ١٦- حياة الشعر في الكوفة: ص ٤٥١.
- ١٧- شرح ديوان جرير: ص ٤٣٢-٤٣٣، الكل: العيال، الخويل: الحيلة والقوة، يريد بالماشيات النسوة الأرامل.
- ١٨- تاريخ الشعر السياسي: ص ٣١٧.
- ١٩- شرح ديوان جرير: ص ٢٢٤، المقربات: التي من البيوت لتؤثر بالزاد وبكل شيء، أبرناهم: أهلكتناهم.
- ٢٠- شرح ديوان الفرزدق: ٢ / ٧٩٠-٧٩٢.
- ٢١- شرح ديوان الفرزدق: ١ / ٣٠٩-٣١٢. مفاقره: الفقر، الحز: القطع، الجازر: الناحر.
- ٢٢- المصدر السابق: ١ / ٤٩.
- ٢٣- المصدر السابق: ٢ / ٤٨٧.
- ٢٤- المصدر السابق: ٢ / ٦١٩.
- ٢٥- المصدر السابق: ١ / ٢١٩-٢٢٠.
- ٢٦- شرح ديوان جرير: ص ١٢١.
- ٢٧- المصدر السابق: ص ٢٧٤-٢٧٥.
- ٢٨- حياة الشعر في الكوفة: ص ٤٨٩.

المصادر والمراجع

- ١- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، أحمد الشايب، مطبعة السعادة مصر، ط٣، ١٩٦٢م.
- ٢- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. أحمد كمال زكي، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- ٣- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، د. يوسف خليف، دار الكاتب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٤- خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٥- ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق: د. محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط٢، ١٩٦٤م.
- ٦- الرّاعي النّميري (عبيد بحصين) عصره، حياته، شعره، د. محمد نبيه حجاب، مطبعة الرّسالة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- ٧- شرح ديوان جرير، عبد الله إسماعيل الصّاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، (د.ت).
- ٨- شرح ديوان الفرزدق: عبد الله إسماعيل الصّاوي، مطبعة الصّاوي، القاهرة، ١٩٣٦م.
- ٩- شعر البصرة في العصر الأموي (دراسة في السياسة والاجتماع)، د. عون الشّريف قاسم، دار الثقافة، بيروت لبنان، ١٩٧٢م.
- ١٠- شعر الرّاعي النّميري، د. نوري القيسي، و د. هلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي، العراق، ١٩٨٠م.
- ١١- العصيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي، د. إحسان النصّ، دار اليقظة العربيّة للتأليف والنشر، (د.ط)، (د.ت).

- ١٢- القصّة والحكاية في الشعر العربيّ في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، د. بشرى محمّد عليّ الخطيب، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ط ١، بغداد، ١٩٩٠ م.
- ١٣- لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدّين بن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: نخبة من الأساتذة المختصّين، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣ م.

عليُّ بنُ زيدِ بنِ جُدعانِ البصريُّ، ودورُهُ الفكريُّ
في روايةِ أحاديثِ التشيعِ

Ali bin Zaid bin Jod'an Al-Basri and his
Intellectual Role in Citing Shiism Traditions

أ.م.د. علاء حسن مردان اللامي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

Dr. Alaa' H.Mardan Allamy

Imam Kadhim University College of Islamic Sciences

ملخص البحث

يُعَدُّ عليُّ بن زيد بن جدعان، البصريّ، ممّن عُرف بتشيّعه ونصرته لهذا المذهب. كانت وفاته سنة (١٣١هـ/ ٧٤٨م)، وعُدَّ من فقهاء البصرة وأئمّتها، ومن أشراف النّاس الفاقدين للبصر. نقل أحاديث في إثبات فضائل الإمام عليّ عليه السلام، وأنّه صاحب مقام مرموق في ظلّ الدّعوة الإسلاميّة، لا سيّما دوره في نصرتها، فضلاً عمّا تحلّى به من مواقف إيجابيّة وهو يدافع عن النّبيّ محمّد ﷺ، وقد عُدَّت هذه المعلومات مهمّة جدّاً في أيّام عليّ بن زيد بن جدعان؛ نظراً إلى كثرة المناظرات بين الفرق الإسلاميّة والمذاهب والنحل، فقد كان كلّ يُحاول إثبات نحلته، وأنّها على الطريق الصّحيح، وهذا الشّيء كان نتيجة التصارع العقديّ وفق حديث الاختلاف والفرقة النّاجية.

ويتّضح من مرويات ابن جدعان أنّه حاول أن يُقدّم نسقاً من الأفكار المعبرة عن انتمائها لثقافة ذلك العصر، فهو قد عاش في العصر الأمويّ والعبّاسيّ أيضاً، فحاول إثبات بعض الأحاديث والروايات التاريخيّة التي ترفع من قدر أهل البيت عليهم السلام، وفي المقابل تفضح مخالفيهم على أنّهم لا يملكون تلك القيم التي تتناسب مع روح الإسلام، وهذا أمر غاية في الأهميّة؛ إذ يُعطي تصوّراً عن التطوّر المعرفي لبداية تناقل الروايات التاريخيّة وهي تعبّر عن وصفٍ يتناسب مع

ثقافة الراوي أولاً، وانتمائه العقائديّ ثانياً، وهذا واضح فيما رواه عليُّ بن زيد بن جُدعان.

أيضاً، فإنّ روايات عليِّ بن زيد بن جُدعان تكشف عن تأثره بالوسط الفكريّ الذي ينتمي إليه، وأنَّ شأنه شأن غيره في التأثر بما ينقل الآخرون من معلومات تاريخيّة، فيأخذ بها من باب إثبات أحقيّة أهل البيت عليهم السلام دون سواهم، وهذا ما جعله يقع في أخطاء تبناها على أنّها من مصاديق واقع التشيع، لكنّها في الحقيقة جاءت لتعبّر عن أمرٍ مقصودٍ، أو غير ذلك.

Abstract

Ali bin Zaid Al-Basri is known for his strong support of Shiism. He was one of the outstanding religious scholars and imams in Basra, besides his notable personality. He defended Prophet Mohammad and Islamic creed at a time where disputes and debates of Islamic sects and doctrines constituted a distinguished phenomenon. He also recited 'traditions' on the merits of Imam Ali bin abi Taleb.

It is clear from Al-Basri recounting that he had tried to reflect ideas and notions pertinent to the culture of that age. He, for instance, lived during the Umayyad and Abbasid's eras, and so he tried to verify and corroborate historical recitations and stories that promoted the status of Ahl Al-Bayt. He further stood against those who opposed Ahl Al-Bayt asserting that they lacked the values of the spirit of Islam. Al-Basri was influenced by the intellectual

milieu around him and also the way historical information was transferred at the time. He therefore committed some mistakes owing to his convictions and interpretations.

المقدمة

لا شكّ في أنّ الدّراسة في محور الشخصيّات التاريخيّة التي عاشت في القرون الإسلاميّة الأولى لها أهميّة كبيرة في إغناء الفكر الإسلاميّ من خلال البحث والتّشخيص لمعالم الفكر التي أسهمت فيها تلك الشخصيّات، مع الاطلاع على واقعهم الثقافيّ والفكريّ، ومنه يمكن تشخيص حجم الأثر الفكريّ الذي صدر عنهم، أو حاولوا توثيقه، أو الترويج له على أنّه الطريق الأمثل في الاتّباع أو التسليم به، لا سيّما في مجال التشريع الإسلاميّ، فضلاً عن أنّ دراسة الشخصيّة لها سمه أخرى، وهي تشخيص حجمها الفكريّ والأدبيّ في التاريخ الإسلاميّ، وهل كان معطاء في مسيرته العلميّة أو غير ذلك، وهذا الأمر له مردود إيجابيّ من باب تحديث المعلومات التاريخيّة، فالعديد من رجال التاريخ بهم حاجة إلى دراسة وتشخيص دورهم الذي أدّوه في زمانهم، ومن هذا المنطلق جاء التركيز على شخصيّة مهمّة من علماء الشيعة الذين عاشوا في البصرة، وهو (عليّ بن زيد بن جُدعان)؛ إذ إنّّه معروف بتشيعه، بل اتّهمه المخالف وضعف قيمته الفكريّة بسبب التشيع، وهذا الأمر كثيراً ما نجده في الكتب الرّجاليّة؛ إذ يشنّون بكلماتهم غير المنصفة كلّ من ثبت تشيعه، وهذا الأمر ربّما أوقع البعض في أخطاء في الحكم على الرّواة أو غيرهم من باب تضعيفهم في كتب الرّجال.

فجاء هذا البحث ليرصد الدور الفكري لعلّي بن زيد بن جُدعان في إبراز أحاديث التشيع، سواء كان ذلك في فضائل الإمام عليّ (عليه السلام)، أو ذكر السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام)، مع تقديم قراءة تاريخية وفكرية لكلّ حديث جاء عن ابن جُدعان بوصفه قد عاش مرحلةً مثلّت بداية تطوّر الفكر الإسلاميّ بصورة عامّة، والرّواية التاريخية بصورة خاصّة؛ إذ إنّها تُعطي نوعاً من التنافس بين الفرق الإسلاميّة في توثيق الأحاديث النبويّة الشريفة، وهذا ما جعل الرواي الذي نحن بصددّه يركّز على نقل مجموعة من أحاديث التشيع، في محاولة لتأكيد عمق فكرة التشيع وسط تزاخم الآراء والاختلافات المذهبيّة والعقديّة مع نهاية القرن الأوّل الهجريّ/ السّابع الميلاديّ. وسوف يقسّم البحث على أربعة محاور حسب طبيعة المادّة التاريخيّة التي جاءت من طرفه-أي: ابن جُدعان- فالمحور الأوّل يهتم بدراسة سيرة عليّ بن زيد بن جُدعان، أمّا المحور الثاني، فركّز على مروياته بحق الإمام عليّ (عليه السلام)، والمحور الثالث جاء فيه روايته بحق الإمام الحسن (عليه السلام)، أمّا المحور الرّابع، فكان يهتم بمرويات عن الإمام الحسين (عليه السلام)، ليكون موضوع البحث متناسقاً مع مادّته التاريخيّة، ومن الله التوفيق.

أولاً: سيرته الشخصيّة

هو عليّ بن زيد بن جُدعان، أبو الحسن، القرشيّ، الأعمى، التيميّ، روى عن أنس بن مالك، وأبي عثمان النهديّ، وأبي نضرة، وأوس بن خالد، روى عنه العديد من الرّواة، نذكر منهم: شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)، وسفيان بن سعيد بن مسروق، الثوريّ (ت ١٦١هـ)، وحمّاد بن سلمة، وحمّاد بن زيد^(١). عُدّ

من فقهاء البصرة وأئمتّها، ومن أشرف النّاس الفاقيدي البصر^(٢)، بل قيل: إنّ ولد أعمى^(٣)، وعدّ أحد علماء الشّيعه^(٤)، وقيل عنه: كان يتشيع ولا بأس به^(٥)، وقيل: ليس بذلك القوي^(٦)، ومّن نسب إلى الرّفص من أهل البصرة^(٧)، وأنّه كان يرفع الحديث^(٨). اختلف في سنة وفاته، فهناك من جعلها سنة (١٢٩هـ)^(٩)، والبعض جعلها سنة (١٣١هـ/ ٧٤٨م)^(١٠).

وقيل في حقّه: إنّ كان شيخاً جليلاً، وكان يهّم في الأخبار ويخطّي في الآثار، حتّى كثر ذلك في أخباره، وتبيّن فيها المناكير التي يرويها عن المشاهير، فاستحقّ ترك الاحتجاج به^(١١).

والظّاهر أنّ هذا التّجريح بحقّ عليّ بن زيد بن جُدعان جاء وفق شهادة بعض رجال الحديث الذين قالوا في حقّه: إنّ يروي المناكير من الأحاديث الشّريفة، وأيضاً يروي أحاديث بالمعنى وليس كما سمعها من قائلها^(١٢)، على أثر ذلك، قيل: إنّ يهّم بالأخبار ويخطّي بالآثار، في حين جعله الذهبيّ صالح الحديث^(١٣). وفي رواية تاريخيّة تبيّن مدى الاختلاف في شأن الوقوف على توثيق عليّ بن زيد بن جُدعان، جاء فيها: «قال أبو سلمة -موسى بن إسماعيل-: قلتُ لحُمّاد بن سلمة: زعم وهيب أنّ عليّ بن زيد كان لا يحفظ. قال: ومن أين كان وهيب يقدر على مجالسة عليّ، إنّما كان يجالسه وجوه النّاس»^(١٤). فوهيب هذا كان حائكاً^(١٥)، وبما أنّ عليّ بن زيد لا يجالسه فاتّهمه بعدم الحفظ، وأيضاً اتّهم كلّ من حدّث عن عليّ! لسبب عدم مجالسته، ولو جالسه لاختلف التوثيق حينها.

والمستفاد من الأقوال في حقّه أنّه كان مشهوراً بالعلم والصّلاح، فقد عدّ من أوعية العلم في مدينة البصرة، ففي رواية أنّه لما مات الحسن البصريّ^(١٦)، فقيه

أهل البصرة في أوانه، قيل لعلّي بن زيد بن جُدعان عليك أن تجلس محلّ الحسن البصري^(١٧)، وهذا يعني أنّه ربّما تصدّى للفتوى مكان الحسن البصري، وأيضاً يُستفاد من القول المتقدم أنّه فاق أقرانه في الجانب الفقهي، أو على درجة عالية منه.

أمّا العصر الذي عاش فيه عليّ بن زيد بن جُدعان، فهو الثلث الأوّل من القرن الثاني من الهجرة، وهذه المدة الزمنية شهدت سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، ولم يكن للأخيرة شأنٌ في تغيير أفكار عليّ بن زيد بن جُدعان، على اعتبار أنّه توفي عام (١٢٩ أو ١٣١ هـ)، ومن ثمّ تكون مواقفه أو ما نقله من أفكار جاءت مع أفق الدولة الأموية، لكنّه خالفها فيما تنبّاه من روايات اهتمّت بتفضيل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا يعكس صورة عليّ بن زيد بن جُدعان الذائبة في الفكر الشيعي؛ إذ أنّه عاش في زمان بني أمية، الذين كان شعارهم ضدّ الفكر الشيعي، بل عدّه فكراً منحرفاً عن الدّين الإسلاميّ، فراحوا يشوّهون الحقائق ويجعلونها مرفوضة بفكر الفرق الإسلامية، مع الإصرار على قهر الشيعة وإذلالهم، بل روجت لثقافة عدم قبول شهادة من ينتمي لمذهب الشيع، وهذا الأمر انطبق على عليّ بن زيد بن جُدعان، فقد رفض روايته بعض من كتب في الرجال أو الجرح والتعديل، على الرّغم من أنّهم ألفوا كتبهم أيام حكم الدولة العباسية، إلا إنّ فكر الدولة بقي منحرفاً عن مذهب الإمامية، وعدّوه مذهباً منحرفاً عن سلطة الدولة الإسلامية، فجرّحوه لأنّه شيعي، أو كما قالوا: «كان يتشيع»^(١٨). وهذا القول لديهم يثبتونه في حقّ من هو شيعي على أنّه ليس ممن يُستحسن حديثه بسبب ذلك، وهو أمرٌ يوحى للقارئ بأنّهم نظروا إلى من تشيع

متَّهم بتشيُّعه.

وهناك رواية تبين أنَّه كان يُجالس محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهريّ (ت ١٢٤هـ) فقيه البلاط الأمويّ^(١٩)، وجاء في الرواية أنَّ الحديث دار بشأن الطَّيب على اعتبار أنَّ عليّ بن زيد بن جدعان كان يحبُّ ذلك^(٢٠)، ومن ثمَّ لا يمكن ترتيب أثر آخر على الرواية من أنَّ عليّ بن زيد كان يتقرَّب إلى رجال السُّلطة الأمويَّة أو يرغب بالحصول على درجة من القرابة لديهم.

ثانياً: مروياته بشأن الإمام عليّ عليه السلام

جاءت بعض الروايات التاريخية من طريق عليّ بن زيد بن جدعان، وهي تعكس صورة واقعيَّة لقيمة أهل البيت عليه السلام، وبالأخصَّ ما تحلَّى به أمير المؤمنين عليه السلام من أهميَّة بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أولاً، ونصر الإسلام ثانياً، وهذا الأمر له مردود مهمٌّ بالنسبة إلى المرويات التي رواها عليّ بن زيد بن جدعان؛ إذ إنَّها جاءت لتوثق أحداث التاريخ الإسلامي مع التركيز على دور الإمام عليّ عليه السلام في مواجهة التحديات والخطر الذي طرق الإسلام والمسلمين، فضلاً عن ذلك إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينظر إليه على أنَّه الامتداد المثالي للنبوَّة ويأمر الله صلى الله عليه وآله، وهذا شيء واضح فيما رواه عليّ بن زيد بن جدعان، فقد قدَّم مادَّة تاريخيَّة تدلُّ على تلك الأهميَّة، ففي رواية أنَّه سمع سعيد بن المسيَّب^(٢١) يقول: «حدَّثني سعد بن أبي وقاص^(٢٢) أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج إلى تبوك^(٢٣) استخلف علينا إلى المدينة عليّ بن أبي طالب، فقال: يا رسول الله، ما كنتُ أحبُّ أن تخرج وجهاً إلَّا وأنا معك، فقال: أمَّا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى،

غير أنه لا نبيَّ بعدي»^(٢٤).

ففي هذه الرواية التي ركزت على حديث المنزلة التي تمتع بها أمير المؤمنين عليه السلام أنها منزلة هارون من أخيه موسى عليه السلام، وهو تأكيد على قيمة هارون من أخيه النبي موسى عليه السلام، ومن ثم انتقلت هذه القيمة زمن النبي محمد عليه السلام إلى الإمام علي عليه السلام، إنها فكرة تؤصل للمشايعة والمتابعة التي يُنظر لقيمتها من خلال تدرجها على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، القصد منها إشاعة ثقافة المناصرة والمتابعة، وأيضاً يمكن أن تُقرأ رواية علي بن زيد بن جُدعان من باب آخر، ألا وهو الإخلاص من جانب الإمام علي عليه السلام وذوبانه في نصرة الدين الإسلامي ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وهذه الفكرة تجسدت في إخلاص هارون لأخيه النبي موسى عليه السلام، فقد جاءت بهذا الشأن بعض الأخبار التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢٥). وفي آية أخرى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾^(٢٦). وفي قوله تعالى -أيضاً-: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾^(٢٧).

فقول الله تعالى فيه صورة فكرية واضحة؛ إذ إن اختيار هارون جاء من باب حاجة النبوة للمؤازرة وتقديم الجهد للنصح في أمرها، ومخالفة هوى المفسدين وكل من بغى بالإسلام سوءاً، وأيضاً فيها تعبير عن الرحمة الإلهية المقدرة لنجاح النبوة، وهذا الأمر تجسّد في مواقف الإمام علي عليه السلام عندما قدّم كل قواه لردع الشُّرك والمنافقين، بل كان مستعداً للموت من أجل نجاح النبي محمد صلى الله عليه وآله في الدعوة الإسلامية، وأوّل موقف تجسّد في توضيحته بنفسه عندما بات على فراش

رسول الله ﷺ، وكاد مشركو قريش أن يقتلوا الإمام علياً عليه السلام^(٢٨)، وهكذا نجده يضحي في معركة بدر الكبرى، ومعركة أحد، ومعركة الخندق التي جسد فيها أروع صورة لنصرة الدين الإسلامي^(٢٩)، فهذه الأحداث تدل على النصرة والتضحية الكبيرة من أجل نصرة الدين الإسلامي، وهو أمر أقدم عليه هارون عليه السلام لنصرة النبوة أيضاً.

فالرواية التي نقلها علي بن زيد بن جدعان فيها تأكيد على المشايعة والمناصرة، وهذا الأمر يكشف عن توجهه الفكري للتأكيد على الرواية أعلاه، كأنه حاول إثبات أهمية التشيع وفق ما تذوقه هو لدور الإمام علي عليه السلام في دفاعه عن الدين الإسلامي، مع محاربته المفسدين، وهذا يعني أن كل من حارب الإمام علي عليه السلام هو فاسد وخارج عن عقيدة التشيع والدين الإسلامي وعليه وزره إلى يوم القيامة^(٣٠)، وهذا الأمر يتفق مع توجه الشيعة في القرن الأول والثاني من الهجرة/ السابع والثامن من الميلاد، ففي تلك المدة الزمنية كان التكفير والتطرف والغلو شائعاً بين الفرق الإسلامية، فكل جماعة كانت تحاول أن تنفي عنها فكرة الضلالة وما شابهها في مسألة العقيدة، ولكي يثبتوا أحقيتهم أو نفي التهم عنهم راحوا يسندون عقائدهم بأحاديث وأفعال تنزههم وترفع من قدرهم بنظر الآخر، فضلاً عن قولهم في أي الصحابة أفضل بعد رسول الله ﷺ^(٣١).

وفي موضع آخر يروي عبد الرزاق الصنعاني الرواية بصورة أخرى مختلفة عن الأولى؛ إذ جاء فيها أن علي بن زيد بن جدعان رواها عن ابن المسيب الذي قال: حدثني ابن لسعد بن أبي وقاص حديثاً عن أبيه، قال: فدخلت على سعد، فقلت: حدثنا حديثاً عنك حدثته حين استخلف النبي صلى الله عليه وسلم علياً

على المدينة، قال: فغضب سعد، فقال: مَنْ حَدَّثَكَ به؟ فكرهْتُ أَنْ أُخبرَ بابه
فيغضب عليه، ثم قال: إِنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خرج في غزوة تبوك
فاستخلف عليّاً على المدينة...»^(٣٢).

والظاهر على هذه الرواية التاريخية التستر من قبل سعد بن أبي وقاص على
رواية هذا الخبر، ويبدو أنّه كان متحفّظاً كثيراً بشأنه، كأنّه يخشى أن يُنسب إليه
قول مثل هذه الأخبار لا سيّما من طرف أبنائه؛ إذ الرواية أعلاه جاء فيها أن سعيد
بن المسيّب رواها عن ابنٍ لسعد بن أبي وقاص، وكان يخشى ذكر ابن سعد^(٣٣)
على أنّه المحدث بهذا الخبر! والمثير في هذا الأمر أن التكتّم على الخبر جاء بصورة
تُظهر التحفّظ من باب الخوف وخشية الآخرين، وربّما من السّلطة السّياسيّة
الحاكمة، وهذا يُعطي مظهراً آخر لمسار الثقافة الإسلاميّة وكيفيّة تناقل الأخبار
أو التستر عليها، وهذا الأمر يتحقّق كثيراً مع أيّام حكم معاوية بن أبي سفيان،
الذي منع انتشار الحديث بحق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^(٣٤)، وأيضاً مصادرة حقّ
الشّيعّة في نقل تلك الأخبار على أنّها غير مرّحّب بها وفق ثقافة الدّولة الأمويّة.

ويروي عليّ بن زيد عن سعيد بن المسيّب أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللَّهُمَّ
اجْعَلْ لي وزيراً من أهل السّماء، ووزيراً من أهل الأرض. فأوحى الله تعالى إليه:
إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ وزيرَكَ من أهل السّماء جبرئيل، ووزيرَكَ من أهل الأرض عليّ بن
أبي طالب عليه السلام»^(٣٥). فروايته جاءت لتركّز على أنّ الله تعالى هو مَنْ اختار الإمام
عليّاً عليه السلام لمؤازرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أمرٌ فيه صورة فكريّة تستقرئ مكانة الإمام
عليّ عليه السلام عند الله تعالى، ووفق ذلك فأهل الأرض ملزمين باتّباع منهجه والاقتداء
به، طالما عناية السّماء تلتفّ به.

وجاءت رواية عنه تبين مكانة الإمام عليّ عليه السلام في تهديم الشّرك والقضاء عليه في مكّة، والرواية فيها تأكيد على إعداد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمساندة رسول الله ﷺ من الله تعالى ورسوله، وهذا غاية في اللطف الإلهي، فالرواية تصوّر المكانة أو الدرّجة التي حصل عليها الإمام عليّ عليه السلام من الله تعالى، فقد روى ابن جُدعان عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة الدّوسي أنّه قال: «قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب يوم فتح مكّة: «أما ترى هذا الصّنم بأعلى الكعبة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأحملك فتناوله، فقال: بل أنا أحملك يا رسول الله، فقال ﷺ: والله لو أنّ ربيعة ومضر جاهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حيّ ما قدروا، ولكن كفّ يا عليّ، فضرب رسول الله ﷺ بيده إلى ساقّي عليّ فوق القُرْنُوس، ثمّ اقتلعه من الأرض بيده، فرفعه حتّى تبين بياض إبطيه، ثمّ قال له: ما ترى يا عليّ؟ قال: أرى أنّ الله عزّو جلّ قد شرفني بك حتّى آتي لو أردت أن أمسّ السماء لمسستها، فقال له: تناول الصّنم يا عليّ! فتناوله ثمّ رمى به، ثمّ خرج رسول الله ﷺ من تحت عليّ وترك رجله، فسقط على الأرض، فصحك، فقال له: ما أضحكك يا عليّ؟ فقال: سقطت من أعلى الكعبة فما أصابني شيء، فقال رسول الله ﷺ: وكيف يُصيبك شيء وإنّا حملك محمد، وأنزلك جبريل عليه السلام» (٣٦).

والملاحظ على الرواية أنّها جاءت كمحاولة بيّنت قوّة رسول الله ﷺ؛ إذ إنّ أخبر الإمام عليّاً عليه السلام بعدم قدرته على حمل رسول الله، بل لو اجتمعت قبيلتان لم يستطيعوا حمل النّبي ﷺ لثقله، والظاهر من الأمر أنّ الثّقل هنا يراد منه ثقل النّبوة، وليس ثقل البدن؛ لأنّ ذلك مخالف للعادة البشريّة، ومن ثمّ فالرواية جاءت قاصدة لثقل النّبوة، وليس جسد رسول الله ﷺ، وهو حيّ، وربّما الرواة

الذين نقلوا هذا الخبر كانوا يقصدون من ذلك الثقل هو جسد رسول الله ﷺ؛ إذ إنَّ العرب كانت تبالغ كثيراً بوصف النبوة وغير النبوة، فكل شيء لديهم يعطونه صورة قريبة من الأسطورة، فيبالغون كثيراً في نقل الأخبار التاريخية^(٣٧).

وروى علي بن زيد بن جُدعان حديث غدير خم^(٣٨) عن بعض الصحابة، وعده الأميني من تابعي البصرة الذين رووا الحديث^(٣٩)، وذكر ذلك -أيضاً- في العديد من المصادر والمصنّفات، فقد رواه عن عدي بن ثابت^(٤٠) عن البراء بن عازب^(٤١)، قال: «لما نزل رسول الله ﷺ بغدير خم أمرهم فكنسوا له بين نخلتين، ثم اجتمع الناس إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أَلَسْتُ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قالوا: بلى، قال: فأخذ بعصاة عليّ، وأقامه إلى جنبه، ثم قال: هذا وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَاللّٰهُ مَعَهُ وَاللّٰهُ مَعَهُ عَادَى مَنْ عَادَى إِلَيْهِ عَمْرٍ، فقال: لِيَهْنُوكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ، أَوْ قَالَ: أُمْسَيْتَ وَلِيَّ كُلِّ مُسْلِمٍ»^(٤٢).

وذكرت روايته -أيضاً- لدى البلاذري باختلاف بعض الألفاظ، فقد جاء لديه: «عن علي بن زيد بن جُدعان، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: لما أقبلنا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ، فَكُنَّا بِغَدِيرِ خَمٍّ، نُوْدِي أَنْ الصَّلَاةَ جَامِعَةً، وَكُسِحَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَوَلَسْتُ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قالوا: بلى. قال: أَوَلَيْسَ أَزْوَاجِي أُمَّهَاتِهِمْ؟ قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللهِ، فقال: هَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مُوَلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»^(٤٣).

وورد ذكرها عند ابن عساكر، وهي كالاتي: عن علي بن زيد بن جُدعان، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ

عليه وسلّم) في حجة الوداع، فكُسح لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) تحت شجرتين، ونُودي في الناس: إن الصلاة جامعة، فدعا عليّاً وأخذ بيده، فأقامه عن يمينه، فقال: ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألسْتُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه، قالوا: بلى، وفي أحد الحديثين: أليس أزواجي أمّهاتكم، قالوا: بلى، قال: هذا وليّ وأنا مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه، فقال له عمر: هنيئاً لك يا عليّ أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ»^(٤٤).

فهذه النصوص التاريخية التي رواها البعض من طرف عليّ بن زيد بن جُدعان وهو بدوره أسندها إلى مَنْ سبقه من التابعين والصّحابة، تدلّ على إصراره في توثيق خبر حادثة الغدير، وهو أمر ثابت لدى أغلب المسلمين، وعلى رأسهم الشيعة، وفي هذه النصوص تتضح الصّورة التاريخية لتلك الحادثة من خلال تأكيد رسول الله ﷺ على موالاته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بل النبيّ يُلزم الجميع في ذلك الغدير على اتباع الإمام عليّ عليه السلام ونصرته، دون أدنى شكّ، ومن عادى الإمام عليّاً عليه السلام، فهو معادٍ لرسول الله ﷺ، والملاحظ على هذه الرواية أنّ رسول الله ﷺ ذكر أنّ هناك مَنْ يعادي الإمام عليّاً عليه السلام، وهو أمرٌ يدلّ على وقوع العداوة من طرف البعض تجاه الإمام عليّ عليه السلام، فكان ردُّ الرسول ﷺ على أولئك المعادين لأمير المؤمنين عليه السلام ظاهراً أمام الجميع، بل يلزمهم التزام المسالمة والسمع والطاعة للإمام عليّ عليه السلام، ونتيجة لذلك نقل عليّ بن زيد بن جُدعان حديثاً آخر يؤكّد أهميّة إطاعة الإمام عليّ عليه السلام، جاء فيه: «عن سعيد بن المسيّب عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْأَمْنَ وَالْإِيْمَانَ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فِي حَيَاتِي

وبعد موتي مات ميتةً جاهليّةً وحُسبَ بها عملٌ»^(٤٥). فالحديث يؤكّد أنّ بعض المسلمين من الصّحابة أو غيرهم كانوا يُبغضون الإمام عليّاً عليه السلام لا لشيءٍ إلّا لمكانته في نصرته الدّين الإسلاميّ، وما تحلّى به من دورٍ رياديٍّ وقياديٍّ في تحجيم المشركين والقضاء على ديانتهم في مكّة.

ثالثاً: مروياته بشأن الإمام الحسن عليه السلام

لقد جاءت رواية عن عليّ بن زيد بن جُدعان بشأن الإمام الحسن عليه السلام، وهذه الرواية تبين كرم وسخاء الإمام، وكيف كان يتعامل مع أصحاب الحاجة أو من نزلت به فاقة، جاء فيها قوله: «حجّ الحسن بن عليّ خمس عشرة مرّة ماشياً، وإنّ النّجائب لتفادّ معه، وخرج من ماله لله مرّتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرّات، حتّى أن كان يُعطي نعلًا ويُمسك نعلًا، ويُعطي خفًا ويُمسك خفًا»^(٤٦). فهذه الرواية التي نقلها عليّ بن زيد بن جُدعان جاءت لتؤكد أنّ الإمام المعصوم هو من يتمتّع بتلك الأخلاق الرّائعة، فهو سمحٌ معطاء، يبذل أمواله في سبيل الله تعالى، بل يسعى لمساعدة الآخرين قدر المستطاع، فيقاسمهم كلّ شيء حتّى النعل.

فضلاً عن أنّ الرواية جاءت لتحكي واقع الإسلام وما آل إليه شأن الدولة الإسلاميّة أيام حكم معاوية بن أبي سفيان، ففيها نوع من التأكيد على صفات خليفة المسلمين من أنّه ينبغي أن يتحلّى بروح الحرص على مال الله تعالى، وأن يبذله في سبيله، وبالصّورة التي يتحقّق معها العدل والإنصاف، بينما هذا الشيء حقّقه الإمام الحسن عليه السلام، إلّا أنّه لم يتحقّق عند معاوية بن أبي سفيان على

اعتباره حاكم الدولة الإسلامية؛ إذ كلّ ما فعله هو بذل الأموال في غير محلّها، فمثلاً يُسرف الأموال على شراء ذمم الرّجال لنصرته وتأكيد ملكه^(٤٧)، وأيضاً الإسراف في الأكل حدّ التّخمة^(٤٨)، بينما هناك الآلاف من المسلمين المحرومين الذين كانوا يتوقون إلى كسرة الخبز، والسّبب سياسة الحرمان التي اتّبعها معاوية تُجاه العامّة من النّاس لا سيّما من ناصر الإمام عليّاً عليه السلام، ومن ثمّ فهذه الرّواية التي نقلها عليّ بن زيد تُعدّ في قمّة المعرفة التاريخية لذلك الزّمن الذي شاع فيه تسلّط القوى غير الشرعيّة التي تحكّمت بمصير الإسلام والمسلمين، وأخذت على عاتقها التشريع وفق رأيها، ليسودّ الباطل ويُقصي العدل والأمر بالمعروف.

رابعاً: مروياته بشأن الإمام الحسين عليه السلام

نُقلت بعض الروايات عن عليّ بن زيد بن جُدعان بشأن الإمام الحسين عليه السلام، وهذه الروايات تبين منزلة الإمام عليه السلام، وما تمتّع به من مكانة مرموقة في ظلّ الدّين الإسلاميّ، ففي الرّواية عن عليّ بن زيد بن جُدعان، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «أقبلنا مع الحسين بن عليّ، فكان قلماً نزلنا منزلاً إلّا حدّثنا حديث يحيى بن زكريّا حيث قُتل، قال: كان ملكٌ من هذه الملوك مات وترك امرأته وابنته، فورث ملكه أخوه، فأراد أن يتزوَّج امرأة أخيه، فاستشار يحيى بن زكريّا -النّبيّ عليه السلام- في ذلك، وكانت الملوك في ذلك الزّمان يعملون بأمر الأنبياء، فقال له لا تزوّجها، فإنّها بغيّ، فعرفت المرأة أنّه قد ذكرها وصرّفه عنها، فقالت: من أين هذا؟ حتّى بلغها أنّه من قبل يحيى، فقالت: ليقتلنّ يحيى أو ليُخرجنّ من ملكه، فعمدت إلى بنتها، فصنعتها، ثمّ قالت: اذهبي إلى عمّك عند الملاء،

فإنه إذا رآك سيدعوك ويُجلسك في حجره، ويقول: سليني ما شئت، فإنك لن تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فإذا قال لك قولي: لا أسأل شيئاً إلا رأس يحيى، قال: وكانت الملوك إذا تكلم أحدهم بشيء على رؤوس الملأ ثم لم يمض له نزع من ملكه، ففعلت ذلك، قال: فجعل يأتيه الموت من قتله يحيى، وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه، فاختر ملكه، فقتله، قال: فساخت بأمرها الأرض»^(٤٩).

فهذه الرواية توثق لمرحلة الإعداد الروحي والاستعداد من أجل الدِّفاع عن الدين الإسلامي ومحاربة النفاق والبدع بأنواعها المختلفة، وفيها -أيضاً- صورة لواقع الأمور التي شرعها يزيد بن معاوية؛ إذ إنه عمل على استباحة حرمة دين الله تعالى، والإمام عليه السلام ملزم بالدِّفاع عن الدين، وأيضاً كل مسلم ملزم بذلك، فضلاً عن ذلك، فإن الرواية فيها معنى للالتزام بالتشريع الإسلامي والمحافظة عليه، وعدم الانجرار وراء أصحاب السيادة والسلطان الذين يمتطون الأعمال المنكرة، فتلزم جميع المسلمين بعدم الانصياع لعمل المنكر أو الخوف من فاعليه. ونقل علي بن زيد بن جُدعان رواية أخرى عن أنس بن مالك، يُخبر فيها عن ساعة إدخال رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد؛ إذ جعل عبيد الله ينكت بقضيب على ثنياه، وقال: «إن كان لحسن الثغر، فقلت -أنس بن مالك: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل موضع قضيبك من فيه»^(٥٠).

وأيضاً روى علي بن زيد بن جُدعان، قال: «استيقظ ابن عباس من نومه، فاسترجع، وقال: قُتل الحسين والله، فقال له أصحابه: كلاً يا ابن عباس كلاً، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه زجاجة من دم، فقال: ألا تعلم ما صنعت أمتي من بعدي، قتلوا ابني الحسين، وهذا دمه ودم أصحابه، أرفعها إلى الله تعالى»، قال:

فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك السّاعة، قال فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتّى جاءهم الخبر بالمدينة أنّه قُتل ذلك اليوم وتلك السّاعة»^(٥١). وهذه الرّواية فيها ميول عبّاسيّة؛ إذ جاءت لتسلّط الضّوء على القيمة المعرفيّة لعبد الله بن عبّاس، وما توصّل إليه من الكرامات التي هي من اختصاص الأنبياء والعباد المخلصين، ومن ثمّ فما نقله عليّ بن زيد بهذا الشّكل يُعطي قيمة للتصوّر الفكريّ والمعرفيّ للرّواية التاريخيّة من قبل الشيعة.

فهذه الأحاديث والرّوايات يتناقضها الشيعة من جيل لآخر، وهي تعكس تلك الصّورة المقدّسة التي يتمتّع بها الإمام الحسين عليه السلام مع ما أقبل عليه من التّضحية بالنفس من أجل الدّين الإسلاميّ. إنّ موضوع التّضحية مهمّ جدّاً في الفكر الإنسانيّ بصورة عامّة، والفكر الشّيعيّ بصورة خاصّة.

فالشيعة المخلصون يعرفون قيمة أهل البيت عليهم السلام حقّ معرفتها، فتناقضوا تلك المعرفة، وأصلّوها لها في الفكر الإسلاميّ، فنصروهم وانتصروا بهم، من خلال العقيدة وعمل المعروف ونبد المنكر، وهذا الأمر أشار إليه عليّ بن زيد بن جُدعان في حديث نقله عن سعيد بن المسيّب عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَ فِيهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَمَنْ قَاتَلَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَكَأَنَّمَا قَاتَلَ مَعَ الدَّجَالِ»^(٥٢).

والظاهر على بعض أفكار عليّ بن زيد بن جُدعان أنّها كانت مخالفة لثقافة السّلطة، أو أنّه يرى أنّها على طريق الخطأ، فراح ينقل بعض الأفكار التي تدينها، أو تخرج عن إطار ثقافتها، فمنّ وجهات نظره السّياسيّة أنّه كان يقول: «لا ينبغي للوالي أن يلي حتّى يكون فيه خمس خصال إنّ أخطئته واحدة لا ينبغي أن يكون

والياً حتّى يجمع المال من قبل وجهه، فإذا جمعه عَفَّ عنه، ثمَّ قسمه في حقّه، ثمَّ يكون شديداً في غير جدّيّة وليّنّاً في غير وهن^(٥٣). وأيضاً كان ملتزماً بما يراه الشيعة صائباً في بعض الأمور العباديّة، ومنها الجهر ببسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقد جاء عن عليّ بن زيد بن جُدعان أنّ العبادلة كانوا يستفتحون القراءة (ببسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، يجهرُونَ بها، وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبير^(٥٤).

الخاتمة

من خلال ما تقدّم، يتّضح أنّ لعليّ بن زيد بن جُدعان دوراً كبيراً في تأصيل وترويج أحاديث استعرضت مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) على أنّه أساس التشيع ومنبعه، ويمكن إجمال ذلك بعدة نقاط، وهي كالآتي:

١- إنّ ما جاء عن عليّ بن زيد بن جُدعان يعكس علاقة مدينة البصرة بنصرة التشيع واحتضانه على أنّه فكر إسلاميٍّ رصينٌ يجسّد مبادئ الدين الأصيل، بعيداً عن التطرّف والغلوّ، ويمكن دراسته من خلال رجاله الذين حافظوا على أفكاره على مستوى مدينة البصرة.

٢- إنّ أحاديثه التي أسندها جاءت لتؤكد على دور الإمام عليّ (عليه السلام) في مؤازرة النبوة / ومحاربة الكفر، وتهديم الأصنام.

٣- أكّد في ما نقله من روايات على تنصيب الإمام عليّ (عليه السلام) إماماً وخليفة للرّسول (صلى الله عليه وآله)، وبشهادة أغلب المسلمين، وعلى رأسهم عمر بن الخطّاب، وهذا يشير إلى وضوح فكرة الإمامة، ووجوب مناصرتها حسب ذلك التبليغ.

٤- إنّ المعلومات التي ذُكرت من طرف عليّ بن زيد تؤكد تقارب دور الإمام عليّ (عليه السلام) من دور النّبيّ هارون (عليه السلام)، وهذا واضح من خلال الروايات التاريخية وعلاقة النبوة والإمامة على أنّهما طريق واحد يسلك إلى الحقّ.

٥- يتّضح من الرّجال الذين درسوا عليّ بن زيد صفته بأنّه متّهم بتشيعه، وهذا راجعٌ إلى حكمهم الخاطئ على عقيدة التشيع؛ إذ وصفوها بصورة غير منصفة، فحاكموا كلّ من تشيع بأنّه مخالف لعقائدهم وأفكارهم الدينيّة، وهذا أمرٌ غير صحيح.

٦- يتّضح من الصّورة الفكريّة التي قدّمها عليّ بن زيد بن جُدعان أنّ الشيعة يعرفون قيمة أهل البيت (عليهم السلام) حقّ معرفتها، فتناقلوا تلك المعرفة، وأصلوا لها في الفكر الإسلاميّ، فنصروهم، وانتصروا بهم، من خلال العقيدة، وعمل المعروف ونبد المنكر.

٧- هناك قيمة تاريخيّة في مرويات عليّ بن زيد بن جُدعان، فهو أشار إلى بعض الأمور المهمّة التي تكشف عن نضج فكريّ لدى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) في تشخيص بعض المدد الزمنيّة، كما هو الحال بالنّسبة إلى قيمة الإمام الحسن (عليه السلام) مقابل إسراف معاوية، وخروجه من المسؤوليّة الدينيّة تجاه أهل الإسلام.

٨- هناك بعض الأمور التي يؤاخذ عليها عليّ بن زيد بن جُدعان كما هو الحال بالنّسبة إلى روايته خبر ابن عباس ورؤيته للنبيّ (صلى الله عليه وآله)، وأنّه أخبر أهل المدينة بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام)؛ إذ مثل تلك الأخبار يغلب عليها الميول العباسيّة؛ إذ تعظّم من منزلتهم من خلال إثبات تلك العلاقة، ما تُعدّ وسيلةً لكسب أنصار أهل البيت (عليهم السلام)، ومع ذلك فهي تعطي قيمة معرفيّة تجاه تطوّر الرواية التاريخيّة التي أصبحت أسيرة السّلطة الحاكمة، أو الثقافة المقصودة في بيئتها المعرفيّة. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطيّين الطاهرين.

الهوامش

- ١- ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل: ١٨٦/٦.
- ٢- خليفة بن خياط، العصفري، تاريخ خليفة، تحقيق: سهيل زكار: ص ١٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ١/ ٥١٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ص ١٧٦.
- ٣- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري: ٤١/ ٤٩٠.
- ٤- الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد سيّد: ١/ ١٧٠.
- ٥- العجلي، معرفة الثقات: ٢/ ١٥٤؛ ويُنظر: محمد جعفر الطوسي، رجال الشيعة في أسانيد السّنة: ص ٢٨٦.
- ٦- ابن معين، تاريخ يحيى بن معين، تحقيق: عبد الله أحمد حسن: ص ١٤١.
- ٧- الطبري، محمد بن جرير بن رستم، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، تحقيق: أحمد المحمودي: ص ٢٠٨.
- ٨- العقيلي، الضّعفاء، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي: ٣/ ٢٢٩.
- ٩- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٥٠٢.
- ١٠- الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق: عليّ محمد البجّاوي: ٣/ ١٢٩؛ الصّفي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركبي مصطفى: ٢١/ ٨٢.
- ١١- ابن حبان، المجروحين من المحدثين والضّعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد: ٢/ ١٠٣.
- ١٢- ابن حبان، المجروحين من المحدثين والضّعفاء: ٢/ ١٠٤.
- ١٣- الذهبي، المغني في الضّعفاء: ٢/ ٨٥.
- ١٤- عبد الله بن عدي، الكامل في الضّعفاء، قراءة وتدقيق: يحيى مختار غزاوي: ٥/ ١٩٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٤٩٣؛ المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار

عواد معروف : ٤٤٢/٢٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ١٢٧.

١٥- المزي، تهذيب الكمال: ٤٤٢/٢٠.

١٦- يُنظر: علاء حسن مردان السبتي، الفقهاء ودورهم السياسي في الدولة الأموية الحسن البصري أنموذجاً (مجلة دراسات البصرة، العدد الخامس، السنة الثامنة لعام ٢٠١٣م): ص ١٦٧ وما بعدها.

١٧- الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١/ ١٤١.

١٨- العجلي، معرفة الثقات: ٢/ ١٥٤.

١٩- للتفصيل يُنظر: حسين غيب غلامي، محو السنة أو تدوينها: ص ٩٤-٩٧.

٢٠- المزي، تهذيب الكمال: ٤٤٢/٢٠.

٢١- هو سعيد بن المسيب، أبو محمد القرشي، المخزومي، ولد بالمدينة سنة ثلاث عشرة، وقيل: خمس عشرة من الهجرة، عد من التابعين ممن جمع بين الحديث والفقه، وكان ممن تُقبل مراسيله في الحديث لدى أبناء العامة. رفض قبول عطاء الدولة الأموية ويرى سوء سيرتهم، فلما عقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان بالعهد، أبى سعيد ذلك، فضر به هشام بن إسماعيل المخزومي عامل المدينة ستين سوطاً، وألبسه تَبَاناً من شعر وأمر به، فطيف به ثم سُجِن، توفي سنة (٩٤هـ). ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ١١٩؛ ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة: ص ٤٣٧.

٢٢- سعد بن أبي وقاص: واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي، الزُهري، أسلم قديماً، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، ولأه عمر بن الخطاب قتال فارس، ففتح مدائن كسرى، والقادسية، نزل الكوفة وجعلها خطأ لقبائل العرب، ووليها لعمر، فشكاه أهلها فعزله، وأعادته عثمان فولياها يسيراً، ثم عزله بالوليد ابن عقبة، فعاد إلى المدينة، فأقام بها، ثم فَقَدَ بصره، وكان سعد أحد السَّنة الذين رَشَّحهم عمر للخلافة بعده، ولما بويع الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالخلافة، تخلَّف عن بيعته، ولم يشهد الجمل وصفين، وقيل: إنَّه امتنع عن سب الإمام عليّ عليه السلام عندما طلب معاوية منه ذلك، معترفاً بفضل الإمام عليه السلام، مات سعد في قصره بالعقيق - على عشرة أميال من المدينة - ومُهل إليها وذلك في سنة (٥٥هـ). ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣/ ١٣٧؛ خير الدين الزركلي، الأعلام: ٣/ ٨٧.

٢٣- تبوك: موضع بين وادي القرى والشّام، وقيل: بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وهو حصن به عين ونخل وحائط يُنسب إلى النّبي ﷺ، ويقال: إنّ أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام، كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم، وتبوك هي آخر غزوة من غزوات النّبي ﷺ سنة (٩هـ) لم يكن فيها قتال. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١٤/٢.

٢٤- عبد الرزاق الصنعاني، المصنّف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي: ٤٠٥/٥.

٢٥- سورة الأعراف، الآية: (١٤٢).

٢٦- سورة مريم، الآية: (٥٣).

٢٧- سورة طه، الآيات: (٢٩-٣٤).

٢٨- يُروى أنّ عبد الله بن الكوّاء -وهو من رؤوس الخوارج- قال لأمر المؤمنين: (أين كنت حيث ذكر الله تعالى نبيّه وأبا بكر، فقال: ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويليّك يا ابن الكوّاء كنت على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد طرح عليّ ريطته، فأقبلت قريش مع كلّ رجل منهم هراوة فيها شوكة، فلم يبصروا رسول الله حيث خرج، فأقبلوا عليّ يضربونني بما في أيديهم حتّى تنفط جسدي وصار مثل البيض، ثم انطلقوا بي يُريدون قتلي، فقال بعضهم: لا تقتلوه اللّيلة ولكن أخرجوه واطلبوا محمّداً، قال: فأوثقوني بالحديد وجعلوني في بيتٍ واستوثقوا مني ومن الباب بقفل، فبينا أنا كذلك؛ إذ سمعتُ صوتاً من جانب البيت يقول: يا عليّ، فسكن الوجع الذي كنتُ أجده، وذهب الورم الذي كان في جسدي، ثم سمعتُ صوتاً آخر يقول: يا عليّ، فإذا الحديد الذي في رجلي قد تقطّع، ثم سمعتُ صوتاً آخر يقول: يا عليّ، فإذا الباب قد تساقط ما عليه، وفتح، فقمّتُ وخرجتُ، وقد كانوا جاؤوا بعجوز كمهاء لا تبصر ولا تنام تحرس الباب، فخرجت عليها، فإذا هي لا تعقل من التّوم). الشّريف الرضي، خصائص الأئمّة، تحقيق: محمد هادي الأميني: ص ٥٨.

٢٩- للتفصيل يُنظر: الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس: ١/٤٧٠؛ ابن سعد،

الطبقات الكبرى: ٦٨/٢.

٣٠- المفيد، أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاري: ص ٤٢.

٣١- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/١١١.

٣٢- المصنّف: ١١/٢٢٦.

٣٣- هناك رواية ذكرت أنّ سعيد بن المسيّب حدّث عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص حديث المنزلة. للتفصيل يُنظر: محمّد بن سليمان الكوفي (ت حوالي ٣٠٠هـ)، مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي: ١/ ٥١٣. وأبناء سعد بن أبي وقّاص عشرة كما ذكرهم البعض، وهم: محمّد، وعامر، وعمرو، وعمر، وعمر، ومصعب، وإبراهيم، ويحيى، وإسماعيل، وعبد الرحمن. ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١٦٧/٥ - ١٧٠.

٣٤- جاء في رواية أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة عليّ (عليه السلام)، فاستعمل عليهم زياد بن سمّية، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيام عليّ (عليه السلام)، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدّر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطرفهم، وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم: ١١/ ٤٤.

٣٥- ابن شاذان، مئة منقبة: ص ١٤٥.

٣٦- ابن المغازلي، مناقب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): ص ١٣٥.

٣٧- يروى أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) عندما كان متواجداً في مدينة البصرة، طرد القصاصين من مسجدها؛ إذ إنهم كانوا يستغلّون إقبال النّاس وتواجدهم فيها، فحاكوا بعض القصص الأسطوريّة والبعيدة عن الصّحّة، لاسيّما التي تتعلّق بحياة الأنبياء، فيروى أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) بلغه ما يقوله القصاصون في قصّة أوريا، فقال: (مَنْ حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص، جلّدته مائة وستين جلدة، وذلك حدّ الفرية على الأنبياء). علاء حسن مردان اللّامي، السيرة النبويّة دراسة في الرواية البصريّة حتّى منتصف القرن الثالث الهجريّ: ص ١٢٩.

٣٨- غدير خم: خم وإد بين مكّة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوحامة. ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩.

٣٩- الأميني، الغدير: ١/ ٦٨.

٤٠- عدي بن ثابت الأنصاريّ، عدّ من أهل الكوفة، وقيل: إنّّه من الحفاظ والوعاظ،

كان من الثقات، وقيل: إنّه كان إمام مسجد الشيعة وقاصّهم، مات عديّ في ولاية خالد القسريّ على العراق، وقيل: عام (١١٦هـ). الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوطي: ١٨٨/٥.

٤١- هو البراء بن عازب بن الحارث، الأنصاريّ، الحارثيّ، أبو عمارة، وقيل: أبو الطّفل. ردّه رسول الله ﷺ يوم بدر، استصغره، وأوّل مشاهده أحد، وقيل: الخندق، وشهد غزوات كثيرة مع النّبي ﷺ، ثمّ نزل الكوفة بعده، شهد فتح تَسْتَر، وهو الذي افتتح الرّي سنة (٢٤هـ) في قول، عدّ من أصحاب الإمام عليّ ﷺ، وشهد معه حروبه، الجمل وصفين والنهروان، هو وأخوه عبيد بن عازب، توفيّ البراء بالكوفة سنة (٧٢هـ)، وقيل: (٧١هـ). ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٤/٣٦٤؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: مرزوق عليّ إبراهيم: ص ٧٦.

٤٢- محمّد بن سليمان الكوفيّ، مناقب الإمام أمير المؤمنين ﷺ: ٤٢٢/١.

٤٣- البلاذريّ، أنساب الأشراف، تحقيق: محمّد حميد الله: ١٠٨/٢.

٤٤- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/٢٢٠-٢٢١.

٤٥- الصّدوق، علل الشرائع، تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم: ١٤٤/١.

٤٦- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/٢٤٣؛ المزيّ، تهذيب الكمال: ٦/٢٣٣.

٤٧- جاء في الرواية التاريخية: (وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة من بني ربيعة بن كعب بن سعد، والجون بن قتادة العبشميّ، والحنّات بن يزيد، أبو منازل، أحد بنى حوى بن سفيان بن مجاشع، إلى معاوية بن أبي سفيان، فأعطى كلّ رجل منهم مائة ألف، وأعطى الحنّات سبعين ألفاً، فلمّا كانوا في الطريق، سأل بعضهم بعضاً، فأخبروه بجوائزهم، فكان الحنّات أخذ سبعين ألفاً، فرجع إلى معاوية، فقال: ما ردّك يا أبا منازل، قال: فضحتني في بني تميم، أما حسبي بصحيح، أو لست ذا سنّ، أو لست مطاعاً في عشيرتي؟ فقال معاوية: بلى، قال: فما بالك خست بي دون القوم، فقال: إنّني اشتريْتُ من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفّان، وكان عثمانياً، فقال: وأنا فاشتر منّي ديني، فأمر له بتام جائزة القوم). الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ٤/١٨٠.

٤٨- كان أبو هريرة الدوسيّ يشهد على دسومة طعام معاوية؛ إذ كان يأكل على سباط معاوية. الألبسيّ، المستطرف في كلّ فنّ مستطرف: ١/٢٩٨. ويروى في وصف طعام معاوية: «كان يأكل في اليوم سبع مرّات، يُجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل، فيأكل منها،

- ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً». ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري: ١٢٨/٨.
- ٤٩- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٢٠٦/٦٤.
- ٥٠- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري: ١٧/٥.
- ٥١- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٢٣٧/١٤.
- ٥٢- الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي: ٤٥/٣.
- ٥٣- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٩٤/٤١.
- ٥٤- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور: ١٠٦/١.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولى

- القرآن الكريم.
- الأبشيهي، شهاب الدّين محمّد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
- ١- المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، قدّم له وضبطه وشرحه: صلاح الدّين الهوّاري، مطبعة دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
- ٢- أنساب الأشراف، تحقيق: محمّد حميد الله، (مطبعة مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٦م).
- الثعلبي، أبو منصور، عبد الملك بن أحمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م).
- ٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمّد عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، (مطبعة دار إحياء التّراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٢م).
- ابن حبّان، محمّد بن حبّان بن أحمد، التميمي، البستي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م).
- ٤- المجروحين من المحدثين والصّنفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (توزيع دار الباز، مكّة د.ت).
- ٥- مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: مرزوق عليّ إبراهيم، (مطبعة دار الوفاء- المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩١٩م).
- ابن أبي الحديد، عزّ الدّين، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله، المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).
- ٦- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الأولى، ١٩٧٨م).
- ابن حزم، أبو محمّد، عليّ بن أحمد بن حزم، الظاهري (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).

- ٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، (مطبعة الأدبية، الطبعة الأولى، مصر ١٨٩٩م).
- خليفة بن خياط، أبو عمرو، الشيباني، العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).
- ٨- تاريخ خليفة، تحقيق: سهيل زكار (دار الفكر، بيروت، د.ت).
- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
- ٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (مطبعة لبنان، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧م).
- ١٠- تذكرة الحفاظ، (دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- ١١- سير أعلام النبلاء، تحقيق: عليّ أبو زيد، إشراف وتخريج: شعيب الأرناؤوط، (الطبعة التاسعة، بيروت، ١٩٩٣م).
- ١٢- العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد سيّد، (الكويت ١٩٦١م).
- ١٣- ميزان الاعتدال، تحقيق: عليّ محمد البجاوي، (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٣م).
- ابن سعد، محمد بن سعد (٢٣٠هـ / ٨٤٤م).
- ١٤- الطبقات الكبرى، (مطبعة دار صادر، بيروت، د.ت).
- ابن شاذان، أبو الحسن، محمد بن أحمد بن عليّ بن الحسن، القمي، (ت حوالي ٤١٢هـ / حوالي ١٠٢١م).
- ١٥- مائة منقبة، تحقيق: مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام)، (مطبعة أمير، الطبعة الأولى، قم ١٩٨٦م).
- الشريف الرضي، أبو الحسن، محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م).
- ١٦- خصائص الأئمة، تحقيق: محمد هادي الأميني، (إيران ١٩٨٥م).
- الصدوق، أبو جعفر، محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه، القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٣٠م).
- ١٧- علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، (المطبعة الحيدريّة، النجف ١٩٦٦م).
- الصفدي، صالح بن عليّ، الحنفي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
- ١٨- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركه مصطفى (مطبعة بيروت، ٢٠٠٠م).

- الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ / ٩٧١ م).
١٩ - المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (مطبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، د. ت).
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢١ م).
٢٠ - تاريخ الأمم والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، د. ت).
- الطبري، محمد بن جرير بن رستم (ت في أول ق ٤هـ / في أول ق ١٠ م).
٢١ - المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، تحقيق: أحمد المحمودي، (مطبعة سلمان الفارسي، الطبعة الأولى، قم ١٩٩٥ م).
- عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ / ٨٢٦ م).
٢٢ - المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (منشورات المجلس العلمي، د. ت).
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، الشافعي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥ م).
٢٣ - تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، (مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م).
- العقيلي، أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، العقيلي، المكي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣ م).
- ٢٤ - الضعفاء، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (مطبعة دار الكتب العلميّة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٧ م).
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، عبد الحي بن العماد، الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨ م).
٢٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت).
- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).
٢٦ - المعارف، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، (مطبعة مطابع دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر، ١٩٦٩ م).
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م).
٢٧ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (مطبعة دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت).

- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير، الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
- ٢٨- البداية والنهاية، حقّقه ودقّق أصوله وعلّق حواشيه: عليّ شيري، (دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٨م).
- الكوفي، محمّد بن سليمان القاضي (ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م).
- ٢٩- مناقب الإمام أمير المؤمنين، تحقيق: محمّد باقر المحموديّ، (مطبعة النهضة، الطبعة الأولى، قم، ١٩٩١م).
- المزيّ، جمال الدّين، أبو الحجاج، يوسف (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).
- ٣٠- تهذيب الكمال، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، (الطبعة الرَّابعة، بيروت، ١٩٨٥م).
- ابن معين، يحيى بن معين بن عون، المزيّ، الغطفانيّ، البغداديّ (ت ٢٣٣هـ/ ٨٧٤م).
- ٣١- تاريخ يحيى بن معين، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، (مطبعة دار القلم، بيروت، د.ت).
- ابن المغازلي، أبو الحسن، عليّ بن محمّد بن محمّد، الواسطيّ، الجلابيّ، الشافعيّ (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م).
- ٣٢- مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام (مطبعة سبحان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م).
- المفيد، أبو عبد الله، محمّد بن محمّد بن النعمان، العكبريّ، البغداديّ (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).
- ٣٣- أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاريّ، (الطبعة الثانية، ١٩٩٣م).
- الواقديّ، أبو عبد الله، محمّد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).
- ٣٤- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (نشر دانس إسلامي، ١٩٨٤م).
- ياقوت الحمويّ، شهاب الدّين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله، الرّوميّ، البغداديّ (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
- ٣٥- معجم البلدان (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩م).

ثانياً: المراجع (المصادر الثانويّة)

- الأمينيّ، عبد الحسين أحمد (ت ١٣٩٠هـ).
- ٣٦- الغدير في الكتاب والسّنة والأدب، (الطبعة الرَّابعة ١٩٧٧م).
- الزّرّكلّي، خير الدّين (ت ١٣٩٦هـ).

- ٣٧- الأعلام، (نشر دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٠م)
- غلامي، حسين غيب.
٣٨- محو السُّنة أو تدوينها، (مطبعة الهادي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).

ثالثاً: الأطاريح والرّسائل الجامعيّة

- اللّامي، علاء حسن مردان.
٣٩- السّيرة النبويّة دراسة في الرّواية البصريّة حتّى منتصف القرن الثالث الهجريّ
(أطروحة دكتوراه مقدّمة لمجلس كليّة الآداب-جامعة البصرة، لعام ٢٠١٥م، غير منشورة)..

رابعاً: المجلّات

- السّبّتي، علاء حسن مردان.
٤٠- الفقهاء ودورهم السّياسيّ في الدّولة الأمويّة الحسن البصريّ أنموذجاً (مجلّة
دراسات البصرة، العدد الخامس، السّنة الثامنة لعام ٢٠١٣م).

مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ الْبَصْرِيُّ (٩٥-١٥٣هـ / ٧١٤-
٧٧٠م)، ومروياته عن أهل البيت عليهم السلام

Ma'amar bin Rashed Al-Basri And His
Recounts of Ahl Al-Bayt

أ.م.د. محمد علي حسين م.د.مها عبد الرحمن حسين
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Dr. Mohammad A. Hussain, assistant professor

Dr. Maha A.R. Hussain, Lecturer

(College of Education for Human Sciences, Diyala
University)

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين محمد ﷺ، وعلى آله الأوصياء المصطفين، والحجج المنتجبين، وبعد:

مما جُبِلَ عليه أبناء مدينة البصرة حبُّهم لآل البيت عليهم السلام وولاؤهم قولاً وفعلاً، والحثُّ على تناقل أخبارهم وسيرتهم العطرة عبر أجيالها المتعاقبة، ليكون محطَّها في خلجات وصدور أبنائها للاهتمام بها في مجال حياتهم المختلفة، وكان من محصِّلة ذلك نشوء مدرسة البصرة التي تُعدُّ المدرسة الثانية بعد مدرسة المدينة المنورة، التي تصدَّى لها جهابذة العلماء الأجلاء، وتوافد الطلاب عليهم لينهلوا من هذا العلم، ومن أبرز علمائها معمر بن راشد البصري (١٥٣هـ/ ٧٧٠م)، الذي يُعدُّ من أشهر خريجي مدرسة البصرة الزاخرة بعطائها وتاريخها الحضاري والعلمي على مرِّ العصور والأزمنة، والحديث هنا عن معمر بن راشد يتجلى من خلال ما تناقله من مرويات في السيرة النبوية العطرة في مجالاتها المختلفة، ومنها مروياته عن آل البيت عليهم السلام، التي جاءت مبشرة في متون المصادر التاريخية المتنوعة، ومن خلال جمع هذه المرويات والاطلاع عليها نجد أنَّها تعكس روائع الصُّور عن تراث وتاريخ آل البيت عليهم السلام، جاء بها معمر بن راشد من خلال التطرُّق إلى نسب آل البيت عليهم السلام العلوي، وما جاء فيه من قول الإمام علي عليه السلام،

ومكانتهم وقرابتهم من الرسول ﷺ، وعن إسلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وزواجه من بضعة الرسول ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام.

تناول البحث -أيضاً- ما أورده معمر بن راشد من مرويات تحدّثت عن مشاركة الإمام علي عليه السلام في غزوات وسرايا النبي ﷺ، وعن مكانة وفضل الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وخلافة الإمام علي عليه السلام، وغيرها الكثير ممّا تناول فيها أخبار آل البيت عليهم السلام، التي سنتطرّق إليها في بحثنا هذا.

Abstract

The people of Basra are known for their fondness of and loyalty to Aal Al-Bayt (family of Prophet Mohammad). For this purpose, Aal Al-Bayt careers and stories have been reported from generation to another in Basra. These attempts were then crystallized into the famous School of Basra which attracted large numbers of distinguished scholars in various fields of knowledge. Ma'amar bin Rashed Al-Basri (born in 770 A.D.) joined this famous school, and then became a notable name. He contributed markedly in recounting Prophet Mohammad's career and Aal Al-Bayt careers. He sought to collect these recounts from many scattered historical sources. The paper tackles also Al-Basri's recounts of Imam Ali bin abi Taleb's career including his embracing of Islam and his marriage of Fatima Al-Zahra', daughter of Prophet Mohammad. There is also mention

of Imam Ali's active participation in Prophet Mohammad's battles and invasions, Imam Hassan and Imam Hussain's status, Imam Ali's caliphate, and other topics dealt with in the paper.

مقدمة

تسابق أقلام المؤرخين والباحثين في خطّ صفحات مشرقة من أخبار آل بيت النبي ﷺ منذ أن بدأت مراحل تدوين التاريخ الإسلامي عامّة، حتّى يومنا هذا، بل يحقّ لنا أن نقول بأنّها باقية حتّى قيام الساعة، وتاريخهم مدرسة تخرّج منها العديد من العلماء الجهابذة في مختلف العلوم الفقهيّة وشتّى صنوف المعارف، لما فيها من الأصول التاريخيّة الأولى للسيرة النبويّة والحديث النبويّ وأخبار آل البيت عليهم السلام، والتاريخ الإسلاميّ عامّة، علاوة على أنّهم منهاج لمن أراد أن يسير في درب النّجاة والفوز بالآخرة.

وعن فضلهم ومكانتهم واتّخاذهم قدوة مآثر كثيرة لا تسع بحثنا المتواضع هذا، ولكن منها ما روي عن النبيّ محمد ﷺ في حجة الوداع عام (١٠هـ / ٦٣١م) في يوم عرفة، وهو عليه الصّلاة والسّلام على ناقته القصواء^(١) يخطب قائلاً: «يا أيّها النّاس، إنّني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»^(٢)، وعترّة الرّجل هي رهطه ونسله، وعترّة النبيّ محمد ﷺ نسله من السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام، والإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٣)، وورد عن النبيّ محمد عليه الصّلاة والسّلام، أنّه خرج غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن، فأدخله معه، ثمّ جاء الحسين، فأدخله معه، ثمّ جاءت فاطمة،

فأدخلها، ثم جاء عليٌّ، فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤)، ثم قال: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقُّ»^(٥). ومما خصَّهم النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاؤه لهم بقوله: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي، فأذهب عنهم الرِّجْسَ وطهِّرهم تطهيراً، اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي، فأذهب عنهم الرِّجْسَ وطهِّرهم تطهيراً»^(٦)، وحمد النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما خصَّ به الله سبحانه وتعالى أهل بيته بعد أن علم بقضاء قضاه الإمام علي عليه السلام، قائلاً: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت»^(٧).

وعن فضلهم ومكانتهم الشيء الكثير، والأخذ عن أخبارهم كمن يأخذ نقطة من بحر واسع؛ لذا حرص الصحابة والتابعون وأتباع التابعين على تناقل أخبارهم وحفظها في خلجات صدورهم جيلاً بعد جيل، ومنهم على وجه التحديد أتباع مدرسة البصرة في العراق، جنباً مع جنب أتباع مدرسة الكوفة، الذين لم يكتفوا بما عُرف عن مدرسة العراق - البصرة والكوفة - في نهج الاتجاه القبلي^(٨)، بل توجَّهوا صوب دراسة الحديث النبوي والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي عامة بالدراسة والبحث والتقصي عن ذلك^(٩).

ومدرسة البصرة تشكَّلت حصيلة توافد العديد من الصحابة الأوائل الذين كانوا فيما بعد أقطاب الرواية التاريخية ابتداءً من الصحابيِّ عتبة بن غزوان (ت ١٧هـ/٦٣٨م)، الذي مَصَّر البصرة، وكان والياً عليها^(١٠)، ويتوالى توافد الصحابة إلى أرض البصرة، وفي صدورهم سيرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليغرسوا فيها علمهم وفقههم، كعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ/٦٨٧م) والي البصرة على عهد الإمام علي عليه السلام وحبر الأمة لعلومه ومعارفه، والصحابيِّ معقل بن يسار

(ت ٦٥هـ / ٦٨٤م)، وآخر الصحابة وفاة في البصرة وإمام الحديث فيها أنس بن مالك (ت ٩٣هـ / ٧١١م)^(١١)، ليجد المتتبع لهذا الركب المتوافد من صحابة رسول الله ﷺ أنه يصل إلى ما يقارب من سبعة وثلاثين صحابياً بحسب تعداد الحاكم النيسابوري^(١٢).

ومن بعدهم العديد من التابعين؛ ليكون حصيلة ذلك ظهور العديد من العلماء والمؤرخين الذين وضعوا الأسس الأولى للرصينة لهذه المدرسة - مدرسة البصرة - كمحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م)، وثابت البناني (ت ١٢٧هـ / ٧٤٥هـ)، وأيوب السختياني (ت ١٣١هـ / ٧٤٨م)^(١٣)، لينهل من علم هؤلاء الرعيل الأول لشيوخ مدرسة البصرة العديد من التلامذة، ومنهم: معمر بن راشد البصري، الذي عُرف بطول مواظبته لشيوخته، والمثابرة في تتبع علومهم ومعارفهم، لاسيما في السيرة النبوية وأخبار آل بيت النبي ﷺ، ولكن قبل التطرق إلى ما نقله لنا معمر من أخبار آل البيت عليهم السلام، لابد من التعريف بهذا التلميذ المثابر الذي عُدد فيما بعد من أشهر أعمدة مدرسة البصرة وحلقة الوصل بينها وبين المدارس الأخرى، ومنها مدرسة اليمن^(١٤).

معمر بن راشد: حياته وسيرته العلمية

هو: معمر (بفتح الميم وإسكان العين) بن راشد بن أبي عمرو، البصري^(١٥)، المكنى بأبي عروة^(١٦)، الأزدي نسبة إلى الأزد، وهي قبيلة يمانية نسبة إلى أدد، وهو الأزد بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، ومن أولادهم

الأوس والخزرج، وكذلك المهلب بن أبي صفرة^(١٧).

أمّا والدته، فلم تُشر المصادر التاريخية إلى اسمها صراحة، إلّا ما أشار إليه معمر نفسه من أنّها كانت زوجة هشام بن حسان، ردّاً على سؤال وجه إليه عن الصّلة التي تربطه بهشام، قائلاً: «هو أبو أخوتي»^(١٨)، ومن الجدير بالذكر هنا أنّه لا توجد إشارة إلى أسماء أخوته لا من قريب ولا بعيد في مصادر ترجمته.

ومعمر بن راشد بصريّ، ولا يوجد خلاف في ذلك في مصادر ترجمته، غير أنّ كثرة تنقله إلى الأمصار الإسلامية طلباً للعلم والتعلّم جعلته يأخذ ألقاباً آخر نسبة إلى المكان الذي حلّ فيه، وهذا متأتّ من اعتزاز أهل هذه الأمصار بهذه الشخصية، ومنها: الكوفي^(١٩)، والصنعاني، واليماني، والأزدّي، والحراّني^(٢٠).

ولادته ونشأته

لم تُشر كتبُ التراجم والرجال في أحيان كثيرة إلى التفاصيل الدقيقة عن حياة العلماء الأولى، لاسيّما ولادتهم وطفولتهم، حتّى يتبوّأوا مكانتهم العلميّة، فحينئذ تسلّط الأضواء عليهم، ومن ضمنهم معمر بن راشد البصريّ، فلم تُحدّد سنة ولادته، إلّا أنّ استقراء الروايات الأخرى التي تخصّ حياته، تنكشف بعض ملامح ذلك، منها أنّه عاش ما يقارب (٥٨) عاماً^(٢١)، وتاريخ وفاته عام (١٥٣هـ/٧٧٠م)^(٢٢)، ومن خلال طرح سنيّ عمره من تاريخ وفاته يكون النّاتج هو خمساً وتسعين، وهي سنة ولادة معمر بن راشد.

والشيء ذاته عن نشأته الأولى في مسقط رأسه البصرة، فلا توجد أيّ إشارة إلى ذلك، إلّا ما يخصّ طلبه للعلم، والتنقل بين شيوخ مدينته البصرة لينهل من

علومهم ومعارفهم، ويتحلّى بطبائعهم وأخلاقهم؛ لشدة طول المصاحبة^(٢٣)، وهذا ما أخبرنا به معمر، قائلًا: «جالستُ قتادة مدّة ثلاث سنين»^(٢٤)، وطول المواظبة على مرافقة أيوب السخيتاني، حتّى أصبح معمر بن راشد علمًا من أعلام مدينة البصرة، واشتهر فيها أنّه من أبرز وأشهر فقهاءها ومحدثيها^(٢٥).

ومع طول المواظبة على التعلّم والتعليم لم يلتفت معمر بن راشد إلى تكوين أسرته الخاصّة خلال رحلته بين الأمصار الإسلاميّة إلى أن استقرّ في صنعاء، فأحلّوه بها، وأكرموا، حتّى أنّه عندما رغب بالرجوع إلى دياره وموطنه الأصليّ البصرة، كره أهل صنعاء ذلك، وعزّ عليهم مفارقتهم والخروج من بين أظهرهم، فقال لهم رجل: «قيّدوه فزوّجوه»^(٢٦)، فكانتُ أخت زوجة أمير اليمن معن بن زائد^(٢٧)، قد زُفّت إليه، إلّا أنّ هذه الزّيجة لم تُثمر بعقبٍ له؛ إذ لا توجد إشارة إلى أولاد معمر من البنين والبنات.

طلبه للعلم

ابتدأ معمر بن راشد مشواره في طلب العلم في سنٍّ مبكّرة، وهو لم يتجاوز سنّ الرابعة عشر من عمره، وهذا ما أشار إليه أشهر تلامذته وهو عبد الرزّاق الصّنعانيّ (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)، عن معمر، قائلًا: «خرجتُ مع الصّبيان وأنا غلام إلى جنازة الحسن، فطلبتُ العلم سنة مات الحسن»^(٢٨)، ومن الثابت أنّ سنة وفاة الحسن البصريّ هي (١١٠هـ/ ٧٢٨م).

بدأ معمر طلبه للعلم مع شيوخ مدينته، ولسان حاله يصف ذلك، قائلًا: «جالستُ قتادة وأنا ابن أربع عشرة، فما شيء سمعته في تلك السّنين إلّا كأنّه

مكتوبٌ في صدري»^(٢٩)، حتّى أنّه كان يُلازم شيوخه في حلّهم وترحالهم، وفي بيوتهم، لحرصه على الأخذ منهم والاستماع إليهم، وهذا ما ذكره معمر، بقوله: «كنتُ في منزل سعيد بن أبي عروبة سنتين»^(٣٠)، على اعتبار أنّه من أشهر شيوخ البصرة، والشيء ذاته لقتادة بن دعامة؛ إذ جالسه معمر ثلاث سنين^(٣١)، وهذا الأمر بديهيٍّ ممّا جُبِلَ عليه طلاب العلم في تنقلهم بين الشيوخ للتعلّم منهم. وبعد أن انتهل من شيوخ مدينته البصرة، أكمل مشواره في التنقل بين البلدان والفيافي من أجل لقاء أكبر عددٍ ممكن من الشيوخ الثقات والسماع منهم من أجل الوصول إلى تمام سلسلة الإسناد وعلوّه، أي: برفع الحديث إلى قائله^(٣٢)، حتّى تكون الأسانيد صحيحة متّصلة، والرّوايات بعيدة عن التحريف والادّعاء، وهذا لا يأتي بالتكاسل، وإنّما بطول المثابرة والجِدِّ والتّعب في طلب ذلك، وهذا ما سعى إليه معمر بن راشد، وقد وفّقه الله في مسعاه هذا بجعله علماً من أعلام مدينة البصرة، فشدّ رحاله إلى المدينة المنوّرة، وفيها أخذ عن أشهر شيوخها، وهو الإمام الزّهريّ^(٣٣)، ومنها إلى مكّة المكرّمة، ومن أشهرهم عمرو بن دينار وحמיד بن قيس، ومنها رجع إلى البصرة مرافقاً شيخه أيّوب السّختيانيّ من مكّة، وملازماً له، ليزور قبر أمّه في البصرة^(٣٤)، وليستمرّ في تنقله بين الأمصار الإسلاميّة، ومنها: خراسان^(٣٥)، والشّام^(٣٦)، واليَمَامة^(٣٧)، لتكون نهاية رحلته إلى اليمن، بوصفها محطّة الأخيرة، إلى أن توفّاه الله سبحانه وتعالى.

علومُه ومعارفُه

كانت حصيلته هذا التنقل والمثابرة على التعلّم أن أصبح معمر بن راشد

بارعاً ومتمكناً في علمه، ومن الشيوخ الذين يُشار إليهم بالبنان في العديد من العلوم والمعارف، ومنها علوم القرآن وقراءته التي تزخر كتب التفسير بها، لاسيماً إذا ما علمنا أن تفسير تلميذه عبد الرزاق الصنعاني ما هو إلا تفسير معمر بن راشد، إلا أن نسبته لعبد الرزاق أشهر؛ لأنه هو الذي دونه ورواه عنه^(٣٨)، وكذلك علمه بالفقه حتى بلغ درجة عالية من الإتقان فيه، إذ أشار ابن حبان إلى أنه: «من الفقهاء المتقنين»^(٣٩)، وعلمه بالمغازي والسير حتى عدّ من مؤرخي السيرة النبوية الأوائل، نقلاً عن شيخه الزهري الذي يعدّ أول من دَوّن التاريخ الإسلامي^(٤٠).

لتكون حصيلة هذه العلوم العديد من المؤلفات، منها: كتاب (الجامع) الذي يُعدّ من أشهر مؤلفاته، ذكره اليافعي بقوله: «وله - أي: معمر - الجامع المشهور والمنسوب إليه في السنن، وهو أقدم من الموطأ»^(٤١)، وذكره الذهبي، قائلاً: «وكان أول من صنف باليمن»^(٤٢)، وزاد من مكانة معمر في تصنيفه هذا الكتاب، أنه كان من أوائل المحدثين الذين رتّبوا الأحاديث النبوية في الأبواب والمواضيع^(٤٣)، وقد وصل إلينا كتاب الجامع ملحق بكتاب تلميذه عبد الرزاق الصنعاني^(٤٤).

ومن مؤلفاته - أيضاً - كتاب في السير والمغازي؛ إذ أشار إليه البغدادي، قائلاً: «من أصحاب السير الشهير بأبي عروة... صنف كتاب المغازي»^(٤٥)، لكن لم يصل إلينا، وإنّما جاء مبعثراً في متون المصادر التاريخية^(٤٦).

مروياته عن أهل البيت عليهم السلام

مما أثر عن مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ الْبَصْرِيِّ حُبُّهُ الشَّيْخَ لَآلَ بَيْتِ النَّبِيِّ عليه السلام مع موقفه المعتدل من الفرق الإسلامية المختلفة، فقد أشارت إلى ذلك العديد من المصادر التاريخية، ومنها ما ذكره ابن قتيبة بوضع اسمه ضمن أسماء وجماعة الشيعة في كتابه^(٤٧)، وابن النديم الذي ذكره بأنه كوفي؛ لما عُرف عن الكوفة من أنها منبع شيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٤٨)، وابن عساکر، بقوله: «كان في مَعْمَرٍ تشييع، وما أقل ما كان بالكوفة لا يراه»^(٤٩)، والذهبي أشار إليه، قائلاً: «إن مَعْمَرًا كان يتشييع»^(٥٠)، ونوّه إلى ذلك -أيضاً- أحد المؤرخين المحدثين بقوله: «إن مَعْمَرًا كان ذا ميول علوية، وكان يعتقد بأفضلية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه بتولي الخلافة»^(٥١).

ومن الجدير بالذكر هنا، أن ما يؤكّد هذا الانتماء والحبّ لآل بيت النبي محمد عليه السلام الروايات التاريخية التي حرص مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ على نقلها عن أخبارهم، وحرصه الشديد على إيصالها إلى تلامذته، ولم تصل إلينا موحّدة، إنما جاءت مبعثرة في متون العديد من المصادر التاريخية الأولى، ومن خلال جمع هذا المتناثر، جاءت روايات مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ وأخباره عن أهل بيت النبي عليه السلام كالآتي:

١- كفالة أبي طالب للنبي عليه السلام

بعد وفاة عبد المطلب أخذ أبو طالب على عاتقه رعاية وكفالة النبي محمد عليه السلام؛ إذ إنه كان يحبُّ النبي عليه السلام، ويُعَدُّق عليه بفيض حنانه ورعايته الأبوية، وكيف أن بركة النبي عليه السلام حكّت عليهم منذ صغره، وهذا ما يُشير إليه مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ في

روايته، قائلاً: «لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ إليه، فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبّه حبّاً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلا جنبه، ويخرج فيخرجه معه، وهب به أبو طالب صباه لم يصب مثلها شيء قطّ، وكان يخصّه بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان إذا أراد أن يغديهم، قال: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله ﷺ، فيأكل معهم، فكانوا يفضلون طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك»^(٥٢).

٢- نسب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

وتنقص رواية معمر بن راشد عن ذلك من خلال سؤال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن نسبه والردّ على ذلك ما نصّه: «مَن كان سائلاً عن نسبتنا، فإنّا نبطٌ من كُوثى^(٥٣)»، وفي هذه الرواية إشارة إلى أن أصولهم ترجع إلى كُوثى السّواد التي وُلد بها نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام^(٥٤).

٣- إسلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

عن فضل الإمام علي عليه السلام أنّه أوّل من أسلم، روى معمر بن راشد عن ذلك، قائلاً: «أوّل من أسلم بعد خديجة علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن خمس عشرة أو ستّ عشرة»^(٥٥).

٤- افتداء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للنبيّ محمد ﷺ

من شجاعة الإمام علي عليه السلام وحرصه على سلامة النبيّ ﷺ أمام تكالب عتاة قريش على قتل النبيّ ﷺ وتجمّعهم أمام عتبة داره في مكّة لقتله، تظهر شجاعة

وبسالة الإمام علي عليه السلام، وتفانيه في حبِّ النَّبِيِّ ﷺ بافتدائه بنفسه الطاهرة، بأن بات على فراش النَّبِيِّ ﷺ؛ إذ ورد عن مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾^(٥٧)، ما نصُّه: «تساورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النَّبِيَّ ﷺ -، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: أخرجوه، فأطلع الله نبيَّه على ذلك، فبات عليٌّ عليه السلام على فراش النَّبِيِّ ﷺ تلك الليلة، وخرج النَّبِيُّ ﷺ حتَّى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبون أنَّه النَّبِيُّ ﷺ، فلمَّا أصبحوا ثاروا عليه، فلمَّا رأوا عليًّا عليه السلام ردَّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري»^(٥٨)، وشجاعة اللَّيْث الضَّرغام لم تخيفه سيوف المشركين، ولا أرهبته بشاعة موقفهم.

هـ- علمُ الإمامِ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام

الإمام عليٌّ عليه السلام باب مدينة العلم، والحديث عن ذلك بحر واسع، ولكن مما ورد عن مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ في ذلك ما نصُّه: «قال عليٌّ عليه السلام: سلوني عن كتاب الله، فإنَّه ليس من آيةٍ إلَّا وقد عرفتُ بليلاً نزلتُ أم بنهارٍ، في سهلٍ أم في جبلٍ»^(٥٩).

٦. فضلُ السيِّدةِ فاطمةَ الزَّهراءِ عليها السلام

ذُكِرَ عن ذلك الثَّيِّء الكثير، ولكن ممَّا ورد عن مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ، عن النَّبِيِّ ﷺ ما نصُّه: «عن أنس بن مالك أنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، وآسية امرأة فرعون»^(٦٠).

٧- زواج النورين ﷺ

وهو زواج فاطمة الزهراء والإمام عليّ ﷺ، الذي إن دلّ على شيء إنما يؤكّد مكانة الإمام عليّ ﷺ من النبيّ ﷺ بحيث زوّجه بضعته الطاهرة ﷺ، واختصّه بذلك دون باقي المسلمين، وهو ما ذكره معمر بن راشد ما نصّه: «لما زوّج النبيّ ﷺ فاطمة، قال: «ما ألوثُ»^(٦١) أن أنكحك أحبّ أهلي إليّ»^(٦٢).

٨- دعاء النبيّ ﷺ لهما ﷺ

من بركة النبيّ ﷺ لهذا الزواج هو دعاؤه لهما، جاء عن معمر بن راشد عن ذلك ما نصّه: «لما أُهديت فاطمة إلى عليّ لم يجد أو تجد عنده إلا رملاً مبسوطاً ووسادة وجرة وكوزاً، فأرسل النبيّ ﷺ إلى عليّ: «لا تقرب امرأتك حتّى آتيك»، فجاء النبيّ ﷺ، فدعا بهاء فقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثمّ نضح به صدر عليّ ووجهه، ثمّ دعا فاطمة، فقامت إليه تتعثر في ثوبها، وربّما قال معمر: في مرطها من الحياء، فنضح عليها أيضاً وقال لها: «أما أنّي لم ألو أن أنكحك أحبّ أهلي إليّ»... ثمّ خرج، ثمّ قال لعليّ: «دونك أهلك»، ثمّ ولّى في حجرة، فما زال يدعو لهما حتّى دخل في حجرة»^(٦٣).

٩- قول النبيّ ﷺ في الإمام عليّ ﷺ

مناقب الإمام عليّ ﷺ كثيرة، ومنها حبّ النبيّ ﷺ له وتأكيده على مكانته ﷺ، ووردَ من ذلك نقلاً عن معمر بن راشد ما نصّه: «عن الزهريّ، عن عبد الله بن عباس، قال: نظر النبيّ ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: «أنت سيّد في الدُّنيا، وسيّد في الآخرة، مَنْ أَحَبَّكَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَحَبِيبُكَ حَبِيبُ اللَّهِ، وَعَدُوُّكَ

عدوّي، وعدوّي عدوّ الله، الويل لمن أبغضك من بعدي»^(٦٤).

١٠- قول النبي ﷺ في حبّ الحسن والحسين عليهما السلام

في حبّ الحسن والحسين مآثر كثيرة، منها ما ورد عن معمر بن راشد، عن النبي ﷺ ما نصّه: «أخذ رسول الله ﷺ يوماً حسناً وحسيناً، فجعل هذا على الفخذ، وهذا على الفخذ، ثم أقبل على الحسن فقبله، ثم أقبل على الحسين فقبله، ثم قال: «اللّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُمَا فَأَحْبِبْهُمَا»^(٦٥).

١١- مَنْ شَبَّهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ

من عظمة خلق الحسن بن علي عليه السلام وخلقه شَبَّهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وهذا ممّا ورد عن معمر بن راشد، قائلاً: «عن الزّهري، قال: أخبرني أنس بن مالك، قال: «لم يكن فيهم أحدٌ أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي»^(٦٦).

١٢- تسبيحُ السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

تُشير هذه الرواية إلى ما خصّ به النبي ﷺ السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بهذا التسبيح، عن معمر بن راشد ما نصّه: «عن الزّهري، قال: أخبرني علي بن الحسين: أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتته تسأله خادماً من سبي أُتي به، وفي يدها أثر قطب الرّحى من كثرة الطّحن، فقال لها: «سأخبرك بخيرٍ من ذلك، إذا أويتِ إلى فراشكِ، فسبّحي الله ثلاثاً وثلاثين، واحمدي الله ثلاثاً وثلاثين، وكبرّي الله ثلاثاً وثلاثين، وقولي لا إله إلا الله تتمّين بها المائة»، فرجعت بذلك»^(٦٧)، وذلك هو الفوز العظيم لبضعة رسول الله ﷺ.

١٣- غزوة بدر (٥٢/هـ ٦٢٣م)

- قتل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام نوفل بن خويلد ^(٦٨):

تشير هذه الرواية إلى تمكّن الإمام عليّ عليه السلام من قتله بعد أن ألحق الأذى الكبير بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأتباعه، حتّى أن النبيّ صلى الله عليه وآله دعا عليه، نقلاً عن معمر بن راشد ما نصّه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم أكفني نوفل بن خويلد، وأقبل نوفل يومئذ وهو مرعوب، قد رأى قتل أصحابه... ورأى عليّاً مقبلاً نحوه، قال: يا أبا الأنصار من هذا؟ واللّات والعزى إني لأرى رجلاً أنّه ليُرِيدني! قال: هذا عليّ بن أبي طالب، قال: ما رأيتُ كالיום رجلاً أسرع في قومه منه، فيصمد له عليّ عليه السلام، فيضربه، فنشب سيف عليّ في حجفته ساعة، ثم نزع، فيضرب ساقه ودرعه مشمّرة، فقطعهما، ثم أجهز عليه، فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من له علم بنوفل بن خويلد؟ فقال عليّ: أنا قتلته، قال: فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه» ^(٦٩).

- قتل العاص بن سعيد ^(٧٠):

وفي الشّأن نفسه أورد معمر بن راشد ما نصّه: «وأقبل العاص بن سعيد يحدّ للقتال، فالتقى هو وعليّ فقتله» ^(٧١).

- قتل طعيمة بن عدي ^(٧٢):

ومن بطولات الإمام عليّ بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب عليهما السلام في هذا اليوم، ما ورد عن معمر بن راشد، قائلاً: «وكان عليّ عليه السلام يقول: إني يومئذ بعدما

ارتفع النهار، ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجت في أثر رجلٍ منهم، فإذا رجلٌ من المشركون - يقصد طعيمة بن عدي - على كتيب رملٍ وسعد بن خيثمة^(٧٣)، وهما يقتتلان حتى قتل المشرک سعد بن خيثمة، والمشرک مقنّع في الحديد، وكان فارساً، فاقتحم عن فرسه، فعرفني، وهو مُعلم ولا أعرفه، فناداني: هلمّ ابن أبي طالب للبراز، قال: فعطفتُ عليه، فانحطّ إليّ مقبلاً، وكنتُ رجلاً قصيراً، فانحططتُ راجعاً لكي ينزل إليّ، فكرهتُ أن يعلوني بالسيف، فقال: يا ابن أبي طالب، فررت؟ فقلتُ: قرباً مفرّه ابن الشّراء، قال: فلما استقرتُ قدماي وثبتُّ أقبلي، فلما دنا منّي ضربني، فاتقيتُ بالدّرقة، فوقع سيفه، فلحج - يعني لزم - فأضربه على عاتقه وهو دارع، فارتعش، ولقد فضّ سيفي درعه، فظننتُ أنّ سيفي سيقتله، فإذا بريق سيفٍ من ورائي، فطأطأتُ رأسي، ويقع السيف، فأطعن قحف رأسه بالبيضة، وهو يقول: خُذها وأنا ابن عبد المطلب، فالتفتُ من ورائي، فإذا حمزة بن عبد المطلب^(٧٤).

١٤- كتابُ صلح الحديبية (٦٢٧هـ/٦٢٧م)

أشار معمر بن راشد في هذه الرواية إلى أنّ كاتبَ الصلح الذي تمّ بين النبي ﷺ وأصحابه، ومشركي قريش، هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ما نصّه: «عن معمر قال: سألتُ الزّهريّ: مَنْ كان كاتبُ الكتاب يوم الحديبية؟ فضحك، وقال: هو عليّ، ولو سألت هؤلاء، قالوا: عثمان، يعني: بني أمية»^(٧٥).

١٥- الوفودُ بعد صلح الحديبية

بعد الصلح أخذ النبي ﷺ بإرسال وفوده إلى الملوك، ومنهم وفده إلى

النجاشي ملك الحبشة يعرض عليه الإسلام، فجاء ردّه على كتاب النبي ﷺ عن طريق جعفر بن أبي طالب عليه السلام ما نصّه: «فأخذ -أي: النجاشي- كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه، ونزل من سريره، فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم، وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب، لله ربّ العالمين» (٧٦).

١٦- فتح خيبر (٥٧/هـ/٦٢٨م)

تحدّث هذه الرواية عن فتح خيبر على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن استعصى فتحها، وفيها -أيضاً- إشارة إلى فضل الإمام علي عليه السلام، عن معمر بن راشد، قال: «عن الزهري، قال: إنّ النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لأدفعنّ الرّاية إلى رجلٍ يحبّ الله ورسوله، أو يحبّه الله ورسوله»، فدفعها إلى عليّ، وإنّه لأرمد ما يُبصر موضع قدميه، فبصق في عينيه، وكان الفتح» (٧٧).

١٧- غزوة تبوك (٩هـ/٦٣٠م)

تُفصّل هذه الرواية عن استخلاف النبي ﷺ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على أهله والمدينة المنورة، فعن معمر بن راشد ما نصّه: «إنّ رسول الله ﷺ خرج في غزوة تبوك، فاستخلف عليّاً على المدينة، فقال عليّ: يا رسول الله، ما كنتُ أحبُّ أن تخرج مخرجاً إلّا وأنا معك فيه، قال له النبي ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي» (٧٨).

١٨- خروج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن

- مَنْ خَرَجَ مَعَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام:

تُفْصَحُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْ مَنْ نَالَ شَرَفَ رَافِقَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي خُرُوجِهِ إِلَى الْيَمَنِ، فَعَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ مَا نَصَّه: «إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ^(٧٩) خَرَجَ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى الْيَمَنِ، وَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ بِتَطْلِيقَةٍ كَانَتْ قَدْ بَقِيَتْ مِنْ طَلَاقِهَا، وَأَمَرَ لَهَا...» ^(٨٠).

- عَتَبُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ^(٨١):

تُشِيرُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ إِلَى عَتَبِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ مَا نَصَّه: «لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ، خَرَجَ بُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيِّ مَعَهُ، فَعَتَبَ عَلَى عَلِيٍّ فِي بَعْضِ الشَّيْءِ، فَشَكَاهُ بُرَيْدَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلَاهُ» ^(٨٢).

١٩- قول النبي ﷺ لوفد ثقيف

تُشِيرُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ إِلَى مَقُولَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْفَدِ ثَقِيفٍ حِينَ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ (٩هـ/ ٦٣٠م)، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ مَا نَصَّه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْفَدِ ثَقِيفٍ حِينَ جَاؤُوهُ: «فَوَاللَّهِ، لَتَسْلَمَنَّ أَوْ لَأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا مِنِّي، أَوْ قَالَ: مِثْلَ نَفْسِي، فَلْيَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ، وَلْيَسْبِغَنَّ ذُرَارِيَكُمْ، وَلْيَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ»، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا تَمَنَيْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، جَعَلْتُ أَنْصِبَ صَدْرِي رَجَاءً أَنْ يَقُولَ هُوَ هَذَا، قَالَ: فَالْتَفَتَ - أَيُّ: النَّبِيِّ ﷺ - إِلَى عَلِيٍّ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ هَذَا

هو هذا» (٨٣).

٢٠- حجة الوداع (١٠هـ/٦٣١م)

- حديث الغدير:

ذكر البلاذري نقلاً عن معمر بن راشد هذا الخبر، قائلاً: «لما أقبلنا مع النبي ﷺ في حجته مكثنا بغدير خم - بين مكة والمدينة - نُودي أن الصلاة جامعة، وكُسِحَ للنبي ﷺ تحت شجرتين، فأخذ بيد علي بن أبي طالب - وفي رواية علي إلى جنبه، فأخذ بيده وأقامه، وقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» - وفي رواية - هذا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وُلَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَهُ» (٨٤).

- نحر البدن:

أشار الواقدي نقلاً عن معمر عن ذلك ما نصّه: «عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتصدّق بجلال بدنه وجلودها ولحومها، ولا أُعطي منها في جزرها شيئاً» (٨٥).

٢١- وفاة النبي ﷺ (١١هـ/٦٣٢م)

- غسل النبي ﷺ:

تُشير هذه الرواية إلى مَنْ تولى ذلك، نقلاً عن معمر بن راشد ما نصّه: «عن الزهري، قال: ولي غسل النبي ﷺ ودفنه وإجناحه» (٨٦) دون الناس أربعة: علي، والعبّاس، والفضل، وصالح شقران مولى النبي ﷺ، ولحدوا له ونصبوا عليه اللبّن نصباً» (٨٧).

- مقولة الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله :

تُفصح هذه الرواية عن مقولة الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عندما غسله، نقلاً عن معمر بن راشد ما نصّه: «التمس عليٌّ من النبي صلى الله عليه وآله ما يُلتمس من الميت، فلم يجد شيئاً، فقال: «أبي وأُمِّي طَيِّباً حَيّاً، وطَيِّباً مَيِّتاً»، وفي رواية أخرى: طَبَّتَ حَيّاً، وطَبَّتَ مَيِّتاً»^(٨٨).

- حُزْنُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام :

تُشير هذه الرواية إلى بكاء السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام ونعيها وحزنها الشَّدِيد لوفاة والدها النبي صلى الله عليه وآله، عن معمر بن راشد، قائلاً: «إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام بَكَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حِينَ مَاتَ، فَقَالَتْ: «يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَذْنَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ أَنْعَاهُ، جَنَّةَ الْفَرْدَوْسِ مَأْوَاهُ»^(٨٩).

٢٢- وَفَاةُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

- تَهْيِئَةُ وَاسْتِعْدَادِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام لذلِكَ :

تُخصُّ هذه الرواية كَيْفِيَّةَ تَهْيِئَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام لكَفْنِهَا وَالاسْتِعْدَادِ لذلِكَ، عن معمر بن راشد ما نصّه: «قال: أخبرني عبد الله بن محمد بن عَاقِلٍ: أَنَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمَّا حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ، دَعَتْ بِهَاءٍ، فَاغْتَسَلَتْ، وَدَعَتْ بِطَيْبٍ، فَطَيَّبَتْ، وَدَعَتْ بِثِيَابٍ أَكْفَانَهَا، فَأَتَيْتْ بِثِيَابٍ خُشْنٍ غَلَاظٍ، فَلَبَسَتْهَا، ثُمَّ أَوْصَتْهُمْ، فَقَالَتْ: إِذَا مِتُّ فَادْفَنُونِي وَلَا تَصْنَعُوا بِي شَيْئاً»^(٩٠).

- قبرُ السَّيِّدة الزَّهراء عليها السلام:

تُفصِّح هذه الرِّواية عَمَّن نَزَلَ فِي قَبْرِهَا عليها السلام، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: «نَزَلَ فِي حَفْرَةِ فَاطِمَةَ الْعَبَّاسِ وَعَلِيٍّ وَالْفَضْلِ»^(٩١).

- وَقت دَفْنِهَا عليها السلام:

تُشير هذه الرِّواية إِلَى وَقت دَفْنِ السَّيِّدة فَاطِمَةَ الزَّهراء عليها السلام، نَقْلًا عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: «إِنَّ عَلِيًّا دَفَنَ فَاطِمَةَ لَيْلًا»^(٩٢).

- تاريخ وفاتها عليها السلام:

تَذَكِّر هذه الرِّواية تاريخ وفاة السَّيِّدة فَاطِمَةَ الزَّهراء عليها السلام بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: «عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ فَاطِمَةَ تُوَفِّيَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بَسْتَةَ أَشْهُرٍ»^(٩٣).

٢٣- خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

رَافَقَتْ خِلافة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أحداث كثيرة، وَلَكِنْ وَرَدَ عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ الْآتِي:

أ- عَنْ قِضاء الإمام علي عليه السلام:

تُشير هذه الرِّواية إِلَى نُصْحِ الإمام علي عليه السلام الْمُسْلِمِينَ فِي كَيْفِيَّةِ الْقِضاءِ مَا نُصِّه: «عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: «أُقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ حَتَّى تَكُونُوا جَمَاعَةً، فَإِنِّي أَخْشَى الْاِخْتِلَافَ»»^(٩٤).

ب- واقعة الجمل (٣٦هـ/٥٦٥م):

* تراجع الزبير بن العوام

توضّح هذه الرواية تراجع الزبير عن الاشتراك في هذه المواجهة، وقول الإمام علي عليه السلام في ذلك، عن معمر بن راشد ما نصّه: «لما ولي الزبير يوم الجمل، بلغ عليّاً، فقال: لو كان أبني صفية يعلم أنّه على حقّ ما وليّ، ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقيهما في سقيفة بني ساعدة، فقال: «أحبُّهُ يا زبير»، فقال: وما يمنعني، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «فكيف أنت إذا قاتلته وأنت ظالمٌ له؟»، قال: فيرون أنّه إنّما وليّ لذلك» (٩٥).

ج- يوم صفين (٣٧هـ/٦٥٧م):

* التقاء جيش الإمام علي عليه السلام وجيش معاوية

تُشير هذه الرواية إلى التقاء جيش الإمام علي عليه السلام وجيش معاوية بن أبي سفيان، وما دار خلال ذلك، عن معمر بن راشد ما نصّه: «عن الزهري، قال: التقى عليٌّ ومعاوية بصفين، فاقتتلوا زماناً، فلقد بلغني أنّه كان يُدفن في القبر خمسون إنساناً، قال معمر: فلقد رأيتها مدّ البصر، يعني: قبورهم» (٩٦).

* شهداء صفين

شارك العديد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله مع الإمام علي عليه السلام في هذا اليوم، وختم الله حياتهم بنيل شرف الشهادة، ومُنّ ذكرهم معمر بن راشد الآتي:

١- عمار بن ياسر رضي الله عنه

تُفصّل هذه الرواية عن استشهاده رضي الله عنه في هذا اليوم، وعمره الذي توفّي فيه،

عن مَعْمَر بن راشد، ما نصَّه: «شهد بداراً والمشاهد كلّها، وقتل عَمَّار بن ياسر مع عليٍّ بصفيّين سنة سبع وثلاثين، ويُقال: إنّه كان يومئذ ابن سبعين سنة، قتله ابن هرم وشريك بن سمي، اشتراكا فيه»^(٩٧).

- تقتله الفئة الباغية:

تُشير هذه الرواية إلى تنبؤ النبي ﷺ ومقولته في استشهاده، عن مَعْمَر بن راشد ما نصَّه: «لما قُتل عَمَّار دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص، فقال: قُتل عَمَّار، وقد قال رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية»»^(٩٨).

٢- خزيمة بن ثابت الأنصاريّ

تنوّه هذه الرواية باستشهاده ﷺ، فعن مَعْمَر بن راشد ما نصَّه: «كان خزيمة ابن ثابت يدعى ذا الشهادتين أجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، قُتل يوم صفين مع عليٍّ عليه السلام»^(٩٩).

د- واقعة التحكيم:

تُفصح هذه الرواية عن إشارة عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان بنشر المصاحف، وموقف الإمام عليٍّ عليه السلام من ذلك، ما نصَّه: «عن الزهريّ قال: اقتتل الناس بصفيّين قتالاً شديداً لم يكن في هذه الأمة مثله قطّ، حتّى كره أهل الشّام وأهل العراق القتال، وملّوه من طول تبادلهم السيّف، فقال عمرو بن العاص -وهو يومئذ على القتال لمعاوية-: هل أنت مطيعي فتأمر رجلاً بنشر المصاحف ثمّ يقولون: يا أهل العراق، ندعوكم إلى القرآن، ولا يزيد ذلك أمر أهل الشّام إلا استجماعاً، فأطاعه معاوية، ففعل، وأمر عمرو رجلاً من أهل

الشَّام، فقرأ المصحف، ثم نادى: يا أهل العراق، ندعوكم إلى القرآن، فاختلف أهل العراق، فقالت طائفة: أولسنا على كتاب الله وبيعنا؟ وقال آخرون كرهوا القتال: أجبنا إلى كتاب الله، فلما رأى الإمام علي عليه السلام وهنهم وكراهيتهم للقتال قارب معاوية فيما يدعوه إليه، واختلف بينهم الرسل [فقال علي عليه السلام: قد قبلنا كتاب الله، فمن يحكم بكتاب الله بيننا وبينك؟ قال: تأخذ رجلاً منا نختاره، وتأخذ منكم رجلاً تختاره]، فاختار معاوية عمرو بن العاص، واختار الإمام علي عليه السلام أبو موسى الأشعري عليه السلام ^(١٠٠).

* قول الإمام علي عليه السلام في أهل الشام:

تُشير هذه الرواية إلى مقولة الإمام علي عليه السلام ورفضه سب أهل الشام ما نصّه: «عن معمر، عن الزهري، قال: وقال رجل يوم صفين: اللهم العن أهل الشام، قال، فقال علي: «لا تسب أهل الشام، فإن بها الأبدال» ^(١٠١)» ^(١٠٢).

هـ- قتال الحرورية:

تُشير هذه الرواية إلى قتال الإمام علي عليه السلام الخوارج العتاة، ومقولته عليه السلام فيهم، عن معمر بن راشد ما نصّه: «عن جوين والد أبي هارون، قال: أخبرني أبي، أنّه كان مع علي بن أبي طالب حين قتلوا الحرورية، قال: فلما قتلوا أمر أن يُلتمس الرجل، فالتمسوه مراراً، فلم يجده، حتى وجدوه في مكان، قال: خربة أو شيء لا أدري ما هو، قال: فرفع علي يديه يدعو والناس يدعون، قال: ثم وضع يديه، ثم رفعها -أيضاً- ثم قال: والله فالح الحبة، بارئ النّسمة، لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما سبق من الفضل لمن قتلهم على لسان النبي صلى الله عليه وآله» ^(١٠٣).

* عن خطبة الإمام عليٍّ عليه السلام في الخوارج الحرورية:

تُفصَح هذه الرواية عن خطبته عليه السلام في أشقياء الدنيا والآخرة، الخوارج، وتكالبهم على قتاله، فعن معمر بن راشد ما نصّه: «قال: سمعتُ عليّاً يخطب، فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَمْتُهُمْ وَسَمَوْنِي، وَمَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، فَأَرِحْنِي مِنْهُمْ وَأَرْحِهِمْ مِنِّي، مَا يَمْنَعُ أَشْقَاكُمْ أَنْ يَخْضِبَهَا بَدَمٍ»، ووضع يده على لحيته»^(١٠٤)، وفي رواية أخرى: «والله ليُخَضِّبَنَّ هذه مِن دَمِ هذا، ويُشير إلى لحيته ورأسه خضاب دم لا خضاب عطر ولا عير»^(١٠٥).

* مقولة الإمام عليٍّ عليه السلام في ابن ملجم لعنه الله:

تذكر هذه الرواية مقولة الإمام عليٍّ عليه السلام في ابن ملجم، التي يقف عندها القلم عن الكتابة، وتعجز الكلمات في وصف الإمام وسماحة قلبه عليه السلام، ما نصّه: «عن معمر، عمّن روى عنهم، قال: كان عليٌّ عليه السلام إذا رأى ابن ملجم، قال: أريدُ حياته ويُريدُ قَتْلِي عذيرك مِن خليلك مِن مُرادٍ»^(١٠٦).

و- استشهاد الإمام عليٍّ عليه السلام والصلاة عليه:

تُفصَح هذه الرواية عن استشهاد الإمام عليٍّ عليه السلام وصلاة الإمام الحسن عليه السلام عليه، عن معمر بن راشد ما نصّه: «لما قُتِلَ عليٌّ عليه السلام صلى عليه الحسن، وإليه أوصى، وكبّر عليه أربعاً»^(١٠٧).

٢٤- الإمام الحسن بن علي عليه السلام

هذه الرواية عن تنبؤ النبي ﷺ للحسن عليه السلام بأنه يُصلح ما بين أهل الشام وأهل العراق بتنازله عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين، عن معمر بن راشد ما نصّه: «قال: كان النبي ﷺ يحدثنا يوماً والحسن بن عليّ في حجره، فيقبل على أصحابه فيحدثهم، ثم يقبل على الحسن، فيقبله، ثم قال: «ابني هذا سيّد إن يعيش يُصلح بين طائفتين من المسلمين»^(١٠٨).

- تنازل الحسن بن علي عليه السلام عن الحكم:

وفي الشأن ذاته يذكر معمر بن راشد روايةً أخرى عن ذلك، قال ما نصّه: «عن معمر، عمّن روى عنهم، أنّ الحسن بن عليّ، قال: «لو نظرتم ما بين حالوس إلى حابلق ما وجدتم رجلاً جدّه نبيٌّ غيري وأخي، فإنّي أرى أنّ تجمعوا على معاوية»، **«وإن أذري لعلّه فتنة لكم ومَتاعٌ إلى حين»**^(١٠٩)، قال معمر: حالوس وحابلق: المغرب والمشرق»^(١١٠).

- مقتل الحسن بن علي عليه السلام (٥٠ هـ / ٦٧٠ م):

تُفصّل هذه الرواية عن وفاة الحسن عليه السلام مسموماً، وسؤال الحسين عليه السلام عمّن سقاه، عن معمر بن راشد ما نصّه: «عن مولىّ للحسن بن عليّ، قال: كان الحسن في مرضه الذي مات فيه يختلفُ إلى مريدٍ له، فأبطأ علينا مرّة، ثم رجع، فقال: «لقد رأيتُ كبدي أنفأ، ولقد سُقيتُ السّمّ مراراً، وما سُقيته قطُّ أشدّ من مرّتي هذه»، فقال حسين: ومن سقى له، قال: «لم؟ تقتله؟»، بل نكله إلى الله»^(١١١).

٢٥- الإمام الحسين بن علي عليه السلام

تُشير هذه الرواية إلى مقولة الزهري عن استشهاد الحسين عليه السلام، فعن معمر بن راشد، قال: «أول ما عُرف الزهري تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك، فقال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قُتل الحسين بن علي، فقال الزهري: بلغني أنه لم يُقلب حجرٌ إلا وُجدَ تحته دمٌ عبيطٌ» (١١٢) (١١٣).

الهوامش

- ١- القصواء: بالفتح والمدّ، هي النّاقة المقطوعة الأذن، وقيل: إنّها لا تكاد أن تُسقى، كأنّ عندها إقصاء الجري، يُنظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ١٨٩/٢.
- ٢- الترمذيّ، سنن الترمذيّ: ١/١٣١، رقم الحديث: ٣٧٨٦؛ الحاكم النيسابوريّ، المستدرک على الصّحیحین: ٣/١١٨، رقم الحديث: ٤٥٧٧.
- ٣- الأزهریّ، تهذیب اللّغة: ٢/١٥٧؛ ابن منظور، لسان العرب: ٤/٥٣٨.
- ٤- سورة الأحزاب، الآية (٣٣).
- ٥- ابن أبي شيبة، مصنّف: ٦/٣٧٠، رقم الحديث: ٣٢١٠٢، ٣٢١٠٣؛ ابن راهويه، مسند: ٣/٦٧٨، رقم الحديث: ١٢٧١.
- ٦- أحمد بن حنبل، فضائل الصّحابة: ٢/٥٨٧.
- ٧- المصدر نفسه: ٢/٦٥٤.
- ٨- الدّوريّ، بحث في نشأة علم التاريخ: ص ١١٨.
- ٩- سالم، التاريخ والمؤرّخون: ص ٦٧؛ دوحان، نشأة المدرسة التاريخيّة: ص ٦٦.
- ١٠- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٧/٣؛ الزّركليّ، الأعلام: ٤/٢٠١.
- ١١- الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ٣/٣٩٦.
- ١٢- معرفة علوم الحديث: ص ١٩٢-١٩٣.
- ١٣- المصدر نفسه: ص ٢٤٧-٢٤٨.
- ١٤- مصطفى، التاريخ العربيّ: ١/١٥٩.
- ١٥- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/٥٤٦؛ خليفة بن خيّاط، الطبقات: ص ٢٨٨؛ العجليّ، تاريخ الثقات: ص ٤٣٥.
- ١٦- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ص ١٩٢.
- ١٧- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٢/٣٣٠؛ ياقوت الحمويّ، المختضب من كتاب

- جوهرة أنساب العرب: ص ٢١٩.
- ١٨- العجلي، معرفة الثقات: ٢/ ٢٩٠.
- ١٩- ابن النديم، الفهرست: ص ١٣٨.
- ٢٠- المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢٨/ ٣٠٣؛ السيوطي، طبقات الحفاظ: ص ٨٨.
- ٢١- المزني، تهذيب الكمال: ٢٨/ ٣١١.
- ٢٢- خليفة بن خياط، الطبقات: ص ٢٨٨.
- ٢٣- الخليلي، الإرشاد إلى معرفة علماء الحديث: ص ١٩٧.
- ٢٤- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٩/ ٣٣٩.
- ٢٥- ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام: ٥/ ٩٢.
- ٢٦- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢١٩.
- ٢٧- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٩/ ٤١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧/ ١١.
- ٢٨- ابن الجوزي، المنتظم: ٨/ ١٧١؛ المزني، تهذيب الكمال: ٢٨/ ٣٠٦.
- ٢٩- ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٥٩/ ٣٩٩.
- ٣٠- أبو داود، سؤالات أبي عبيد الآجري: ٣/ ٣٦٤.
- ٣١- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٩/ ٣٩٩.
- ٣٢- الصالح، علوم الحديث: ص ٢٣٦.
- ٣٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧/ ٦.
- ٣٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ٥٤٦.
- ٣٥- ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣/ ٤٢٦.
- ٣٦- ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٥٩/ ٤٠٤.
- ٣٧- الذهبي، تاريخ الإسلام: ص ٦٢٩.
- ٣٨- الخمرى، مدرسة التفسير في اليمن، أطروحة دكتوراه: ص ٣١٧.
- ٣٩- مشاهير علماء الأمصار: ص ١٩٢.
- ٤٠- مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: ١/ ١٥٨.
- ٤١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ١/ ٣٢٣.

- ٤٢- تذكرة الحفاظ: ١/ ١٩١.
- ٤٣- مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: ١/ ١٦٠.
- ٤٤- عبد الرزاق الصنعاني، المصنّف: ج ١١، علماً أنّه تمّ تحقيق هذا الجزء من قبل حبيب الرحمن الأعظمي.
- ٤٥- هدية العارفين: ٢/ ٤٦٦.
- ٤٦- ومن الجدير بالذكر أنّنا حاولنا جاهدين جمع هذه المادّة التاريخيّة وتبويبها بحسب الترتيب الزمنيّ، ودراستها وبيان أهمّيّتها، وتمّ ذلك من خلال رسالة ماجستير قدّمت إلى كليّة التربية - جامعة ديالى، للمزيد يُنظر: الزبيديّ، معمر بن راشد ومروياته التاريخيّة.
- ٤٧- ابن قتيبة، المعارف: ص ٦٤٢.
- ٤٨- الفهرست: ص ١٣٨.
- ٤٩- تاريخ دمشق: ٥٩/ ٤١٨.
- ٥٠- المغني في الضعفاء: ٢/ ٦٧١.
- ٥١- للمزيد يُنظر: السّلبّي، التاريخ الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة: ٢/ ١٦٣.
- ٥٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/ ٩٦؛ ابن كثير، السّيرة النبويّة: ١/ ٢٤٠.
- ٥٣- كوثى: رُبّي بها مشهد نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام، وبها مولده، وهي أرض بابل، وبها طُرح إبراهيم في النّار، يُنظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ٤/ ٤٨٧.
- ٥٤- ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ٤/ ٤٨٨.
- ٥٥- الأزهرّيّ، تهذيب اللّغة: ١٠/ ١٨٥.
- ٥٦- معمر بن راشد، الجامع: ١١/ ٢٢٦، رقم الحديث: ٢٠٣٩١؛ الصّنعانيّ، المصنّف: ٥/ ٣٢٥، رقم الحديث: ٩٧١٩؛ ابن حنبل، فضائل الصّحابة: ٢/ ٥٨٩؛ ابن أبي عاصم، الأوائل: ١/ ٧٩.
- ٥٧- سورة الأنفال، الآية (٣٠).
- ٥٨- الطبريّ، تفسير الطبريّ: ١٣/ ٤٩٧؛ الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ١٣/ ١٩١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ١٧٨.
- ٥٩- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٥٧؛ البلاذريّ، أنساب الأشراف: ٢/ ٩٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١١٠٧.

٦٠- مَعْمَر بن راشد، الجامع: ١١/٤٣٠، رقم الحديث: ٢٠٩١٩؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٢/٧٥٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٠٩/٧٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١١٦/٢.

٦١- ألوت: هي من الألو، وتعني: الاستطاعة والتقصير والجهد، أي إن النبي ﷺ قصد: لا أقصر في ذلك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٤/٤١.

٦٢- ابن راشد، الجامع: ١١/٢٢٨، رقم الحديث: ٢٠٣٩٦؛ النسائي، سنن النسائي: ٧/٤٥٣، رقم الحديث: ٨٤٥٦.

٦٣- عبد الرزاق الصنعاني، المصنف: ٥/٤٨٥، رقم الحديث: ٩٧٨١؛ ابن راهويه، المسند: ٥/٣٩، رقم الحديث: ٢١٤٢؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٢/٥٦٨.

٦٤- ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٢/٦٤٢؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: ٣/١٣٨، رقم الحديث: ٤٦٤٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤/٤١؛ ابن المغازي، مناقب أمير المؤمنين علي ﷺ: ص ١٦٠، رقم الحديث: ١٤٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩/٥٧٤.

٦٥- ابن راشد، الجامع: ١١/١٤٠، رقم الحديث: ٢٠١٤٣؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة: ٢/٦١.

٦٦- مَعْمَر بن راشد، الجامع: ١١/٤٥٣، رقم الحديث: ٤٠٩٨٤؛ ابن حنبل، المسند: ٢٠/١٠٨، رقم الحديث: ١٢٦٧٤؛ البخاري، صحيح البخاري: ٥/٢٦، رقم الحديث: ٣٧٥٢؛ الترمذي، سنن الترمذي: ٦/١٢٤، رقم الحديث: ٣٧٧٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/٣٩٠.

٦٧- مَعْمَر بن راشد، الجامع: ١١/٣٣، رقم الحديث: ١٩٨٢٨؛ ابن راهويه، المسند، ١١/٥، رقم الحديث: ٢١٠٧.

٦٨- هو نوفل بن خويلد بن أسد القرشي، من أشد قريش شجاعة وأذى للمسلمين في الجاهلية، كان يدعى أسد قريش، دعا عليه النبي ﷺ بقوله: اللهم أكفنا ابن العدوية، يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣/١٦١؛ الزركلي، الأعلام: ٨/٥٤.

٦٩- الواقدي، المغازي: ١/٩١؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف: ص ١٥٦.

٧٠- هو العاص أو (العاصي) بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، من أشداء

قرش في الجاهلية، وكان سيفه يُعرف بـ (ذو الكتيفة)، يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ٢٩٧/١؛ الزركلي، الأعلام: ٢٤٩/٣.

٧١- الواقدي، المغازي: ٩١/١؛ ابن حبيب، المحبر: ص ٦٣.

٧٢- هو طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، المكنى أبا الرّيان، وكان ممن يؤذي النبي ﷺ، فبالغ في أذاه ويشتمه ويكذبه، قتله الحمزة وعلي عليهما السلام، يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ١٥٤/١؛ الزركلي، الأعلام: ٢٢٧/٣.

٧٣- هو الصحابي سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب الأنصاري، من نقباء بيعة العقبة الاثني عشر، قتله طعيمة بن عدي، يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٥٨٨/٢؛ الزركلي، الأعلام: ٨٤/٣.

٧٤- الواقدي، المغازي: ٩٢/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية: ٦١/٢؛ ابن حبيب، المحبر: ص ١٧٧.

٧٥- أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة: ٥١٩/٢.

٧٦- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢٥٨/١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٢٩/٤.

٧٧- معمر بن راشد، الجامع: ٢٢٨/١١، رقم الحديث: ٢٠٣٩٥؛ الواقدي، المغازي: ٢/٦٥٣؛ الصنعاني، المصنف: ٢٨٧/٥، رقم الحديث: ٩٦٣٧؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ٦/٣٦٩، رقم الحديث: ٣٢٠٩٨؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٥٨٤/٢.

٧٨- معمر بن راشد، الجامع: ٢٢٦/١١، رقم الحديث: ٢٠٣٩٠؛ الصنعاني، المصنف: ٥/٤٠٥، رقم الحديث: ٩٧٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٤٣/٤٢.

٧٩- هو عمرو بن حفص بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، زوج فاطمة بنت قيس أخت الأمير الضحّاك بن قيس بن خالد الأكبر الفهري، خرج مع الإمام علي عليه السلام إلى اليمن، وهناك طلق زوجته، توفي فيها، يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١٣/٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١٧١٩/٤.

٨٠- عبد الرزّاق الصنعاني: ٢٠/٧، رقم الحديث: ١٢٠٢٤؛ ابن راهويه، المسند: ٥/

٢٣١، رقم الحديث: ٢٣٣٧٧؛ مسلم، صحيح مسلم: ١١١١/٢، رقم الحديث: ١٤٨٠.

٨١- هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، من الصحابة الأوائل، أسلم قبل غزوة بدر، ولكن لم يشهدها، سكن المدينة المنورة، ثم البصرة، ثم انتقل إلى مرو

- خراسان، فمات بها سنة ثلاث وستين، يُنظر: ابن خيَّاط، طبقات ابن خيَّاط: ١/ ١٨٤؛ الزُّركلي، الأعلام: ٢/ ٥٠.
- ٨٢- معمر بن راشد، الجامع: ١١/ ٢٢٥، رقم الحديث: ٢٠٣٨٨؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٢/ ٥٨٤؛ ابن كثير، السيرة النبوية: ٤/ ٤١٦.
- ٨٣- معمر بن راشد، الجامع: ١١/ ٢٢٦، رقم الحديث: ٢٠٣٨٩؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة: ٢/ ٥٩٣، رقم الحديث: ١٠٠٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ١٢٣.
- ٨٤- البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ١٠٨.
- ٨٥- الواقدي، المغازي: ٣/ ١١٠٨.
- ٨٦- إجنانه: من الجن، أي: دفنه وستره، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٣/ ٩٣.
- ٨٧- عبد الرزاق الصنعاني، المصنّف: ٣/ ٤٧٥، رقم الحديث: ٦٣٨١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٢٧.
- ٨٨- عبد الرزاق الصنعاني، المصنّف: ٣/ ٤٠٣، رقم الحديث: ٦٠٩٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢/ ٢١٥؛ ابن أبي شيبة، المصنّف: ٢/ ٤٥٢، رقم الحديث: ١٠٩٣٧.
- ٨٩- عبد الرزاق الصنعاني، المصنّف: ٣/ ٥٥٣، رقم الحديث: ٦٦٧٣؛ ابن راهويه، المسند: ٥/ ١٤، رقم الحديث: ١١١.
- ٩٠- ابن أبي عاصم، الأحاد والمثاني: ٥/ ٣٥٦، رقم الحديث: ٢٩٤٠؛ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء: ٢/ ٤٣.
- ٩١- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٩.
- ٩٢- عبد الرزاق الصنعاني، المصنّف: ٣/ ٣١، رقم الحديث: ١١٢٨٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤؛ ابن أبي عاصم، الأحاد والمثاني: ٥/ ٣٥٥، رقم الحديث: ٢٩٣٦.
- ٩٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ١١/ ٤٩٨؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک: ٣/ ١٧٦، رقم الحديث: ٤٧٦١.
- ٩٤- معمر بن راشد، الجامع: ١١/ ٣٢٩، رقم الحديث: ٢٠٦٧٧.
- ٩٥- المصدر نفسه: ١١/ ٢٤١، رقم الحديث: ٢٠٤٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٦/ ٢٣٧.
- ٩٦- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب: ١/ ٣١٢.

- ٩٧- ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٥٦/٤٣.
- ٩٨- مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، الجامع: ١١/٢٤٠، رقم الحديث: ٢٠٤٢٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٣/٤٣١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١/٢١٩.
- ٩٩- مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، الجامع: ١١/٢٣٥، رقم الحديث: ٢٠٤١٦؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب: ٧/٣٢٤٦.
- ١٠٠- ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٤/١٩٣.
- ١٠١- الأبدال: جمع بدل، وهو خيار بدل من خيار، ويقال: قوم من الصالحين بهم يُقيم الله الأرض، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ١١/٤٩.
- ١٠٢- مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ: ١١/٢٤٩، رقم الحديث: ٢٠٤٥٥؛ البيهقي، دلائل النبوة: ٤٤٩/٦.
- ١٠٣- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٨/١٧٩.
- ١٠٤- مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ: ١١/٣١٥، رقم الحديث: ٢٠٦٣٧.
- ١٠٥- ابن عبد البر، الاستيعاب: ٢/١١٢٦.
- ١٠٦- المصدر نفسه: ٢/١١٢٦.
- ١٠٧- البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/٤٩٧.
- ١٠٨- مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، الجامع: ١١/٤٥٢، رقم الحديث: ٢٠٩٨١.
- ١٠٩- سورة الأنبياء، الآية (١١١).
- ١١٠- مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، الجامع: ١١/٤٥٢، رقم الحديث: ٢٠٩٨٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/٢٧١.
- ١١١- مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، الجامع: ١١/٤٥٣، رقم الحديث: ٢٠٩٨٢.
- ١١٢- عبيط: طري، أي: دم طري لم يتغير، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ٧/٣٤٨.
- ١١٣- البيهقي، دلائل النبوة: ٦/٤٧١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً. المصادر الأولية

- ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد، الشيباني (ت ٢٤١هـ).
- ١- فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٣م).
- ٢- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (٢٠٠١م).
- الأزهرى، أبو منصور، محمد بن أحمد، الهروي (ت ٣٧٠هـ).
- ٣- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٢٠٠١م).
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، الجعفي (ت ٢٥٦هـ).
- ٤- الجامع المسند الصحيح المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، (١٤٢٢هـ).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
- ٥- جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٦م).
- البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي، الخراساني (ت ٤٥٨هـ).
- ٦- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٥هـ).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الضحاك (ت ٢٧٩هـ).
- ٧- الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب

- الإسلامي، بيروت، (١٩٩٨م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن عليّ (ت ٥٩٧هـ).
- ٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، (١٩٩٢م).
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ).
- ٩- المستدرک على الصّحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٤، دار الكتب العلميّة، بيروت، (١٩٩٠م).
- ١٠- معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيّد معظم حسين، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، (١٩٣٧م).
- ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان، البستيّ (ت ٣٥٤هـ).
- ١١- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق عليّ إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، (١٩٩١م).
- ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل، أحمد بن عليّ بن محمد (ت ٨٥٢هـ).
- ١٢- تهذيب التهذيب، مطبعة دار المعارف النظاميّة، الهند، (١٣٢٦هـ).
- ابن حزم الأندلسيّ، أبو محمد، عليّ بن أحمد بن سعيد الأندلسيّ (ت ٤٥٦هـ).
- ١٣- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق، بيروت، (د.ت).
- ١٤- جهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلميّة، بيروت، (١٩٨٣م).
- الخطيب البغداديّ، أبو بكر، أحمد بن عليّ بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).
- ١٥- تاريخ بغداد، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، (٢٠٠٢م).
- خليفة ابن خياط، أبو عمرو، خليفة بن خياط، الشيبانيّ (ت ٢٤٠هـ).
- ١٦- طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٣م).
- الخليلي، أبو يعلى، خليل بن عبد الله بن أحمد، القزوينيّ (ت ٤٤٦هـ).
- ١٧- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرّشيد، الرّياض، (١٤٠٩هـ).

- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥هـ).
- ١٨- سؤالات أبي عبيد الآجري، أبو داود السجستاني في الجرح والتعديل، تحقيق: محمد علي قاسم، المدينة المنورة، (١٩٨٣م).
- الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ).
- ١٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٩٣م).
- ٢٠- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٨م).
- ٢١- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٥م).
- ٢٢- المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر، (د.م)، (د.ت).
- ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، المروزي (ت ٢٣٨هـ).
- ٢٣- مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مكتبة الإيوان، المدينة المنورة، (١٩٩١م).
- ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ).
- ٢٤- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٠م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).
- ٢٥- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٣هـ).
- ابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد، العبيسي (ت ٢٣٥هـ).
- ٢٦- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد، الرياض، (١٤٠٩هـ).
- ٢٧- العجلي، أبو الحسن، أحمد بن عبد الله، الكوفي (ت ٢٦١هـ)، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم، مكتبة الدار، الرياض، (١٩٨٥م).
- ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ).
- ٢٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، (١٩٩٢م).

- عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحميري (ت ٢١١هـ).
٢٩- المصنّف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٤٠٣هـ).
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله، العقيلي (ت ٦٦٠هـ).
٣٠- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ).
٣١- تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٥م).
- القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى، البستي (ت ٥٤٤هـ).
٣٢- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، بيروت، (د.ت).
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).
٣٣- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩٢م).
- المزّي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، القضاعي (ت ٧٤٢هـ).
٣٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٠م).
- مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج، القشيري (ت ٢٦١هـ).
٣٥- المسند الصحيح المختصر، المعروف بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- معمر ابن راشد، معمر بن أبي عمرو (ت ١٥٣هـ).
الجامع، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر ملحق بالمصنّف لعبد الرزاق الصنعاني، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٤٠٣هـ).
- ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، الأفرقي (ت ٧١١هـ).
٣٦- لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، (١٤١٤هـ).
- ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن إسحاق بن محمد، البغدادي (ت ٤٣٨هـ).
٣٧- الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، (١٩٩٧م).
- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب، الحميري (ت ٢١٣هـ).

- ٣٨- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (١٩٥٥م).
- الواقدي، أبو عبد الله، محمد بن عمر الأسلمي (ت٢٠٧هـ).
- ٣٩- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، (١٤٠٩هـ).
- الياضي، أبو محمد، عبد الله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـ).
- ٤٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٧م).
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ).
- ٤١- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، (١٩٩٥م).
- ٤٢- المقتضب من كتاب جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ناجي حسن، الدار العربية، بيروت، (١٩٨٧م).

ثانياً. المراجع الحديثة

- البغدادي، إساعيل بن محمد أمين مير سليم باشا.
- ٤٣- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المتنبي، تركيا، (١٩٥٥م).
- دودحان، عبد الكريم إبراهيم.
- ٤٤- نشأة المدرسة التاريخية في الشام والحجاز ومصر والعراق، مؤسسة مصر مرتضى، العراق، (٢٠٠١م).
- الدوري، عبد العزيز.
- ٤٥- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (١٩٦٠م).
- الزركلي، خير الدين.
- ٤٦- الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، (٢٠٠٢م).
- سالم، السيد عبد العزيز.
- ٤٧- التاريخ والمؤرخين العرب، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، (١٩٩٩م).
- شلبي، أحمد.
- ٤٨- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،

(١٩٦٦م).

- صالح، صبحي.

٤٩- علوم الحديث ومصطلحه، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٦٦م).

- مصطفى، شاكر.

٥٠- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٨م).

ثالثاً. الرسائل والأطروحات الجامعية

- الخمري، صالح قاسم أحمد.

٥١- مدرسة التفسير في اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية (١٩٩٩م).

- الزبيدي، مها عبد الرحمن حسين.

٥٢- معمر بن راشد ومروياته التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ديالى، كلية التربية (٢٠٠٤م).

البصريُّ الأمويُّ العُتبيُّ، وأثره في التدوين
الإسلاميِّ

Al-Basri Al-Amawi Al-Utbi and His Influence
on Islamic Codification

أ.م.د. تيسير حميد عبد الرّكابي م.د. محمد حميد عبد الرّكابي
جامعة البصرة/ كلية القانون مديريّة تربية البصرة

Dr. Tayseer Hmaiyyed A. Al-Rekabi, assistant professor

College of law, University of Basra

Dr. Mohammad Hmaiyyed A. Al-Rekabi, Lecturer

Basra Education Directorate

ملخص البحث

تناولنا في بحثنا المتواضع شخصية الأخباري البصري العُتبي (محمد بن عبيد الله بن عمرو، العُتبي) أحد الرواة والأخباريين والأدباء البصريين المشهورين. نشأ وترعرع في البصرة في العصر العباسي. توفي باتفاق أغلب المؤرخين سنة (٢٢٨هـ / ٨٤٣م). له أهمية متميزة بوصفه شخصية بصرية أولاً، وللدور البارز الذي أداه في دراسة العصور الإسلامية بصورة عامة والعصر الأموي خاصة من خلال مرويّاته التاريخية التي نقلها عن آبائه وأجداده الأمويين، ومعاصريه بعض الحوادث التاريخية في العصر العباسي، فضلاً عن أنه أورد روايات عصر ما قبل الإسلام، وعصر الرسالة، وما بعده.

أشاد به الأخباريون والمؤرخون والأدباء، بوصفه أخبارياً، ومؤرخاً، وعالمًا، وأديباً، وشاعراً، ومجوداً، وغيرها من صنوف المعرفة التي اشتهر بها.

بلغت روايات العُتبي (١٠٢٣) رواية، منها (٦٠١) رواية مسندة، والباقي غير مسندة، واهتمام العُتبي بذكر السند؛ لأنه تتلمذ على يد المحدثين الذين أعطوا للسند أهمية كبيرة. اهتم العُتبي بترتيب الأحداث ترتيباً متسلسلاً، وأكثر في رواياته من الآيات القرآنية والشعر والأمثال والوثائق الرسمية، كخطب الخلفاء والولاة والقادة والكتب والرسائل المتبادلة بينهم، فتحرى الدقة والنقل؛ من

أجل توثيق رواياته؛ لأنَّه لا ينتقدها مباشرة، ولكن جمعه لما ذكرناه واستشهاده بها دلالة على أنَّه يريد تأكيد الدِّقَّة في النقل.

لم تقتصر مرويات العُتبيِّ على فترةٍ زمنيَّةٍ معيَّنة، بل شملت مروياته كلَّ فترات الدَّولة العربيَّة الإسلاميَّة، ابتداءً من عصر ما قبل الإسلام مروراً بعصر الرِّسالة وما بعده، ثمَّ الدَّولة الأمويَّة، فالعبَّاسيَّة. أمَّا الشُّمول المكانيُّ، فقد شملت مروياته مساحةً جغرافيَّةً واسعة امتدَّت من سجستان وخراسان شرقاً إلى مصر غرباً، فضلاً عن الجزيرة العربيَّة واليمن وبلاد الشَّام، مروراً بحاضرة الدَّولة العبَّاسيَّة وموطنها العراق.

وختاماً، فقد ألقى هذا البحث الضوء على أخباريِّ ومؤرِّخٍ وصاحب تصانيف لم يُعرف على نطاقٍ واسعٍ، لكنَّه صاحبُ تراثٍ ثرٍّ، انتفع وسيستفيع منه الكثيرون من أصحاب التصانيف والباحثون عن العلم والحقيقة.

Abstract

This research paper is about Mohammad bin Umr Al-Utbi, one of the well-known Basri recounters and literary men. He lived in Basra during the Abbasid Period. He died in 843 A.D. His main contribution is his comprehensive study of various Islamic periods, especially the Umayyad Period. He also touched on the pre-Islamic era. He was praised for his manifold contributions as a recounter, a scholar, a literary figure, a poet, a reciter, etc. His recounts amounted to 1023. He arranged events in a chronological order. His recounts also included Holy Quran verses, poetry, proverbs, and official documents. Moreover, he covered a very expansive area extending from Khurasan (in the East) to Egypt (in the West), in addition to the Arab Peninsula, the Yemen, Sham, besides Iraq.

مقدمة

(محمّد بن عبيد الله بن عمرو العُتبيُّ)^(١) أحد الرّواة والأخباريين والأدباء البصريّين المشهورين في العصر العبّاسيّ، توفّي باتّفاق أغلب المؤرّخين سنة (٢٢٨هـ/٨٤٣م). كان يمثّل مدرسة البصرة العراقيّة، اعتمد في رواياته على أبرز شيوخها وعلمائها، له تراثه التاريخيّ والأدبيّ الضّخم. كان أخباريّاً وأديباً وشاعراً، ترك أثراً في التاريخ العربيّ الإسلاميّ. انحدر العُتبيُّ من أحد فروع بني أميّة الحاكم، فهو من السّلالة السّفيانيّة ذات الأدوار المعروفة في الجاهليّة والإسلام من (آل عتبة بن أبي سفيان)، تلك الأسرة التي على الرّغم من قصر فترة حكمها، التي امتدّت من سنة (٤١-٦٤هـ) (٦١١-٦٨٣م)، وتبدأ بمعاوية بن أبي سفيان، مروراً بولده يزيد، ثمّ معاوية الثاني، إلا إنّ آثارها على الأمّة تركت بصمات واضحة على مختلف الأصعدة السّياسيّة والفكريّة والعسكريّة لأُسُس اعتمدها مؤسّس الدّولة (معاوية ومن بعده يزيد) في تسير عجلة الحكم بتغيير كثير من بدييات الإسلام وأوامره ونواهيه وشرائعه، ممّا سارت عليه الأمّة في عصر الرّسالة، وابتدأت بتوريث الحكم، مروراً بقتل سبط النّبي ﷺ، ثمّ استباحة المدينة، وضرب الكعبة بالمنجنيق، فكان شعار (يا لثارات الحسين) راية رفعها أيّ ثائر أيّ ضدّ أيّ حكومة ظالمة.

نشأ العُتبيّ في البصرة وترعرع فيها من أسرة عربيّة، وهم (بنو أميّة)، وكان لها دور كبير في الأحداث السّياسيّة التي مرّت بالعالم الإسلاميّ حين حكموا لأكثر من (٩١) سنة، لاسيّما أنّ جدّه عتبة بن أبي سفيان كان أخا معاوية مؤسس الدّولة الأمويّة^(٢)، وكانت لهم أدوار بارزة في التاريخ، سواء كان قبل الإسلام في محاربة الرّسول ﷺ أم بعد الإسلام حين أصبحوا حكاماً.

روى العُتبيّ عن أكثر من أربعين شيخاً معروفاً، كوالده عبيد الله بن عمرو، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ / ٨١٤م)، وعامر بن شراحيل الشعبيّ (ت ١٠٤هـ / ٧٢٢م)، وغيرهم، الذين كانت لهم أدوار ومكانة علميّة بارزة. وعن شيوخ قد يكونون أناساً عاديين لم يرووا الحديث، فكانوا مجهولين من قبل علماء الجرح والتعديل، ولم يُترجم لهم في كُتب التّراجم، وكان بعض هؤلاء الشيوخ بصريّين، وآخرين من أمصار إسلاميّة مختلفة، تنوّعوا في اتجاهاتهم، فبعضهم فقهاء ومحدّثون، وبعضهم أخباريون وأدباء وشعراء، وهذا زاد من تنوّع رواياته وأغناها.

وأشاد به الأخباريون والمؤرّخون والأدباء، بوصفه أخبارياً، ومؤرّخاً، وعالمًا، وأديبًا، وشاعراً، ومجوداً، وغيرها من صنوف المعرفة التي اشتهر بها. كانت الأسرة العُتبيّة التي انحدر منها (العُتبيّ) باباً يدعم وجهة النظر السّفيانيّة (الأمويّة) الناطق باسمها والمدافع عنها، لهذا نرى قلمه (العُتبيّ) ينبري بذكر مناقب (فضائل) بني أميّة، لاسيّما الفرع السّفيانيّ مهما حاول تجنّب ذلك بالظهور منصفاً في أحيان كثيرة؛ لأنّه لا يستطيع الانسلاخ عن جلده، فهو بين عدّة أعداء: العلويّون، والخوارج من جهة، والعبّاسيون من جهة أخرى؛ لذا نرى الميول الأمويّة في رواياته واضحة.

نشأته ومكانته الاجتماعية

من الصَّعب استيعاب نشأة العُتبيِّ الاجتماعيَّة الأولى؛ لندرة المادَّة التاريخيَّة التي توثِّق تلك الأحداث، لكنَّ المصادر أجمعت على أنَّ للعُتبيِّ ستَّة أولاد هلكوا في مرض الطاعون الذي اجتاح البصرة سنة (٢٢١هـ-٨٣٦م)^(٣)، فانتابه وجد لفقدهم، فرثاهم^(٤)، قائلاً:

وكنْتُ أبا ستَّةٍ كالبذور وقد فقَّوْا أعينَ الحاسدينَا
فمرُّوا على حادثاتِ المنون كمرِّ الدِّراهمِ بالنَّاقدينَا

وقال:

يا ستَّة أودعتهم حُفَرَ البلى لحدودهم تحتَ الجيوبِ وسادُ
منعوا جفوني أن يَصافحَ بعضها بعضاً فهنَّ وإنَّ قربنَ بعداً

لقد شهد العُتبيُّ عصر الدَّولة العبَّاسيَّة في أوج قوتها حتَّى أوائل حكم الوائِق^(٥).

وتميَّزت هذه الفترة التاريخيَّة بسِمات بارزة، فعلى مستوى سياستها العامَّة سعى حُكَّام بني العبَّاس إلى المحافظة على كيان الخلافة العربيَّة الإسلاميَّة وسلطانها، ومواجهة كلِّ الأخطار الخارجيّة التي هدَّدت الدَّولة.

قام العبَّاسيُّون بالتنكيل بالعلويِّين، وحاولوا قطع دابرهم، واستمرَّ العُتبيُّ يُشاهد ويعاصر الأحداث لما قضى العبَّاسيُّون على حركات علويَّة أُخرى، منها لما ثار يحيى بن عبد الله بن الحسن سنة (١٧٦هـ-٧٩٢م)، فقضى عليه هارون العبَّاسيُّ^(٦)، وحركة عبد الرَّحمن بن أحمد العلويِّ سنة (٢٠٧هـ-٨٢٢م) في

اليمن في زمن المأمون^(٧)، فضلاً عما قام به بنو العباس مع آل علي بن أبي طالب من مؤامرات واغتيالات لعدد من أئمة أهل البيت عليهم السلام من غير تعبئة الجيوش، كاغتيال هارون العباسي للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (ت ١٨٣هـ - ٧٩٩م)، واغتيال المأمون للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (ت ٢٠٣هـ - ١٨١م)^(٨). اتفقت أغلب المصادر على أن وفاة العتبي كانت سنة (٢٢٨هـ / ٨٤٣م)^(٩)

١- أسلوبه

الأسلوب هو الوجه والمذهب أو الفن^(١٠). وعلى هذا الأساس، اتبع العتبي أسلوباً معيناً أو منهجية خاصة في التدوين التاريخي ميزته عن غيره من مؤرخي عصره، وإن تشابه في منهجه مع بعض شيوخه، مثل عوانة بن الحكم (ت ١٥٨هـ / ٧٧٥م)، أي: إنه اهتم بالأخبار دون سواها، هذا ما ذهب إليه ابن قتيبة^(١١)، بقوله: «الأغلب عليه الأخبار»، وابن خلّكان والقمي^(١٢)، بقولهما: «كان يروى الأخبار وأيام العرب»، لكنه اختلف مع بعض الرواة الذين مزجوا الحديث بالتاريخ في مروياتهم التاريخية، مثل: عروة بن الزبير (٩٤هـ - ٧١٣م) والزهرري (ت ١٢٤هـ - ٧٤٢م)، وموسى بن عقبة (ت ١٤١هـ - ٧٥٩م)، ومحمد ابن إسحاق (ت ١٥١هـ - ٧٦٨م).

٢- موقفه من السند

السند: هو الإخبار عن طريق المتن، وهو سلسلة الرواة الذين نقلوا لنا متن الحديث* النبوي^(١٣). وقد حظي الحديث النبوي بجهود عظيمة في التحري والتثبت من حيث صحة نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أوجه لم يظفر بها نص من

النصوص، واستطاع المحدثون أن يصلوا إلى قواعد نقدية هي أرقى ما توصَّل إليه البشر في تحقيق نسبة الأقوال إلى قائلها^(١٤).

وللحديث أهميَّة خاصَّة؛ إذ تترتَّب عليه الأحكام الشرعيَّة ذات المساس بمصالح النَّاس، ما يجعل التدقيق فيه أمراً ضرورياً، فضلاً عن كونه أحد مصادر التشريع والفقه^(١٥)، الأمر الذي حدا بعلماء الجرح والتعديل إلى تضعيف المحدث إذا مال إلى الأخبار. ودفعهم التزامهم بالإسناد إلى تقسيم الأخباريين والمؤرِّخين والأدباء وتوثيقهم وتضعيفهم من خلال استخدام الأخيرين للإسناد في رواياتهم^(١٦). فانسحبت تأثير قواعد منهج المحدثين في التزامهم الإسناد على الأخباريين والمؤرِّخين والأدباء، فأصبحت الأسانيد تتقدَّم رواياتهم التاريخية والأدبية، إلَّا إنَّهم تساهلوا في استخدامهم لها، خصوصاً أنَّ هدف علم التاريخ هو العظة والاعتبار فحسب^(١٧).

تأثر العُتبيُّ كغيره من الأخباريين بالإسناد فاستقى رواياته عن طريقين: الأوَّل: عن طريق رواة معاصرين، أو ممَّن أخذ عنهم رواية الحديث، مثل: أبيه عبيد الله العُتبيُّ، وعوانة بن الحكم، وسفيان بن عيينة، وابن جعدية، وغيرهم كثير أتباع سلسلة الأسناد، أمَّا الطريق الثاني، فكان اعتماده على سماعه للرواية بنفسه، واستقائها من مصادرهما الأولى.

وبلغت مجموع الروايات التي جمعناها من مرويات العُتبيِّ (١٠٢٣) رواية مسندة وغير مسندة، منها (٦٠١) رواية مسندة، و (٤٢٢) رواية غير مسندة، قسم من الروايات تنتهي بشيوخه مباشرة^(١٨)، والقسم الثاني وصلت سلسلة

إسناده إلى شيوخ شيوخه^(١٩)، والثالثة وصلت سلسلة إسناده إلى الشيخ الخامس^(٢٠)، وفي هذه الأمور يحاول الوصول إلى الحقيقة من خلال استقاء رواياته من المصادر الأصلية، أو من صاحب الحديث، أو الرواية.

ومن ذلك يتضح أنّ العُتبيّ توخّى الدقّة والحذر في نقل رواياته المسندة إلى شيوخه مباشرة، وإن ابتعد عن الحدث التاريخي، فنجد سلسلة إسناده تتعدّى إلى شيخ أو شيخين أو ثلاثة، حتّى تصل بعض رواياته إلى خمسة شيوخ، المهم أنّ الأخير يكون قد شارك بالحدث فقط؛ لأنّه يتحرّى الدقّة في نقل الحدث التاريخي.

أمّا بالنسبة إلى استخدامه ألفاظ التحميل الدالة على السماع أو المشافهة، فقد أورد العُتبيّ الكثير من رواياته على شيوخه بلفظ: (حدّثنا)^(٢١)، (سمعتُ)^(٢٢)، وتأتي بصورة مباشرة وغير مباشرة، (أخبرنا)^(٢٣)، (قال لي)^(٢٤)، (بلغني)^(٢٥)، وتدلّ على التساهل في السند، وقد ترد هذه الألفاظ في بدء الكلام.

ويبدو أنّ مثل هذه الألفاظ قد دلّت وبشكل واضح أنّ العُتبيّ كان يستقي رواياته من أصولها شفاهاً دون اعتمادها على مدوّنات مكتوبة، وفي بعض الروايات يكون بعض شيوخه من الموالي، كقوله: «حدّثني أبو سليمان مولى لقريش»^(٢٦).

وفي حالة عدم وثوقه بمعلوماته، يقول: «كان الهيثم بن عديّ فيما زعموا...»^(٢٧). وأحياناً يصرّح في سنده بأنّ شيخه قد شهد الحدث موثقاً بذلك روايته، نحو قوله: «حدّثني الحسن بن وصيف، قال: أصابتنا ريح ببغداد جاءت بها لم تأت به ريح قطّ...»^(٢٨)، وقوله: «حدّثني عبد الرحمن بن زياد، قال: اشتكى أبي، فكتب إلى أبي بكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له...»^(٢٩).

وقد يستعين بكنية الشَّيخ بدلاً من إيراد اسمه، نحو قوله: «حدَّثنا أبو إبراهيم...»^(٣٠)، وأحياناً أخرى يورد اسم الشَّيخ وكنيته، كقوله: «حدَّثني أبو يعقوب الخطابي...»^(٣١)، وقوله: «حدَّثني أبي، قال: اختصمت بني إسرائيل...»^(٣٢).

وقد ترد مصادر بصيغ مبهمة، أو مبنية للمجهول، كقوله: «حدَّثني رجل من أهل المدينة...»^(٣٣).

وقوله: «حدَّثني رجل من أهل الشَّام...»^(٣٤)، «حدَّثنا بعض مشايخنا...»^(٣٥). وهذا يدلُّ على تساهل في السَّند، وهذا طبيعيٌّ باعتباره من أهل التاريخ لا الحديث، أو يكون طلب بعض الرِّواة أن لا يذكر اسمهم خوفاً من تعرُّضهم إلى مخاوف أو مضايقات، ولا سيما في الرِّوايات ذات المواضيع الحسَّاسة. ومن المميزات الأخرى لمنهج العُتبيِّ في الكتابة التاريخيَّة هو اهتمامه كلاً ما توافرت لديه المعلومات الكافية بذكر التواريخ، فقد ذكر عُمر معاوية بن يزيد بن أبي سفيان، كقوله: «سبع عشرة سنة والله أعلم»^(٣٦)، وغيرها^(٣٧).

تناول العُتبيُّ في كتابته للتاريخ، النظم الإداريَّة، فقد أورد معلومات كثيرة عن بعض المناصب الإداريَّة في مروياته، كقوله: (خليفة)^(٣٨)، و(الأمير)^(٣٩)، و(العامل)^(٤٠)، و(الوالي)^(٤١)، و(القاضي)^(٤٢).

وتناول العُتبيُّ - كذلك - المصطلحات الاقتصاديَّة، كقوله: (الصَّدقات)^(٤٣)، و(العطاء)^(٤٤)، و(الميراث)^(٤٥)، و(الفدية)^(٤٦)، و(الدَّرهم)^(٤٧)، و(الدِّينار)^(٤٨)، و(الهبه)^(٤٩).

و(بيت المال)^(٥٠)، و(الخراج)^(٥١) و(الوديعة)^(٥٢)، و(الغنيمة)^(٥٣)، و(صيرفي)

(٥٤)، و(المهر) (٥٥)، و(الصدق) (٥٦)، و(الذراع) (٥٧)، و(الميل) (٥٨).

٣- وصفه للأحداث

وصف العُتبيّ الأحداث التاريخية وصفاً دقيقاً، وبأسلوبٍ علميٍّ تاريخيٍّ، بعيداً عن الأسلوب القصصيِّ والخياليِّ، واعتمد على إمكاناته الأدبيّة والشعريّة في صياغة الحدث التاريخيِّ بعبارات سهلة الفهم متسلسلة الأحداث، مع وحدة الموضوع، فإنّ مروياته التي تناقلتها الكتب التاريخية والأدبية وردتْ دون تغيير أو حذف أو اختصار من جانب مؤلّفي هذه الكتب؛ إذ نرى أنّ الرواية متكرّرة في المصادر المختلفة دون تغيير في موضوعها. وهذا يدلُّ على سموّ العُتبيّ في اختيار نوعيّة الروايات التي يرويها، فضلاً عن أسلوبه المتميّز في سرد الرواية، ودليل على ذلك رواية عن مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه (٥٩)، ورواية عن وضوء الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام (٦٠).

المحاورات والمخاطبات

اعتمد العُتبيّ في وصفه الأحداث التاريخية على شكل محاورات أو مخاطبات بين شخصيّات الحدث التاريخيِّ، ذاكرةً أسماءهم وأنسابهم، فضلاً عن أعمالهم ودورهم ومواقفهم، ووجهة نظرهم تجاه الحدث التاريخيِّ، مع أنّ روايات العُتبيّ أغلبها قصيرة، لكنّها ذات معنى كبير، بعيدة عن الإسهاب، وقد يكون مملاً في بعض الأحيان (٦١)، كقوله: «... إنّ كلامنا كلام يقلّ لفظه ويكثر معناه، ويكتفي بأولاه ويُستغنى بأخرا» (٦٢)، وهذا لا يعني أنّ روايات العُتبيّ كلّها قصيرة.

وقد أَمعن العُتبيُّ في إيراد بعض رواياته آياتٍ من الذِّكر الحكيم، أو الشُّعر، أو الأمثال، أو الخطب، وكلِّها أمور تزيد من حنكة الراوي في نقل القارئ إلى زمن الحدث والعيش معه.

ومن المحاورات والمخاطبات التي نقلتها مرويات العُتبيِّ في المصادر التاريخية رواية عن حوار الإمام الحسين بن عليٍّ عليه السلام مع الوليد بن عتبة والي المدينة من قبل يزيد. قال الحسين عليه السلام للوليد بن عتبة: «يا ظالماً لنفسه، عاصياً لرَبِّه، علام تحول بني وبين قوم عرفوا من حقِّي ما جهلته أنت وعمُّك؟!»^(٦٣)، ورواية أُخرى «قال رجلٌ من بني ليث: لقيت الزبير قادمًا، فقلتُ: يا أبا عبد الله، ما بالك؟ قال: مطلوب مغلوب، يغلبني ابني، ويطلبني ذنبي...»^(٦٤).

ولم يقتصر العُتبيُّ في مروياته على جانب معيَّن مثل سيرة الخلفاء والولاة والقادة وغيرهم فحسب، بل يورد في رواياته الجوانب الاجتماعيَّة السَّائدة آنذاك، فقد تطرَّق إلى الأعراب وحياتهم وأخبارهم، فأورد^(٧٠) رواية^(٦٥).

مكانته العلميَّة وآراء الأخباريين والمؤرخين والأدباء فيه

إنَّ ما يؤكِّد المكانة العلميَّة لأبي عبد الرَّحمن العُتبيِّ، إشادة المؤرِّخين به، فقد قال عنه ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): «والأغلب عليه الأخبار، وأكثر أخباره عن بني أميَّة»^(٦٦)، وذكره المرزبانيّ (ت ٣٨٤هـ)، بقوله: «بصريُّ علامة راوية للأخبار والآداب»^(٦٧)، وكذلك ابن النَّدِيم (ت ٣٨٤هـ)، بقوله: «كان من أفصح النَّاس... وكان شاعرًا»^(٦٨).

ذكره الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، بقوله: «أبو عبد الرَّحمن العُتبيُّ الأخباريُّ من أهل

البصرة، حدّث عن أبيه»^(٦٩)، وأشاد به الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، بقوله: «كان صاحب أخبار ورواية للآداب، وكان من أفصح الناس...»^(٧٠).
 أمّا ابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ)^(٧١)، وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)^(٧٢)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ)^(٧٣)، والصفدي (ت ٧٦٤هـ)^(٧٤)، فكان قولهم في العُتبي باختلاف اللفظ أنّه: «صاحب أخبار وآداب، حدّث عن أبيه»^(٧٥)، وزاد ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) في وصف العُتبي بفنون أخرى ليس الأخبار فقط، بل إنّ «صاحب النوادر والآداب والأشعار والأخبار والطرائف والملح والتصانيف»^(٧٦).
 وقد أشاد المحدثون المعاصرون بالعُتبي، مثلاً قال القمي: «الشاعر البصري الأديب الفاضل، كان يروي الأخبار وأيام العرب، وأكثر أخباره عن بني أمية وآبائه»^(٧٧).

وعبر ذلك يتّضح أنّ العُتبي اقتصر في جهوده على رواية الأخبار والآداب وبرع فيها، ولم يكن له نصيب في مجال الأحاديث؛ إذ أشاد به علماء الجرح والتعديل كأخباري وأديب، لا كمحدث، على الرغم من أنّ الذهبي قال: «وسمع أيضاً من سفيان بن عيينة عدّة أحاديث، والأخبار أغلب عليه»^(٧٨).
 إنّ ما عزّز مكانة العُتبي العلميّة وميّزه بها عن غيره، اعتماد العُتبي على مصادر محدودة في انتقاء الرواية التاريخية، ويذكر أغلب المؤرّخين أنّه روى عن أبيه، وأنّ أباه قد عاصر بعض الأحداث، أو سمعها مشافهة؛ لذلك تساهل في بعض رواياته في استخدام السند^(٧٩).

أمّا العُتبي، فإنّ أغلب الروايات المسندة إليه عن أبيه عبيد الله بن عمرو العُتبي هي أخبار بني أمية، وهي في الأغلب تُنقل مشافهة من الأب إلى الابن،

وهما يُنسبان إلى الأسرة الحاكمة (بنِي أميَّة) آنذاك، فيبعث ذلك السَّموَّ والتقدير والزَّهو في نفسه لحفظ تراث عائِلته ونقل أخبارهم، وفي ذلك قد يطمئنُّ ناقل الرِّواية عنه من صحتِّها والثَّوق بها.

مروياتُهُ مُوردًا في كتب الحديث والسُّنَّة والتَّاريخ والأدب

١- الفضل بن شاذان بن الخليل، الأزديِّ النيسابوريِّ (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٤م).
أورد في كتابه (الإيضاح) رواية واحدة غير مسندة عن «ريح صفراء هبَّت على وادي خصيب، وأهله مصفرة ألوانهم»^(٨٠).

٢- ابن عبد ربِّه، أحمد بن محمَّد، القرطبيِّ، الأندلسيِّ (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)
أورد عن العُتبيِّ في مجموع كتبه (١٢٧) رواية، ففي كتابه (العقد الفريد) (١١٥) رواية، منها (٣٦) رواية مسندة، و (٧٩) رواية غير مسندة، تناولت فترة ما قبل الإسلام وعصر الرِّسالة والعصر الأمويِّ والعصر العبَّاسيِّ، وعن أخبار الأعراب، وموضوعات اجتماعيَّة أُخرى، منها رواية عن كرم حاتم الطائيِّ^(٨١)، ورواية عن سؤال النَّبيِّ محمَّد ﷺ عن الزَّهد في الدُّنيا^(٨٢)، ورواية عن عيادة الإمام عليِّ بن أبي طالب عليه السلام الرِّبيع بن زياد؛ إذ أصابته نشابة في جبينه^(٨٣)، ورواية عن سؤال معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص عن أعجب الأشياء^(٨٤)، ورواية عن قول موسى بن عيسى العبَّاسيِّ لأبي شُبَّه: لمْ لا تعودني^(٨٥).

٣- المسعوديِّ، أبو الحسن، عليِّ بن الحسين بن عليِّ (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)
أورد في كتابه (مروج الذهب) (٨) روايات، منها (٧) روايات مسندة،

ورواية واحدة غير مسندة، منها رواية عن خطبة الحجاج في أهل العراق^(٨٦)،
رواية عن رجل محتاج من أهل الصنعة يسأل المأمون العباسي قضاء حوائجه^(٨٧).

٤- ابن حبان البستي، أبو حاتم، محمد بن حبان، التميمي، الدارمي
(ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

أورد في كتابه (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) (٨) روايات، منها (٧)
روايات مسندة، ورواية واحدة غير مسندة، منها رواية وصية أعرابية لابنها
بحفظ السر والابتعاد عن النميمة^(٨٨)، ورواية عن قول الأحنف بن قيس:
الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ المنطق^(٨٩).

٥- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م).

أورد في كتابه (الأمالي) رواية مسندة واحدة عن وفادة جماعة من بني تميم إلى
النبي ﷺ^(٩٠)، وأورد في كتابه الثاني (معاني الأخبار) رواية واحدة مسندة^(٩١).

٦- الشيخ المفيد، محمد بن النعمان، البغدادي، العكبري (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).

أورد في كتابه (الفصول العشرة) رواية واحدة مسندة عن موت ضبيرة
السهمي^(٩٢).

٧- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).

أورد في كتابه (حلية الأولياء) روايتين مسندتين، رواية منها عن وصية الإمام
علي بن الحسين عليه السلام لابنه الإمام الباقر عليه السلام^(٩٣)، ورواية عن وضوء الإمام علي بن
الحسين عليه السلام^(٩٤).

٨- الشَّريف المرتضى، عليّ بن الحسين (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م).

أورد في كتابه (الأمالي) رواية واحدة مسندة عن أخبار الشَّاعر الفرزدق مع عمرو بن العاص^(٩٥).

٩- البيهقي، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م).

أورد في مجموع كتبه (٧) روايات، ففي كتابه (شُعَب الإيمان) (٤) روايات، منها (٣) روايات مسندة، وواحدة غير مسندة. وفي كتابه (الرَّهْد الكبير) أورده (٣) روايات مسندة، منها رواية عن قول: «مسكين ابن آدم، مكتوم الأجل، مكتوم العلل»^(٩٦).

١٠- الشَّيخ الطوسي، نصير الدِّين، محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م).

أورد عن العُتبيِّ (٣) روايات، ففي كتابه (الغيبة) رواية واحدة مسندة^(٩٧)، وفي كتابه (الأمالي) أورد روايتين مسندتين، منها رواية عن قول الإمام عليٍّ عليه السلام: الاستغفار ممحاة للذنوب^(٩٨).

١١- القاضي عيَّاض، أبو الفضل بن موسى، اليحصبيّ (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م).

أورد في كتابه (الإلماع إلى معرفة أصول الرِّواية وتقييد السَّماع) رواية واحدة مسندة^(٩٩).

١٢- ابن عساكر، عليّ بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م).

أفاد ابن عساكر من مرويات العُتبيِّ، فأورد قسماً منها، وبلغ مجموع الرِّوايات التي نقلها عنه (١٣٥) رواية، ففي كتابه (تاريخ دمشق) (١٣٢) رواية، منها

(١٢٩) رواية مسندة، و(٣) روايات غير مسندة^(١٠٠). ومنها رواية عن تولية عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان بلاد الشام. وفي كتابه (تبيين الكذب المفترى) رواية واحدة مسندة^(١٠١)، وفي كتابه الآخر (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام) رواية واحدة مسندة^(١٠٢)، وفي كتابه (معجم ابن عساكر) رواية واحدة غير مسندة^(١٠٣).

١٣- ابن شهر آشوب، محمد بن عليّ، المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م).
أورد في كتابه (مناقب آل أبي طالب) رواية واحدة غير مسندة عن وصيّة الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام لابنه الإمام الباقر عليه السلام^(١٠٤).

١٤- ابن الأثير، عليّ بن محمد بن عبد الكريم، الجزريّ (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م).
أورد عن العُتبيّ في كتابه (الكامل في التاريخ) رواية واحدة غير مسندة^(١٠٥).
١٥- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله محمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).

أورد عن العُتبيّ في كتابه (شرح نهج البلاغة) رواية واحدة مسندة^(١٠٦).
١٦- النوويّ، أبو زكريّا، محيي الدّين، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٨م).
أورد عن العُتبيّ في كتابه (الأذكار النوويّة) رواية واحدة غير مسندة^(١٠٧).

١٧- ابن قدامة المقدسيّ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
أورد عن العُتبيّ في كتابه (الشرح الكبير) رواية واحدة غير مسندة^(١٠٨).

١٨- السبكيّ، تاج الدّين، عبد الوهاب بن تقيّ الدّين (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠).

أورد عن العُتبيِّ في كتابة (شفاء السَّقام) رواية واحدة غير مسندة^(١٠٩).

١٩- المزيّ، يوسف بن عبد الرحمن المزيّ (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م).

أورد من مرويات العُتبيِّ في كتابه (تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال) (٩) روايات مسندات، منها رواية عن قول عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد بن العاص: ما اجتمع فحلان في شوال واحد (١١٠).

٢٠- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن عليّ (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م).

أورد عن العُتبيِّ في كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) روايتين غير مسندتين. منها رواية عن البيت الحرام يجمع عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعروة بن الزبير^(١١١).

٢١- ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن عليّ بن محمّد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).

أورد عن العُتبيِّ في كتابيه (٤) روايات، ففي كتابه (الإصابة في تميز الصّحابة) (٣) روايات، اثنتان مسندتان، وواحدة غير مسندة، منها رواية عن خطبة معاوية بن أبي سفيان في الكوفة^(١١٢). وفي كتابه (تهذيب التهذيب) رواية واحدة غير مسندة^(١١٣).

٢٢- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

أورد عن العُتبيِّ ما مجموعه في كتبه (٤) روايات، ففي كتابه (الدّر المنثور في التفسير بالمأثور) روايتين غير مسندتين^(١١٤). وأورد في كتابه (المزهر في علوم

اللغة وأنواعها) رواية واحدة غير مسندة^(١١٥). وفي كتابه (تاريخ الخلفاء) أورد رواية واحدة غير مسندة^(١١٦).

٢٣- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين البرهان الفوري (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).
أورد عن العتبي في كتابه (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) رواية واحدة غير مسندة^(١١٧).

٢٤- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م).
أورد عن العتبي في كتابه (وسائل الشيعة) رواية واحدة مسندة^(١١٨).
٢٥- البحراني، هاشم (ت ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م).
أورد عن العتبي في كتابه (مدينة المعاجز) رواية واحدة مسندة^(١١٩).

٢٦- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ / ١٧٠٠م).
أورد عن العتبي في كتابه (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار)
(٧) روايات، منها (٤) روايات مسندة، و (٣) روايات غير مسندة، منها رواية
عن دعاء أعرابي يقول: اللهم ارزقنا عمل الخائفين^(١٢٠)، ورواية عن الشاعر
السيد الحميري^(١٢١).

٢٧- الشيخ القمي، عباس (ت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م).
أورد عن العتبي في كتابه (منازل الآخرة والمطالب الفاخرة) رواية واحدة
مسندة^(١٢٢).

٢٨- الأمين، السيد محسن (ت ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م).

أورد عن العُتبيِّ (٨) روايات، ففي كتابه (أعيان الشَّيعة) (٧) روايات، منها (٥) روايات مسندة، واثنين غير مسندتين. منها رواية عن الإمام عليِّ بن الحسين عليه السلام (١٢٣)، ورواية عن السيّد الحميريِّ (١٢٤). أمّا في كتابه (كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب) فقد أورد عن العُتبيِّ رواية واحدة غير مسندة (١٢٥).

٢٩- الأمينيُّ، عبد الحسين أحمد، النجفيِّ (ت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م).
أورد عن العُتبيِّ في كتابه (الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب) (٤) روايات، واحدة مسندة، و (٣) روايات غير مسندة. منها رواية عن قول الزَّبير بن العوام: «مطلوبٌ مغلوبٌ، يغلبني ابني ويطلبني ذنبي» (١٢٦).

٣٠- البروجرديِّ، حسين الطباطبائي (ت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م).
أورد عن العُتبيِّ في كتابه (جامع أحاديث الشَّيعة) روايتين. منها رواية واحدة مسندة، والأخرى غير مسندة. منها رواية عن قول الإمام عليِّ بن أبي طالب عليه السلام: «العجب ممّن يقنط ومعه الممحة» (١٢٧).

٣١- الميلانيِّ، عليّ الحسينيِّ (معاصر).
أورد عن العُتبيِّ في كتابه (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار) روايتين مسندتين. منها رواية عن مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه (١٢٨).

٣٢- مهران، محمد بيّومي (معاصر).
أورد عن العُتبيِّ في كتابه (الإمامة وأهل البيت) رواية واحدة مسندة (١٢٩).

٣٣- يمان، محمد عبده (معاصر).

أورد عن العُتبيّ في كتابه (علّموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ)، رواية واحدة مسندة^(١٣٠).

٣٤- السّبحانيّ، جعفر (معاصر).

أورد عن العُتبيّ في كتابه (ظلال التوحيد) رواية واحدة غير مسندة^(١٣١).

٣٥- النجفيّ، هادي (معاصر).

أورد عن العُتبيّ في كتابه (موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ) رواية واحدة مسندة^(١٣٢).

٣٦- الريشهريّ، محمّد (معاصر).

أورد عن العُتبيّ في كتابه (موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ) في الكتاب والسنة والتاريخ) رواية واحدة مسندة^(١٣٣).

٣٧- الكورانيّ العامليّ، عليّ (معاصر).

أورد عن العُتبيّ في كتابه (ألف سؤال وأشكال) رواية واحدة غير مسندة^(١٣٤).

الآيات القرآنيّة

اتّسمت كتابات العُتبيّ التاريخيّة -أيضاً- باستشهادها بالآيات القرآنيّة التي أوردها ضمن مروياته في أحداث متعدّدة، ولعهود مختلفة، ويُعدّ ذلك تعزيزاً وتكاملاً في المنهج الذي حرص على اتّباعه والإبداع فيه^(١٣٥).

استشهادُهُ بالشَّعر

ذكر العُتبيُّ الكثير من الرِّوايات المتضمِّنة شعراً، منها رواية عن كتاب الشَّاعر (عوام) صاحب الشَّاعر أبي نؤاس إلى بعض عُمَّال ديار ربيعة^(١٣٦):

بحقَّ النَّبيِّ بحقَّ الوصيِّ بحقَّ الحُسين بحقَّ الحُسنِ
بحقَّ التي ظَلِمْتُ حقَّها ووالدُها خيرُ مَيِّتٍ دُفِنُ
ترفَّقْ بأرزاقنا في الخِراج برِّفِيهها وبحطِّ المؤنِّ

قال: فأسقط عنه الخراج طولَ ولايته^(١٣٧).

إيرادُهُ الأمثال والحكم

كغيره من الأخباريين استخدم العُتبيُّ الأمثال والحكم المتداولة والمعروفة في مرويَّاته التاريخيَّة لتعزيزها وتأكيد مصداقيَّتها، وإضفاء الجماليَّة القصصية والفنيَّة عليها، لجعلها مقبولة ومفهومة ومتداولة، تنسجم مع سياق النِّصِّ التاريخيِّ العربيِّ آنذاك، ومن أبرز هذه الأمثال: «الشَّبَابُ جنونٌ، برؤهُ الكبر»^(١٣٨).

ومن الحكم التي جاءت في مرويَّات العُتبيِّ التاريخيَّة التي تُنسب إليه، قوله: «لقاء الإخوان نزهة القلوب»^(١٣٩)، وقوله: «الشَّيبُ مجمع الأمراض»^(١٤٠)، وقوله: «لسان التقصير قصير»^(١٤١)، وقوله: «لا تُنازع الرأي مَنْ لا ينازعك الخطَّ»^(١٤٢)، وقوله: «إذا تناهى الغمَّ انْقَطَعَ الدَّمْعُ»^(١٤٣)، وقوله: «مِنْ كلام العرب: طالت خصومتهم بأطراف الرِّماح»^(١٤٤) وقوله: «إذا خَفَّتْ صعوبة أمر فاستصعبْ له، تذلُّ مراكبه وتلين جوانبه»^(١٤٥)، وقوله: «

ليسَ العطاءُ من الكثيرِ سِماحةً حتَّى تجودَ وما لديك قليلٌ^(١٤٦)

وقوله: «اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات، قالوا: لا تحملنَّ على قلبك ما لا تطيق، ولا تعملنَّ عملاً ليس لك فيه منفعة، ولا تثق بامرأة، ولا تغترَّ بهالٍ وإن كُثر»^(١٤٧).

إنَّ الحِكمَ المذكورة آنفاً تعكس جوهر تجاربه الحياتية، والأحداث التي عاصرها، وقد ضمَّنها مروياته التاريخية، فأضحت سمة مميزة لمنهجها.

الخطب

من الوثائق التي أكثر العُتبيُّ من ذكرها في كتاباته التاريخية خطب الخلفاء والأمراء في الأمصار والقادة، منها: خطبتين لعمر بن عبد العزيز، الأولى هي أول خطبة خطبها، قال: «أيُّها النَّاس، أصلِّحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم، وأصلِّحوا آخرتكم تصلح دنياكم؛ وإنَّ امرئ ليس بينه وبين آدم أب حيٍّ لمعرق في الموت»^(١٤٨).

والثانية قال فيها: «إنَّ لكلَّ سَفَرٍ زاداً لا محالة، فتزوّدوا من دنياكم لآخرتكم التَّقوى، وكُونُوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ، فَتَرْهَبُوا وَتَرْغَبُوا، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ، فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ، وَتَتَقَادُوا لِعَدُوِّكُمْ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ، مَا بَسِطَ أَمَلٌ مَنْ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَا يُصْبِحُ بَعْدَ إِمْسَاءِهِ...»^(١٤٩).

وخطبة لداود بن عليّ العباسي، فقال: «أما بعدُ، فامتنع عليه الكلام، ثمَّ قال: أما بعدُ، فقد يجدُّ المعسر، ويُعسرُّ الموسر، ويُفَلُّ الحديد، ويقطع الكليل، وإنَّما الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الإظلام. وقد يعزُّب البيان...»^(١٥٠).

الكتبُ والرَّسائلُ المتبادلةُ بين الخلفاء والولاة والقادة

ومن المميّزات الأخرى لمنهج العُتبيِّ في الكتابة التاريخية اهتمامه وإيراده كتب ورسائل متبادلة بين الخلفاء وأمرائهم على الأمصار الإسلاميّة، أو بين الأمراء أنفسهم وولايتهم على المدن، أو بينهم وبين قادة جيوشهم، أو القادة أنفسهم، ومن هذه الكتب:

كتاب أم سلمة (رحمة الله عليها) لعائشة لما همّت بالخروج إلى الجمل: «يا عائشة، إنّك سدة بين رسول الله ﷺ وبين أمّته، حجابك مضروب على حرمة، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكن الله من عقيرك، فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمّة، قد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانك، لو أراد أن يعهد فيك عهد، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد...»^(١٥١). رفضت عائشة نصح أم سلمة، وخرجت مع الزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله إلى البصرة لمواجهة الإمام عليّ عليه السلام^(١٥٢)، فكانت معركة الجمل.

وكتاب الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى (فرقد السبخي)*: «أمّا بعد، فإنّي أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علّمك الله، والاستعداد لما وعد الله ممّا لا حيلة لأحد في دفعه، ولا ينفع الندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الجاهلين، وشمر الساق، فإنّ الدُّنيا ميدان مسابقة، والغاية الجنّة أو النّار...»^(١٥٣).

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصريّ: «أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي، فعظني وأوجز. فكتب إليه الحسن: أمّا بعد، فاعصِ هواك، والسّلام»^(١٥٤).

إنَّ اهتمام العُتبيّ بالكتب والرّسائل المتبادلة بين الخلفاء والولاة والقادة يعني في جانب مهمٍّ منه اهتمامه بمجريات السّياسة في العهود المختلفة عبّر هذه الوسائل الرّسميّة آنذاك، وتدلّ على شموليّة منهجه واستيعابه لكلّ التفاصيل وتضمينها مروياته التاريخيّة، وعدم اقتصره على جانبٍ دون آخر، فيعترى منهجه النقص، لاسيّما وأنّ تلك الكتب والرّسائل عبارة عن توثيق سياسيٍّ للعهود التي تناولها، ويُستفاد منها في تحليل ودراسة تلك العهود تاريخيّاً.

الشمول الزماني والمكاني

لم تكن مرويات العُتبيّ تخصّ فترة إسلاميّة واحدة، أو تقتصر على مصرٍ واحد من أمصار الدّولة الإسلاميّة، بل امتازت بالشمول الزماني والمكانيّ للأمصار الإسلاميّة.

أ- الشمول الزماني

ويعني أنّ المساحة الزمانيّة التي غطاها محمد بن عبيد الله العُتبيّ في ميدان الكتابة التاريخيّة كانت واسعة؛ إذ بلغ عدد الرّوايات التي أوردتها العُتبيّ في مختلف المصادر بحدود (١٠٢٣) رواية، تناولت معلومات تاريخيّة، وسياسيّة، واجتماعيّة، وعسكريّة، واقتصاديّة، وأدبيّة، وقد توزّعت هذه الرّوايات بدءاً من فترة ما قبل الإسلام حتّى عصر المأمون العبّاسيّ (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م).

ب- الشمول المكاني

لم يلتزم العُتبيّ بحدود جغرافيّة معيّنة أو إقليم محدّد في مروياته التاريخيّة،

بل اتَّسعت مروياته، فشملت الدولة العربيَّة المترامية الأطراف، ذاكراً الأمصار الإسلاميَّة لأهمِّيَّتها حسب ما يتوافر لديه من معلومات تاريخيَّة، وكان للعراق حيزٌ كبير من مرويات العُتبيِّ؛ لأنَّه موطنه الذي عاش فيه وعاصر بعض أحداثه التاريخيَّة، فضلاً عن ذلك كانت بغداد حاضرة الدولة العربيَّة الإسلاميَّة في العصر العبَّاسيِّ، وتوزَّعت على أمصارها: الكوفة^(١٥٥)، والبصرة^(١٥٦)، ومكَّة^(١٥٧)، والمدينة^(١٥٨)، ومصر^(١٥٩)، غيرها.

إنَّ الشَّمول الزَّمنيَّ والمكانيَّ الذي عبَّر عنه العُتبيُّ شمل حقبةً تاريخيَّةً متنوِّعةً، وأمصاراً إسلاميَّةً مختلفة، وبمروياته التاريخيَّة تلك كان قد أكَّد وبرهن استيعابه لمفهوم الأُمَّة.

تعقيباتُه وتعليقاتُه في رواياته

من سمات منهج العُتبيِّ التاريخيِّ في مروياته التاريخيَّة توضيح وتعقيب بعض المصطلحات التي أوردها في رواياته التي نقلتها المصادر التاريخيَّة والأدبيَّة عنه، منها لغويَّة وقبليَّة، وأبدى توضيحات لبعض الشَّخصيَّات التاريخيَّة، منها رواية عن مروان بن الحكم الذي كان أمير المدينة^(١٦٠).

ومن توضيحاته عن سبب تسمية الشُّهور العربيَّة بتسمياتها عقب بقوله: «سُمِّيَ المحرَّم [محرَّماً]؛ لأنَّه جُعِلَ حراماً؛ وصفر لإصْفار مكَّة من أهلها؛ والرَّبيعان؛ للخصب فيهما، والجماديان، لجمود الماء فيهما من شدَّة البرد، ورجب، لترجيْب العرب أسْتَتْها؛ وشعبان؛ لأنَّه شعب بين رجب ورمضان؛ ورمضان لإرماض الأرض من الحرِّ؛ وشوَّال؛ لأنَّ الإبل شالت بأذنابها فيه لحملها؛ وذو

القعدة، لعودهم فيه عن الغزو من أجل الحج؛ وذو الحجة، للحج»^(١٦١).

رواياته الطريفة

من سمات منهج العُتبيّ الأخرى في كتابة التاريخ إيراد النواذر في الحوادث التاريخية، وقد صاغها بأسلوب أدبي رفيع يشدُّ القارئ إليها دون ملل، وهي كفاكهة المجالس، يأخذ منها السامع العظة والحكمة، لاسيما أن هدف دراسة التاريخ العبر والاتعاظ كما ذكرناه آنفاً.

قال في رواية طريفة: «ضرب رجل أباه، فقليل له: أما عرفتَ حقّه؟ قال: لا؛ لأنّه لم يعرف حقّي! قيل: فما حقّ الولد على الوالد؟ قال: أن يتخير أمّه، ويُحسن اسمه، ويختنه، ويعلمه القرآن! ثمّ كشف عن عورته، فإذا هو أكلف، وقال: اسمي برغوث، ولا أعلم حرفاً من القرآن، وقد استولديني من زنجيّة، فقل للوالد: احتمله، فإنك تستأهل!»^(١٦٢).

ورواية أخرى: قال رجل لخيّاط: «خط لي هذا الثوب وساحني في الأجرة. فقال: أخيطه لك مجّاناً. فقال: زدني. قال: إذا تحرق رقعتك لك. ونحو ذلك أن رجلاً كان يستأجر غلاماً، فقال: كم تطلب؟ فقال: بملء بطني. فقال: ساحني. فقال: لا أعرف مساحة في ذلك إلا أن أصوم لك الاثنين والخميس في الأسابيع لتربح غداءهما»^(١٦٣).

ورواية أخرى، قال العُتبيّ: كان الأصمعيّ يجعل الخبز الحارّ أدماً للخبز البارد، ولو بُذلت له الجنة بدرهم لاستنقص منه شيئاً^(١٦٤)، وجاءت هذه الرواية بلفظ ثانٍ: «لما مات الأصمعيّ، اشتروا من ماله جزوراً، فنحروها عنه،

فقال العُتبيُّ: والله، لو عاش لما أراد الحياة بما نقصوه من ماله، ولو بُذِلَتْ له الجَنَّةُ بدرهم ما رضي أو تستنقص شيئاً^(١٦٥)، وهذا يعني أنَّ العُتبيَّ معاصرٌ له. ومن الطرائف الأخرى التي ذكرها العُتبيُّ في مرويَّاته التاريخية، قال: «رفع رجل قصَّة إلى المأمون، وسأله أن يأذن له في الدَّخول عليه، والاستماع منه، فأذن له، فدخل، فسلم، فقال له المأمون: تكلم بحاجتك، قال: أخبر أمير المؤمنين أن مصائب الدَّهر وأعاجيب الأيام ومحن الزَّمان قصدتني، فأخذت مني ما كانت الدُّنيا أعطتني، فلم تبق لي ضيعة إلَّا خربت، ولا نهر إلَّا اندقر، ولا منزل إلَّا تهدَّم، ولا مال إلَّا ذهب، وقد أصبحت لا أملك سبداً ولا كبداً، وعليَّ دين كثير، ولي عيال وأطفال وصبية صغار، وأنا شيخ كبير، قد قعدت بي المطالب، وكبرت عني المكاسب، وبي حاجة إلى نظر أمير المؤمنين وعطفه، قال: فبينما هو في الكلام إذ ضرط، فقال: وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدَّهر ومحنته، ولا والله ما ظهر مني قطَّ إلَّا في موضعه، فقال المأمون لجلسائه: ما رأيت قطَّ أقوى قلباً ولا أربط جأشاً ولا أشدَّ نفساً من هذا الرَّجل، ثمَّ أمر له بخمسين ألف درهم مُعجَلةً»^(١٦٦).

الهوامش

- ١- المرزباني، معجم الشعراء: ص ١١١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢٦/٣؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ٣٩٧-٣٩٩.
- ٢- جرجي زيدان، تاريخ التمدّن الإسلامي: ٢/٣٣٦.
- ٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٢/٢٣٦.
- ٤- ابن قتيبة، المعارف: ١/١٢٢؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ٤/٣٩٨.
- ٥- حسن، تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثقافي والاجتماعي: ٥١-٥٢.
- ٦- البعقوبي، تاريخ البعقوبي: ٢/٤٠٨؛ ابن الأثير، الكامل: ٦/١٢٥-١٢٦؛ الأميني، بطل فخر: ص ١٠٣.
- ٧- الطبري، تاريخ الرّسل والملوك: ٧/١٦٨-١٦٩.
- ٨- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص ٢٤٨-٢٥١.
- ٩- ابن قتيبة، المعارف: ص ٥٣٨؛ ابن النّديم، الفهرست: ص ٣٥٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣/١٢٦.
- ١٠- ابن منظور، لسان العرب: ١/٤٧١؛ الزّبيدي، تاج العروس: ٣/٧١.
- ١١- المعارف: ص ٥٣٨.
- ١٢- وفيات الأعيان: ٤/٣٩٨؛ الكنى والألقاب: ٢/٤٦٤.
- ❖ الحديث: (هو ما أثر عن النّبي ﷺ بعد نبوّته من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقيّ أو خلقيّ)، يُنظر الدّليمي، تيسير علوم السّنة النبويّة: ص ١٢٦.
- ١٣- رشيد عبد الرّحمن العبيدي، معجم مصطلحات الحديث النبوي: ص ١٥٦.
- ١٤- داود الدّليمي، تيسير علوم السّنة النبويّة: ص ٢٨.
- ١٥- داود الدّليمي، تيسير علوم السّنة النبويّة: ص ٢٩.
- ١٦- هرنشو، علم التاريخ: ص ٥٧.

- ١٧- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ: ص ١٦-٣٣.
- ١٨- الدينوري، الأخبار الطوال: ١٩٢/٥.
- ١٩- الرامهرمزي، المحدث الفاصل: ص ٧٩.
- ٢٠- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الرّواي: ١٣٠/٢.
- ٢١- وكيع، أخبار القضاة: ١٨٨/٢.
- ٢٢- الزمخشري، ربيع الأبرار: ٢١٢/٤.
- ٢٣- المزي، تهذيب الكمال: ١١١/٨.
- ٢٤- ابن الجوزي، المنتظم: ١٣٥/٩.
- ٢٥- القالي، الأمالي: ١٧٩/٢.
- ٢٦- القالي، الأمالي: ص ٢٠١.
- ٢٧- ابن عبد ربّه، طبائع النّساء: ص ١٠٩.
- ٢٨- أبو حيّان التوحيدّي، البصائر: ١٥١/٩.
- ٢٩- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ١٧٥/٢.
- ٣٠- وكيع، أخبار القضاة: ١٨٨/٢.
- ٣١- أبو بكر الدّينوري، المجالسة وجواهر العلم: ٣٤٨/٧.
- ٣٢- ابن حبان، روضة العقلاء: ص ٣١٣.
- ٣٣- ابن عبد ربّه، طبائع النساء: ص ٥٠.
- ٣٤- القالي، الأمالي: ٢٥٥/٢.
- ٣٥- التنوخي، الفرج بعد الشّدّة: ٩٣/٥.
- ٣٦- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣١٤/٢٠.
- ٣٧- ابن كثير، البداية والنهاية: ١٩٤/٩.
- ٣٨- ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٢٦١/٢؛ الذهبي، أعلام النبلاء: ١١٧/٥.
- ٣٩- ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ٩٧/٣.
- ٤٠- التنوخي، الفرج بعد الشّدّة: ٩٣/٥.
- ٤١- البيهقي، شُعب الإيمان: ٧٠/٦.
- ٤٢- ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١٠٩/٢١؛ ابن منظور، لسان العرب: ٣٣٦/١.

- ٤٣- ابن الجوزي، ذمّ الهوى: ص ٣٩٠.
- ٤٤- ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١١ / ٣٩٠.
- ٤٥- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٢ / ٢٨٦؛ أبو حيّان التوحيدى، البصائر: ٧ / ١٩١.
- ٤٦- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ١٥ / ١٦٩.
- ٤٧- البلاذري، أنساب الأشراف: ٤ / ٧٤.
- ٤٨- ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٥ / ٤٤.
- ٤٩- أبو حيّان التوحيدى، البصائر: ٢ / ٢١.
- ٥٠- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٠٣؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٤٦ / ٩٥.
- ٥١- ابن دريد، الفوائد والأخبار: ص ٣٣.
- ٥٢- أبو حيّان التوحيدى، البصائر: ٢ / ٢١.
- ٥٣- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٣ / ٢٦٠.
- ٥٤- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ١١ / ١٩٨.
- ٥٥- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٧ / ١٣٢.
- ٥٦- ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٤ / ٢٩٥.
- ٥٧- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٤ / ١٣٠.
- ٥٨- الجري، الجليس الصالح: ص ٥٠٥.
- ٥٩- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٥ / ٨٨؛ الميلاني، نفحات الأزهار: ٣ / ٣٧.
- ٦٠- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء: ٣ / ١٣٣؛ البحراني، مدينة المعاجز: ٤ / ٢٥.
- ٦١- الثعالبي، التمثيل والمحاضرة: ص ٤٦١.
- ٦٢- ابن عساكر تاريخ دمشق: ٤٦ / ٢٧٣.
- ٦٣- البلاذري، أنساب الأشراف: ٣ / ١٥٦.
- ٦٤- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٥ / ٤٦.
- ٦٥- ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١ / ٣٥٢، ١٧٤، ٣ / ٨٩، ٤٤٥؛ ابن طيفور، المصدر السابق: ص ٤٨، ٤٨، ١١٤، ١٣٦، ١٤٩؛ الخرائطي، اعتلال القلوب: ١ / ٤٤، ١٨٩؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ١ / ١٥٨، ٤ / ٦، ١٠، ١٥، ٣٠، ٣٥، ٤٥، ٤٩، ٥٤، ٦١.
- ٦٦- ابن قتيبة، المعارف: ص ٥٣٨.

- ٦٧- المَرْزَبَانِيّ، معجم الشعراء: ص ١١١.
- ٦٨- ابن النَّدِيم، الفهرست: ص ١٧٦.
- ٦٩- الطُّوسِيّ، الغيبة: ص ١١٦.
- ٧٠- ابن خَلِّكَان، وفيات الأعيان: ٤ / ٣٩٧ - ٣٩٨.
- ٧١- الأنساب المتفقة: ص ٢٣.
- ٧٢- الكامل: ٩ / ٧.
- ٧٣- سير أعلام النبلاء: ١١ / ٩٦.
- ٧٤- الوافي: ٤ / ٥ - ٦.
- ٧٥- ابن القيسرانيّ، الأنساب المتفقة: ص ٢٣.
- ٧٦- النجوم الزاهرة: ٢ / ٢٥٣.
- ٧٧- الكنى والألقاب: ٢ / ٤٦٤.
- ٧٨- الذهبيّ، العبر: ١ / ٣١٧.
- ٧٩- العليّ، أبو مخنف: ص ٢٦٠.
- ٨٠- الفضل بن شاذان، الإيضاح: ص ١٤.
- ٨١- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ١ / ٢٥.
- ٨٢- ابن عبد ربّه: ٣ / ١١٨.
- ٨٣- ابن عبد ربّه: ٢ / ٢١٣.
- ٨٤- ابن عبد ربّه: ٥ / ١١٥.
- ٨٥- ابن عبد ربّه: ٣ / ٣٠٩.
- ٨٦- المسعوديّ، مروج الذهب: ٣ / ١٢٠.
- ٨٧- المسعوديّ، مروج الذهب: ٤ / ١٥.
- ٨٨- روضة العقلاء: ص ١١٧.
- ٨٩- روضة العقلاء: ص ٤٣.
- ٩٠- الأمالي: ص ٥١.
- ٩١- معاني الأخبار: ص ٢٢٢.
- ٩٢- الفصول العشرة: ص ٩٩.

- ٩٣- حلية الأولياء: ٣/ ١٣٨.
٩٤- حلية الأولياء: ٣/ ١٣٣.
٩٥- الأمالي: ١/ ٢١٥.
٩٦- الزهد الكبير: ص ١٧٦.
٩٧- الغيبة: ص ١١٦.
٩٨- الأمالي: ص ٨٨.
٩٩- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: ص ٢٥.
١٠٠- تاريخ دمشق: ٧٠/ ١٦٨.
١٠١- تبين الكذب المفترى: ص ٣٦٤.
١٠٢- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ص ١٦٥.
١٠٣- معجم ابن عساكر: ١/ ٥٩٩.
١٠٤- مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٠٣.
١٠٥- الكامل: ٤/ ١٢٦.
١٠٦- شرح نهج البلاغة: ٥/ ٢٤.
١٠٧- الأذكار النووية: ص ٢٠٦.
١٠٨- الشرح الكبير: ٣/ ٩٩٤.
١٠٩- السبكي، شفاء السقام: ص ٢٨٢.
١١٠- تهذيب الكمال: ٣/ ١٦٠.
١١١- مرآة الجنان: ١/ ١٥١.
١١٢- الإصابة: ٣/ ١٤٥.
١١٣- التهذيب: ٨/ ٣٤.
١١٤- الدر المنثور: ٤/ ٣٢٦، ٦/ ٥١٩.
١١٥- المزهرة: ٢/ ٣٠٨.
١١٦- تاريخ الخلفاء: ص ٢٣٥.
١١٧- كنز العمال: ٤/ ٢٥٩.
١١٨- وسائل الشيعة: ١١/ ٣٥٥.

- ١١٩- مدينة المعاجز: ٢٥/٤.
- ١٢٠- بحار الأنوار: ٣٤١/٩٢.
- ١٢١- بحار الأنوار: ٣١٥/٤٧.
- ١٢٢- منازل الآخرة: ص ١٧٤.
- ١٢٣- أعيان الشيعة: ٦٣٧/١.
- ١٢٤- أعيان الشيعة: ٤٠٨/٣.
- ١٢٥- كشف الارتباب: ص ٢٦٢.
- ١٢٦- الغدير: ٨٣/٩.
- ١٢٧- جامع أحاديث الشيعة: ٢٢٢/١٤.
- ١٢٨- نفحات الأزهار: ٣٧/٣.
- ١٢٩- الإمامة وأهل البيت عليهم السلام: ١٠٧/١.
- ١٣٠- علموا أولادكم محبة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله: ص ١٦٤.
- ١٣١- في ظلال التوحيد: ص ٦٠٣.
- ١٣٢- موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ١٤٨/٧.
- ١٣٣- موسوعة الإمام علي عليه السلام: ٣٢١/٥.
- ١٣٤- ألف سؤال وإشكال: ٨٤/١.
- ١٣٥- وهي رواية احتجاج أبي محجن على عمر بن الخطاب حين أتوا بجعاة يشربون الخمر، فقال أبو محجن: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (المائدة/ ٩٣)، فقال الإمام علي عليه السلام إذا استحلوا الآية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ (البقرة/ ١٧٣) بعدها جلد أبو محجن وجماعته، فأشدد أبو محجن الشعر في الخمر، وإنه غير صابر عنها، فقال عمر: لأضاعفن العقوبة، فأجابه الإمام علي عليه السلام: «وما يجوز لك أن تعاقب رجلاً قال: لأفعلن، وهو لم يفعل، وقد قال الله في الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾» (الشعراء/ ٢٢٦)، أما الرواية الثانية عن استشهاد معاوية بالآية القرآنية بقوله تعالى: ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ * إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (قريش/ ١- ٢)، عندما اختصم قوم من قريش عند معاوية فمنعوا الحق، وفي الرواية الثالثة ورد في خطبة معاوية بن أبي سفيان واستشهاده بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا

تَوُثِّنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/ ١٠٢).

١٣٦- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٣٤٩/٥.

١٣٧- ابن عبد ربّه، المصدر نفسه: ٣٤٩/٥.

١٣٨- الميداني، مجمع الأمثال: ص ٣٩١.

١٣٩- أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة: ص ٤٦١؛ مَنْ غاب عنه المطرب: ص ١٠٢.

١٤٠- أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة: ص ٣٨٦؛ الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب: ٩٧١/٤.

١٤١- الزمخشري، ربيع الأبرار: ٤٣٦/٢.

١٤٢- أبو حيان التوحيدي، البصائر: ١٩٧/١.

١٤٣- أبو حيان التوحيدي، البصائر: ٩٧/٤؛ الزمخشري، ربيع الأبرار: ١٦١/٤.

١٤٤- أبو حيان التوحيدي، البصائر: ١٥٧/١.

١٤٥- الزمخشري، ربيع الأبرار: ١٠٣/٣.

١٤٦- المبرّد، الفاضل: ص ٣٩.

١٤٧- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٩٠/٣.

١٤٨- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء: ٢٦٦/٥.

١٤٩- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ١٧٩/٤.

١٥٠- أبو هلال العسكري، الصناعتين: ص ٢٢.

١٥١- ابن طيفور، بلاغات النساء: ص ١٠.

١٥٢- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٨٢/٢.

* فرقد السّبحي، أبو يعقوب، أحد زهاد البصرة. روى عن سعيد بن جبير ومرة الطيب. وقيل: هو من سبخة الكوفة، روى عنه الحمادان، وجعفر بن سليمان، يُنظر: الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/٣٤٥.

١٥٣- ابن كثير، البداية والنهاية: ٢٦٩/٩.

١٥٤- ابن دريد، الفوائد والأخبار: ص ٢١.

١٥٥- ابن عبد ربّه، طبائع النساء: ص ١٩١؛ العقد الفريد: ١/٢٣٠، ٧/١٣٦؛ أبو

الفرج الأصفهاني، الأغاني: ٣٧/١، ١٤٥/٩، ٣٠٣/١٣؛ الجري، المجلس الصالح: ص ٤٥٥؛ أبو حيان التوحيد، البصائر: ٥/١٤٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٦/١١٢؛ السراج القاري، المصدر السابق: ١/٢٨٩؛ ابن الجوزي، أخبار النساء: ص ١٣٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق: ٢٩/٢٨٥؛ المزي، المصدر السابق: ٢/١٥٠.

١٥٦- ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/٤١٧؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ١/٢٥٥، ٣٢٠/١؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ٣٧/١، ٩٠/٦، ١٤٥/٩، ٣٠٣/١٣، ٢٢١/٣٤١؛ المرزباني، نور القبس: ص ١٩٤؛ ابن حمدون، المصدر السابق: ٢/١٥١؛ ابن الجوزي، أخبار الظراف: ص ١١١؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق: ١٩/٢٧٠.

١٥٧- البلاذري، أنساب الأشراف: ٧/٢٣٠؛ المبرد، الكامل في اللغة: ٤/٩٢؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٢/٧١، ١٤٥/٣، ٢٥٥/٤، ٢١٨/٧، ٢٩٤؛ طبائع النساء: ص ١٢٠؛ القالي، المصدر السابق: ١/٢٣٦؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ١٢/٧٣؛ الجري، المصدر السابق: ص ٤٤٧، ٤٥٥؛ أبو حيان التوحيد، البصائر: ١/١٢٣؛ ابن حمدون، المصدر السابق: ٢/٣٤٠؛ الخطاب الرعيني، مواهب الجليل: ٤/٣٩١.

١٥٨- ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/٣٠٠، البلاذري، أنساب الأشراف: ٧/٢٣٠؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٤/٢١٨، ٧/١١٣؛ طبائع النساء: ص ٥٠؛ الصولي، أشعار أولاد الخلفاء: ص ٣١٢؛ القالي، المصدر السابق: ١/٢٧٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ١١/١٩٩؛ الجري، المصدر السابق: ص ٣١٩؛ ابن رشيقي، المصدر السابق: ١/٥٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق: ٢٥/٥٧؛ لسان العرب: ١/٣٣٦؛ نور الدين اليوسي، زهر الأكمل: ٢/٢٢.

١٥٩- ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/٢٩٨، ٢/٢٦١؛ المبرد، الكامل في اللغة: ٤/٩٢؛ ابن دريد، الفوائد والأخبار: ص ٣٢؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ١/١٨، ٤/٢٢٣؛ الكندي، ولاة مصر: ص ٥٨؛ القالي، المصدر السابق: ١/٢٤١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٨/٢٦٩؛ أبو طاهر السلفي، معجم السفر: ص ٢٥٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق: ١٩/١٠٠؛ المزي، المصدر السابق: ٢٠/٣٩٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/١١٧؛ الشيخ الأميني، الغدير: ٦/١٤٤.

١٦٠- ابن حجر، الإصابة: ٣/٣٥٦.

- ١٦١- ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٧ / ٢٩٤.
١٦٢- الرّاغب الأصفهانيّ، محاضرات الأدباء: ١ / ٤٠٠.
١٦٣- الرّاغب الأصفهانيّ، محاضرات الأدباء: ١ / ٥٥٠.
١٦٤- الآبي، نشر الدّر: ٣ / ١٩٧؛ الرّاغب الأصفهانيّ، محاضرات الأدباء: ١ / ٥٥٠؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونيّة: ٢ / ٣٣٣؛ الوطواط، غرر الخصائص الواضحة: ص ٣٨٢.
١٦٥- الزمخشريّ، ربيع الأبرار: ٤ / ٣٩٧.
١٦٦- المسعوديّ، مروج الذهب: ٤ / ١٥.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر الأوليّة

- الآبي، منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م).
 - ١- نثر الدرّ في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلميّة (بيروت/ ٢٠٠٤م).
 - ابن الأثير، عزّ الدين، أبو الحسن، عليّ بن محمّد بن عبد الكريم، الجزريّ (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
 - ٢- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربيّ، (بيروت/ ١٩٩٧م)
 - الأصفهانيّ، أبو الفرج، عليّ بن الحسين بن محمّد، الأمويّ (ت ٣٥٦هـ / ٩٧٥م).
 - ٣- الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر، (بيروت/ د.ت).
 - ٤- مقاتل الطالبين، ط٢، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت/ ٢٠٠٩م).
 - البحرانيّ، هاشم (ت ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م).
 - ٥- مدينة المعاجز، تحقيق: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة (قم المقدّسة/ ١٤١٤هـ).
 - أبو بكر الدّينوريّ، أحمد بن مروان (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٥م).
 - ٦- المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: أبو عبيدة المشهور ابن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن حزم، عالم الكتب (بيروت/ ١٤١٩هـ).
 - البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
 - ٧- أنساب الأشراف، سهيل زكار ورياض الزركليّ، ط١، دار الفكر، (بيروت/ ١٩٩٦م).
 - البيهقيّ، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن عليّ (ت ٤٥٨هـ).

- ٨- شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلميّة (بيروت/ ١٤١٠هـ).
- ٩- الزُّهد الكبير، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط٣، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، (بيروت/ ١٩٩٦م).
- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي، الأتابكيّ (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).
- ١٠- النّجوم الزّاهرة في أخبار مصر والقاهرة، (لا. ط)، مطبعة دار الكتب، (مصر/ د.ت).
- التنوخيّ، أبو عليّ، المحسن بن عليّ (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).
- ١١- الفرّج بعد الشّدّة، تحقيق: عبود الشّالجي، (لا. ط)، دار صادر، (بيروت/ ١٩٧٨م).
- أبو منصور الثعالبيّ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م).
- ١٢- مَنْ غاب عنه المطرب، (لا. ط)، المطبعة الأدبيّة، (بيروت/ ١٣٠٩هـ).
- ١٣- التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتّاح محمد الحلّو، ط٢، الدار العربيّة للكتاب، (بيروت/ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م).
- الجريريّ، معافي بن زكريّا، النهروانيّ (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م).
- ١٤- الجليس الصّالح الكافي والأنيس النّاصح الشّافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلميّة، (بيروت/ ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
- ابن الجوزيّ، أبو الفرّج، عبد الرّحمن البغداديّ (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
- ١٥- المتّظّم في تاريخ الملوك والأمم، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميّة، (بيروت/ ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
- ١٦- ذمّ الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (لا. ط)، (ت.د).
- ابن حَبّان، محمد بن حَبّان، البستيّ (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).
- ١٧- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، (لا. ط)، دار الكتب العلميّة، (بيروت/ ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م).
- ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن عليّ بن محمد بن حجر، (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).
- ١٨- الإصاّبة في تمييز الصّحابة، تحقيق: عليّ محمد البجاوي، ط١، دار الجليل، (بيروت/ ١٤١٢هـ)

- ١٩- تهذيب التهذيب، ط ١، دار الفكر، (بيروت/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).
- ٢٠- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة/ ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م).
- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ).
- ٢١- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لأحياء التراث، ط ٢، مهر، (قم المقدسة - ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
- الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن تميم، الأنصاري، القيرواني (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م)
- ٢٢- زهر الآداب وثمر الألباب، (لا.ط)، دار الجيل، (بيروت/ د.ت).
- ابن حدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ).
- ٢٣- التذكرة الحمدونية، ط ١، دار صادر، (بيروت/ ١٤١٧هـ).
- أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد (ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م).
- ٢٤- البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، ط ١، دار صادر، (بيروت/ ١٩٨٨م).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- ٢٥- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد النجار عطا، (لا.ط)، دار الكتب العلمية، (بيروت/ ١٩٧٧م).
- ٢٦- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، د. محمود الطحان، (لا.ط)، مكتبة المعارف، (الرياض/ د.ت).
- ابن خلّكان، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
- ٢٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار صادر، (بيروت/ ١٩٧١م).
- ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م).
- ٢٨- الفوائد والأخبار، إبراهيم صالح، ط ٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت/ ١٩٨٦م).
- الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م).
- ٢٩- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط ١، دار إحياء الكتاب العربي - عيسى

- البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة/ ١٩٦٠م).
- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
- ٣٠- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة، (بيروت/ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- ٣١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، عليّ محمد البجاوي، (لا.ط)، دار المعرفة، (بيروت/ د.ت).
- ٣٢- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (لا.ط)، دار الكتب العلمية، (بيروت - لبنان / د.ت).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ).
- ٣٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط ١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، (بيروت / ١٤٢٠هـ).
- الزاهر مزي، الحسن بن عبد الرحمن (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م).
- ٣٤- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، ط ٣، دار الفكر، (بيروت/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- الزبيدي، حب الدين، أبو الفيض، محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت ١٢٠٥هـ).
- ٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (لا.ط)، (دار الهداية/ د.ت).
- الزحشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م).
- ٣٦- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، (بيروت/ ١٤١٢هـ).
- السبكي، تقي الدين، علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦هـ).
- ٣٧- شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ط ٤، المطبعة الأميرية الكبرى، (القاهرة/ ١٤١٩هـ).
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٥٠١م).
- ٣٨- الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي، (بيروت/ ١٩٨٣م).
- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).
- ٣٩- تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط ١، مكتبة نزار مصطفى الباز،

- (بيروت/ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- ٤٠ - الدَّرُ المَشُور في التفسير بالمأثور، (لا.ط)، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت/ د.ت).
- ٤١ - المِزهر في علوم اللِّغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد عليَّ منصور، ط ١، دار الكتب العلميَّة، (بيروت/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- ابن ساذان، جبرائيل بن إسماعيل بن أبي طالب، القميِّ (ت نحو ٦٦٠هـ).
- ٤٢ - الإيضاح، تحقيق: جلال الدِّين الحسينيِّ، الأرموي، ط ١، مؤسَّسة انتشارات، (طهران/ ١٣٥١هـ).
- الشَّريف المرتضى، أبو القاسم، عليَّ بن الحسين، علم الهدى (ت ٤٣٦هـ).
- ٤٣ - أمالي المرتضى، تحقيق: الشَّيخ أحمد بن الأمين، الشنقيطيِّ، المطبعة مكتبة آية الله العظمى المرعشيِّ النجفيِّ، ط ١، (قم المقدَّسة/ ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م).
- ابن شهر آشوب، محمَّد بن عليَّ (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).
- ٤٤ - مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من العلماء، المطبعة الحيدريَّة، (النجف/ ١٩٥٦م).
- الصَّدوق، أبو جعفر، محمَّد بن عليَّ بن الحسين بن بابويه، القميِّ (ت ٣٨١هـ).
- ٤٥ - الأمالي، تحقيق: قسم الدِّراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط ١، (قم/ ١٤١٧هـ).
- ٤٦ - معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، (لا.ط)، مؤسَّسة النشر الإسلاميِّ (قم المقدَّسة/ ١٣٧٩هـ).
- الصَّفديِّ، صلاح الدِّين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
- ٤٧ - الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط ١، دار إحياء التَّراث، (بيروت/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- الطبريِّ، محمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
- ٤٨ - تاريخ الرِّسل والملوك، تحقيق: نخبة من العلماء، ط ٤، مؤسَّسة الأعلميِّ للمطبوعات، (بيروت/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- الطوسيِّ، أبو جعفر، محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).
- ٤٩ - الأمالي، تحقيق: قسم الدِّراسات الإسلاميَّة، ط ١، دار الثَّقافة، (قم المقدَّسة/ ١٤١٤هـ).

- ٥٠- الغيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني، علي أحمد ناصح، ط١، بهمن، (قم المقدسة/ ١٤١١هـ).
- ابن طيفور، أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م).
- ٥١- بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، (لا.ط)، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، (القاهرة/ ١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م).
- ابن عبد ربّه، أبو عمر، أحمد بن محمد، القرطبي، الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).
- ٥٢- العقد الفريد، ط١، دار الكتب العلميّة، (بيروت/ ١٤٠٤هـ).
- ٥٣- طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، مكتبة القرآن، (القاهرة/ د.ت).
- ابن عساكر، تقيّ الدين، أبو القاسم، عليّ بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).
- ٥٤- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، (لا.ط)، دار الفكر، (بيروت/ ١٤١٥هـ).
- ٥٥- معجم الشيوخ، تحقيق: د. وفاء تقيّ الدين، ط١، دار البشائر، (دمشق/ ٢٠٠٠م).
- ٥٦- تبين الكذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط٣، دار الكتاب العربي، (بيروت/ ١٤٠٤هـ).
- ٥٧- ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، (بيروت/ ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م).
- القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى، اليحصبي (ت ٥٤٤هـ).
- ٥٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (لا.ط)، دار الفكر، (بيروت/ ١٩٨٨م).
- ٥٩- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيّد أحمد صقر، ط١، دار التراث، (القاهرة/ ١٣٧٩هـ- ١٩٧٠م).
- القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).
- ٦٠- الأمالي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، دار الكتب المصريّة، (مصر/ ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م).
- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
- ٦١- عيون الأخبار، (لا.ط)، دار الكتب العلميّة، (بيروت - لبنان/ ١٤١٨هـ).
- ٦٢- الشعر والشعراء، (لا.ط)، دار الحديث، (القاهرة/ ١٤٢٣هـ).

- ٦٣- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، (القاهرة/١٩٩٢م).
- ٦٤- غريب الحديث، تحقيق: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلميّة، (بيروت/١٩٨٨م) - ابن قدامة: أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٦٨٢هـ).
- ٦٥- الشّرح الكبير، (لا.ط)، دار الكتاب العربيّ، (بيروت/ د.ت).
- ابن القيسرانيّ، أبو الفضل، محمّد بن طاهر (ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م).
- ٦٦- الأنساب المتفقة في الخطّ المتأثّلة في النقط والضبط، تحقيق: دي يونج، (لا.ط)، طبع في ليدن، (بريل/ ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م).
- ابن كثير، عماد الدّين، إسماعيل بن عمر، القرشيّ (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- ٦٧- البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، (بيروت/١٩٨٨م).
- المبرّد، أبو العبّاس، محمّد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م).
- ٦٨- الفاضل، ط٣، دار الكتب المصريّة، (القاهرة/ ١٤٢١هـ).
- المتقي الهنديّ، علاء الدّين بن عليّ (ت ٩٧٥هـ).
- ٦٩- كنز العَمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: الشّيخ بكري حياني، صفوة السّقا، (لا.ط)، مؤسّسة الرّسالة، (بيروت/ ١٩٨٩م).
- المجلسيّ، محمّد باقر (ت، ١١١١هـ / ١٧٠٠م).
- ٧٠- بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار، ط٢، مؤسّسة الوفاء، (بيروت/ ١٩٨٣م).
- المرزبانيّ، أبو عبيد الله، محمّد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م).
- ٧١- معجم الشّعراء، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلميّة، (بيروت/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- المرزّيّ، أبو الحجاج، يوسف (ت ٧٤٢هـ).
- ٧٢- تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط١، مؤسّسة الرّسالة، (بيروت/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- المسعوديّ، أبو الحسن، عليّ بن الحسين بن عليّ (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م).

- ٧٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط ١، دار الأنوار، (بيروت / ٢٠٠٩م).
- الشيخ المفيد، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ).
- ٧٤- الفصول العشرة في الغيبة، تحقيق: فارس الحسن، ط ٢، دار المفيد للطباعة والنشر، (بيروت / ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، الأفرقيي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
- ٧٥- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط ١، دار الفكر، (دمشق / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م).
- ٧٦- لسان العرب، ط ٣، دار صادر، (بيروت / ١٤١٤هـ).
- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، النيسابوري (ت، ٥١٨هـ / ١١٢٤م).
- ٧٧- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، (بيروت / د.ت).
- ابن النديم، محمد بن إسحاق (٣٨٤هـ - ١٠٤٧م).
- ٧٨- الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط ٢، دار المعرفة، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م).
- ٧٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (لا، ط)، نشر السعادة، (مصر / ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- النووي، أبو زكريا، محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ).
- ٨٠- الأذكار النووية، (لا.ط)، دار الفكر، (بيروت / ١٩٩٤م).
- النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).
- ٨١- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت / ٢٠٠٤م).
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م).
- ٨٢- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (لا.ط)، المكتبة العصرية، (بيروت / ١٤١٩هـ).
- الوطواط، محمد بن إبراهيم بن يحيى (ت ٧١٨هـ).
- ٨٣- غرر الخصاص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة، تحقيق: إبراهيم شمس

- الدِّين، ط ١، دار الكتب العلميَّة، (بيروت/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- وكيع، محمد بن خلف بن حيَّان (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م).
- ٨٤- أخبار القضاة، صحَّحه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، ط ١، المكتبة التجاريَّة الكبرى، (القاهرة/ ١٩٤٧م).
- اليافعيُّ، أبو محمَّد، عبد الله بن أسعد بن عليّ بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م).
- ٨٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزَّمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط ١، دار الكتب العلميَّة، (بيروت/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- البيعقوبيُّ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ - ٩٠٥م).
- ٨٦- تاريخ اليعقوبيِّ، (لا.ط)، دار صادر، (بيروت/ د.ت).

ثانياً: المراجع الحديثة

- الأمين، حسن.
- ٨٧- مستدركات أعيان الشَّيعة؛ ط ١، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- الأمينيُّ، عبد الحسين أحمد النجفيّ (ت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).
- ٨٨- الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب، ط ٤، دار الكتاب العربيّ، (بيروت/ ١٩٧٧م).
- الأمين، محسن (ت ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م).
- ٨٩- كشف الارتباب في أتباع محمَّد بن عبد الوهاب، تحقيق: حسن الأمين، ط ٢، (قم المقدَّسة/ ١٣٨٢هـ - ١٩٥٢م).
- الأمينيُّ، محمَّد هادي.
- ٩٠- بطل فخر الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب أمير مَكَّة وفاتها، ط ٣، شركة الكتبيّ للطباعة والنشر، (بيروت/ ١٩٩٣م).
- البروجديّ، حسين الطباطبائيّ (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).
- ٩١- جامع أحاديث الشَّيعة، (لا.ط)، مهر، (قم المقدَّسة/ ١٤٠٩هـ).
- حسن، إبراهيم حسن.
- ٩٢- تاريخ الإسلام السِّياسيّ والثقافيّ والاجتماعيّ، ط ٧، مكتبة النهضة المصريَّة،

(القاهرة/ ١٩٦٤م).

- الدليمي، داوود سلمان صالح.

٩٣- تيسير علوم السّنة النبويّة، ط ١، مطبعة الوقف السنّي، (بغداد/ ٢٠٠٦م).

- الرّيشري، محمّد.

٩٤- الرّيشري، محمّد، موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسّنة والتاريخ، تحقيق: كاظم الطباطبائي، محمود الطباطبائي، ط ٢، دار الحديث، (قم المقدّسة/ ١٤٢٥هـ).

- زيدان، جرجي.

٩٥- تاريخ التمدّن الإسلاميّ، راجعها وعلّق عليها: حسين مؤنس، (لا.ط)، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت/ د.ت).

- السّبحاني، جعفر.

٩٦- في ظلال التوحيد ونبذ الشّرك، معاونيّة شؤون التعليم والبحوث الإسلاميّة في الحجّ، (د.ت).

- صفوت، أحمد زكي.

٩٧- جبهة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، المكتبة العلميّة، (بيروت/ د.ت).

- العبيديّ، رشيد عبد الرّحمن.

٩٨- معجم مصطلحات الحديث النبويّ، ط ١، مطبعة الوقف السنّي، (بغداد/ ٢٠٠٦م).

- القميّ، الشيخ عباس (ت، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠).

٩٩- الكنى والألقاب، تقديم: هادي الأميني، (لا.ط)، مكتبة الصّدر، (طهران/ د.ت).

١٠٠- منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، تحقيق وتعريب: ياسين الموسويّ، ط ١، مؤسّسة

النشر الإسلاميّ، (قم المقدّسة/ ١٤١٩هـ).

- الكورانيّ، عليّ.

١٠١- ألف سؤال وإشكال، ط ١، دار السّيرة، (قم المقدّسة/ ٢٠٠٣م).

- مهران، محمّد بيومي.

١٠٢- الإمامة وأهل البيت عليهم السلام، ط ٢، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة،

(إيران/ ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

- الميلانيّ، عليّ الحسيني.

- ١٠٣- نفحات الأزهار، ط ١، مهر، (إيران/ ١٤١٤هـ).
- النجفي، هادي.
- ١٠٤- موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام، ط ١، دار إحياء التراث، (بيروت/ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).
- هرنشو.
- ١٠٥- علم التاريخ، ترجمة وتعليق: عبد الحميد العبادي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.م)، ١٩٣٧م.
- يمني، محمد عبده.
- ١٠٦- علّموا أولادكم محبة آل بيت النبي عليه السلام، ط ١، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت ١٩٩٨م).

جهدُ العلماءِ البصريّينَ في تأطيرِ منظومةِ القيمِ
والمبادئِ الخُلقيّةِ

الجاحظُ أنموذجاً من خلال كتابه «تهذيبُ الأخلاق»

Efforts of Basra Scholars in Identifying the
System of Ethical Values and Doctrines

Al-Jahez Book Refinement of Ethics as an Example

أ.م.د. خليل خلف الجبوريّ أ.م.د. رشيد الطيّف إبراهيم
جامعة تكريت / كلّية الآداب / قسم التاريخ

Dr. Khaleel Kh. Al-Juboory, assistant professor

Dr. Rashid E. Ibrahim, assistant professor

(Department of History, College of Arts, University of Tikrit)

ملخص البحث

توضّح هذه الدّراسة دور العلماء البصريّين في فهمهم للمجتمع ودواخل النفس البشريّة، وهم بذلك حاولوا توضيح السيّء من العادات والجيد منها، وهو ما يُعرف بالأخلاق، من خلال عالمٍ معروفٍ، هو أبو عثمان، عمرو بن بحر، البصريّ المولد والمهات.

وسنحاول أن نوضّح من خلال كتاب «تهذيب الأخلاق» للجاحظ، كيف أن الفكر الإسلاميّ لم يترك هذا الجانب، بل أسهم في توضيحه وبيان تعريفه، وبذلك حتمت علينا طبيعة الدّراسة تقسيمه على مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأوّل الجاحظ نسبه وولادته وسيرته العلميّة، ولماذا ألّف هذا الكتاب. وسرد المبحث الثاني الأخلاق الفاضلة التي ذكرها الجاحظ في كتابه، التي على كلّ فرد الالتزام بها لبناء مجتمعٍ سليمٍ، فقد أورد إحدى وعشرين سجيّة تناولنا منها عشرة. وتطرّق المبحث الثالث إلى الأخلاق المذمومة التي على الفرد تجنبها، وذكر الجاحظ ثلاثاً وعشرين سمةً، اكتفينا بعشرٍ منها. وكان المبحث الرابع عمّا تشابه من سمات الأخلاق، والسمات الجامعة لمحاسن الأخلاق.

ومع ما كلّ ما تقدّم من معلوماتٍ حاولنا إسناد السّجاياء التي ذكرها الجاحظ من أخلاقٍ محمودّةٍ أو مذمومةٍ، بما جاء في القرآن الكريم والسّنة النبويّة وأقوال آل البيت عليهم السلام في مدح الأخلاق الحميدة، وذمّ وترك الأخلاق السيّئة. وذُيّلت الدّراسة بخاتمةٍ تضمّنت أهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحثان.

Abstract

This research paper sheds light on the role of Basra scholars in understanding society and the psychology of human beings. They, therefore, sought to show the positive and negative aspects of customs known as morality. Al-Hafez book entitled Refinement of Ethics has been known as an example to pinpoint this particular aspect. The study is divided into an introduction, four sections and a conclusion. The first section tackles Al-Jahez career. The second section is about the righteous ethics that people have to follow to set up a perfect society. The third section deals with dispraised ethics that should be avoided. Al-Hafez mentioned 21 of such traits. The fourth section covers the traits of ethics. The paper shows also how the Holy Quran, Sunna (of the Prophet), and sayings of Aal Al-Bayt have commended praiseworthy ethics and prompted people to give up dispraised ones.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه الأخيار. تُعدُّ مسألة الأخلاق من المسائل التي تأخذُ حيزاً واسعاً من العلاقات الاجتماعية والثقافية؛ لذا، فقد أسهم العلماء قديماً وحديثاً في معالجة وتعريف الأخلاق، وبيان السيِّئ منها والجيد.

توضّح هذه الدراسة دور العلماء البصريين في فهمهم للمجتمع ودواخل النفس البشرية، وهم بذلك حاولوا توضيح السيِّئ من العادات والجيد منها، وهو ما يُعرف بالأخلاق، من خلال نظرٍ عالمٍ بصريٍّ مولداً ونشأةً ووفاءً، وهو أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ.

وهذا الموضوع مهم؛ لأنّه كما قال الجاحظ في كتابه موضوع الدراسة، في أهميّة هذا الكتاب أنّه قد يتنبه إليه «مَن كانت له عيوب قد اشتبهت عليه، وهو مع ذلك يظنُّ أنّه في غاية الكمال، فإنَّ مَن هذه حاله، إذا تكرّر عليه ذكر الأخلاق المكروهة، يقيّظ لما فيه من ذلك، وأنف منه، واجتهد في تركه»، ولهذا اجتهدنا في اختيار هذا العنوان لبيان أهميّة الأخلاق.

سنحاول أن نوضّح من خلال كتاب الجاحظ «تهذيب الأخلاق»، كيف أنّ الفكر الإسلامي لم يترك هذا الجانب، بل أسهم في توضيحه وبيانه، وبذلك حتمت علينا طبيعة الدراسة تقسيمه على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، تناول

الأول الجاحظ نسبة وولادته وسيرته العلمية، ولماذا أُلّف هذا الكتاب. وسرد المبحث الثاني الأخلاق الفاضلة التي ذكرها الجاحظ في كتابه، التي على كلّ فرد الالتزام بها لبناء مجتمع سليم، فقد أورد إحدى وعشرين سجيّة تناولنا منها عشرًا. وتطرّق المبحث الثالث إلى الأخلاق المذمومة التي على الفرد تجنبها، وذكر الجاحظ ثلاثاً وعشرين سمة اكتفينا بعشرٍ منها، وكان المبحث الرابع عمّا تشابه من سمات الأخلاق، والسمات الجامعة لمحاسن الأخلاق.

ومع ما تقدّم من معلومات فقد حاولنا إسناد السجاياء التي ذكرها الجاحظ من أخلاق محمودّة أو مذمومة، إلى القرآن الكريم والسنة النبويّة وأقوال آل البيت عليهم السلام، التي أسهمت في حثّ الناس عامّة والمسلمين خاصّة على الالتزام والعمل بالأخلاق الحميدة، وذمّ وترك الأخلاق السيئة.

وخُتمت الدراسة بأهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحثان. وقد اعتمدت الدراسة طول البحث على نسخة تهذيب الأخلاق للجاحظ التي علّق عليها (إبراهيم بن محمّد)، ونُشرت في دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع (١٩٨٩م)، مصر. فكانت هي المفتاح الرئيس للبحث.

المبحث الأول

أولاً: نسب الجاحظ وولادته وسيرته العلمية، وكتبه، وسبب تأليفه هذا

الكتاب

١- نسبه وولادته:

هو عمرو بن بحر بن محبوب، الكناي بالولاء، كنيته أبو عثمان، المعروف بالجاحظ^(١)، أحد أعلام الكتابة والتأليف في العصر العباسي الثاني، العصر الذهبي للأمة في التأليف والترجمة (عصر هارون العباسي «١٤٩-١٩٣هـ»، و المأمون العباسي «١٩٨-٢١٨هـ»)، عمل في ديوان الرسائل أيام المأمون^(٢)، وعُدَّ رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة^(٣)، ورأس المدرسة النثرية الثانية. ولد في البصرة حدود سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م)^(٤)، وتوفي فيها سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م)^(٥)، إثر وقوع مجلدات من الكتب عليه^(٦).

٢- سيرته العلمية:

كان الجاحظ مولعاً بالعلم منذ صغره، فذهب إلى الكتاتيب، ولكنه لم يستمر بسبب فقره، فوجد طريقة يتعلّم من خلالها بأن يعمل في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين والمكتبات ليلاً، ليُطالع ما فيها من كتب^(٧). ثم عمد إلى حضور الحلقات الدراسية التي تُقام في المساجد، التي كان

يحضرها الأدباء واللغويون والرواة وأصحاب الكلام، للنقاش في القضايا التي جدّ فيها الجدل^(٨).

ولم يكتفِ بأخذ العلوم في البصرة، بل كان يقصد بعض المدن آنذاك للبحث والاستقراء، ولقاء العلماء^(٩)، فدرس الفقه على يد أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، ويزيد بن هارون^(١٠)، وغيرهما^(١١)، وتعلّم النحو من أبي الحسن الأخفش^(١٢)، وأخذ الكلام عن إبراهيم بن سيار بن هانئ الملقّب بالنظام^(١٣). أسهم كلّ ذلك في إلمامه بثقافة وعلوم عصره، فتصدّر للتعليم والمناظرات، فقصده العلماء والطلّاب^(١٤). وهكذا كان الجاحظ عارفاً بالعلوم، إمام عصره، نابغة دهره.

٣- كتبه (مؤلفاته)

اختلفت الآراء بشأن مؤلّفات الجاحظ، وعددها، فهناك من يقول إنّها أكثر من مائتي مؤلّف، وهناك من قال إنّ له مائة وثلاث وتسعين^(١٥)، وقد أورد السندويّ للجاحظ مائة وتسع وخمسون مؤلّفاً^(١٦). ما يهّمنا هنا أنّ الجاحظ من خلال مؤلّفاته رفد العالم بكثير من العلوم التي ذاع صيتها، فكانت بحقّ مفخرة للبصريين.

فمن أشهر تلك الكتب: الحيوان^(١٧)، البيان والتبيين^(١٨)، سحر البيان، التاج ويُسمّى: أخلاق الملوك، البخلاء^(١٩)، المحاسن والأضداد، التبصّر بالتجارة، أحوثة العالم^(٢٠)، مجموع رسائل (المعاد والمعاش)^(٢١)، كتان السرّ وحفظ اللسان^(٢٢)، الجدّ والهزل، الحسد والعداوة، ذمّ القواد، تنبيه الملوك، الدلائل

والاعتبار على الخلق والتدبير، فضائل الأتراك، العرافة والفراسة، الرّبيع والخريف، الحنين إلى الأوطان، النّبّيّ والمنتبّي، المسائل في القرآن^(٢٣)، نظم القرآن^(٢٤)، العبر والاعتبار في النظر في معرفة الصانع وإبطال مقالة أهل الطوائع، فضيلة المعتزلة، صياغة الكلام، الأصنام، كتاب المعلمين، الجواري، النساء، البلدان، جمهرة الملوك، الفرق في اللّغة، في تذكرة النوادر، البرصان والعرجان والعميان والحوّالان^(٢٥)، القول في البغال، كتاب المغنين، الاستبداد والمشاورة في الحرب^(٢٦). وتعدّ هذه المؤلّفات مرجعيّة لكثير من الدّراسات.

٤- أسباب تأليف كتاب (تهذيب الأخلاق)

بيّن الجاحظ الأسباب التي دعتّه إلى تأليف هذا الكتاب، بقوله: «إنّ الإنسان دائم البحث لأفضل الأمور لنفسه، وأشرف المراتب، وأنفس المقتنيات، ودائم البحث عن مكارم الأخلاق ومحاسنها، مبتعداً في كلّ أفعاله عن طرق الرّذائل؛ وذلك بسبب تميّزه بالتفكير عن باقي الحيوانات، وليباهي أهل السّؤدد والفخر، ويلحق بالعلّى من درجات النباهة والمجد^(٢٧)؛.. فمن أجل ذلك وجب أن نقول في الأخلاق قولاً نبيّناً فيه ما خلّق؟ وما علّته؟ وكم أنواعه وأقسامه؟ وما المرضيّ عنه، المغبوط صاحبه، والمتخلّق به؟ وما المستثنى منها، الممقوت فاعله، والمتوسّم به؟ ليسترشّد بذلك من كانت له همّة سنّية، تسمو إلى مباراة أهل الفضل، ونفس أبيّة تنبو عن مساواة أهل الدّناءة والنقص...»^(٢٨).

ويذكر أنّ الجاحظ قد علم من المجتمع الكثير، بسبب نظره الثاقبة الثائرة على الوضع الإنسانيّ، بفكره الاعتزاليّ، فهو توخّى فيه التوجيه والنقد، ليلبّي

حاجة فنية في نفسه، الغاية منها هو إصلاح المجتمع بوجه عام^(٢٩).
يقع الكتاب في أربعة فصول، بمحتوى أربع وستين صفحة، الفصل الأول
«في تعريف الأخلاق - وأقسامها - وتأثيرها بالنفوس»، وتطرق الفصل الثاني
إلى «أنواع الأخلاق وأقسامها»، والفصل الثالث، فكان «في وصف الطريقة إلى
السُّمُو بالأخلاق»، أمّا الفصل الرابع فكان «في وصف الإنسان الجامع لمحاسن
الأخلاق».

ثانياً: تعريف الأخلاق وأهميتها

١- تعرف الأخلاق: تُعدّ الأخلاق الركيزة الأسمى التي يُقام عليها الواقع
المعاشي والوحي الإنساني للبشر؛ لذلك فإنّ جميع الديانات السماوية تحرص على
أخلاق الأمم، وهذا يذكّرنا بقول أحمد شوقي:

وإنّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإنْ هُمُ ذَهَبَتْ أخلاقُهُمْ؛ ذَهَبُوا^(٣٠)

والأخلاق - كما يقول أهل اللغة - سجيّة؛ لأنّ صاحبها قد قدر عليها، وفلان
خليق بكذا، وأخلق به، أي: ما أخلقه، أي: هو ممّن يقدر فيه ذلك^(٣١).
ويعرّف الجاحظ الخلق بأنّه «حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا رويّة
لا اختيار»^(٣٢).

أمّا مسكويه، فيقول: إنّ الخلق «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر
ولا رويّة»^(٣٣).

وعلمُ الأخلاق: هو علمٌ موضوعه أحكام قيمية، تتعلّق بالأعمال التي
تُوصف بالحُسْن أو القُبْح^(٣٤)؛ ويعرّفه أحمد أمين بأنّه: علمٌ يوضّح معنى الخير

والشَّرَّ (٣٥).

والخُلُقُ قد يكون عند بعض النَّاسِ غريزةً وطبعاً، وعند بعضهم لا يكون إلا بالرياسة والاجتهاد (٣٦).

والتفاضل بين النَّاسِ في المجتمعات يكون بالآداب والمحاسن الذاتية، لا بالأموال، والأعراض (٣٧).

ولذا، فالأخلاق نوعان: رديئة، وفاضلة، وما يميّز الاخلاق الرديئة والفاضلة، أنَّ الأخلاق المكروهة موجودة في طباع النَّاسِ (٣٨)، بل أنَّ منهم مَنْ يتفاخر بها، وهم شرار النَّاسِ (٣٩)، أمَّا الأخلاق الفاضلة، فأصحابها ينتبهون لها بجودة فكرهم، وقوّة تمييزهم على قبح الأخلاق الرديئة، بل يعملون لاجتنابها، وبذلك يكونون على طبع كريم، ونفسٍ شريفة (٤٠).

وأصحاب الأخلاق الرديئة يحتاجون إلى الإرشاد من خلال التدريب (٤١)، والتعمل للعادات المحمودة، حتّى ينصاعوا عنها (٤٢)، ومَنْ لا تحنُّ نفسه لمفارقتها، ويؤثر الإصرار عليها، يكون طريق تهذيبهم بالقهر والتخويف، ثم العقوبة، إن لم يرفعوا بالتخويف (٤٣).

٢- أهميّة الأخلاق: لو لم تكن للأخلاق أهميّة لما حتّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل إن مسألة الأخلاق لا يمكن توجيهها وتفسيرها، وتأييدها، إلا في ظلّ نظرية عبادة الله ﷻ (٤٤)، بدليل ورود الكثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد الأخلاق (٤٥).

قال تعالى مخاطباً الرّسول الكريم ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. فهذه دلالة واضحة على عظم الخُلُق والأخلاق عند الباري ﷻ، بل هي أسمى

ما يكون، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]؛ ففي تفسير هذه الآية أن «المُرَاد بِهِ زَكَاةَ النَّفْسِ وَتَحْلِيلُهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ الرَّذِيلَةِ»^(٤٦)؛ وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، «أَي: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ»^(٤٧).

وحثَّ السَّنة النبوية على حسن الخلق، فقد ورد عن الرسول محمد ﷺ، قوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»^(٤٨)، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِحُسْنِ الْخُلُقِ»^(٤٩).

وعن الإمام علي عليه السلام، قال: «لَوْ كُنَّا لَا نَرْجُو جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا، لَكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهَا تَمَّا تَدُلُّ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاحِ»^(٥٠). فمن الآيات والأحاديث والأقوال أعلاه، يتضح أن أحد الأهداف المهمة لبعثة الرسول الكريم محمد ﷺ هو تزكية النفوس وتربية الإنسان^(٥١).

هنا يحتم علينا الجواب على السؤال الآتي:

هل تؤثر الأخلاق بالنفوس؟

يذكر الجاحظ أن اختلاف الأخلاق وتنوعها بين البشر يعود إلى النفس التي تنقسم على ثلاث، وهي: النفس الشهوانية، والنفس الغضبية، والنفس الناطقة^(٥٢).

ثم يفصل في سرد النفوس، فيقول: إن النفس الشهوانية، هي للإنسان ولسائر الحيوانات، والتي يغلب عليها حب الشهوات والملذات، مثل المآكل والمشرب والمباذلة، فإذا تمكنت هذه النفس من الإنسان وانقاد لها، كان أشبه بالبهائم؛ لأن شغله الشاغل سيكون نحو الشهوات^(٥٣).

ومن سمات صاحب هذه النفس أنه سيكون قليل الحياء، عدوّ لأهل الفضل، ميّال إلى الخلوات، ومبغض لأهل العلم والورع والنسك^(٥٤). بالمقابل، فإنه سيكون مودّداً لأصحاب الفجور، محباً للفواحش، يستلذّ عند استماعها، وتسره معاشره السُّخفاء، ويغلب عليه اللّهُو والهزل، وكلُّ ذلك سيدعوه إلى اكتساب الأموال بغير وجهها الشرعيّ؛ لأنّ الملذّات تحتاج إلى الإنفاق^(٥٥).

ومن ينتهي إلى هذه الحالة، فهو يُعدُّ أسوأ الناس خلقاً، ويصبح لزاماً على وليّ الأمر تقويمه وتأديبه، وإبعاده أو نفيه، حتّى لا يختلط مع الناس^(٥٦). ولقمع تلك النفس، على صاحبها العودة إلى كُتب الأخلاق، وتجنّب السكر؛ لأنّه يُثير النفس ويحملها على التهنّك، وارتكاب الفواحش، والإقلال من استماع الأغاني، والإقلال من الطّعام^(٥٧)، وهو ما أكّده أرسطو نقلاً عن مسكويه في أنّ الشرير قد ينتقل بالتأديب إلى الخير^(٥٨).

أمّا النفس الغضبيّة، فيشترك في مواصفاتها الإنسان والحيوان، وميزتها الغضب والجرأة ومحبة الغلبة^(٥٩). وهي أقوى من النفس الشّهوانيّة، وأضرّ على صاحبها، في حال انقاد لها، فإن استنفذت هذه السّجايا في النفس البشريّة، فإنّه بالسّباع أشبه، فيكون جريئاً في حمل السّلاح على الإخوان والأولياء والعبيد، وإن غضب من حالته ولم ينتقم لنفسه، تجده يعود بالضرر على نفسه بالسّب واللّطم ونف اللّحية، وغيرها^(٦٠).

والنفس الغضبيّة تكون محبة للغلبة، ولتحقيق غايتها، فإنّها تقع في المهالك، فوثوبها على الناس، تجعل من الآخرين يُقدمون على الشرّ لكفّ شرّه، وأحياناً

يقوم بطلب الرئاسة، وهذه تحتاج إلى الأموال التي سيقتنيها بطرق غير شرعية، ويصل الحدّ بصاحبها إلى قتل من يناوئهم^(٦١).

وكيفية تأديب صاحب هذه النفس، فيكون من خلال الترويض أولاً، فإن استطاع الإنسان تأديبها وقمعها، فإنه سيكون حليماً وقوراً عادلاً محمود الطريقة^(٦٢).

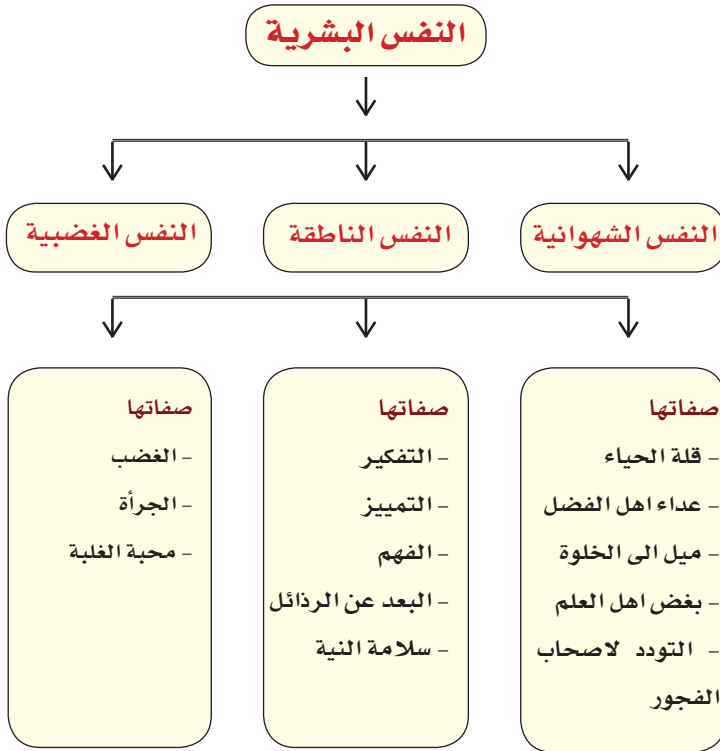
ولكي يخفف من شرور هذه النفس على صاحبها عدم حمل السلاح لا سيما في مجالس الخمر، وتجنب المسكر من الشراب؛ لأنه يهيج النفس الغضبية^(٦٣).

والنفس الثالثة هي النفس الناطقة، وهي التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان^(٦٤)، من خلال التفكير والتمييز والفهم، وهما من السجايا التي شرف الله بها الإنسان، وبهما يتمكّن من السيطرة على الشهوانية والغضبية، ويضبطهما^(٦٥).

ومن فضائلها اكتساب العلوم والآداب، وبُعْدها عن الرذائل والفواحش، وقهرها للنفسين الآخرين وتأديبهما، وسياسة صاحبها في أرزاقه ومروءته، وسلامة نيّته والحلم والحياء والنسك والعفة وطلب الرئاسة بوجوهها المستقيمة^(٦٦).

ولها عيوب، منها: الخُبث، والحيلة، والخديعة، والمكر، والحسد، والتشرّر، والرياء، ومعلوم أنّ هذه العيوب هي في كلّ النفوس، إلّا إنّ هذه النفس استطاعت التغلّب على هذه العيوب والتحرّر منها، ولم تكن سمة غالبية عليها^(٦٧).

فلزماً على الإنسان أن يحرك فكره، ويميّز أخلاقه، ويختار منها ما كان مستحسناً جميلاً، ويحمل نفسه على التشبّه بالأخيار، وتجنّب عادات الأشرار، فإنه إن فعل ذلك صار بالإنسانية متحقّقاً، وللرئاسة الذاتية مستحقّاً^(٦٨).



الشكل من عمل الباحثين
يوضح أصناف النفس وصفاتها

المبحث الثاني

الأخلاق الفاضلة عند الجاحظ في كتابه (تهذيب الأخلاق)

وهي أحد أقسام الأخلاق التي وضّحها الجاحظ في كتابه، وسنحاول في هذا المبحث أن نتطرق إلى أشهر سمات هذه الأخلاق والمعروفة في مجتمعاتنا؛ لأنّ التطرق إلى جميعها سيكون عبئاً على الدّراسة، فالجاحظ أورد إحدى وعشرين سمة، هي: العفة، والقناعة، والتصوّن، والحلم، والوقار، والحياء، والودّ، والرّحمة، والوفاء، والأمانة، وكتمان السرّ، والتواضع، والبشر، واللّهجة، وسلامة النّيّة، والسّخاء، والشّجاعة، والمنافسة، والصّبر عند الشّدائد، وعِظم الهمة، والعدل.

وسنختار منها عشر سمات، ونحاول ربط هذه السمات بما أيدها من القرآن والسّنة النبويّة:

أولاً: العفة^(٦٩): حدّد الله ﷻ العلاقات الجنسيّة التي تحافظ على عفة الإنسان، ذكراً كان أم أنثى بآياتٍ عديدةٍ، منها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧]. وذكر الجاحظ العفة من ضمن الأخلاق الكريمة للإنسان، فقال: يقصد بها ضبط النفس عن الشّهوات^(٧٠)، والاكتفاء «بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحّته فقط، واجتناب

السرف والتقصير في جميع المِلذّات»^(٧١). ويقع تحت العَفّة العديد من الفضائل، منها: الحياء، والصبر، والحرّيّة والدّماثة، والورع^(٧٢).

ثانياً: القناعة: هي «الاختصار على ما سنع من العيش، والرّضا بما تسهّل من المعاش، وترك الحرص على اكتساب الأموال، وطلب المراتب العالية، مع الرّغبة في جميع ذلك، وإيثاره والميل إليه، وقهر النفس على ذلك، والتّقنّع باليسير منه»^(٧٣)، وفي هذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ * قَالَ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهْذَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].
فالقناعة من الأخلاق الفاضلة لدى الإنسان، فلو عمل بها المجتمع لزال كثير من المشاكل.

وصفّة هذه السّجّية مرغوبة في عامّة النّاس، وغير مستحسنة في الملوك^(٧٤) والأمرء^(٧٥).

ثالثاً: الحِلْم: وردت كلمة الحلم والحليم في القرآن الكريم باسم الله ﷻ، فكانت صفة لله ﷻ، وظهرت في خمسة عشر موقعاً، فعظمة هذه السّجّية جعلها تقترن باسم الله، ولم يُعفلها الجاحظ، فعرفّها بأنّها من السّجّايا الحميدة، فقال: ويقصد به ترك الانتقام عند شدّة الغضب، مع القدرة على ذلك، وهذه محمودّة ما لم تؤدّ إلى ثلم جاه أو إفساد سياسة، وهي عند الملوك أرغب؛ لأنّهم أقدر على الانتقام^(٧٦).

وقال-أيضاً-: حلم الصّغير عن الكبير لا يُعدّ فضيلة، بل يُعدّ خوفاً لا حلماً^(٧٧).

رابعاً: الوقار: هو الإمساك عن فضول الكلام، وكثرة الحركة والإشارة، وقلة الغضب، والإصغاء عند الاستفهام والتوقّف عن الجواب، والتحفظ من التسرع^(٧٨). هكذا عرّف الجاحظ الوقار، وعندما نقرأ لشخصية الرسول محمد ﷺ، نجد أنّ الوقار كان من سجايه الكثيرة، ففي الحديث الشريف: «أنّ رسول الله ﷺ خرج ذات يوم على راحلته وأصحابه معه بين يديه، فقال معاذ بن جبل: يا نبي الله، أأأذن لي في أن أتقدّم إليك على طيبة نفس؟ قال: «نعم»، فأقترب معاذ إليه، فساراً جميعاً، فقال معاذ: يا أبي أنت يا رسول الله، أن يجعل يومنا قبل يومك، أرايت إن كان شيء ولا نرى شيئاً إن شاء الله تعالى، فأبي الأعمال نعملها بعدك؟ فصمت رسول الله ﷺ، فقال: «الجهاد في سبيل الله»، ثم قال رسول الله ﷺ: «نعم الشيء الجهاد، والذي بالناس أملك من ذلك فالصيام والصدقة»، قال: «نعم الشيء الصيام والصدقة»، فذكر معاذ كلّ خير يعملُه ابن آدم، فقال رسول الله ﷺ: «وعاد بالناس خير من ذلك»، قال: فماذا يا أبي أنت وأمي عاد بالناس خير من ذلك؟ قال: فأشار رسول الله ﷺ إلى فيه، قال: «الصمت إلا من خير»، قال: وهل نؤاخذ بما تكلمت به ألسنتنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على الله عليه وسلم فخذ معاذ، ثم قال: «يا معاذ تكلمت أملك - أو ما شاء الله أن يقول له من ذلك - وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليسكت عن شرّ، قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن شرّ تسلموا»^(٧٩). فكان القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم ﷺ مراجع حصيفه لعلمائنا الأفاضل.

خامساً: الحياء: تُعدّ هذه السجّة من الأخلاق الفاضلة للإنسان، فذكرها الله

سبحانه وتعالى من خلال قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]. ويقصد به هو غُضُّ الطرف والانتقاض عن الكلام حشمة للمستحيا منه، وهي محمودة، ما لم تكن عن عيٍّ أو عجز^(٨٠).

سادساً: الرحمة: يقول الجاحظ: إنَّ الرحمة مركَّب من الودِّ والجزع، ولا تكون إلَّا لمن تظهر منه لراحمه خلَّة مكروهة، فالرحمة هي محبة للمرحوم، مع جزع الحال التي من أجلها رحم^(٨١).

وهي حالة مستحسنة، ما لم تخرج بصاحبها عن العدل، ولم تنته به إلى الجور، وفساد السياسة، وبذا فليس بمحمود رحمة القاتل، والجلاني عند القصاص^(٨٢).

وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ، قال: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَبَهَا يَتَرَا حُمُ الْخُلُقِ، حَتَّى إِنَّ الْفَرَسَ لَتَرْفُعَ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ يُصِيبَهُ»^(٨٣).

سابعاً: التواضع: وهي ترك التروُّس، وإظهار الخمول، وكراهية التعظيم، والزيادة في الإكرام، وتجنب المباهاة، والمفاخرة بالمال^(٨٤).

ولا يكون التواضع إلَّا في أكابر الناس ورؤسائهم وأهل الفضل والعلم^(٨٥). وقد وردَ «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ حَظَبَهُمْ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَوْحَى إِلَيَّ، أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٨٦).

ثامناً: السَّخَاءُ^(٨٧): بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق، وهو مستحسن ما لم ينته إلى الإسراف والتبذير، وأن يكون في محلِّه، فالبذل لمن لا يستحق تبذيراً^(٨٨).

وبذلك يقول مسكويه: إنَّ السَّخَاءَ وسط بين رذيلتين، البخل والإسراف^(٨٩). وهو عند النَّاسِ فضيلة، وعند الملوك أمرٌ واجبٌ؛ لأنَّ بخلهم يؤدِّي إلى ضرر عظيم بملكهم^(٩٠)، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠].

تاسعاً: الصَّبر عند الشَّدائد^(٩١): وهو من فضائل الأخلاق، مركَّبٌ بين الوقار والشَّجاعة، وهو أمر مستحسن، لاسيَّما إن كان الجزع غير نافع، والحزن والقلق غير مجديين^(٩٢)، لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

عاشراً: العدل: وهو القسط اللازم للاستواء، واستعمال الأمور في أماكنها ووجوهها ومقاديرها، من غير إسرافٍ ولا تقصيرٍ، ولا تقديمٍ ولا تأخير^(٩٣). وعندما نزلت آية من القرآن تتكلَّم عن العدل، نزلت بصيغة أمر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. فالأخلاق الفاضلة، هي الأخلاق التي حثَّ عليها القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية المطهَّرة، ما حثَّ عليها إلَّا لبناء مجتمع خالٍ من الفساد والتباغض والفحشاء.

المبحث الثالث

الأخلاق المذمومة في كتاب (تهذيب الأخلاق) عند الجاحظ

لم يكتفِ الجاحظ في كتابه بذكر الأخلاق الفاضلة، بل سرّد لنا الأخلاق المذمومة، التي - كما قال - بأنها منتشرة ومعروفة عند كثير من الناس، مثل: البخل، والجبن، والظلم، والتشّر، بل إنّها عادات مجبولة عند أكثر الناس^(٩٤)، ويذهب إلى أكثر من ذلك، فيقول: «بل قلّما يُوجد في النَّاس مَنْ يخلو مِنْ خُلُقٍ مكروه، ويسلم من جميع العيوب، ولكنّهم يتفاضلون في ذلك»^(٩٥)، ويذكر السّبب؛ «لأنّ الغالب على طبيعة الإنسان الشرّ»^(٩٦).

أورد الجاحظ ثلاثاً وعشرين سمة، وهي: الفجور، والشرّ، والتبدّل، والسّفه، والخرق، والقحّة، والعشق، والقساوة، والغدر، والخيانة، وإفشاء السرّ، والنميمة، والكبر، والعبوس، والكذب، والخبث، والحقد، والبخل، والجبن، والحسد، والجزع، وصغر الهمة، والجور. وسنختار منها عشرًا لتكون محور المبحث الثالث.

أولاً: الفجور: يقصد بالفجور هو «الانهماك في الشّهوات، والاستكثار منها، والتوفّر على اللذات، والإدمان عليها، وارتكاب الفواحش، والمجاهرة بها، وباجملة السّرّف في جميع الشّهوات»^(٩٧). وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ هناك فرقاً كبيراً بين المتّقين والفجّار، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ [ص: ٢٨].

ثانياً: القساوة: وهو التَّهاون بما يلحق الأذى بالغير، وهو مركَّب من البغض والشَّجاعة والقساوة، وهو مكروهٌ، إلَّا من الجند وأصحاب السَّلاح المتولِّين للحروب^(٩٨). وقد نهى الله تعالى عن القسوة، وقسوة القلب بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الزمر: ٢٢]. فالقسوة من قسوة القلوب التي حذَّر منها القرآن الكريم.

ثالثاً: الغدر: وهو العودة عما بذله الإنسان على نفسه من الوفاء، وهو مستقبَّح وإن كان فيه مصلحة، وبالمملك والرؤساء أقبح، ولهم أضر^(٩٩). وهو من العادات والأخلاق المنبوذة التي نهت عنه السَّنة النبويَّة؛ إذ قال الرِّسول الكريم ﷺ: «المُكْرُ وَالْحُدَيْعَةُ وَالْخِيَانَةُ فِي النَّارِ»^(١٠٠).

رابعاً: الخيانة: هي الاستبداد بما أوْتِمن على الإنسان من الأموال والأعراض، ومُجاحدة مودِّعه، وتحريف الأخبار والرسائل عن وجوهها^(١٠١). ودائماً ما يقترن الغدر بالخيانة، فهما من أسوأ العادات والأخلاق التي يتخلَّق بها الفرد.

خامساً: الكبر^(١٠٢): من الأخلاق المذمومة التي نهى الله تعالى عنها في محكم كتابه العزيز، بقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. ولم يمرَّ الجاحظ دون ذكر ذلك، فذكر: «أنَّ استعظام الإنسان لنفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالنَّاس واستصغارهم، والترفع على مَنْ يجب التواضع له، وهذا الفعل يبعُض النَّاس

بصاحبه، ومن بغضه الناس ساء حاله» (١٠٣).

سادساً: الكذب: جاء النهي عن الكذب في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بل إنه كان منبوءاً في العادات والتقاليد العربيّة؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]؛ وفي السنّة النبويّة أنّه جاء رجل إلى الرّسول ﷺ، فقال له: يا رسول الله، إنّني ارتكبتُ في السّرّ أربع ذنوب: الزّنا، وشرب الخمر، والسّرقة، والكذب، فأيتهن شئت تركتها لك، فقال له الرّسول ﷺ: دَعِ الكذب. فذهب الرّجل، وكلّمَا أراد أن يهَمَّ بالخطيئة، يتذكّر عهده مع الرّسول ﷺ، ويقول ربّما سألني، وعليّ أن أكون صادقاً في الجواب، فيجري عليّ الحدّ، وإنّ كذبتُ، فقد نقضتُ العهد مع الرّسول ﷺ، ممّا اضطرّه أخيراً لتركها أجمع (١٠٤).

هذه القصّة تبين خطورة ممارسة الكذب؛ ولذا فقد أعطاه الجاحظ اهتماماً في كتابه، فقال عنه: هو الإخبار عن شيء بخلاف حقيقته، وهو مكروه ما لم يكن لدفع مضرة، لا يمكن دفعها إلّا به، أو اجترار نفع لا غنى عنه، ولا يوصل إليه إلّا به، فهو عند ذاك غير مستقبح، بل يُستقبح إن كان عبثاً، والكذب مستقبح عند الملوك والرّؤساء أقبح (١٠٥).

سابعاً: البخل (١٠٦): من الآفات الخُلقيّة العظيمة التي ذكرها الله في كتبه العزيز بقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧]. وهناك آيات كثيرة تدمّ البخل، ويقصد به: «منع المسترشد مع القدرة على رفقده» (١٠٧)، وهذا الخُلُق مكروه من جميع الناس، إلّا أنّه من النّساء أقلّ، بل يستحبّ من النّساء البخل، أمّا الملوك

والعظماء، فالبخل أبغض عليهم من العامة^(١٠٨).

ثامناً: الجبن: هو الجزع عند المخاوف، والتردد عما تُحذر عواقبه، أو لا تؤمن مغيبته، وهو مكروه من الكل، إلا إنه عند الملوك والجند أضر^(١٠٩).
وعن الرسول ﷺ في مضار الجبن، قال: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحُّ هَالِعٍ، أَوْ جُبْنٌ خَالِعٍ»^(١١٠).

تاسعاً: الحسد: هو «التألم بما يراه الإنسان لغيره من الخير، وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له»^(١١١). فعن الرسول ﷺ، قال: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(١١٢).

عاشراً: الجور: يُعد الخروج عن الاعتدال في كل شيء من الأخلاق المكروهة وهو ما يُعرف بالجور، في السرف والتقصير، وأخذ الأموال في غير وجهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق الواجبة، وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها، ولا على القدر الذي يجب، ولا على الوجه الذي يُحب^(١١٣).

عن النبي ﷺ، قال: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا، لَا يَفْكُهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُوبَقُهُ الْجَوْرُ»^(١١٤).

فالأخلاق المذمومة أشر ما تكون على الفرد والمجتمع، فهي تُورث العنف، والتباغض، فعالجها العلماء، ومنهم الجاحظ الذي بين أوصافها، وحذر منها، معتمداً على ما جاء في القرآن والسنة وأقوال الصالحين.

المبحث الرابع

**ما تشابه من سمات الأخلاق، والسمات الجامعة لمحاسن الأخلاق عند
الجاحظ في كتاب (تهذيب الأخلاق)**

يُورد لنا الجاحظ أنّ هناك من الأخلاق ما تحتل الأمرين، فهي عند البعض فضيلة، وعند الآخر رذيلة، وهذه يجب الوقوف عندها وبيانها، وهي:

أولاً: حبّ الكرامة: ويقصد بها أن يُسرّ الإنسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمدح والثناء الجميل، فهو عند أحداث السنّ محمود؛ لأنّه يحثّهم على محبة اكتساب الفضائل، أمّا عند أهل الفضائل، فلا يجب أن يقبلوا بالتعظيم، ولا يُسرّوا به؛ لأنّه إن زاد سيجري مجرى التملّق والسرور به، وهو غير محمود^(١١٥).

ثانياً: حبّ الرّينة: والتصنّع له بالظهور بمركوب فاره، وكثرة الخدم والحشم، فهو محمودٌ عند أهل الرّئاسة والملوك^(١١٦)، ومذموم عند الرّهبان وأهل الدّين والشيوخ وأهل العلم والخطباء والواعظين، فلهم لبس العامّ والخصن من الملابس، وكرهية التّنعّم^(١١٧).

ثالثاً: المجازاة على المدح: وهو مجازاة من يمدح إنساناً ويشكره في المجالس والمحافل، فهذا الخلق مستحسن من الملوك والأمراء؛ لأنّ الممدوح سيكون له ذكراً جميلاً خالياً من التملّق، ومن فضائل ذلك لهم بقاء ذكرهم الجميل^(١١٨).

أمّا العامّة من النّاس وأصاغرهما، فمحبّتهم في مدحهم غير مستحسن؛ لأنّ

المادح إذا مدح الذنيء من الناس، فإنما يخدعه^(١١٩).

وكثير من الناس إذا مدحوا بما ليس فيهم، يبادرون إلى مجازاة المادح، فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه^(١٢٠).

رابعاً: الزهد: وهو الرغبة بالعيش بأقل الحاجات من الأموال والأغراض، وهذا مستحسن من العلماء والزهاد والخطباء والواعظين، وغير مستحسن عند الملوك والعظماء؛ لأنه من هيبتهم، والملك لا يُقام إلا بالمال، ليزب بها عن ملكه^(١٢١).

وربما يتبادر إلى الذهن سؤال: ما هي مواصفات الإنسان الجامع لمحاسن الأخلاق؟

لم يغفل الجاحظ عن ذكر ذلك، بل أورد فصلاً كاملاً عنه، وسنحاول بيانه، فيقول: الإنسان التام هو الذي لم تفتنه فضيلة، ولم تشنه رذيلة، فيردف بالقول، إلا إن التمام وإن كان عزيزاً، فهو بعيد التناول، إلا إنه ممكن وغاية ما ينتهي به الإنسان. ووصف محاسن^(١٢٢) الأخلاق بالصفات الآتية:

أولاً: التفقد للعيوب: من أوصاف الإنسان التام تفقده لعيوبه، متحرراً من دخول النقص عليه، مجتهداً في بلوغ الغاية لصورة الكمال، متلذذاً لكمال الأخلاق^(١٢٣).

ثانياً: القراءة والإحاطة: إن مما يُوصل الإنسان إلى غاية الكمال في الأخلاق هي معرفته بالعلوم الحقيقية، للإحاطة بماهية الأمور، وكشف عللها وغاياتها ونهاياتها، والاهتمام بقراءة كتب الأخلاق وسير السياسات^(١٢٤).

ثالثاً: الاقتصاد في الشهوات: إذ ينبغي لمن يبحث عن التمام في الأخلاق

أن يجعل لشهوته وملذّاته قانوناً راتباً، يقصد فيه الاعتدال، وتجنّب الإسراف والإفراط، ويعتمد ما كان من الشّهوات على ما كان من أوجهه المستحسنة، والابتعاد عن مخالطة الخلعاء^(١٢٥).

رابعاً: التّعوّد على الكرم: وهو من السّجايا التي لها أجر عند الله، لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وهنا يكون من خلال عدم الاستبداد بالمأكل والمشرب وحده، بل يشرك إخوانه ومودّيه، وإن كان ملكاً، أن يُشرك حاشيته وندماءه^(١٢٦).

خامساً: الزّهد في المال، وحسن التصرف به: من كمال الإخلاق، الزّهد بالمال، والنظر إليه أنّه آلة تُنال منها الأغراض^(١٢٧). ويكون كسبه من وجهه، ويفرّقه في وجهه، والملوك يجب أن يحرصوا على جبي الأموال من حقّها وواجباتها، وصرّفها على مستحقّيها، من أرزاق وجند وغيرهم، ويبرّوا المساكين، ويتفقّدوا الغرباء^(١٢٨).

سادساً: ترك الغضب: يُعدّ الغضب من العادات السيّئة في المجتمع، وقد نبّه الرّسول ﷺ عن الابتعاد عنه لما له آثار سيّئة على الفرد والمجتمع^(١٢٩)، فقد ورد «... أَنْ رَجُلًا أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ، وَلَا تُكْثِرَ عَلَيَّ فَأَنْسَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَغْضَبَ»»^(١٣٠)

فقال الجاحظ: ينبغي لمحّب كمال الأخلاق تركه للغضب، فالغضببان يكون بمنزلة البهائم والسّباع، يفعل ما يفعل دون علم ولا روية، فإن علم صاحب الخلق ذلك، علم ما سيكون عليه من الوصف، فتراه يُججم عن الاقتصاص،

فيكون حليماً^(١٣١)؛ وترك الغضب يكون من خلال التفكير في الأخبار الواردة في كظم الغيظ، والعفو، وأن يخوف نفسه من عقاب الله، وأن يحذر نفسه عاقبة العداوة، وأن يفكر في قبح الغضب^(١٣٢).

سابعاً: محبة الناس والتودد إليهم، وحب الخير وإفقه: وهذه تكون بالتعود على محبة الناس، والتودد إليهم... والرأفة والرحمة بهم، فالناس تجمعهم الإنسانية وحلية القوة الإلهية^(١٣٣)، وأن يجعل همّه حبّ فعل الخير، وطلبه^(١٣٤)، وترك القبيح من العيوب والقبائح^(١٣٥).

ثامناً: كره التملق: من فضائل الأخلاق عند الإنسان كره التملق وإبغاضه، وله أن يحبّ من يهدي إليه شيئاً من عيوبه بالبشر والقبول^(١٣٦). فتكون هذه السجاياء هي الصفات التي إن تملكها الفرد، يكون له حظٌ كبيرٌ من الأخلاق الفاضلة.

الخاتمة

يُعَدُّ كتاب (تهذيب الاخلاق) للجاحظ من الكتب الاجتماعية المهمة التي لا غنى من الاطلاع عليه، لفائدته الكبيرة في ترسيخ وتهذيب أخلاق الفرد، وبيان ما هو عليه من سجايا حميدة، وبعد العرض السابق للكتاب، نُلَخِّصُ أهمَّ ما توصل إليه الباحثان من نتائج:

١- أسهم العلماء البصريّون في العلوم الإنسانيّة والعلميّة كافّة، وكان لهم دور كبير في تنشيط العلوم في كلّ المجالات.

٢- لقد أسهم الجاحظ، البصريّ المولد والمات، في إثراء المكتبة العلميّة بالكثير من الكتب التي تجاوزت المائة بكثير، وكان لكتبه أثرٌ في تقدّم ورقيّ العلوم آنذاك.

٣- ظهر الجاحظ في أواسط القرن الثاني الهجريّ، وهو القرن الذي تميّز بظهور العلوم العقليّة، والمذاهب الكلاميّة، وظهور واضح لعالم الترجمة، تمكّن خلالها من إثبات نفسه بوصفه أحد أعمدة العلوم الإنسانيّة الأدبيّة.

٤- تمكّن الجاحظ من الدّخول في نفوس المجتمع، ما سهّل عليه ذلك في تأليف هذا الكتاب الذي يوضّح الكثير من طبائع المجتمع آنذاك، وما لها وعليها من سجايا. وذكر أنّ النفس البشريّة تقسّم على ثلاثة أصناف: الغضبيّة

والشهوانية، والناطقة.

٥- تمكّن الجاحظ من بيان إحدى وعشرين سمة وسجية فاضلة للأخلاق، مستمداً معلوماته عنها من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة عليهم السلام.

٦- سرّد الجاحظ في كتابه ثلاثة وعشرين سمة للأخلاق المذمومة، تشكّل السمات العامة لطبيعة البشر السيئة.

٧- ذكر الجاحظ أنّ هناك من السجايا من إن استخدمتها عينة من المجتمع تكون سجية فاضلة، وإن استخدمتها عينة أخرى تكون مذمومة.

٨- أورد الجاحظ ثمانية سجايا من الأخلاق يُمكن أن تكون هي الجامعة لمحاسن الأخلاق.

الهوامش

- ١- ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس: ٨٧٢/٤؛ السندوبيّ، حسن، أدب الجاحظ: ص ١٠.
- ٢- جبر، جميل، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد: ص ٩.
- ٣- الزركليّ، خير الدّين، الأعلام: ٧٤/٥. يُطلق على أصحاب وأتباع الجاحظ من المعتزلة وغيرهم بالفرقة الجاحظيّة.
- ٤- ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ٨٧٢/٤.
- كثير من المعطيات تؤكد أنّ الجاحظ ولد بعد هذا التاريخ عشر سنوات. يُنظر: بلّات، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء: ص ٩٢.
- ٥- ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ٨٧٢/٤.
- ٦- الزركليّ، الأعلام: ٧٤/٥.
- ٧- ابن النّديم، الفهرست: ص ١٦٩؛ ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ٨٧٢/٤.
- ٨- بلّات، الجاحظ: ص ١١٠-١١٤.
- ٩- السندوبيّ، أدب الجاحظ: ص ٢٣.
- ١٠- يزيد بن هارون: هو يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السّلميّ بالولاء (١١٨ - ٢٠٦هـ)، الواسطيّ، أبو خالد، من حفاظ الحديث الثّقات. كان واسع العلم بالدّين، ذكيّاً، كبير الشّأن. أصله من بخارى، ومولده ووفاته بواسط. قُدّر من كان يحضر مجلسه بسبعين ألفاً. وكان يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر. الزركلي، الأعلام: ١٩٠/٨.
- ١١- أحمد، عزّت السيّد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ: ص ١٣.
- ١٢- يعرف بالأخفش الأوسط، لا تُعرف سنة ولادته، لكنّه توفّي سنة (٢١٥هـ)، هو: سعيد بن مسعدة المجاشعيّ بالولاء، البلخيّ، ثمّ البصريّ، أبو الحسن، نحويّ، عالم باللّغة

والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. صنّف كتباً، منها (تفسير معاني القرآن - خ)، و (شرح أبيات المعاني - خ)، و (الاشتقاق)، و (معاني الشعر)، و (كتاب الملوك)، و (القوافي - خ) في دار الكتب مصوراً عن حسين شليبي (٣٣٠ أدبيات) وزاد في العروض بحر (الخبب)، وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر، فأصبحت ستة عشر. الزركلي، الأعلام: ١٠١-١٠٢.

١٣- بلات، الجاحظ: ص ١١٨؛ السندوبي، أدب الجاحظ: ص ٢٨. والنظام: هو إبراهيم ابن سيار بن هانئ البصري (٢٣١ - ٠٠٠هـ)، أبو إسحاق النظام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: (الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن صحّ ذلك، فأبو إسحاق من أولئك). تبحر في علوم الفلسفة، واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سُميت (النظامية) نسبة إليه. وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة. وقد ألّف كتب خاصة للردّ على النظام، وفيها تكفير له وتضليل. أمّا شهرته بالنظام، فأشباعه يقولون: إنّها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون: إنّ كان ينظم الخرز في سوق البصرة. الزركلي، الأعلام: ١/ ٤٣.

١٤- السندوبي، أدب الجاحظ: ص ٢٣.

١٥- أحمد، فلسفة الأخلاق: ص ٢٢-٢٣.

١٦- السندوبي، أدب الجاحظ: ص ١١٤-١٤٤.

١٧- كتاب ضخّم يصف طبائع الحيوانات شؤوناً، ولا علاقة له بعنوان الكتاب، فهو يضمّ بحثاً عن التعاليم الدينية من اليهودية إلى المانوية، فالزرداشتية إلى النصرانية، فالإسلام، وتطرّق فيه إلى الإلحادية، والغاية من تأليف هذا الكتاب هو تمجيد الخالق ﷻ وامتداح الإسلام في شرائعه. جبر، الجاحظ: ص ١٥.

١٨- إنّ من يطلع على هذه المؤلفات لا يخرج إلّا وهو ممتلئ النفس بإحسان اللغة العربية. السندوبي، أدب الجاحظ: ص ٣٩.

١٩- من أبدع ما ألّفه الجاحظ، يُستفاد منه في أصول التدبير المنزلي، واستثمار المال، والانتفاع من آتفه الأشياء. السندوبي، أدب الجاحظ: ص ١٢٥.

٢٠- السندوبي، أدب الجاحظ: ص ١١٨.

٢١- هي من ضمن الرسائل التي حقّقها محمد طه الحاجري. يُنظر: الحاجري، محمد طه،

- مجموع رسائل الجاحظ: ص ١١٣-١٥٦.
- ٢٢- هي من ضمن الرسائل التي حقّقها محمّد طه الحاجري. يُنظر: الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ١٩١-٢٢١.
- ٢٣- ابن النّديم، الفهرست: ص ٥٧.
- ٢٤- ابن النّديم، الفهرست: ص ٥٧.
- ٢٥- عن محقّق الكتاب البرصان والعرجان وسنة نشره، يُنظر: أحمد، فلسفة الأخلاق: ص ٢٥.
- ٢٦- الرّزكي، الأعلام: ٧٤/٥.
- ٢٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلّق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمّد: ص ١٠.
- ٢٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١١.
- ٢٩- جبر، الجاحظ: ص ٢٥.
- ٣٠- نقلاً عن: مسكويه، تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد الهلايلي: مقدّمة المحقّق: ص ١١.
- ٣١- ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون: ٢/٢١٤.
- ٣٢- تهذيب الأخلاق: ص ١٢.
- ٣٣- تهذيب الأخلاق: ص ٢٦٥.
- ٣٤- الحرّاز، خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق: ص ٢١.
- ٣٥- أمين، أحمد، الأخلاق: ص ٢.
- ٣٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٢.
- ٣٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٩.
- ٣٨- يقول جالينوس (ت ١٩٩ ق.م) نقلاً عن مسكويه: إنّ النّاس فيهم من هو خيرّ بالطبع، وفيهم من هو شرّير بالطبع. تهذيب الأخلاق: ص ٢٦٦.
- ٣٩- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.
- ٤٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.
- ٤١- وهو ما أكّده الغزالي من أنّ تغيير الأخلاق من سيّء إلى حسن ممكن، بدليل قوله عليه الصّلاة والسّلام: «حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ». مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي: ص ١٥٣.
- ٤٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.

- ٤٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.
- ٤٤- المطهري، مرتضى، فلسفة الأخلاق: ص ١٠٨. ويُنظر: الهاشمي، عبد الله، الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٩.
- ٤٥- وحدّد أحد الباحثين أنّ مصادر وأصول الأخلاق أربعة، هي: القرآن الكريم، والسنة والنّبوية، وأخلاق الصحابة، والعادات والتقاليد الإسلامية. المليجي، يعقوب، الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية: ص ٢٨-٣٠.
- ٤٦- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين: ١/ ٣٦٥.
- ٤٧- ابن كثير، تفسير القرآن: ٨/ ٣٧٣.
- ٤٨- البيهقي، السنن الكبرى: ١٠/ ٣٢٣.
- ٤٩- البيهقي، شعب الإيمان: ١٠/ ٣٧٣.
- ٥٠- نقلاً عن: الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن: ١/ ١٣.
- ٥١- الشيرازي، الأخلاق في القرآن: ١/ ١٠.
- ٥٢- تهذيب الأخلاق: ص ١٥.
- ويذكر مسكويه: أنّ النفس الشهوانية تسمّى بالبهيمية، أمّا النفس الغضبية، فتسمّى السبعية، والنفس الناطقة تسمّى الملكية. يُنظر: تهذيب الأخلاق: ص ٢٤٨.
- ٥٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٥.
- ٥٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٦.
- ٥٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٦.
- ٥٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٦.
- ٥٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤١-٤٣.
- ٥٨- تهذيب الأخلاق. ص ٢٦٧.
- ٥٩- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٧.
- ٦٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٧-١٨.
- ٦١- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٨.
- ٦٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٨.
- ٦٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤٥.

- ٦٤- والإنسان صار إنساناً بالنفس الناطقة، فيها شارك الملائكة، وبها باين البهائم. مسكويه، تهذيب الأخلاق: ص ٢٧٩.
- ٦٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٩.
- ٦٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٩.
- ٦٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٠.
- ٦٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢١.
- ٦٩- يعرفها أحمد أمين بأنها: ضبط النفس، واعتدال الميل إلى اللذائذ، وخضوع ذلك لحكم العقل. الأخلاق: ص ١٦٢.
- ٧٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢١.
- ٧١- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢١-٢٢. ويُظن: مسكويه، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥١.
- ٧٢- مسكويه، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥٢.
- ٧٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٢.
- ٧٤- يؤكد الجاحظ أن أخلاق الملوك ليست كأخلاق العامة، فما مستحسن هنا، غير مستحسن عند الآخر. الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا: ص ١٧.
- ٧٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٢.
- ٧٦- تهذيب الأخلاق: ص ٢٣.
- ٧٧- تهذيب الأخلاق: ص ٢٣.
- ٧٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٣. وذكر مسكويه الوقار، فقال: هو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب. تهذيب الأخلاق: ص ٢٥٤.
- ٧٩- النيسابوري، أبو عبد الله، الحاكم، المستدرك على الصحيحين: ٣١٩/٤.
- ٨٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٣.
- ٨١- تهذيب الأخلاق: ص ٢٤.
- ٨٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٤.
- ٨٣- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن واضح الحنظلي (ت ١٨١هـ)، الزهد والرفائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي: ص ٣٦٧.

- ٨٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥.
- ٨٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥.
- ٨٦- ابن ماجه، سنن ابن ماجه: ١٣٣٩ / ٢.
- ٨٧- السَّخَاءُ سَخَاءَان، سَخَاءَ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَسَخَاوَتُهُ عَمَّا فِي يَدَيِ النَّاسِ. ابن المقفع، الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا: ص ٨٩.
- ٨٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥.
- ٨٩- تهذيب الأخلاق: ص ٢٦٠.
- ٩٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥-٢٦.
- ٩١- يذكر الغزالي أنَّ الإيمان نصفه صبر، ونصفه الآخر شكر. إحياء علوم: ص ١٣٩٩.
- وهذا أصل حديث للرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ: «الْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ فِي الصَّبْرِ، وَنِصْفٌ فِي الشُّكْرِ». البيهقي، شعب الإيمان: ١٢ / ١٩٢.
- ٩٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٧. وَيُضَيَّفُ مَسْكُوِيَهُ أَنَّ الصَّبْرَ: هُوَ مَقَاوِمَةُ النَّفْسِ لِلْهَوَى لئَلَّا تَنْقَادَ لِلرَّذَائِلِ. تهذيب الأخلاق: ص ٢٥٣.
- ٩٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٨.
- ٩٤- تهذيب الأخلاق: ص ١٣.
- ٩٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٣.
- ٩٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٣.
- ٩٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٨.
- ٩٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٠.
- ٩٩- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٠-٣١.
- ١٠٠- النيسابوري، المستدرک: ٤ / ٦٥٠.
- ١٠١- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣١.
- ١٠٢- يَقْسَمُ الْغَزَالِيُّ الْكِبْرَ إِلَى: ظَاهِرِيٍّ، وَبَاطِنِيٍّ، فَالظَّاهِرِيُّ، هُوَ أَعْمَالٌ تَصْدُرُ مِنَ الْجَوَارِحِ مِنْ خِلَالِ تَعَجُّبِ الْمَرْءِ بِمَالِهِ، وَعَمَلُهُ، وَالْبَاطِنُ هُوَ خَلْقٌ فِي النَّفْسِ. مَبَارَكُ، الْأَخْلَاقُ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ: ص ٢٠٩.
- ١٠٣- تهذيب الأخلاق: ص ٣٢.

- ١٠٤ - نقلاً عن: الشيرازي، الأخلاق في القرآن : ١ / ١٠١ .
- ١٠٥ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٢ .
- ١٠٦ - يُفرد الغزالي للبخل في كتابه إحياء علوم الدّين، ويجلب الآيات والأحاديث التي تدلّ على ذمّ البخل. الغزالي: ص ١٣٤، وما بعدها.
- ١٠٧ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٣ .
- ١٠٨ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٣ .
- ومن أبواب البخل الغامضة التي أوردها ابن المقفّع، أن لا تسابق الرّجل إذا حدّث حديثاً أنت تعرفه، وكأنّك تُظهر للنّاس أنّك تعلم مثل الذي يعلم. الأدب الكبير: ص ١٢٤ .
- ١٠٩ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٣ .
- ١١٠ - الفاكهي، عبد الله بن محمد بن العباس (ت ٣٥٣هـ)، فوائد أبي محمّد الفاكهي، تحقيق: محمّد بن عبد الله الغباني: ص ١٢٩ .
- ١١١ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٤ . ولا ينبغي للوالي أن يحسد الولاة على حسن تدبير ولا يتهم. ابن المقفّع، الأدب الكبير: ص ٢٦ .
- ١١٢ - البيهقي، السنن الكبرى: ٦ / ١٥٣ .
- ١١٣ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٤ .
- ١١٤ - ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٥ / ٣٥١ .
- ١١٥ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٥ .
- ١١٦ - قال ابن المقفّع: إنّ النّاس حريصون على تقليد الوالي في زيّه. الأدب الكبير: ص ٢٨ . وبذلك كلّما كان زيّه جميلاً ظهر ذلك في النّاس في ملبسهم.
- ١١٧ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٥ .
- ١١٨ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٦ .
- ١١٩ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٦ .
- ١٢٠ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٦ .
- ١٢١ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٧ .
- ١٢٢ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤٩ .
- ١٢٣ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤٩ - ٥٠ .

- ١٢٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٠.
- ١٢٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥١.
- ١٢٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٢. ولذلك يذكر بأن: «أغنى الناس أكثرهم إحساناً». لكثرة ماله وعطائه. ابن المقفع، الأدب الصغير، تحقيق: أحمد زكي باشا: ص ٦٠.
- ١٢٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٣.
- ١٢٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٣-٥٤.
- ١٢٩- عن الغضب أنظر: الخراز، موسوعة الأخلاق: ص ٤٩.
- ١٣٠- مالك بن أنس، الموطأ: ٢/ ٩٠٥.
- ١٣١- تهذيب الأخلاق: ص ٥٥.
- ١٣٢- مبارك، الأخلاق عند الغزالي: ص ١٩٨.
- ١٣٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٥.
- ١٣٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٧.
- ١٣٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٩.
- ١٣٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٦٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر الأولية:

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).
- ١- السنن الكبرى، ط ٣، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٢- شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، الهند، ٢٠٠٣م.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).
- ٣- تهذيب الأخلاق، قرأه وعلّق عليه: أبو حذيفة، إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ١٩٨٩م.
- ٤- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد، الشيباني (ت ٢٤١هـ).
- ٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ).
- ٦- إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ابن فارس، أبو الحسن، أحمد (ت ٣٩٥هـ).
- ٧- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الفاكهي، عبد الله بن محمد بن العباس (ت ٣٥٣هـ).

- ٨- فوائد أبي محمد الفاكهي، تحقيق: محمد بن عبدالله الغباني، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨ م.
- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).
- ٩- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ابن ماجة، أبو عبد الله، محمد بن يزيد، القزويني (ت ٢٧٣هـ).
- ١٠- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).
- مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ).
- ١١- الموطأ، صححه ورقمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥ م.
- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن، عبد الله بن واضح، الحنظلي (ت ١٨١هـ).
- ١٢- الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ).
- ١٣- تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد الهلائي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١١ م.
- ابن المقفع، أبو محمد، عبد الله (ت ١٤٢هـ).
- ١٤- الأدب الصغير، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية، مصر، الإسكندرية، ١٩١١ م.
- ١٥- الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة محمد علي الصناعية، مصر، الإسكندرية، ١٩١٢ م.
- ابن التديم، أبو الفرج، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ).
- ١٦- الفهرست، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- النيسابوري، أبو عبد الله، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم (ت ٤٠٥هـ).
- ١٧- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٩٠م.

- ياقوت الحموي (ت ٦٢٣هـ).

١٨- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

المراجع الثانوية:

- أحمد، عزّت السيّد.

١٩- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

- أمين، أحمد.

٢٠- الأخلاق، ط ٢، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٣١م.

- بلّات، شارل.

٢١- الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: إبراهيم الكيلانيّ، دار البيقطة العربيّة للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٦١م.

- جبر، جميل.

٢٢- الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- الحاجريّ، محمّد طه.

٢٣- مجموع رسائل الجاحظ، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٨٣م.

- الحرّاز، خالد بن جمعة.

٢٤- موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ٢٠٠٩م.

- الزّركليّ، خير الدّين.

٢٥- الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

- السّندويّ، حسن.

٢٦- أدب الجاحظ، المطبعة الرّحمانيةّ، القاهرة، ١٩٣١م.

- الشيرازيّ، ناصر مكارم.

٢٧- الأخلاق في القرآن، ط ٢، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، قم، ١٤٢٦هـ.

- مبارك، زكي.

- ٢٨- الأخلاق عند الغزالي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.
- المطهري، مرتضى.
٢٩- فلسفة الأخلاق، ط ٢، مؤسسة أم القرى للتحقيق، لبنان، ٢٠٠٩م.
- المليجي، يعقوب.
٣٠- الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- الهاشمي، عبد الله.
٣١- الأخلاق والآداب الإسلامية، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م.

التّعايش الدّينيّ في مدينة البصرة من خلال كتب
الرّحلات

Religious Coexistence in Basra Through
Books of Trips

أ.د. متعب خلف جابر م.د. منتصر حسن دهيرب
جامعة المثنى / كلّية التّربية للعلوم الإنسانيّة / قسم التّاريخ

Dr. Mit'eb Kh. Ja'far, professor

Dr. Muntaser H. Dhaireb, lecturer

(Department of History, College of Education for Human
Sciences, Al-Muthanna University)

ملخص البحث

تشكّل الرّحلات مصدراً من مصادر المعلومات الغنيّة في الكتابة التاريخية، فقد حرص الرّحالة على ذكر الأمور التفصيليّة للمناطق والأحداث التي يمرّون بها؛ لذا سلّطنا الضّوء على ذكر التعايش الدّينيّ في مدينة البصرة من خلال كتب الرّحلات؛ إذ اشتهرت البصرة بكونها ملتقى اقتصاديّاً وثقافيّاً بين مختلف الأديان والمذاهب، وتميّزت عن غيرها من المدن بكونها سمحت بالتعايش الدّينيّ بين أبنائها، بل زادت على ذلك بأنّ البصريّين تشاركونا سوياً في الاحتفال بمناسباتهم الدّينيّة، وأظهر وصف الرّحالة للتعايش الدّينيّ عمق الأواصر التاريخيّة الرّابطة بين أبناء المدينة على مختلف العصور.

Abstract

Trips are considered to be a source of very rich historical information. Travelers are keen to write down in detail of places and events. This paper thus sheds light on religious coexistence in Basra via books written by those travelers. Basra has been famous for being a cultural and economic meeting-place for various religions and doctrines allowing coexistence to pervade among its inhabitants. The people of Basra used to take part in religious festivals belonging to various religious sects. As such, close historical links tied people of Basra for a long time.

مقدمة

تُعدُّ البصرة واحدة من مدن العراق المهمة كونها تمثل ثغره على الخليج، وبوابته الاقتصادية الأهم؛ لذا كانت المدينة وجهة للتجار والرحالة والبعثات التنصيرية في الخليج، فقد شغلت هذه المدينة حيزاً واسعاً في الكتابات التاريخية القديمة والحديثة؛ نظراً إلى أهميتها الواسعة في مختلف الميادين. ونتيجة لذلك قصد المدينة العديد من الرحالة الأجانب، سجلوا في رحلاتهم كل ما شاهدوه عن المدينة، حتى لم تغادر كتب الرحالة ذكراً عن تلك المدينة. ومن خلال ذلك استخلصنا ذكر الرحالة الأجانب للتعايش الديني في البصرة، على الرغم من أنهم لم يذكروا ذلك بصورة صريحة، لكن وصفهم حالة التعايش المجتمعي كان يؤكد ذلك، فقد ذكر كل الرحالة الذين زاروا المدينة الأقليات الدينية، وحالة التعايش المجتمعي بين أبناء البصرة وتطورها خلال حقبة زمنية مختلفة.

كانت البصرة إحدى المدن المهمة التي حرص الرحالة على الوصول إليها والكتابة عنها، فهي مدينة مهمة من حيث الموقع الجغرافي والتنوع الاجتماعي؛ لذلك حرصنا في هذا البحث على الكتابة عن المجتمع البصري وطبيعة التنوع الديني والتعايش بين أبناء الأديان، وخلال حقبة مختلفة، فكل رحلة كانت تفصلها عدة سنوات عن الرحلة الأخرى، ما يساعد الباحث على تتبع التطور

المجتمعي، واستمرار التعايش السلمي من عدمه، وإيجاد صور حقيقية لذلك التعايش، أو لكي لا ينسب ذلك لسلطة معينة^(١).

تكمن أهمية اختيار هذا العنوان موضوعاً للبحث لسببين:

١- أهمية تسليط الضوء على روية الرحالة الأجانب للمجتمع البصري وعلاقاتها المجتمعية، ومدى أصالة ذلك التعايش، وامتداده التاريخي حتى يومنا هذا لدى البصريين بصورة خاصة والعراقيين على وجه العموم.

٢- إن فكرة الكتابة عن التعايش الديني في كتب الرحالة تُعدّ من الموضوعات الجديدة في الساحة البحثية، فالكثير من الباحثين أشبعوا مدينة البصرة بحثاً في تاريخها السياسي والاقتصادي والعسكري، فيما لم يُسلط الضوء بصورة كافية على الدراسات التاريخية المجتمعية، لاسيما في رؤية الغير، مثل الرحالة الأجانب. قُسم البحث على عدّة موضوعات تنوّعت بين الأهمية الجغرافية لمدينة البصرة وأثرها في التعايش الديني بين الطوائف، والأهمية الاقتصادية للمدينة ودورها في تنمية ذلك التعايش، فيما يتم الإشارة إلى العلاقات المجتمعية التي أشار إليها الرحالة بين أبناء مدينة البصرة في كتب رحلاتهم، وعلاقة السلطة السياسية بالأقليات الدينية.

١- أسباب الرحلات وأهميتها

تُعدّ الرحلات واحدة من الركائز المهمة التي يستند إليها الباحث العلمي في كتابته الفكرية أو الوصفية، وتكمن أهمية تلك الكتابات في كونها تشمل على عنصرين مهمين، هما: المعاصرة الزمكانية للحدث، فضلاً عن أصالة المعلومة

المنقولة عنها. فالنصّ الرحليّ هو نصّ مملوءٌ بالأحداث التي اعتادت العين على مشاهدته وإطالة التمعّن به، ويُعدّ مهماً جداً في التوظيف عند الكتابة التاريخية؛ لملازمته الحدث، كما أسلفنا^(٢).

أمّا الرّحلات، فهي متنوّعة من حيث المظهر والهدف والغاية، فمنها ما كانت لأهداف إمبريالية، أو استكشافية، أو تبشيرية، أو استطلاعية معرفية، فضلاً عن الرّحلات الاستخبارية. وقد حرص رواد الرّحلات على إيراد وصفٍ دقيقٍ للمناطق والأحداث التي يمرّون بها؛ لذا نجد أنّ الرّحلة الواحدة تتنوّع بين الوصف الجغرافيّ والسيّسولوجيّ والمناخيّ والسياسيّ، ويمكن القول إنّ النصّ الرحليّ هو نصّ بانوراميّ، يلتقط لمجتمع معيّن في مرحلة من مراحل، ويُوضع تحت ناظرنا للتزوّد منه معرفياً^(٣).

اجتاح الأقطار الأوروبيّة في القرن الخامس عشر تيّارٌ مهمٌّ عُرف بتيار الإنسانيّات، فانكبّ أرباب ذلك العصر على البحث والتنقيب عن التراث القديم، بدءاً بالتراث اليونانيّ واللاتينيّ، ونهايةً بالشّرق. وفي نهاية القرن السادس عشر توجه علماء الغرب إلى البحث في التراث الفكريّ والأدبيّ الشّرقى، واستكشاف الحضارات القديمة، فقد شرع الباحثون بالتعمّق في دراسة حضارة الشّرق، وبمختلف ميادينها، مثل: (الطبّ، الرياضيّات، الفلك، الفلسفة)، فيما عكف غيرهم على دراسة التاريخ والحضارة الإسلاميّة، وكانت الغاية الرّئيسة في ذلك هي نشر الدّيانة المسيحيّة، ومجادلة رجال الدّين المسلمين^(٤).

كان العراق المحطّة الأبرز للرّحلات الأوروبيّة، وذلك لعدّة أسباب، منها:
١ - عمق حضارته وسعة ثقافته.

٢- يُعدُّ بلداً غنياً؛ لذا قصده الرّحالة لغرض التجارة.
 ٣- يُعدُّ بلداً متعدّد الثقافات والأديان، وشعبه من الشّعوب المنفتحة دينياً، والمتعايشة بصورة سلمية.
 ونتيجة لهذه الميزات زار العراق خلال المدّة (١٥٦٣-١٨٦٦م) عدّة رحالة، تنوّعت كتاباتهم بين وصف المجتمع العراقيّ والنقد الحضاريّ له^(٥).
 وتُعدّ بغداد والموصل والبصرة أهمّ الحواضر الثقافيّة العراقيّة على مختلف الأزمان؛ كونها تمثّل مراكز متنوّعة للثقافات العراقيّة، والتعدّدية الدّينيّة حاضرة بها؛ لذا قصد أغلب الرّحالة تلك المدن، وجعلوها مراكز انطلاق لرحلاتهم، وكتبوا وصفاً دقيقاً لكلّ مدينة، شمل الجوانب السّياسيّة والاجتماعيّة والجغرافيّة^(٦).

٢- الأهميّة الجغرافيّة والتجاريّة ودورها في التنوّع والتعايش في البصرة

تقع البصرة على الضّفة الغربيّة لشطّ العرب، وتقع على خطّي العرض (٣٠-٣١ درجة)^(٧). وتتماز البصرة بارتفاع درجة الحرارة خلال أشهر (حزيران، تمّوز، آب)، وقد أشار الرّحالة (سيستيني) أنّ درجة الحرارة خلال تلك الأشهر تصل إلى (٢٦ درجة) عند شروق الشّمس، وترتفع في وقت الظهيرة إلى (٤٦ درجة)^(٨).
 وقد امتازت البصرة بسوء بنيانها؛ إذ تغطّي بساتين التّمر وحقول الحبوب المساحة الأوسع من المدينة، ويشقّ البصرة جداول فرعيّة صغيرة تكون مرتبطة بالنّهر الكبير، وتكثر القاذورات في أغلب شوارعها، حتّى عبّر عنها الرّحالة (نيبور)، بقوله «... لم أصادف في أيّ مكان آخر مدينة إسلاميّة أكثر قذارة من

هذه المدينة»^(٩).

يحيط بالمدينة سور ضخّم مبنيّ من مادّة اللّبن، ويبلغ طوله في الصّفّة اليمنى المطلة على الصّحراء أربعة أميال تقريباً، ويبلغ من شماله إلى الجنوب ثلاثة أميال تقريباً^(١٠)، ولسور المدينة أبواب خمسة، هي:

١- دروازة الرّباط، أو باب الرّباط.

٢- دروازة بغداد.

٣- دروازة حضرت الزّبير، أو باب الزّبير.

٤- دروازة الصّراجي (السّراجي).

٥- دروازة المجموعة.

وقد وصف الرّحالة الإيطاليّ (ديلافالیه) البصرة، بقوله «البصرة مدينة مترامية الأطراف، عامرة بالسّكان، رديئة العمران، قائمة على أرض مستوية مفتوحة، وهي غير مسوّرة، وقد أُحيطت بسور مؤخّراً بسبب الحروب التي شنّها الفرس عليها، وفي السّور أبراج من الطّين، وقد تهدّم بعضها، وللمدينة أبواب تُقفّل، وفيها من الأسواق، سوق الصّاعغة، وسوق المنسوجات...»^(١١)، وتكثر في المدينة الحّمّات العامّة، التي تقدّم الخدمات العامّة للنّاس^(١٢).

وللمدينة جامع ذو منارتين، وثمانية جوامع أخرى بمنارة واحدة، وهناك أربعة جوامع صغيرة أخرى يقصدها أهالي المدينة لأداء الصّلاة^(١٣).

تتألّف البصرة -حتى زيارة نيبور للمدينة عام ١٧٦٠م- من عدّة أحياء سكنيّة، أحصاها بأربعة وسبعين حيّاً، ونذكر بعضاً منها، وهي أحياء (مناخ، مشراق، ابن عيد، أمّ البزازين، شيخ بادي، شيخ قنبر، قبله، معدان، محلّة اليهود،

محلة مرجانة، حسن دادة، الخ...)، ومّا يعنينا من هذا أنّ (نيبور) ذكر محلة باسم (محلة اليهود)، وذكر أنّ كلّ محلة مكوّنة -آنذاك- من (٣٠٠-٤٠٠) بيتاً، لكن تلك الأعداد لم يتحقّق منها الرّحالة، فهو يشير إلى أنّ تلك الأعداد لم تكن أعداداً مضبوطة؛ فقد ذكر له بعض أهالي المدينة أنّ كلّ محلة تضمّ (١٠٠) بيت، وأنّ متوسط أعداد العوائل -آنذاك- يبلغ سبعة أشخاص^(١٤).

يبدو أنّ (نيبور) لم يكن متأكّداً من الأعداد الحقيقيّة لسكّان اليهود في البصرة، أو عدد منازلهم، فقد اعتمد في ذكر معلومته على الأخبار التي يزوّده الأهالي بها، وهذه بطبيعة الحال غير دقيقة، وخاضعة للتخمين.

تنماز البصرة بكثرة خيراتها، فهي تشتهر بزراعة النخيل، الذي ينتشر فيها بمختلف صنوفه، وتكثر فيها زراعة العنب والتّين والتّفاح والرّمّان^(١٥)، وفيها وفرة من الرّزّ والقمح، وتنماز المدينة بتجارة التوابل والعقاقير، ومختلف السّلع الأخرى التي ترده عن طريق البحر، لكنّ المدينة تشكو من قلة المياه العذبة، ويذكر الرّحالة (بالبي) سبب ذلك بأنّ أهل البلاد يُسمّدون الأرض بالبراز البشريّ، وعندما يفيض النّهر يجرف كمّيّة كبيرة من الأقذار، وهو ما يجعل طعم الماء أجاجاً؛ لذا فمن يُريد أن يشرب ماءً طيباً عليه الذّهاب مسافة نصف نهار ليرد الماء العذب^(١٦).

يرد الرّحالة إلى مدينة البصرة عن طريق نهري دجلة والفرات القادمين من شمال العراق أو أعالي الفرات، وبعض تلك الرّحلات والقليلة منها تأتي عن طريق الخليج العربيّ أو بلاد فارس، ويستعمل الرّحالة السّفن التي تُعرف (بالدّانك) خلال رحلاتهم؛ لأنّها الوسيلة الأسرع والأكثر أماناً من غيرها،

فالطريق البرّي طريق محفوف بالمخاطر بسبب قطاع الطرق^(١٧)، أو الحيوانات البريّة المفترسة التي كانت تجوب مناطق وسط وجنوب العراق^(١٨).

تستغرق المسافة بين البصرة وبغداد إبحار ثمانية أو تسعة أيام عن طريق نهر دجلة، وهذه المدة ترتبط بارتفاع النهر ومقدار توقّعات السفينة^(١٩).

كان الوافدون إلى البصرة يُجبرون على دفع مبالغ مالية إلى الدولة العثمانية ضريبة عن حمولاتهم، وبلغت قيمة تلك الضريبة (٦٪) من البضاعة الواردة^(٢٠)، وهناك ضرائب غير رسمية (إتاوات) تفرضها القبائل التي تمرّ بها الرحلة. وفي كثير من الأحيان تتعرّض الرحلات إلى مضايقات أو هجوم من تلك القبائل إذا امتنعت عن الدّفع. فعند مدخل البصرة يقطن العرب الجزائريّون (سكنة الأهوار)، وهم يرفضون الخضوع للحكم العثمانيّ الذي لا يستطيع بدوره إخضاعهم؛ بسبب طبيعة المنطقة، وبنماز سكّانها بأنهم مقاتلون أشداء، وكانت تلك القبائل تفرض إتاوات على الرّحالة مقابل حمايتهم حتّى الوصول إلى البصرة^(٢١).

تشكّل البصرة العصب الاقتصاديّ للعراق، فهي تُرسل إلى بغداد وبقية المدن العراقية مختلف البضائع التي تردّها عن طريق دول الخليج والهند، فينقل منها البضاعة الهندية، مثل: السكر، والقهوة، والبهارات، والأنسجة القطنية، والأخشاب الفاخرة، فضلاً عن ذلك كان للبضائع الأوروبية سوق رائجة في العراق، مثل: القطن، والحريز، والأواني، والنحاس، والحديد الذي كان يصل من المصانع الإنكليزيّة والسويسريّة. فخلال سنة (١٨٩٩-١٨٦٧م) وردت إلى البصرة بضائع بقيمة (٤،٢١٤) مليون فرنك، أي ما يساوي (٨،٥) مليون باون

إنكليزي ذهب، أمّا صادرات البصرة، فكانت التمور في طليعة المواد المصدّرة؛ إذ تبلغ صادراتها سنوياً (٤٠-٥٠) ألف طنّ تقريباً تذهب للهند أو الخليج، وحتىّ الدول الأوربيّة، وتضمن قيمة صادرات البصرة عام (١٨٦٦) مبلغ (١١، ٥) مليون فرنك، منها (٤) ملايين من التمور، ومثلها للحنطة والشّعير والرّزّ، وما تبقى صوف وموادّ أخرى. أمّا المبالغ الماليّة الواردة من موانئ البصرة عام (١٨٦٦) بنحو (٩٠٠) ألف فرنك (الفرنك يساوي ٢٥ باون)، ويبلغ متوسط عدد المراكب التي تدخلها وتخرج منها سنوياً (١٦٧) باخرة، و (٨٠) سفينة شراعية كبيرة، و (٥٠٠٠) سفينة محليّة^(٢٢).

إنّ الحركة التجاريّة الكبيرة لمدينة البصرة حتم عليها أن تكون مدينة مفتوحة دينياً؛ وذلك لأنّها تستقبل مختلف أنواع البشر في العام الواحد، فالعدد الكبير للتجار الأجانب، ومقدار واردات وصادرات البصرة، جعل منها مرفأً تجاريّاً مهمّاً، وزاد اختلاط المجتمع البصريّ مع مختلف الملل والدّول؛ لذلك ازاد انفتاح الأهالي على الشّعوب والديانات الأخرى، وزاد تسامحهم مع الأقليّات الدينيّة.

٣- التعايش الديني في البصرة

إنّ أقدم رحلة حصلنا عليها هي رحلة (بالي)، الذي زار المدينة في (١٢) آذار (١٥٨٠م)، ويذكر هذا الرّحالة أنّ مدينة البصرة كانت مدينة واسعة تزاوّل التجارة، وكان يقطنها الكثير من الوافدين والتجار غير المسلمين للتجارة مع أهالي المدينة المسلمين، ولم تعرّض أيّ من هؤلاء إلى سوء معاملة أو تعرّض من الأهالي أو الدّولة الفاتحة -آنذاك-، وهو يذكر أنّ أهالي البصرة يزاولون التجارة

مع بعض تجّار الهند الوثنيّين الذين يعرفون أهل بنيان^(٢٣)، وقد كان هؤلاء التجّار يمارسون حرّيتهم ومعتقداتهم دون أن يوتّر فيهم أحد، طالما يحترمون معتقدات أهل البصرة، لكن وبالرغم من ذلك، فإنّ الإساءة لمعتقدات المسلمين في البصرة كان يعرّض هؤلاء إلى النزول إلى الأحكام الإسلاميّة، ففي (٢٧ آذار ١٥٨٠م) قطع والي البصرة (ابن جيكال) رقاب ثمانية من هؤلاء الهنود؛ لأنّهم أساءوا إلى الدّين الإسلاميّ، وتعرّضوا له بالشّتم^(٢٤).

ويتبيّن من ذلك أنّ أهل البصرة استقبلوا وتعاملوا مع غير المسلمين أو أصحاب الكتاب، بل تبادلوا التجارة والأموال معهم، وذلك يدلّ على أنّ أهالي المدينة منفتحين دينياً وثقافياً على غيرهم، ولم يُوصدوا أبواب مدينتهم أمام الأجانب مختلفي العقيدة، وهذه مفارقة واضحة تميّزت بها البصرة عن غيرها من المدن، فالحديث الدائر هنا عن نهايات القرن السادس عشر حيث المجتمع الملتمزم دينياً وعشائرياً، فضلاً عن الإدارة العثمانيّة ذات الطابع الدّينيّ، ونحن نشاهد هذا الانفتاح على الآخر؛ لذلك فإنّ ذلك يُعدّ نقلة نوعيّة للمجتمع البصريّ إذا ما قارناه بغيره من مناطق الخليج، التي رفضت التعامل مع الدّول الأوربيّة المسيحيّة.

لم تكن السّنوات التي تلت رحلة (البلي) إلّا سنوات الانفتاح الثقافيّ الأكثر للبصرة. وقد أدّى هذا الانفتاح الدّينيّ إلى زيادة عدد الدّيانات، وزيادة معتنقيها، وقد ذكر الرّحالة (ديلافاليه) أنّ البصرة تحتوي عدداً غير قليل من الأقليّات الدّينيّة، وهم يمارسون شعائرهم بحريّة كبيرة، فقد ذكر وجود عددٍ من النصاريّ الكلدان، ويشير إلى مركز تواجدهم في منطقة الحويّزة؛ إذ

ذكرهم بقوله: «في البصرة عدد من النّصارى الكلدانيّين الذي يطلق عليهم نصارى القديس يوحنا، أو الصّابئة، وليس لي فكرة بعدد بيوتهم، وليس لهم من النصرانيّة سوى الاسم، على ما أظنّ، فليس لهم كنيسة، بل يحلون في بيت كاهنهم الوحيد في البصرة أثناء وجودي....، ولا صيام لديهم، ولا قطاعة، بل يتناولون اللّحم على مدى الأيام...، عمادهم نفسه عماد القديس يوحنا... وهم يُجلّونه وبيالغون في الكرامة، وفي ظنّي أنّهم بقايا اليهود الذين نالوا العماد من يد يوحنا، ولهذا تمسّكوا بهذه الطقوس، يُعرفون عند العرب بالصّابئة، يتكلّمون فيما بينهم لغة الكلدانيّة محرّفة، تسمّى المندائيّة إلى جانب العربيّة، ومنها اسمها المعروف مندائيّ، بينما يُطلق عليهم الأوربيّون نصارى القديس يوحنا، وليس لديهم أناجيل، أقلّه هنا في البصرة، ولا كُتب أخرى مقدّسة ماعدا كتاب يسمّونه السّندرا^(٢٥)، وهم يسيرون بأحكامه في أمور دينهم، لهم حروف خاصّة بلغتهم تختلف عن الكلدانيّة أو السّريانيّة القديمة والحديثة، وبهذه الحروف يكتبون أسفارهم المقدّسة، وهم (أي العامّة) لا يعرفون هذه اللّغة قراءة أو كتابة، بل يقتصر الكهنة على معرفتها...»^(٢٦).

يبدو أنّ الرّحالة خلط بين الصّابئة والمسيحيّة، فالديانة المندائيّة تختلف كثيراً عن المسيحيّة من حيث المعتقدات والطقوس، لكن لسوء معرفة المندائيّين بعقائدهم الدّينيّة واختصارها على رجال الدّين فقط، جعل الكثير منهم لا يعرف المعتقدات الدّينيّة أو يميّزها عن غيرها من المعتقدات المتشابهة، كذلك قصر مدّة بقاء الرّحالة في البصرة أو بالقرب من المندائيّين، جعلهم يتوهّمون بأنّهم مسيحيّون.

كانت البصرة حتى وصول الرّحالة الإيطاليّ (ديلافالیه) عام (١٦٢٤م) قبلة للأجانب ولأصحاب الدّیانات الأخرى، ما أدّى ذلك إلى زيادة أعداد المسيحيّين القادمين إلى المدينة، فقد أشار (ديلافالیه) إلى ذلك، بقوله: «نظراً لوجود عدد كبير من المسيحيّين الأوربيّين في المدينة، فقد فتح الرّهبان الكرملیون مبعثاً لهم فيها...»^(٢٧).

وقد وصف (ديلافالیه) تلك الكنائس بصورة دقيقة، فأشار إلى معبد الآباء الكرملیين، وقال بأنّه شُيّد بصورة جميلة مع دیر ملحّق له، يحوي جوامع الرّهبان وغرف لعابري السّیبل، وقد ابتاعوا قسماً من الأرض بما لهم الخاصّ، والقسم الآخر وهبهم إیّاه أفراسیاب^(٢٨) باشا، وقد وصف الرّحالة (سیستینی) ذلك الدّیر، بقوله: «دیر المبشرین بالبصرة من أجمل الصّروح بعد الشّركة الإنكليزيّة، وكنيسة الدّیر كبيرة، وبنّاؤها جيّد...»^(٢٩). أمّا الرّهبان الأوغسطينیون، فإنّهم لم يشيّدوا ديراً خاصّاً بهم، وكانوا متردّدين كثيراً في ذلك الشّأن؛ لأنّهم خشوا من سقوط البصرة في قبضة الفرس؛ لذلك اكتفوا باستئجار دار للسّكن وإقامة الصّلاة فيها، وكان (الباشا أفراسیاب) يدفع ثمن تلك الدّار، فقد كان الباشا يحسن معاملة البرتغاليّين وسائر المسيحيّين في البصرة نظراً إلى مساعدة البرتغاليّين له في مواجهة الفرس، وقد خصّص فضلاً عن ذلك راتباً شهريّاً ومساعدات للكنیستين^(٣٠).

شهدت البصرة خلال فترة حكم أسرة أفراسیاب انفتاحاً ملحوظاً على الأقليّات الدّینیّة فيها، فمن خلال كلام الرّحالة الإيطالي (ديلافالیه) يظهر مدى التعاطف الذي كان يحظى به المسيحيّون في البصرة، وإنّ حُسن المعاملة

تلك كانت الغاية منها إرضاء البرتغاليين، الذين كان يرجو منهم حمايته من أيّ اعتداء على البصرة، وإن سياسة الدولة تنعكس إيجابياً على سلوك المجتمع، فالباشا أفراسياب عمد إلى الانفتاح على المسيحيين من خلال استئجار الكنائس لهم وحضور احتفالاتهم الدينية، وهو بطبيعة الحال مؤثر إيجابي على مدى التعاشيش الديني في البصرة، فلو كان المجتمع البصري يقف بالضد من وجود الأقليات أو فتح الكنائس، لما تمكن أفراسياب من دعمهم بصورة علنية، أو حضور احتفالاتهم؛ لأنه سيواجه معارضة من وجوه وأعيان البصرة.

تعرضت البصرة عام (١٦٢٣م) إلى حملة فارسية لإخضاع المدينة، فقد طلب الشاه من أفراسياب أن يتخلّى عن تبعيته للدولة العثمانية، ويتقبل التبعية الفارسية، وأن يسكّ النقود باسم الشاه، وأن يذكر اسمه في الصلاة، وأن يتخذ الأزياء الفارسية في الملبس، ومقابل ذلك أن يكون أفراسياب حاكماً للبصرة، وأن يكون الحكم وراثياً في أبنائه. وعندما رفض أفراسياب ذلك، جرّد عليه الشاه في السنة الثانية حملة عسكرية بقيادة حاكم شيراز إمام قلي خان، ولكن أفراسياب صدّ الهجمة بمساعدة الأسطول البرتغالي في البصرة، وأعاد الفرس الكرة مرة أخرى سنة (١٦٢٥م)، فتقدّم البرتغاليون ثانية لنجدة البصرة، وأعاروا (عليّ الباشا) الذي خلف أباه في حكمهما خمس سفن مسلّحة، غير أنّ القوّة الفارسية انسحبت فجأة تاركة الكثير من أحمالها. ويرى (لونكريك) أنّه من المحتمل أن يكون سبب الانسحاب حدوث اضطراب في شيراز، أو ورده أمر من العاصمة أصفهان بذلك^(٣١).

لم تقف الأقليات الدينية مكتوفة الأيدي حيال الخطر الذي كان يدهام

المدينة، فخلال حصار البصرة الأول دعا الشيخ (عبد السلام الكوّاز) - وهو شيخ من شيوخ الطائفة الصّابئية - في (١٩ آذار ١٦٢٣ م) أبناء دينه للدّفاع عن المدينة، والوقوف مع إخوانه المسلمين في خندق واحد، وقدّ جمع من أفراد أسرته وأبناء دينه وأتباعه (٢٠٠) رجل، وتوجّهوا لنجدة (عليّ باشا) بعد أن طلب الأخير من أبناء المدينة مساعدته في حرب الفرس، وقدّ استطاعت هذه القوّة البسيطة أن تدافع عن المدينة، وتُوقف التقدّم الفارسيّ^(٣٢).

وقدّ يتسائل البعض عن الغاية التي دفعت الصّابئة للدّفاع عن المدينة، على الرّغم من قلة عددهم؟

إنّ الانفتاح الدّينيّ أيام حكم أفراسياب وابنه عليّ أفراسياب أعطى للأقليات حرّية ممارسة شعائهم الدّينية بحرّية مطلقة، وإنّ الدّعم الكبير الذي حظيت به الأقليات لم يكن كما هو في أيّ عهد مضى، وإنّ التعايش الدّينيّ بين المسلمين والأقليات دفع تلك الأقليات - ومن واجب أخلاقيّ - إلى مشاركتهم في الدّفاع عن المدينة، وكذلك فإنّ الأقليات كانت متخوّفة من أن تفقد هذه الحرّية وذلك التعايش في حالة سيطرة الدّولة الفارسيّة على البصرة؛ لذا حرص أبناء الطوائف على الدّفاع عن مدينتهم والحفاظ على ذلك التعايش الرّائع.

بعد ابتعاد الخطر الفارسيّ على البصرة سنة (١٦٢٤ م) احتفل البصريّون بافتتاح كنيسة ثانية للآباء الكرمليين، وهي كنيسة (مريم العذراء أمّ الشّفاء) في منطقة العشار، وأقيم احتفال كبير بالمناسبة، وحضره جمعٌ غفير من النّصارى الأوربيين والسّريّين بمختلف طوائفهم، فضلاً عن أعداد كبيرة من المسلمين، وذكر الرّحالة (ديلافاليه) تلك الحادثة والاحتفال، بقوله: «... وأعدّ في المساء

أنواراً كثيرة أشعلها عند حلول الظلام، وأوقد ناراً، وأطلق الجنود البرتغاليون عدداً لا يُحصى من العيارات النارية، وأرسل الباشا نحو خمسمائة من جنوده للدّير المذكور، وأطلق هولاء بدورهم عيارات نارية،.... الحقّ يقال إنّ المدينة كلّها احتفلت بالمناسبة، النّصارى والمسلمون على السّواء...، وفي مساء يوم الأحد قبل غروب الشّمس، تفضّل الباشا نفسه مع بطانته، فزار الكنيسة والدّير، وعند خروجه ترك صدقة لأصحابه»^(٣٣).

إنّ كلام الرّحالة في هذه الحادثة مهمّ جدّاً، فعبارة «الحقّ يقال إنّ المدينة كلّها احتفلت بالمناسبة، النصارى والمسلمون على السّواء» تُظهر مدى التعايش الدّينيّ والمسلمين في مدينة البصرة، فقد احتفل المسلمون وبفرح كبير نتيجة افتتاح الكنيسة في البصرة، ولم ينظروا إلى ذلك المكان على أنّه مكان للتبشير أو دعاية ضدّ الإسلام، بل تعاملوا مع الحدث بعفويّة جميلة وانفتاح رائع، وإنّ دَلّ ذلك على شيء، فإنّه يدلّ على عمق العلاقة الرّائعة بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الطوائف.

كانت البصرة ملتقى القوافل التجاريّة، ومهبط الرّحالة والرّهبان الأجانب الذين سجّلوا في رحلاتهم الشّيء الكبير عن التعايش الدّينيّ السّلمي في البصرة، فقد كانت مدينة حضاريّة، والأحكام بها مدنيّة على الرّغم من تنوّعها الدّينيّ الظاهريّ، فأسرة أفراسياب كانت تربطها علاقات متوازية بين جميع الأديان، ولم يُفضّلوا أناساً على آخرين من حيث التعامل الدّينيّ، فقد أشار الرّحالة (سبستيان) إلى حادثة مهمّة وقعت عام (١٦٥٦م) عندما ردّت دعوى الحكومة المحليّة دعوى رفعها بعض رجال الدّين المسلمين الذين بنوا مسجداً بالقرب

من كنيسة، وطالبوا بهدم تلك الكنيسة؛ لأنّ ذلك يُعدُّ مخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وقد ذكر (سبستيان) ذلك، بقوله: «... وحدث قبل فترة وجيزة من حولنا أنّنا ربّحنا دعوى بواسطة (أي: الوالي) ضدّ الأتراك أنفسهم، وقد شيّدوا مسجداً بالقرب من كنيستنا، وعندما فرغوا من بنائه طالبوا بهدم الكنيسة، في حجة أنّ الشريعة تأمر بذلك...»^(٣٤).

لم يكن التعايش الدينيّ في البصرة يقتصر على التوادد والمحبة بين أبناء الطوائف، بل إنّ رجال الدين المسلمين كانوا يحترمون المعتقدات المسيحية، بل زادوا على ذلك عندما أقدموا على تسمية أحد مساجد المدينة باسم (عيسى ومريم)، وذلك يُعدّ احتراماً كبيراً للمسيحيين في المدينة^(٣٥).

كانت البصرة خليطاً كبيراً من السكّان متعدّدو الأديان والمذاهب، وفضلاً عن الصّابئة والمسيحيين كانت هناك بيوت عديدة من اليهود، فقد ذكر الرّحالة (سبستيان) أنّ اليهود كانوا يعملون في الترجمة للدولة العثمانيّين، وقد استخدمهم بعض الرّحالة عند لقاءهم بالوفود العثمانية الرسميّة^(٣٦).

لم يتوقّف الدّعم الحكوميّ لمسيحيّ البصرة، فقد ذكر (سبستيان) الدّعم الكبير الذي منحه (حسين باشا أفراسياب) لديرهم عندما زاره في تلك المدينة في آب (١٦٥٨ م)؛ إذ قال: «قبل مدّة قام الباشا بزيارة ديرنا في تلك المدينة، وقد دخل الكنيسة،... ثمّ البستان، فرآها يابسة، فاستفسر عن السّبب، فقليل له قلة الماء، فأمر في اليوم الثاني أن تُشقّ على نفقته ترعة من النّهر إلى داخل البستان مباشرة، فتمّ العمل بفترة وجيزة، كما أنّه سمح للأب منصور، الذي كان صديقه، أن يشيّد غرفاً جديدة من أجل راحته، ولفائدة الدير، هذا ما حدث فعلاً»^(٣٧).

استمرّ الرّحالة بالقدوم إلى مدينة البصرة وفتح الكنائس المسيحيّة وممارسة شعائرهم بحرّيّة تامّة، ففي عام (١٧٤٠م) ذكر الرّحالة (فليب الكرملّي) أنّه وخلال رحلته استطاع الاتّصال بالقناصل الأجانب وتعليم الجنود واجباتهم الدّينيّة دون أن تعترض حكومة البصرة على ذلك؛ إذ قال: «وأخيراً وصلنا إلى ديرنا في البصرة، فزار القناصل الثلاثة، أي: الفرنسيّ، والإنكليزيّ، والهولنديّ... وقد رجاني القنصل الفرنسيّ أن أّصعد إلى سفينة فرنسيّة كانت تحمل إلى جانب الضبّاط نحو مائتي بحّار يتمنّون أن يُكملوا واجباتهم الدّينيّة.... فصعدتُ بطيب خاطر، ورافقني الأب بروسبيرو رئيس ديرنا في البصرة، وبقينا في السفينة ثلاثة أيّام، فهمنا خلالها مراسيمنا الدّينيّة»^(٢٨)، وتبيّن من ذلك أن الحرّيّة الدّينيّة في البصرة مستمرة، ولم يتعرّض أيّ فرد لمضايقات على أساس معتقده، فالمبشّرون الدّينيّون، ومنهم (فليب الكرملّي) كانوا يتحرّكون ويزاولون أعمالهم الكنسيّة، ولم يُذكر إطلاقاً أن أحداً من البصريّين تعرّض له أو منعه من ذلك، وهذا يدلّ على أن سمة التسامح والانفتاح في المدينة كانت سمة متلازمة لأهالي البصرة وطابع تنماز به مدينتهم.

إنّ أفضل الحقب التي مرّت بها البصرة من حيث التسامح الدّينيّ كانت فترة أفراسياب وأولاده، لكن بعد انتهاء عصر تلك الأسرة دخلت البصرة تحت الإدارة العثمانيّة، أو بالأدقّ تحت سلطة القوّات الإنكشاريّة، فلأخيرة امتيازات عظيمة في البصرة شأنها شأن جميع المدن التركيّة، ومن هذه الامتيازات أنّه ليس لأحد حقّ محاسبتهم إلّا قادة العسكر، فليس للوالي الحقّ في عقابهم أو الحقّ في مسائلتهم، فقادة الإنكشاريّة كانوا متواجدين في القرنة التي تُعدّ قلعتهم، أمّا

البصرة ففيها صغار الضبّاط فقط. وكان على أهالي البصرة بمختلف صفوفهم (الأغيا، والتّاجر، والحّمّال، والمّلاح) أن يدفعوا مبالغ معيّنة لهؤلاء الإنكشاريّة مقابل حمايتهم، وقد قام الإنكشاريّين بعد وفاة (سليمان باشا) من نهب بيوت النصارى واليهود والبنيان في وضح النّهار، بل قاموا بنهب بيوت المسلمين الذين لم يسجّلوا أنفسهم في قطعاتهم^(٣٩).

إنّ فساد الجهاز الحكوميّ في البصرة واضحٌ للعيان، فالباشا كان يستحصل من الأغنياء مبالغ ماليّة لتأديتها للحكومة العثمانيّة؛ لذلك حرص أغلب أغنياء البصرة على عدم الظهور بمظاهر الأبهة والفخفة؛ خوفاً من أن تسطو الدولة على أموالهم، فتجبرهم على دفع مبالغ ليست بقليلة لصالح الحكومة، وقد شمل ذلك الإجراء جميع الأغنياء من المسلمين وغيرهم، ومن طريف القول ما نقله الرّحالة (نيبور) عن حادثة وقعت مع تاجرٍ أرمنيّ عمل على بناء جسر في مدينة البصرة، حرص على تلوين ووضع الأحجار الجميلة فيه، كما عبّد طريقاً تصل المدينة بمقبرة قومه، لكنّ الحكومة المحليّة بدلاً من شكره أو الثناء عليه، عملت على فرض ضريبة كبيرة على ذلك التّاجر، واضطرّ إلى دفعها، وأجبر على إقراض الدولة مبلغاً كبيراً من المال لم يسترجعه فيما بعد، وبشأن ذلك أشار (نيبور) إلى أنّ عمل الأرمينيّ لو كان في أوربا لقدّرت حكوماتها تقديراً كبيراً^(٤٠).

حاول (نيبور) أن يصف المذاهب والأديان في المدينة وطبيعة العلاقة بينهم، فقد ذكر فضلاً عن الأقليّات الدينيّة طبيعة العلاقة بين المذاهب الإسلاميّة، فقد ذكر ما نصّه: «والمذهب الذي يسودّ المدينة هو المذهب السّنيّ، وقد استوطن كثير من السّعيّة في المدينة بسبب الاضطرابات الداخليّة في إيران. ولمّا كان السّنة

يتحفظون من الشيعة أكثر مما يتحفظون من منتسبي المذاهب الأخرى لنفس الدين؛ لذا يدعي أغلبهم أنهم من السنة أيضاً^(٤١).

يبدو أن سوء العلاقة بين السنة والشيعة في البصرة خلال تلك المدة عائدة للطرح السياسي بين الدولتين الصفوية والعثمانية، الذي انعكس ضرره على الأهالي أنفسهم، فالدولتان قائمتان سياسياً على أساس الخلاف المذهبي^(٤٢).

أما غالبية المسيحيين في المدينة -بحسب نيور- فهم من الأرمن، وقد نزح أغلبهم من إيران، وذكر أن المدينة تضم أعداداً قليلة من الصابئة المندائيين الذين يمتنون الصياغة عملاً لهم، وتوجد في المدينة عوائل من (البانيان)، وما يقرب من (١٠٠) عائلة يهودية^(٤٣).

وعلى الرغم من تعرض البصرة لعدة غزوات أجنبية كان أهمها هجوم (كريم خان) عام (١٧٧٩م)، لكنها حافظت على تنوعها وفسيفسائها، فكانت العلاقة الرابطة بين أهالي المدينة والأجانب المقيمين بها قوية جداً، فبعد انسحاب (كريم خان) من المدينة قرّر أن يبيع الأسرى العرب، وهم من أهالي البصرة، وفور سماع الشركة الشرقية الإنكليزية ذلك الخبر أقدمت على شراء العرب، وإطلاق سراحهم، وقد كان لهذه الحادثة أثر كبير في نفوس البصريين تجاه الشركة^(٤٤).

لم تكن الأقليات تسكن مركز المدينة فقط، بل إن أعداداً غير قليلة تسكن أطراف البصرة، فبالقرب من القرنة يذكر الرحالة (سيستيني) أنه مرّ بقرية صغيرة تسمى (جرف اليهود)، يسكنها العبريون منذ أزمان بعيدة، وهم يُمارسون حياتهم بصورة طبيعية دون أن يضايقهم أحد^(٤٥)، ويبدو أنهم كانوا يجاورون مرقد نبي الله عزرا (عزير)^(٤٦)؛ إذ تنتشر بيوت اليهود بالقرب منه، وهو

يُطلُّ على الضَّفَّة اليُمْنى من نهر دجلة بين القُرنة وقلعة صالح، وقد جاور اليهود في هذه المنطقة عشائر آل بو محمَّد^(٤٧).

هذا الشَّان يمكن أن نسلط الضَّوء على قضية التعايش الديني في أغلب مدن العراق، والبصرة على وجه التحديد، فالعشيرة في العراق تمثل ثقلًا مهمًا لحماية أفرادها والمنتمين إليها، وإنَّ مصدر المعيشة -آنذاك- لبعض العشائر قائم على ما تستولي عليه العشيرة جرَّاء الغزو أو السَّطو على الأجانب، وقد ذكر أغلب الرِّحالة في كتب الرِّحلات تعرّضهم لأكثر من مرّة إلى محاولة سلب أو دفع إتاوة لغرض حمايتهم^(٤٨)، لكن في الوقت نفسه نجد أن أغلب الأقليات الدينيّة هم من أصحاب المال، وعلى الرُّغم من سكنهم في مناطق بعيدة عن سلطة الدَّولة، كالقرى والأهوار، لكنّ تلك العشائر لم تتعرّض أو تسطو على هذه البيوت أو القرى الصَّغيرة، وذلك يُعدّ فارقاً مهمّاً يعكس التعايش الديني السَّلمي في العراق، والبصرة بصورة أدق.

على الرُّغم من الحركة الاقتصاديّة الكبيرة التي تتمتع بها البصرة، لم يكن أهالي المدينة من العرب تحديدًا يتمتّعون بالعيش الرّغيد، فأغلب الرِّحالة الأجانب ذكروا أن هناك أعداداً قليلة جدًّا من العرب يشتغلون بالتجارة، وهم ميسورو الحال، أمّا تجار المدينة، فإنّهم من الأقليات الدينيّة الأخرى، كان أكثرهم مالاً هم الأرمن، الذين يتمتّعون بتجارة واسعة مع الهند والدَّول الأوربيّة، فقد ذكر الرِّحالة (جاكسون) الذي زار المدينة عام (١٧٩٧م) أن «... أكثرية السكّان من العرب، أمّا البقية، فإنّهم من الأتراك والأرمن، ومعظم الأتراك من الرِّجال العاملين في الجيش، أو في المناصب الحكوميّة الأخرى، أمّا الأرمن، فإنّهم

يشتغلون في التجارة، وبعضهم محترمون جداً، ولهم تجارة ملموسة مع (شرقي الأنديز) والبرتغال،... أمّا بالنسبة إلى العرب وهم يؤلفون أكثرية السكّان، فلا يوجد سوى عددٍ قليلٍ من الأثرياء بينهم في حين أنّ القسم الأعظم منهم فقراء جداً، وهم يتعاطون أعمالاً شاقة لقاء أجور ضئيلة»^(٤٩).

وعلى الرغم من ضيق العيش لأكثرية أهل البصرة، لم يسجل الرحّالة اعتداءً منهم على الأقلية المسيحية من (مسيح، أو صابئة، أو يهود، أو غيرهم)، بل كانت الطوائف متعايشة ومتخالطة بسلمية واضحة، وقد سجّل جاكسون ذلك التعايش، بقوله: «تُوجد في المدينة كنيسة كاثوليكية رومانية جيّدة البناء، والنّاس في المنطقة أقلّ تحرّشاً بالأجانب من غيرهم»^(٥٠).

الخاتمة

- ١- أدّى الموقع الجغرافي في البصرة دوراً مهماً في إنعاش وزيادة التعايش الديني، فموقعها المطل على الخليج العربي، وكثرة الوافدين عليها، حتم على أهالي المدينة أن يتعايشوا مع مختلف الملل والنحل الواردة إلى المدينة.
- ٢- شكّل اقتصاد البصرة والتبادل التجاري فيها بعداً بارزاً في تطوّر واقع التعايش الديني في المدينة، فالاستقرار الاقتصادي يرتبط ارتباطاً طردياً بالاستقرار والسلم المجتمعي؛ لذا حرص أهالي البصرة على ذلك التعايش لعدة قرون.
- ٣- لم تختلف طبيعة التعايش الديني بين أبناء البصرة باختلاف الأزمات؛ إذ حافظ البصريون على علاقاتهم الاجتماعية الجديدة بعضهم مع بعض، على الرغم من تبدل السلطات الحاكمة للمدينة عدّة مرّات.
- ٤- لم يستطع الرّحالة أن يوثّقوا بصورة تفصيليّة طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع البصري بين الطوائف الدينيّة، بل اكتفوا بذكر بعض العلاقات الاجتماعية والدينيّة في المدينة.
- ٥- أسهمت بعض السلطات الحاكمة في المدينة بتعزيز روح التعايش الديني لاسيّما أسرة أفراسياب، التي كان لها دوراً مهماً في إشاعة الثقافة التسامحيّة بين الأديان.

٦- أسهم أبناء الديانات في الدفاع عن مدينة البصرة، لاسيما الصابئة
المندائيون، الذين دافعوا عن المدينة خلال حكم أفراسياب ما يظهر مدى التعاون
والتلاحم بين أديان المدينة.

الهوامش

- ١- على مدى سنوات واسعة خضعت البصرة لسيطرة عدّة قوى، منها السيطرة العثمانية أو السيطرة الداخلية للمدينة، لاسيّما خلال فترة حكم أفراسياب وأولاده، أو السيطرة الفارسية خلال الحقبة الزندية؛ لذا حرصنا على أن لا ينسب البعض ذلك التعايش لدوافع السلطة ورغباتها في التعايش المجتمعي، بل هو أصل في المجتمع البصري. -الباحث-
- ٢- ليوناردو الكرملي، معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الإيطالية إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٥.
- ٣- المصدر نفسه: ص ٦.
- ٤- ديلالافاليه، رحلة ديلالافاليه إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٣-٤.
- ٥- كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري وآخرون: ص ٩.
- ٦- للاطلاع على وصف المدن العراقية، يُنظر:
جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيمس فيلكس جونز: بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة: عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤م؛ جيمس بلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣م.
- ٧- كارستن نيبور، المصدر السابق: ص ٤٦-٤٦.
- ٨- دومنيكو سيستيني، العراق في رحلة الأب دومنيكو سيستيني في سنة ١٧٨١م، ترجمة: خالد عبد اللطيف حسين: ص ١٤٤.
- ٩- كارستن نيبور، المصدر السابق: ص ٤٥-٤٦.
- ١٠- جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة (١٧٩٧م)، ترجمة: فاروق عمر: ص ٣٦؛ عدّة مؤلّفين، رحالة أوروبيون في العراق: ص ٣٥.
- ١١- ديلالافاليه، المصدر السابق: ص ١٣٠.
- ١٢- عدّة مؤلّفين، المصدر السابق: ص ٣٥.

- ١٣- کارستن نیبور، المصدر السابق: ص ٤٧-٤٨.
- ١٤- المصدر نفسه: ص ٤٨، ص ٦٠.
- ١٥- عدة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٦٢؛ هیرونیموس سبستیانی، رحلات سبستیانی للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٤٩.
- ١٦- کاسبرو بالبی، رحلة بالبی إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٩٢-٩٣.
- ١٧- كانت تسود المناطق الصحراوية شبكة من العلاقات والصّراعات العشائرية بحيث لا يستطيع الأغراب تأمين تجارتهم أو أنفسهم إلّا بحماية إحدى العشائر؛ لذا تعرض العشائر عليهم الحیاة مقابل دفع مبالغ مادیّة محدّدة، أو بضائع عینیّة. للمزید، يُنظر: عدة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٣٨.
- ١٨- عدة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٦٠-٦١.
- ١٩- المصدر نفسه: ص ٢٣.
- ٢٠- کاسبرو بالبی، المصدر السابق: ص ١٠١.
- ٢١- عدة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٢٣-٢٤.
- ٢٢- لیکلاما اینهولت، رحلة اینهولت الهولندي إلى العراق سنة (١٨٦٦-١٨٦٧م)، ترجمة: میر بصري: ص ٨٥-٨٧.
- ٢٣- أهل بنیان: وهم سکان مدينة کمباجا (کامبی) التابعة لمقاطعة کوجرات، وینمازون بأنّهم لا يتناولون أكثر من وجبة طعام واحدة في اليوم، وغالباً ما تتكوّن من الرّزّ والحليب والخبز، وهم لا يأكلون لحوم الحيوانات قطّ، وهم یجّرّمون قتل الحشرات والقوارض، وكلّ أنواع الحيوانات الرّاحفة، وینمازون بكونهم حليقي اللّحي، طالقي الشّارب وشعر الرّأس، وهم یلبسون العمامة والملابس البیضاء، وثیابهم طويلة جدّاً، لذا یجمعون أذیالها عند الصّدر، یحدّثون اللّغة الهنديّة، وینمازون ببشرتهم السّمراء الدّاكنة، ومن معتقداتهم الدّینیّة أنّهم یحرقون المیت ویدزّونه في الماء والهواء والنّار، والمتبقّي منه یُدفن في الأرض، ویعتقدون أنّ الإنسان مكوّن من مكوّنات الكون الأربعة، وهي: (الهواء، الماء، والنّار، والتّراب)؛ لذا یجب أن تسترجع هذه العناصر حصّتها بعد الموت. للمزید يُنظر: کاسبرو بالبی، المصدر السابق: ص ٩٤-٩٦.
- ٢٤- المصدر نفسه: ص ٩٦.

٢٥- يبدو أنَّ الرَّحالة كان يقصد كتاب (الكنزة ربا)، وهي كلمة تعني باللغة المندائية: الكنز العظيم، وهو أحد الكتب المقدسة لدى ديانة الصَّابئة المندائية، ويعتقدون أنَّه يجمع صحف آدم وشيت وسام، ويتألف الكتاب من (١٨) كتاباً في (٦٢) سورة، تقع في حدود (٦٠٠) صفحة، وهو بقسمين: القسم الأوَّل: ويتضمَّن سفر التكوين وتعاليم «الحيِّ العظيم»، والصراع الدائر بين الخير والشرِّ والنور والظلام، وكذلك هبوط «النفس» في جسد آدم، ويتضمَّن كذلك تسييحاً للخالق، وأحكاماً فقهيةً ودينيةً، القسم الثاني: ويتناول قضايا «النفس»، وما يلحقها من عقاب وثواب. للمزيد، يُنظر:

<https://ar.wikipedia.org>

٢٦- كاسيرو بالبي، المصدر السابق: ص ١٣١.

٢٧- المصدر نفسه: ص ١٣٢.

٢٨- أفراسياب: هو أفراسياب الدَّيرِي، ينحدر أب سلجوقيٍّ وأمَّ بصريةٍ من أهالي الدَّير، كان كاتباً للجند في البصرة، استطاع عام (١٥٩٦م) شراء المدينة من الحاكم العثماني علي باشا؛ وذلك لأنَّ الأخير عجز عن صدِّ هجمات القبائل العربية على المدينة، وكان الوالي قد عجز عن دفع مرتبات جنوده بسبب قلَّة إيرادات الدَّولة، وقد استطاع أفراسياب أن يوطد حكمه، ويجعله وراثياً في ولده، لكنَّ الدَّولة العثمانية استطاعت إعادة سيطرتها على المدينة، فقد استطاع والي بغداد قره مصطفى باشا دخول المدينة وإسقاط حكم آل أفراسياب عام ١٦٦٧م. للمزيد، يُنظر:

علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السَّياسية (١٧٠٠-١٨٠٠م): ص ٣٨.

٢٩- دومنيكو سيسيني، المصدر السابق: ص ١٣٦.

٣٠- ديلالفايه، المصدر السابق: ص ١٣٢-١٣٣.

٣١- علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق: ص ٣٩؛ ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط: ص ١٣٢.

٣٢- ديلالفايه، المصدر السابق: ص ١٤٢-١٤٣.

٣٣- المصدر نفسه: ص ١٤٤-١٤٥.

٣٤- هيرونيموس سبستيان، المصدر السابق: ص ٥٠.

- ٣٥- المصدر نفسه: ص ٥٠-٥١.
- ٣٦- المصدر نفسه: ص ٥٦.
- ٣٧- المصدر نفسه: ص ٥٧.
- ٣٨- عدّة مؤلّفين، المصدر السّابق: ص ١١٥.
- ٣٩- كارستن نيبور، المصدر السّابق: ص ٥٥-٥٦.
- ٤٠- المصدر نفسه: ص ٥٨-٥٩.
- ٤١- المصدر نفسه: ص ٦٠.
- ٤٢- المصدر نفسه: ص ٦٢-٦٣.
- ٤٣- المصدر نفسه.
- ٤٤- دومنيكو سيسيني، المصدر السّابق: ص ١٣٩.
- ٤٥- المصدر نفسه: ص ١٦٤.
- ٤٦- عزيز: هو أحد أنبياء بني إسرائيل من أولاد لاوي بن يعقوب، وجاء في التفاسير الإسلاميّة أنّه الذي أمّاته الله مائة عام وبعثه، وجاء ذكره في سورة البقرة الآية (٢٥٩)، وضرّجه في مدينة العمارة، وهناك ضريح آخر في مدينة العيزريّة في القدس. أمّا مرقده في العمارة، فهو مشهد معمر تأتبه النذور من مختلف الملل، ويقوم على خدمته أبناء الطائفة اليهوديّة. للمزيد، يُنظر: محمّد بن السيّد أحمد الحسيني، رحلة المنشئ البغداديّ، ترجمة: عبّاس العزّاي المحامي: ص ٩٥.
- ٤٧- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي: ج ١، ص ٢٣٧.
- ٤٨- للمزيد، يُنظر: دومنيكو سيسيني، المصدر السّابق: ص ١٢٦-١٢٧؛ هيرونيموس سبستياني، المصدر السّابق: ص ٤٠-٤١؛ عدّة مؤلّفين، المصدر السّابق: ص ٧٨؛ كارستن نيبور، المصدر السّابق: ص ٩١-٩٢.
- ٤٩- جاكسون، المصدر السّابق: ص ٣٨، ص ٤٠.
- ٥٠- المصدر نفسه: ص ٤٠.

المصادر والمراجع

- ١- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج١، مطابع علي بن علي، (د.ت).
- ٢- جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة (١٧٩٧م)، ترجمة: فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٣- جيمس بي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣م.
- ٤- جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيمس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة: عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤م.
- ٥- دومنيكو سيستيني، العراق في رحلة الأب دومنيكو سيستيني في سنة (١٧٨١م)، ترجمة: خالد عبد اللطيف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤م.
- ٦- ديلالافاليه، رحلة ديلالافاليه إلى العراق، ترجمة: بطرس حداد، شركة الديوان للطباعة، بغداد، ٢٠١١م.
- ٧- ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط، ط٦، بغداد، ١٩٨٥م.
- ٨- عدّة مؤلّفين، رحالة أوروبيون في العراق، دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٧م.
- ٩- علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠-١٨٠٠م)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
- ١٠- كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري وآخرون، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٢م.
- ١١- كاسبرو بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة: بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٥م.
- ١٢- ليكلاما اينهولت، رحلة اينهولت الهولندي إلى العراق سنة (١٨٦٦-١٨٦٧م)، ترجمة: مير بصري، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٢م.

- ١٣- لیوناردو الکرملی، معرفة الشرق فی العصر العثماني، الرحلة الإيطالية إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد، المركز الأكاديمي للأبحاث، بیروت، ٢٠١٣م.
- ١٤- محمد بن السید أحمد الحسن، رحلة المنشی البغداديّ إلى العراق، ترجمة: عبّاس العزّاوي المحامي، شركة النجاة للطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٤٨م.
- ١٥- هیرونیوس سبستیانی، رحلات سبستیانی للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة: بطرس حدّاد، شركة الديوان للطباعة، بغداد، ٢٠٠٤م.

- مواقع إلكترونية:

<https://ar.wikipedia.org>

الأهمية التاريخية لموقعي شجرة آدم وتلّ خيابر
الأثرين

Historical Importance of Adam Tree and
Khiaber Hill (Two Archaeological Locations)

أ.م.د. محسن مشكل فهد الحجاج
مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ

Dr. Muhsin M. Fahad Al-Hajjaj, assistant professor
Basra Studies and Arab Gulf Center

ملخص البحث

تعدّ منطقة جنوب العراق منطقة حضاريّة منذ أقدم العصور، فقد حباهم الله بالأنبياء والمرسلين، مثل: آدم، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم الخليل عليه السلام، فهي ذات تأثير ثقافيّ وفكريّ وعقائديّ على العالم بسبب موقعها الجغرافيّ بين الحضارات القائمة آنذاك. وما يدعم هذا الرّأي النقوش المكتشفة الدالّة على أنّ أقدم حضارات الأرض كانت في جنوب العراق، فنشأت فيها المدن والقوانين، واخترعت الكتابة، وانتعشت الزراعة وطرق الرّي، وازدهرت الصّناعة والتّجارة.

إنّ تخليد هذا النموّ الفكريّ والعقائديّ الممثل بالأنبياء عليهم السلام، والنّموّ الاقتصاديّ الممثل بالزّراعة، منح الشّجرة قدسيّة ورمزيّة دالّة على الحياة، وبما أنّ آدم وجميع الأنبياء عليهم السلام كانوا يسعون للنهوض بالمستوى الفكريّ والاقتصاديّ للبشريّة، فقد زحرت الكتب القديمة والنقوش الأثريّة برموز الشّجرة، وركّزوا على ملقّي نهري دجلة والفرات في شمال البصرة، ومن ثمّ، فإنّ المنطقة مُنحت قدسيّة خاصّة، كما هو الحال في شجرة آدم في القرنه، فضلاً عن ذلك، فقد ظهرت فيها مدن تجاريّة أخذت صفة العالميّة، كما هو الحال في مدينة (كاراخس) أو (الكرخة)، التي تسمّى محلياً (خيابر) في ناحية النّشوة؛ إذ أصبحت مدينة

عالمية، خصوصاً في عهد الإسكندر المقدونيّ، حينما أعاد بناءها عام (٣٢٤) قبل الميلاد، فغدّت مقصد التجّار من الصّين والهند وشرق أفريقيا وتدمر في الشّام، وما يشير إلى ذلك المسكوكات النقديّة المكتشفة في أرضها، فقد تنوّعت مناشيء هذه النقود، فمنها ذات منشأ صينيّ وفارسيّ وتدمريّ وهنديّ، وكذلك يونانيّ. وقد انتهجت هذه المملكة سياسة التوازن في علاقاتها بين دول العالم، وهذا ينبع من المصالح الاقتصادية المتبادلة بين هذه الدّول.

استمرّت هذه المملكة خمسة قرون، إلّا إنّ التنافس الدّوليّ بين روما وفارس على مناطق النفوذ جعلها ساحة حرب بين الطرفين، وبالأخير وقعت بيد فارس، وسقطت فعلياً عام (٢٢٥) ميلادي. واستمرّت على هذا الحال حتّى الفتح الإسلاميّ عام (١٤) هجريّة.

Abstract

Southern Iraq has been an area of cultural importance since time immemorial. A number of Prophets and Messengers of God lived in the area. That area had cultural, intellectual and doctrinal effects on the world due to its strategic importance. The inscriptions discovered are tangible evidence of the deep-rootedness of this area. As a result, cities were established, laws enacted, writing invented, and industry, agriculture and commerce flourished. The area was granted special holiness as is clear in Adam's Tree in Qurna. Furthermore, some commercial cities were established that took an international status such as Karkhas or Karkha, known locally nowadays as Khiaber, located in Nashwa. Merchants from China, India, East Africa, Tadmur in Sham, etc, used to head for the city. Another example is the coins of various origins excavated

there. Khiaber also constituted a kingdom that lasted for about 5 centuries. But the international competition between Rome and Persia turned the area into a battlefield between the two sides. This kingdom fell into the hands of the Persians in 225 A.D. Persia occupied it until the Islamic Conquest in the 14th of Hijra.

مقدمة

تحتلُّ الآثار والمعالم التراثية أهمّية حيوية في كلّ البلدان، فهي تمثّل ثقافتها وحضارتها، وإنّما تساعد على ربط سكّانها بعضهم ببعض، وتمنحهم شعوراً بالانتماء إلى جذور وأسس مشتركة، وإلى أهداف نبيلة عامّة، ومن ثمّ فهي توثيق لتاريخ وحضارة البلد.

والمجتمعات في كلّ دول العالم بوعي أو بغير وعي منظمة بما يكفل استمراريتها، وهي تعمل للحفاظ على جوانب ماضيها، والوعي بالماضي في حقيقته إنّما هو وعي المجتمع باستمراريتها.

ولقد كانت الآثار العراقية محطّ اهتمام السّياح والآثاريين الأوربيين، وإنّ من الأسباب التي دعّتهم إلى الاهتمام بآثار العراق ما جاء في الكتب المقدّسة، وفي مقدّماتها التوراة، عن مدن العراق القديمة، مثل: بابل، وأور، ونيوى، فمنذ القرن الحادي عشر الميلاديّ تهافت على العراق المئات من السّياح والزوّار الآثاريين بحثاً عن تاريخه وآثاره، فدوّنوا مشاهداتهم عن أطلال هذه المدن، وأخذوا بعض النماذج والقطع الصّغيرة إلى بلدانهم، وعلى أثر ذلك توجّهت إلى العراق العشرات من البعثات الآثارية الأجنبية للتنقيب في أطلال مدنه وخرائبه! وللآثار أهمّية سياسيّة لها انعكاس على مصير الأمم، وإلّا كيف نفسّر سرقة

الأمريكان لوحة أثرية بعد دخولهم للمتحف العراقيّ في سنة (٢٠٠٣م) تعود إلى أيام السّبي البابليّ لليهود، نُقش في هذا اللّوح ملك يهوديّ راعياً أمام ملكٍ عراقيّ، والمعلوم أنّ التّوراة أشارت إلى بابل، وما نال اليهود على يد ملوك بابل، وكيف تنبأ أنبياء بني إسرائيل بالدمار الذي سيحلّ ببابل.

وقد أولى الإسلام عناية قصوى بالآثار؛ لما فيها من حكمة ودلالات تاريخيّة، ففي وصيّة الإمام عليّ عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام ما يشير إلى ذلك، بقوله: «أحيي قلبك بالموعظة... واعرض عليه أخبار الماضين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا، وأين حلّوا ونزلوا»، وهنا ذكر الإمام عليّ عليه السلام السّير في الدّيار والآثار بما يشير بشكل واضح إلى موقف الإسلام من السّياحة الأثرية لغرض الاطلاع والنظر في أسباب السّقوط، ثمّ دراسة وسائل النهوض والتقدّم لكلّ أمة. ومن ثمّ، فإنّ للسّياحة الأثرية هدفاً سياسياً بالإضافة إلى الهدف الاقتصاديّ والمعرفيّ.

وفي العراق عانى قطاع الآثار كثيراً بسبب الحروب والأزمات الاقتصادية التي أنهكت البلد منذ الثمانينيات والتسعينيات، ما يستدعي وقفة لإعادة النظر، ودراسة أماكن الجذب السّياحيّ، كالأثار والمتنّجات والأماكن المقدّسة.

وللسّياحة دور في توفير فرص عمل لأبناء المنطقة، سواء عن الطريق المباشر في الفنادق والمطاعم والشّركات وغيرها، أو بطريق غير مباشر، كقطاع التشييد والقطاع الصّناعيّ والبنوك وشركات النقل والمطارات. فضلاً عن دورها التجاريّ؛ لأنّ قدوم آلاف السّياح يعني أنّ يزيد من الطلب على ما يفي من احتياجات هؤلاء الوافدين من طعام وشراب ومستلزمات أخرى، وما يترتّب

عليه من زيادة المبيعات، ومن ثمَّ زيادة دخول النشاطات التجاريّة، ولما كانت السِّلَع التجاريّة تقوم بإعدادها الصّناعة أحياناً، وقطّاع الزّراعة أحياناً أخرى، فإنَّ السّياحة تنشّط هذين القطّاعين معاً.

لذلك جاء بحثنا ليسلّط الضّوء على موقعين مهمّين في شمال البصرة، وهما موقعا: شجرة آدم في القرنة، وتلّ خيابر في ناحية النّشوة، معرّجين على أهمّيّتهما التاريخيّة، ووصفهما على الأرض، ومميّزاتهما الاقتصاديّة، ووضع الحلول لإزالة المعوّقات في طريق إنعاشهما. ولقدّ اعتمدنا أهمّ المصادر التاريخيّة والآداب والمعتقدات القديمة للعراق، منذ عهد السّومريّين والبابليّين، مروراً بترائنا الإسلاميّ وكتب الرّحالة الأجنبيّ، وذلك للإلمام بنواحي الموضوع من أغلب جوانبه، ومن الله التّوفيق.

أولاً: شجرة آدم وجنة عدن

لقد شغل موضوع فلسفة الوجود الفكر العراقي القديم، ومن خلال اختراعه الكتابة التي جعلت الإنسان العراقي يدخل بوابة التاريخ من خلالها، فهي تمثل ولادة الإنسان بعد أن ضلّ طويلاً لا يسجل أفكاره وهواجسه، وبعد أن عرف أصول التدوين قبل غيره من بقاع العالم، فإن ذلك كشف عن العمق العقلي الذي بلغه، الذي جعل من استجابته للحاجة اختراعاً بلغ الذروة من العبقريّة^(١).

والجدير بالذكر أن الاعتماد على وثائق أقدم حضارة في العالم وتوارىخها، وهي الحضارة السومرية في جنوب العراق؛ إذ يبدأ الطور الأول للسومريين منذ عهد استيطانهم الأراضي الزراعية في منطقة الأهوار، فاستغلّوا ما قدّمته الطبيعة من موارد على سواحل الهور وجزره وأحراشه، وما فيه من سمك وطيور، ولقد كان النخل أهمّ مزروعاتهم، ثم أخذ السومريون يخرجون من عزلتهم في الأهوار إلى أراضٍ واسعة شملت معظم المنطقة الجنوبية في العراق^(٢).

ومن خلال علاقة الإنسان الأول في وادي الرافدين الوطيدة ببيئته الزراعية، فإنّ بعض الآراء ترى أن أول صورة للعبادة والاعتقاد عنده تمثلها الشجرة التي يأكل من ثمارها، ويبني بيته من جذعها وسعفها وأغصانها، ويتدفأ بحطبها، ويصنع من خشبها احتياجاته البيئية، فكانت (الشجرة) بالنسبة إليه هي مصدر الحياة، أو هي الحياة المقدسة ذاتها، حياة الألوهية الخالدة بخلود الشجرة، وعليه فإنّ ربط الحياة بالألوهية، والألوهية بالحياة تعني حياة الإله القادر على الخلق

والعطاء، وهكذا تكون شجرة الحياة رمزاً للحياة الأبدية^(٣).

ولقد دحضت الحقائق التاريخية نظرية امتداد الخليج العربي إلى شمال بغداد، فقد أثبتت أعمال التنقيب وجود حضارة راقية في جنوب العراق تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد^(٤).

إن الرواية التوراتية عن جنة عدن هي رواية مأخوذة بالتأكيد من مصادر رافدينية، ولو سلمنا بالإشارة الجغرافية التي وردت في التوراة لتعيين موقع جنة عدن، لوجدنا أنها حددت موقعها في الجزء الأسفل من وادي الرافدين (دجلة والفرات)، ووصفتها بأنّ عدّة أنهار تتخلّلها أو تمرّ بها، ولكنّ التوراة - مع ذلك - لم توفّق إلى تعيين نوع الشجرة^(٥)، يقول النصّ التوراتيّ «وغرس الربّ الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله، وأثبت الربّ الإله من الأرض كلّ شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشرّ، وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم، فيصير أربعة... وأخذ الربّ الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها»^(٦).

إذن، العالم بدأ بحديقة أو جنة بحسب النصّ التوراتيّ، وبما أنّ موضوع جنة عدن يحتلّ الصفحات الأولى من سفر التكوين، فلا بدّ من أن نبحث عن أقدم المصادر التي تمتلكها أقدم حضارة، وهي حضارة سومر؛ لكي نحصل منها على أفضل المعلومات عن جنة عدن، علماً أنّ جنة عدن سبقت حضارة سومر بقرون، وأنّ اسم (جنة عدن) في ثقافة سومر هي (إيدينو) أو (أدن)، وحين حدث الفيضان العظيم اندفعت مياه البحر العربيّ والمحيط الهنديّ بقوة عبر مضيق

هرمز، فعُمر سهل عدن الأخضر، وكان سهل (يدنه) جنة هذه الأرض، فهرب السّاكنون فيه إلى دلتا (ميسوبوتاميا: ما بين النهرين)، فسكنوا في أقرب نقطة من بلادهم، وهي أرض سومر، حاملين معهم حين أرضهم المعطاء، وذكريات تلك الجنة الخضراء التي فقدوها بسبب الطوفان المدمر، وهؤلاء الناجون نقلوا إلى الأرض الجديدة أفكارهم، وثقافتهم الزراعيّة؛ لأنهم كانوا من أقدم الشعوب المنحدرين من الأب آدم، واستعيدت قصّتهم في ملحمة كلكامش على نحو ما حدث لهؤلاء، فقد وجد لوح طينيّ في الحضارة السومريّة يظهر فيه رجل جالس على كرسيّ ربّما يرمز لآدم تقابله امرأة ترمز لحواء تتوسطهما شجرة الحياة^(٧).

ويعتقد عالم الآثار الأمريكيّ جوريس رزين، وهو أستاذ في جامعة ميسوري الأمريكيّة، بأنّه توصّل إلى حلّ لغز موقع جنة عدن، بعد أن سافر إلى شبه الجزيرة العربيّة، وتوصّل إلى أنّها كانت تحتوي على مياه وافرة عكس أيّامنا هذه، وتشكّل الدلتا من نهريّ دجلة والفرات بالقرب من مصبّهما، ونهر آخر وهو في وادي الباطن الذي يروي المنطقة الشماليّة الغربيّة من الجزيرة العربيّة ويمضي نحو المنطقة الشماليّة الشرقيّة، بالإضافة إلى نهر الكارون في إيران، وإنّ هذه الأنهار كانت تلتقي، فتكوّنت جنة عدن في هذا الموقع^(٨).

ووفق الديّانين اليهوديّة والمسيحيّة والكتاب المقدّس فإنّ جنة عدن هي مكان الخلق الأوّل، حيث خلق الله آدم وحواء، وإنّ كلمة (عدن) مأخوذة من اللّغة الأكديّة، وتعني الحلاوة، وتميل أغلب الآراء إلى أنّ مكان هذه الجنة عند التقاء نهريّ دجلة والفرات في جنوب العراق في منطقة (القرنة)^(٩).

والمعروف أنّ أدب حضارة وادي الرّافدين هو أقدم أدب أنتجه الإنسان

على ما أجمع عليه الباحثون في تاريخ الحضارات القديمة، وقد ركّز هذا الأدب على أصل الخليفة، وأصل الوجود، كما في أسطورة الخليفة البابلية التي تعود إلى (١٥٠٠ ق.م)، وجاء فيها:

وحينما في العلى لم ينبأ من السماء

وفي الدنا (الأسفل) لم تذكر الأرض باسم

ولم يكن قد وجد أيّ مرعى ولا يرى أيّ شيء حتى هور أو قصب^(١٠).

ومن الواضح أنّ المعتقدات الدينيّة قد أثّرت في أدب العراق القديم بوجه خاصّ سواء كان ذلك في إشراك الآلهة بأحداث الملاحم البطوليّة، أم في المواضيع الدينيّة المتنوّعة، كالترّاتيل، والصّلوات، والابتهاالات^(١١)، مثال ذلك قطعة أثرية سومريّة تعود للقرن السادس قبل الميلاد، متضمّنة تمجيد الإله (مردوخ)، الذي خلق العالم، ورد فيها:

في البدء لم يكن موجوداً أيّ كائن، فلا بيوت مقدّسة من القصب...، وأقام الإله قاعدة (أرضيّة) من القصب، وصنع تراباً، فشره على قاعدة القصب، وخلق البشر، وخلق الحيوانات، وجميع الأحياء البشريّة، وخلق دجلة والفرات، ودعاهما باسميهما، وأوجد الحشائش، وأحراش الأهوار^(١٢).

والواضح من النصّين في أعلاه هو التركيز على الهور والقصب والأحراش، ممّا يلمّح إلى منطقة جنوب العراق، كبداية للخلق، ولجنّة عدن، وما يدعم هذا الرأي أنّ معنى (سومر: كي - اين - مي)، وتعني حرفياً: سيّد أحراش القصب^(١٣).

وهناك قطعة أدبيّة مدوّنة في لوح مكتوب باللّغة البابليّة وجد في مدينة آشور

مؤرّخة في حدود ثمانمائة قبل الميلاد، موجزها «حينما فصلت السّماء عن الأرض، وُخلقت الأرض، وعيّنت مصائر السّماء والأرض، وحين حدّدت ضفاف دجلة والفرات... اجتمعت الآلهة لتخلق البشر، وسيكون أوّل بشرين هما: أولكرا، وزلكرا، وسيعملان على تكثير البقر والماشية والسّمك والطير...»^(١٤)، ومن الواضح أنّ هذا النصّ يتحدّث عن بداية خلق أوّل بشرين على الأرض، وهما: أولكرا (الرّجل)، وزلكرا (المرأة)، مع ذكر دورهم في العمل على تكثير البقر والسّمك، وهما من حيوانات الأهوار في جنوب العراق، ولم يُغفل النصّ أنّ يذكر ضفاف دجلة والفرات للتأكيد على موضع الخلق الأوّل.

وتعدّ ملحمة كلكامش واحدة من الملاحم التي أرخت لمعتقدات العراقيين القدماء في البحث عن الخلود من خلال أحد ملوك سلالة مدينة الوركاء، وهو (كلكامش) في عصر دول المدن في حدود (٢٦٠٠) قبل الميلاد، ومادّة الملحمة تعود إلى أصول سومريّة، وقد ورد فيها:

يا كلكامش أيّ شيء تسعى إليه؟

الحياة التي تنشدها لن تجدها

حينما خلقت الآلهة البشريّة

قدّرت الموت على البشريّة^(١٥)

وفي أسطورة (إينانا وشوكالتودا)، إنّ (إينانا) تقرّر النزول من السّماء إلى الأرض، ويكون نزولها في جنة، أو حديقة:

امثل الغراب لأوامر سيّده

زرع الحبوب في الأرض المتاخمة للأهوار

حيث ينبت الشَّجر المعمَّر
ولم يرَ أحدٌ مثلها قطَّ
وبعد كلِّ هذا انطلق الغراب
تسلَّق النخلة المورقة
ملأ فمه بالتَّمَر الحلو
لسانها، الطَّلَع يعطيك لبًّا
لحائها، الألياف تُعطيك حصيراً
ها هي النخلة سليلة الأنهار
الشَّجرة الخالدة^(١٦)

ويُظهر النصّان السَّابقان محاولة الإنسان العراقيّ القديم البحث عن شجرة الخلود، أو شجرة الحياة في جنوب العراق، وهي أوّل شجرة زُرعت على الأرض بقوله: «ولم يرَ أحدٌ مثلها قطَّ»، فضلاً عن أنّ تسمية الآلهة أو إضفاء صفات الخصب عليها وملاحمه كان أمراً طبيعياً عندهم؛ إذ كانت أهمّ صفة عند الآلهة (إينانا) كونها سيّدة (إيدن)، هي سيّدة السَّهل، أو سيّدة جنة عدن^(١٧)، أمّا تسمية الإله (ننجزريدا)، فتعني: سيّد الشَّجرة الطَّيبة أو المقدّسة^(١٨).

وكذا حينما حصل العرس بين (إينانا) والملك دعا لهما النَّاس: الحكم الصَّالح السَّعيد... وأن تنال البلاد في عهدهما كلِّ ما تحتاج إليه من الخضار ووفرة المياه في الأنهار، وكثرة الأسماك والطيور في الأهوار^(١٩).

ويعتقد العلماء أنّ بداية تاريخ الإنسان في العراق كان على ضفاف الهور، وفي الألف الثالث قبل الميلاد غطّى الطوفان وجه البسيطة، ثم أقام السُّومريّون

مدنهم على مواقع المدن القديمة تحت قامات من الطين، وأسّسوا بذلك أول حضارة للبشر^(٢٠)، ويدلّ على ذلك تلك التلال الظاهرة في الأهوار، التي تسمّى محلياً (يشن) - مفردھا إيشان - وهي كلمة سومريّة، وأنّ تلك التلال ما هي إلا مدن سومر التي شيّدت بالطابوق المشوي^(٢١).

ومّا يدلّ على قدسيّة المنطقة أنّ بطليموس (٢٨٣ ق.م) أطلق على موضع نقطة التلاقي بين دجلة والفرات اسم: (هياكل هرقل)، وهي تسمية من صنع بطليموس نفسه، ولم تستعمل من قبل^(٢٢)، والهيكّل إشارة الى المعبد، ما أضفى على المنطقة صفة مقدّسة أو خالدة.

أمّا في تراثنا الإسلاميّ، فقد ذُكرت الشجرة في القرآن الكريم في (٢٢) موضعاً، حيث ذُكرت الشجرة بصفتين: معنويّة وماديّة، وعلى سبيل مثال الصّفة المعنويّة، يقول سبحانه وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

أمّا الصّفة الماديّة، فيمثّلها قوله تعالى:

﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

أمّا شجرة الخلد التي يبحث عنها آدم، التي ذكرتها التوراة والأدب السومريّ، فقد تمثّلت في القرآن الكريم من خلال الحوار الذي جرى بين إبليس وادم، قال

تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّيْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

وفي التراث الشيعي يوجد تحذير وتأصيل لآدم ووجوده في جنوب العراق، مثلما ورد في الزيارة المعروفة للإمام علي عليه السلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلَى ضَجِيعِكَ آدم ونوح،...»^(٢٣).

إنَّ العلماء لم يحدّدوا زمن خلق آدم وتاريخه، لكن بالإمكان تحديد موقع مكان رسو سفينة نوح عليه السلام اعتماداً على الكتب التي تناولت تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، فعلى الرغم من الاختلاف حول تحديد الموقع، إلّا أنّه وردت روايات عديدة تصرّح بأنّ (الجوديّ) هو جبل صغير في النّجف^(٢٤)، أو في فرات الكوفة^(٢٥).

ومن كتب المسلمين ما رواه ابن كثير في تفسيره عن توبة بن سالم، قال: «رأيتُ زرّ بن حبّيش يصليّ في الزّاوية من حين يدخل من أبواب كندة على يمينك، فسألته إنك لكثير الصّلاة ها هنا يوم الجمعة؟ قال: بلغني أنّ سفينة نوح أرسّت من ها هنا»^(٢٦)، وما يدعم هذا الرّأي قول الإمام علي عليه السلام: «مَنْ كَانَ سَائِلاً عَنْ نَسَبِنَا، فَإِنَّا نَبَطٌ مِنْ كُوثَى»، قال ابن الأعرابي: «واختلف النّاس في قول عليّ: نحن من كوثى، فقال قوم: أراد كوثى السّواد التي ولد بها إبراهيم الخليل،... وكوثى في العراق هي سرّة السّواد، وأراد أنّ أبانا إبراهيم كان من نبط كوثى»^(٢٧)، وهي مصحفة عن كودي أو جودي.

وتذكر الدّراسات المسهاريّة أنّ كوثى: النّهر والمدينة، تكتبان بالعلامات المسهاريّة (كودو - أ) (GU- DU - A)، وأنّ الفرات القديم هو نهر كودو حين غيّر مجراه نحو الغرب بعد الطوفان، ولا بدّ من أن يبقى محتفظاً باسمه، وهو ما لم يُشَر

إليه الباحثون، بل نبّه إليه الإمام الصادق عليه السلام بأنّ الجوديّ هو فرات الكوفة^(٢٨). والمعروف أنّ المنطقة الممتدّة من شمال البصرة إلى النجف هي بيئة جغرافيّة واحدة، تربطها الأهوار في العصور القديمة حتّى تصل بحر النّجف^(٢٩). وبقيت منطقة القرنه المكان الزّاهر الخصب إلى العصر الحديث عندما زارها الرّحالة الأجانب، حيث وصفها الرّحالة الإيطاليّ (بالبي) حين وصلها سنة (١٨٥٠م): «يعيش هؤلاء النّاس حياة هائلة لكثرة ما عندهم من الحنطة، وهي كبيرة جدّاً تفوق الحجم الاعتياديّ، ويرجع سبب ذلك إلى حقولهم الفسيحة والواسعة»^(٣٠).

وفي القرن السّابع عشر زارها الرّحالة الفرنسيّ (تافرنيه)؛ إذ قال: «إنّ هذه الأرض من أحسن ما يمتلكه السّلطان؛ لاشتغالها على مراعي واسعة، ومروج نضرة، يربّى فيها عدد كبير من الحيوانات»^(٣١).

يظهر لنا ممّا تقدّم أنّ هنالك جذوراً صحيحة للأسطورة التوراتيّة عن الشّجرة، لما ذكرته الآداب السّومريّة ونقوشهم لموقع جنّة عدن وشجرة آدم عند التّقاء دجلة والفرات، كرمز للخصب والنّماء، فضلاً عن قدسيّة تلك المنطقة الممتدّة في أهوار جنوب العراق، التي ارتبطت بتاريخ الأنبياء، كآدم وإبراهيم ونوح عليهم السلام.

ثانياً: الأهمية التاريخية لموقع خيابر

كانت مدينة كرسيني (characene) منذ القرن الثاني قبل الميلاد عاصمة لمملكة ميشان أو ميسان الكلدانيّة، وموقعها اليوم عند قضاء القرنه قرب ملتقى

دجلة والفرات^(٣٢)، وبالتحديد في منطقة تسمى (كرخ ميسان)، تقع في الأراضي التي تسمى محلياً (خيابر) في ناحية النشوة^(٣٣).

وفي الكتابات الكلاسيكية أطلق عليها (كاراخ أو الكرخة charax)، وقد سمّاها الإسكندر حال وصوله إليها باسم الإسكندرية^(٣٤).

وكانت مدينة الأبلّة أحد موانئها الرئيسة؛ ولذلك فإنّ بعض الباحثين يرى أنّ تسمية الأبلّة جاءت من اسم القائد اليونانيّ (أبولوجس)، الذي رافق الإسكندر المقدونيّ (٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م) إبّان احتلاله للعراق، وإنشائه دولة ميسان في جنوبه^(٣٥).

وبعد أن تعرّضت للفيضانات، فإنّ حاكمها العربيّ (هسباوسنس) بنى سوراً حولها بمسافة ميلين، وبسبب هذه الإعادة سميت (charax pasinou)، أي: مدينة (إسباوسنس)، أو (كرخ إسباسيا)، وذلك بعد سنة (١٩٥ ق.م)^(٣٦).

وحين أعاد بناءها ثانية الملك السلوقيّ (انطيوخوس الرابع) سنة (١٦٦ ق.م) سمّاها (إنطاكيا)^(٣٧).

وقد ذكرها البكريّ المتوفى سنة (٧٨٧هـ) باسم (خارك)، وقال: إنّها موضع في ساحل الخليج العربيّ^(٣٨).

وقد وصفها أحد الصّينيّين ويدعى (كانفيك) عندما زارها في نهاية القرن الأوّل للميلاد، وبالتحديد عام (١٠٧ م)، بأنّها كانت محاطة بالماء من كلّ مكان، وتتّصل بالنّهر بالزّاوية الشماليّة الغربيّة، وهي حارّة، تكثر فيها الأسود والجمال والنّعام^(٣٩).

ويقول (نودلمان): إنّ مدن ميسان هي: العاصمة (harax)، ومدينة فورات

(forat) التي تبعد بحدود ميل واحد جنوب (خاراكس)، والمدينة الثالثة هي الأبلّة، التي كانت بمثابة ميناء لمملكة ميسان^(٤٠)، والذي أراه أنّ مدينة (فورات) التي ذكرها (نودلمان) التي تقع مسافة ميل واحد جنوب (خاراكس) هي نفسها التي تعرف محلياً بـ(المقلوبة).

- أحوالها الاقتصادية والسياسية

لقد احتلّت منطقة الخليج العربيّ جزءاً كبيراً من اهتمام الإسكندر المقدونيّ وخطّطه لاستكشاف الطرق البحريّة التي تربط بين أطراف إمبراطوريّته التي بلغ امتدادها قبل وفاته في بابل عام (٣٢٣ ق.م) من بلاد اليونان غرباً، وإلى السّند شرقاً^(٤١).

إنّ ثروة الشّرق وما تدرّ تجارتها من أموال طائلة دفعت الإسكندر على التوجّه إلى الشّرق، وكان غزو هذا القائد للشّرق بعد معركة أسوس سنة (٣٣٣ ق.م)، التي انتصر فيها على (داريوس)، ففتح باب الشّرق أمام الملك المقدونيّ، وأمام الحضارة اليونانيّة التي اختلطت بعناصر شرقيّة، فأطلق عليها الحضارة الهلنستيّة^(٤٢).

لقد بنى الإسكندر مدينته الإسكندريّة سنة (٣٢٤ ق.م) على شطّ العرب، وكان قصده أنّ تكون الميناء التجاريّ، والمخزن المهمّ لتجارة الشّرق، لا سيّما وأنّه لمس عظمة التجارة التي تمرّ عبر الخليج العربيّ.

ومن أشهر ملوك هذه المملكة هو (هسباوسنس) (١٢٩ - ١٠٩ ق.م)، وقد ظهر أوّل نقد باسمه سنة (١٢٤ ق.م)، وهي سكّة من الفضة نقش على أحد

وجوهها صورة الملك حليق اللحية، وعلى رأسه شعر قصير، وعلى الوجه الآخر من السكة صورة (هرقل) جالساً على كرسي، وسُكَّت في عهده نقود أخرى أظهرت انتصاراته على العيلاميين^(٤٣)، وعلى بابل وسلوقية^(٤٤)، فضلاً عن ذلك، فإنه بنى أسطولاً حربياً قوياً استخدمه لحماية التجارة في الخليج العربي^(٤٥).

وعاشت ميسان فترة من الانتعاش الاقتصادي في عهد ملكها (اثامبيلوس الثالث) الذي ضرب نقوداً خلال السنوات (٥٤-٧٢م)، وقد عاصر حاكم روما الشهير (نيرون)، الذي تهافت على استعمال العطور الشرقية، ولذلك نافست تجارة ميسان تجارة تدمر والأنباط في الشام، وفي عهد هذا الملك جرت اتصالات دبلوماسية مع روما من خلال هيئات دبلوماسية ميسانية مثلما ذكر المؤرخ (بليني) (٢٣ ق.م - ٧٩ ق.م)^(٤٦).

ولقد انتهجت هذه المملكة سياسة متوازنة مع دول العالم، وهذا الأمر نابع من مكانتها الاقتصادية، فقد كانت لها علاقة جيدة مع الرومان، وكذلك مع الصين، ومع مدينة تدمر في بلاد الشام، وهذه العلاقة الحسنة فرضتها العلاقات الاقتصادية والاحتياجات المتبادلة^(٤٧).

أما سكانها، فهم من الآراميين العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق، وحين احتلها الإسكندر أسكن جنوده فيها، فاستوطنوا هذه المنطقة، واختلطوا مع أهلها، كأثمن جزء منهم^(٤٨).

أما ديانة المملكة، فإن أهلها تأثروا بعقائد العراق القديم، فقد عبدوا الإله (نرجول) إله العالم السفلي، وسادت فيها -أيضاً- عبادة (هرقل)، ويبدو أن الجالية الأغريقية هي التي اختصت به، وانتشرت فيها الديانة اليهودية في القرون

الثلاثة قبل الميلاد، وبعد الميلاد انتشرت فيها الديانة المسيحية، وأصبحت لها مطرانية في مملكة ميسان، وكذلك عبّد بعض أهلها الإله العربيّ (بعل)^(٤٩). إنّ هذه التعدّدية في الأديان تشير إلى التعايش السلميّ وقبول الآخر في هذه المملكة، وجاء هذا نتيجة للعلاقة الاقتصادية المتداخلة بين البلدان، التي تستوجب قبول الآخر، إلّا أنّ التنافس العالميّ -آنذاك- بين فارس وروما على مناطق النفوذ، جعل هذه المملكة حلبة سباق بين الطرفين، فقد تحرّك الملك الفارسيّ (أردشير)، فاستطاع السيطرة على عيلام، ثمّ تحرّك صوب ميسان، واستولى على الكرخة وفورات، وقتل الملك الميسانيّ، فأطلق الساسانيّون اسم (استراباد أردشير) على مدينة الكرخة، و(بهمن أردشير) على مدينة فورات، ولقد انتهت دولة ميسان فعليّاً سنة (٢٢٥م)^(٥٠).

١- الشقّ الميدانيّ

لقد كان الرأي السائد قبل (٢٠٠٣م) أنّه لا توجد آثار في البصرة تعود للعصور القديمة قبل الفتح الإسلاميّ، وأسهم النظام السابق في التعتيم على هذا الموقع لأسباب سياسية، ولقد رأينا- فيما سبق- الأهمية التاريخية لموقع خيابر بما جعلها مدينة عالمية أسهمت دول كبيرة في صنع تاريخها؛ لذلك فإنّ أبناء هذه الدّول في عصرنا الرّاهن تصبو للاطلاع على مآثر أجدادهم في هذا المكان، ومن هذا المنطلق، فإنّ إنعاش هذه المنطقة سياحياً، وتسييل الصّوء عليها من خلال الإعلام سوف يشجّع تلك الدّول على شدّ الرّحال إليها للاطلاع والدراسة والسياحة.

٢- التنقيب

منحت هيئة الآثار العراقية إجازة لجامعة مانشستر البريطانية لمدة خمس سنوات للتنقيب في هذا الموقع، وأشركت ملاكاتها في العمل، ولقد باشرت هذه الجامعة بإجراء مسوحات جيوفيزيائية، ويعتقد باحثو هذه الجامعة أنّ التنقيب سوف يستمرّ لثماني سنوات؛ إذ يتمّ خلال الأعوام الثلاثة الأولى إجراء مسوحات رادارية، وفي الأعوام الخمسة التالية يتمّ إجراء التنقيبات. ولقد أظهر المسح الجيوفيزيائي أنّ مدينة كاملة، ومحلات تجارية، وأبنية كبيرة تكمن تحت سطح الأرض، وقد عُثر على لقيّ، وقطع نقدية، وأوعية زجاجية رقيقة، وفخارية.

أمّا الموقع الآخر القريب من خيابر الذي يُسمّى محلياً (مقلوبة) وهو موقع مدينة فورات القديمة التي ذكرتها المصادر الكلاسيكية قريباً من مدينة (Characene)، فقد تمّ الاتفاق مع جامعة لندن للتنقيب فيها^(٥١).

٣- المحتويات المتوقعة

- ١- كنيسة للمسيحيين.
- ٢- معمل لسك العملة.
- ٣- مقبرة، وذلك من خلال الهياكل المنتشرة.
- ٤- معبد لليهود.
- ٥- سور واضح للعيان بالإمكان مشاهدته.
- ٦- غرف تحت الأرض.
- ٧- أمور أخر لم تُكتشف.

٤- موقف الأهالي في هذه المنطقة

- ١- يقوم بعض الأفراد بالنبس العشوائيّ عسى أن يعثروا على شيء ثمين، وهذا النبس يشوّه الآثار، ويحرم العلماء من معرفة علاقة كلّ قطعة مع أختها.
- ٢- يجد الأفراد بعض الأحجار الكريمة، فيتخذونها خاتماً، ويجدون أيضاً مخلفات للحرب العراقية الإيرانيّة، كأسطوانات بندق ومدافع.
- ٣- هناك اعتقاد شعبيّ عند الأهالي بوجود مخلوقات غريبة في هذا الموقع، كالجنّ وغيرها، ونحن نشجّع هذا الاعتقاد؛ لأنّ هذه الإشاعة تُبعد النّاس عن النبس فيه.

٥- مميّزات الموقع

- ١- يتميّز الموقع بأنّه قريب على شطّ العرب، ومن ثمّ ربط الموقع الأثريّ بساحل الشطّ من خلال شبكة طرق جميلة تؤدّي إلى هذا الموقع.
- ٢- خصوبة أراضي الموقع؛ ولذلك بالإمكان إحاطته بالأشجار، وورود الزيّنة لجذب السيّاح.
- ٣- إنّّه لا يبعد عن شجرة آدم سوى (٢٠) كم تقريباً، ومن ثمّ بإمكان السيّاح زيارة الموقعين معاً من خلال ربطهما بطريق يحاذي السّاحل الجميل للشطّ، وغابات النخيل الجميلة.

٦- المعوّقات

قامت الدّبابات العراقيّة إبّان الحرب بعمل سواتر من التّراب في بعض الأماكن الأثريّة؛ ما شوّه حقيقة الموقع، فضلاً عن ذلك، فقد دارت سابقاً قبل

الميلاد حرباً ضروساً بين اليونان والفرس على الموقع نفسه.

٧ - مقترحات استثمار الموقع

- ١ - شق طرق تؤدّي إلى هذا الموقع، مزوّدة بعلامات دلالة.
- ٢ - إنَّ بالموقع حاجة إلى حماية من قبل الشرطة؛ لتلافي النش العشوائي.
- ٣ - تنشيط الإعلام لتسليط الضّوء على آثار الموقع، وآثار البصرة عموماً؛ وذلك لطرح أهمّيّتها التاريخية؛ لكونها تراث إنسانيّ مهمّ لكلّ العالم.
- ٤ - ربط موقع شجرة آدم بهذا الموقع الأثريّ؛ لكونه لا يبعد عنه سوى (٢٠ كم) من خلال إنشاء طريق على ساحل الشطّ؛ ممّا يزيد من جماليّة الموقع، ويزيد من استمتاع السّياح.
- ٥ - إنشاء متنزّهات، وأماكن ترفيه، وخدمات أُخر في هذا الموقع.
- ٦ - إنَّ الإهتمام بالسيّاحة الداخليّة يُسهم في الحدّ من السّفر للخارج لإغراض السيّاحة، وهذا الأمر سيُسهم في الحفاظ على عملة البلد، فضلاً عن ضمان دخول عملات أجنبيّة؛ ما يدعم الاقتصاد القوميّ.
- ٧ - نقترح استحداث وزارة متخصصة بشؤون السيّاحة، تأخذ على عاتقها النهوض بهذا القطاع المهمّ والحيويّ.
- ٨ - فتح أقسام للآثار في جامعة البصرة لدراسة الآثار، وتخريج أدلاء سياحيّين في المواقع الأثريّة؛ لشرح قيمة كلّ أثر وأهمّيّة التاريخيّة للسّياح الأجانب والمحليّين.
- ٩ - إنشاء متحف للآثار في جامعة البصرة يحتوي على مكتبة تشمل مصادر تاريخ العراق؛ لتوضع تحت يد الباحثين في هذا المجال.

الخاتمة

إنّ الرواية التوراتية عن جنة عدن وشجرة آدم هي رواية مأخوذة من مصادر رافدينية، وقد تطابقت تلك الروايات مع منطقة التقاء دجلة والفرات؛ لاعتبارها منطقة خصب ونماء وتجدد الحياة، ومن ثمّ فإنّ رمزية الشجرة تدلّ على الاستمرار والخلود لتلك الحياة، ولا تعني عدم موت الإنسان، بل تدلّ على وجود مصادر اقتصادية لاستمرار أفراد النوع البشريّ في هذه المنطقة. وأهمّ هذه المصادر هي الزراعة؛ لخصوبة الأرض، وتوافر المياه، وسهولة الحصول عليه، وانسيابه بين الجداول، فضلاً عن كونها بيئة ملائمة لعيش الحيوانات الأليفة والنافعة، والطيور المتنوعة الجميلة، ما يلهم الإنسان الراحة والأمل والعيش الرغيد. فضلاً عن كونها أقدم منطقة لسكن الإنسان على الأرض حسبما ذكرته المصادر التاريخية، وهذا أضفى عليها مسحة مقدّسة.

وقد أيدت الآثار والكتابات السومرية هذا الرّأي من خلال الأدب والمعتقدات المكتشفة في جنوب العراق.

وقد ركّزت الرواية التوراتية وأدب العراق القديم والطقوس الدينية على قضية الخلق الأوّل للإنسان في جنة عدن، أو في حديقة مزهرة، وقد غرس فيها الرّب الشجرة المقدّسة الأولى.

وقام العلماء والآثاريون بالبحث عن هذا الموقع، وقد خلصوا إلى أن بدايته عند التقاء دجلة بالفرات، ويستمرّ حتّى البحر في الخليج العربيّ. وقد وردت كلمة (عدن) باللّغة الأكديّة لتعني الجميل أو الحلو، وأيضاً أطلق السومريّون كلمة (أدن) أو (أيدن) على آلهة الخصب المدعوّة (إينانا).

ولم يستطع الآثاريّون تحديد زمن آدم أو تاريخ للخلق؛ لعدم وجود نقش أو أثر مادّي، ولكن من خلال الروايات نفهم العلاقة الواضحة بين آدم وجنوب العراق، وعلى سبيل المثال في الزيارة المعروفة للإمام عليّ عليه السلام: «السّلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح...»، والمعروف أن منطقة جنوب العراق من شمال البصرة وحتّى بحر النجف هي منطقة جغرافيّة واحدة تربط بينهما الأهوار في الزّمن القديم.

وبالنظر إلى أهميّة منطقة شمال البصرة سواء من النّاحية الاقتصاديّة أو لموقعها الجغرافيّ، فقد اهتمّ بها الإسكندر المقدونيّ بعد سيطرته على العراق سنة (٣٣٣ ق.م)، فقد بنى مدينة على شطّ العرب سنة (٣٢٤ ق.م) سمّاها (الإسكندريّة)؛ لتكون ميناء عالميّاً للسفن التجاريّة القادمة من الهند والصّين وشرق أفريقيا عبر الخليج العربيّ، التي سُمّيت فيما بعد (كرخ ميسان)، وتقع في الأراضي التي تسمّى محليّاً (خيابر) في ناحية الشّوشة قرب حقول مجنون.

وفي الكتابات الكلاسيكيّة، أُطلق عليها (كاراخ أو الكرخرة)، وكانت الأُبلة إحدى مدنها، ثمّ تغيّر اسمها عدّة مرّات تبعاً للوضع السياسيّ.

ولقد انتهجت هذه المملكة سياسة متوازنة مع دول العالم -آنذاك-، وهذا نابع من مكانتها الاقتصاديّة، ولعلاقاتها الجيدة مع الرّومان ومع الصّين ومع

تدمر في بلاد الشام.

وفيما يخصّ التنقيب بهذا الموقع، فقد قامت جامعة مانشستر البريطانية العام الماضي بالتنقيب، وأجرت المسوحات الجيوفيزيائية، وقد أظهر المسح وجود مدينة كاملة، ومحلات تجارية، وأبنية كبيرة تحت سطح الأرض. وبالإمكان استثمار هذا الموقع سياحياً بعد ربطه مع شجرة آدم بطرق موصلات على ضفاف شطّ العرب؛ لما للسّياحة من مردود ثقافيّ وإعلاميّ واقتصاديّ للمدينة وللبلد عموماً.

الهوامش

- ١- النّجم، محمّد حسين، فلسفة الوجود في الفكر الرافدينيّ، مجلّة روى الثقافية، تصدر عن مركز ابن إدريس الحليّ، ع٦، حزيران، ٢٠١١م: ص ١٢.
- ٢- الأحمّد، سامي سعيد، السومريّون في تراثهم الحضاريّ: ص ٩٣.
- ٣- أبو شقرة، كلودا، الشّجرة من جنّة عدن إلى الحضارات القديمة،
<http://claudefabouchara.wordpress.com>
- ٤- رشيد، قيس حسن، المواقع الأثرية في الأهوار، مجلّة الآداب السومريّة، ع٤، س٢٠٠٩م، كليّة الآداب/ جامعة ذي قار: ص ١٣.
- ٥- الحمدانيّ، عبد الأمير، صور النخلة في المعتقدات الرافدينيّة، مجلّة الآداب السومريّة، ع٤، ٢٠٠٩م، كليّة الآداب/ جامعة ذي قار: ص ١٦٠.
- ٦- التوراة، (سفر التكوين، الإصحاح الثاني): ص ٥.
<http://mangish.net-v>
<http://wikipedia.org-٨>
<http://almahdyoon.org-٩>
- ١٠- باقر، طه، مقدّمة في أدب العراق القديم: ص ٩٣.
- ١١- باقر، طه، المصدر نفسه: ص ٥٩.
- ١٢- باقر، طه، المصدر نفسه: ص ١٠٨.
- ١٣- الأحمّد، سامي سعيد، السّومريّون في تراثهم الحضاريّ: ص ٤١.
- ١٤- باقر، طه، مقدّمة في أدب العراق القديم: ص ١٠٩.
- ١٥- باقر، طه، المصدر نفسه: ص ٧٦.
- ١٦- الحمدانيّ، عبد الأمير، صور النخلة في المعتقدات الرافدينيّة: ص ١٦٢.
- ١٧- الحمدانيّ، عبد الأمير، المصدر نفسه: ص ١٦٤.

- ١٨- الحمدانيّ، عبد الأمير، المصدر نفسه: ص ١٦٦.
- ١٩- باقر، طه، مقدّمة في أدب العراق القديم: ص ٢٤٤.
- ٢٠- ثيسكر، ولفر، المعدان: ص ٨٧.
- ٢١- الإمارة، عامر حسك، أهوار جنوب العراق: ص ٩.
- ٢٢- نقلًا عن الأحمد، سامي سعيد، السومريّون في تراثهم الحضاريّ: ص ٤١.
- ٢٣- العامليّ، أبو عبد الله شمس الدّين (ت ٧٨٦هـ)، المزار: ص ٤٣.
- ٢٤- المازندرانيّ، محمّد صالح (ت ١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي: ح ٨، ص ٣٦١.
- ٢٥- الكلينيّ، الكافي: ص ٢٨١.
- ٢٦- ابن كثير، تفسير ابن كثير، تقديم يوسف المرعشيّ: ٢/ ٤٦٣.
- ٢٧- الحمويّ، ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ٤٨٨.
- ٢٨- البدريّ، سامي، النجف مرسى سفينة نوح، بحث مستقلّ من مجلّة تراث النجف، العدد (١) لسنة ٢٠٠٩م: ص ٢١.
- ٢٩- الحكيم، حسن عيسى، بحر النجف، مجلّة دراسات نجفيّة، مركز دراسات الكوفة، العدد (٢) لسنة ٢٠٠٤م: ص ١٢.
- ٣٠- بالبي، كاسبارو، رحلة بالبي للعراق، ترجمة: الأب بطرس حدّاد: ص ٣٩.
- ٣١- الموسويّ، عماد جاسم، مدينة القرنه في كتابات الرّحالة الأجانب، مجلّة الخطوة، مركز تراث البصرة، العتبة العبّاسيّة المقدّسة، العدد (٢) لسنة ٢٠١٥م.
- ٣٢- هرمز، المطران حبيب، تاريخ المسيحيّة في جنوب العراق: ص ١٣، ١٤.
- ٣٣- الصّالحيّ، نشوء مملكة ميسان، مجلّة المورد، مج ١٥، ع ٣ (العراق / ١٩٨٦م): ص ٦.
- ٣٤- المصدر نفسه.
- ٣٥- الهاشميّ، طه، خالد بن الوليد، مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ، مج ٣، ج ١ (العراق / ١٩٥٤م): ص ٧٥.
- ٣٦- البكر، دولة ميسان، مجلّة المورد، ع ٣ (العراق / ١٩٨٠م): ص ٢٠.
- ٣٧- الصّالحيّ، نشوء دولة ميسان: ص ٧.
- ٣٨- البكريّ، معجم ما استعجم: ٧/ ٤٨٣.
- ٣٩- الحسينيّ، محمّد باقر، نقود مملكة ميسان، مجلّة المورد، مج ١٥، ع ٣ (العراق

/١٩٨٦م): ص٢٩.

٤٠- نودلمان، ميسان، ترجمة: فؤاد جميل، مجلة الأستاذ، مج ١٢ (بغداد/١٩٦٤م):

ص٤٦٠.

٤١- الهاشمي، النشاط التجاري، مجلة المؤرخ العربي، ع ١٢ (بغداد/١٩٨٦م): ص٥٨.

٤٢- البكر، العرب والتجارة الدولية، مجلة المريد، ع ٤ (البصرة / ١٩٧٠م): ص٧٠.

٤٣- العيلاميون: بلاد عيلام في السهول الجنوبية والجنوبية الشرقية لإيران وعاصمتها

القديمة (سوسة). باقر، تاريخ إيران: ص٢٥.

٤٤- دولة السلوقيين قامت في الشام والعراق وإيران بعد وفاة الإسكندر. البكر: العرب

والتجارة: ص٧٢.

٤٥- الحسيني، نقود مملكة ميسان: ص٣١.

٤٦- الصالح: نشوء وتطور مملكة ميسان: ص١٤.

٤٧- البكر، دولة ميسان: ص٢٥.

٤٨- البكر، الجذور التاريخية: ص٢؛ الحسيني، نقود مملكة ميسان: ص٣٢.

٤٩- صراي، اليهود في الخليج العربي: ص٢٧؛ البكر، دولة ميسان: ص٢٧.

٥٠- البكر، الجذور التاريخية: ص١٥.

www.britishcouncil.org-٥١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر

- ١- البكري، عبد الله بن عبد العزيز، الأندلسي (ت ١٠٤٩هـ)، معجم ما استعجم، ط ٣ (بيروت / ١٤٣٠هـ).
- ٢- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي (بيروت / ١٩٧٩م).
- ٣- العاملي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت ٧٨٦هـ)، المزار، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، (قم / ١٤١٠هـ).
- ٤- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل القرشي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير، تقديم: يوسف المرعشي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت - لبنان، ١٩٩٢م).
- ٥- الكليني، أبو جعفر، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري (طهران / ١٣٦٢هـ).
- ٦- المازندراني، محمد صالح (ت ١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، تحقيق: أبو الحسن الشعرائي، دار إحياء التراث العربي (بيروت / ٢٠٠٠م).

ثانياً: المراجع الحديثة

- ٧- الأحمّد، سامي سعيد، السومريون في تراثهم الحضاري، جامعة بغداد، ١٩٧٥م.
- ٨- الإمارة، عامر حسك، أهوار جنوب العراق، مطبعة المعارف (بغداد / ١٩٧٩م).
- ٩- باقر، طه، مقدّمة في أدب العراق القديم، ط ١، بغداد، ٢٠١٠م.
- ١٠- بالبي، كاسبارو، رحلة بالبي للعراق، ترجمة: الأب بطرس حدّاد، دار الشؤون

الثقافية (بغداد/ ٢٠٠٥م).

١١. البدري، سامي، النجف مرسى سفينة نوح، بحث مستل من مجلة تراث النجف، العدد (١)، النجف، لسنة ٢٠٠٩م.

١٢- البكر، منذر، دولة ميسان، مجلة المورد، مج ١٥، ع ٣ (العراق/ ١٩٨٠م).

١٣.....، الجذور التاريخية لعروبة الأحواز، (جامعة البصرة/ ١٩٨١م).

١٤- العرب والتجارة الدولية، مجلة المريد، ع ٤ (البصرة/ ١٩٧٠م).

١٥- ثيسكر، ولفر، المعدان، دار الشؤون الثقافية (بغداد/ ٢٠١٢م).

١٦- رشيد، قيس حسن، المواقع الأثرية في الأهوار، مجلة الآداب السومرية، كلية الآداب/ جامعة ذي قار، ع ٤، سنة ٢٠٠٩م.

١٧- الحسيني، محمد باقر، نقود مملكة ميسان، مجلة المورد، مج ١٥، ع ٣، (العراق/ ١٩٨٦م).

١٨- الحكيم، حسن عيسى، بحر النجف، مجلة دراسات نجفية، مركز دراسات الكوفة، العدد (٢)، لسنة ٢٠٠٤م.

١٩- الحمداني، عبد الأمير، صور النخلة في المعتقدات الرافدينية، مجلة الآداب السومرية، كلية الآداب/ جامعة ذي قار، ع ٤، ٢٠٠٩م.

٢٠. أبو شقرة، كلودا، الشجرة من جنة عدن إلى الحضارات القديمة،

<http://claudeabouchara.wondpres.com>.

٢١- الصالح، واثق، نشوء وتطور مملكة ميسان، مجلة المورد، مج ١٥، ع ٣ (العراق/ ١٩٨٦م).

٢٢- صراي، أحمد محمد، اليهود في الخليج العربي، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، حولية (٢١)، (جامعة الكويت).

٢٣- الموسوي، عماد جاسم، مدينة القُرنة في كتابات الرحالة الأجانب، مجلة الخطوة، مركز تراث البصرة، العتبة العباسية المقدسة، العدد (٢)، لسنة ٢٠١٥م.

٢٤- النجم، محمد حسين، فلسفة الوجود في الفكر الرافديني، مجلة رؤى الثقافية، تصدر عن مركز ابن إدريس الحلي، ع ٦، حزيران، ٢٠١١م.

٢٥- نودلمان، ميسان، ترجمة: فؤاد جميل، مجلة الأستاذ، مج ١٢، (بغداد/ ١٩٦٤م).

- ٢٦- الهاشمي، رضا، النشاط التجاري القديم في الخليج العربي، مجلّة المؤرّخ العربي، ع١٢، (بغداد/ ١٩٨٦م).
- ٢٧- الهاشمي، طه، خالد بن الوليد، مجلّة المجمع العلمي العراقي، مج٣، ج١، (العراق / ١٩٥٤م).
- ٢٨- هرمز، المطران حبيب، تاريخ المسيحية في جنوب وادي الرافدين، (البصرة/ ٢٠١٥م).

ثالثاً: المواقع الألكترونية

٢٩- <http://mangish.net>

٣٠- <http://wikipedia.org>

٣١- <http://almahdyoon.org>

رابعاً: كتب الديانات القديمة

- ٣٢- التّوراة، (سفر التكوين، الإصحاح الثاني)، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ١٩٩٧م.

ظواهرٌ صوتيّةٌ في لهجة بني مالك (شمال البصرة)

Phonetic Phenomena in the Dialect of Bani
Malek (North of Basra)

أ.م.د. انجيرس طعمة يوسف

جامعة البصرة / كليّة الآداب / قسم اللّغة العربيّة

Dr. Enjaire T. Yousif, assistant professor

Department of Arabic, College of Arts, University of
Basra

ملخصُ بحث

تنماز لهجة بني مالك (شمال البصرة) بميزات صوتية تختلف عن اللهجات المجاورة لها جغرافياً؛ إذ يستطيع الذي يعيش المناطق المجاورة التعرف عليها من بعض الظواهر الصوتية التي تُعدّ السمات التي تحدّ اللهجة بحدود معينة بعد حدودها الجغرافية، التي تقع بين مركز قضاء القرنة و ناحية العزيز. ويعمل أغلب أهلها بالزراعة؛ لذا فإنّ لغتهم تنماز بالبساطة، وما موجود من ظواهر صوتية يقع تحت قانون السهولة واليسر. إذ تجد ظاهرة الإبدال، وظاهرة القلب، وظاهرة الميل إلى الكسر، والمماثلة، والمقطع الصوتي لظواهر بارزة لا تقع تحت قانون صوتي واحد، بل يحكمها الاستعمال الأيسر. ويشكّل الإبدال الظاهرة الأهمّ في هذه اللهجة؛ إذ تبدّل عدّة أصوات، ومن أهمّها صوت القاف، بوصفه الصوت الأقوى في النطق؛ لذا يميل المتكلّم إلى إبداله بالجيم أحياناً، والغين والكاف، والجيم المصرية. وهكذا ظاهرة الميل إلى الكسر؛ إذ يميل أهل اللهجة إلى الكسر في كثير من الأسماء والأفعال، وبقية الظواهر موجودة بشكل أقلّ قابلة للدراسة بشكل أكثر تفصيلاً.

Abstract

The dialect of Bani Malek tribe, north of Basra, is different from other neighboring dialects. There are some traits that distinguish this dialect geographically being located between Qurna and Al-Uzair county. Most people work as farmers. Their dialect is , therefore, simple and easy. Some distinctive marks of this dialect are: alteration, inversion, analogy, changing specific letters, etc. Few sounds are changed such as ق, as a strong one, which sometimes changes into ج, and other times into غ or ك. The study also sheds light on more examples.

مقدمة

الحمد لله الذي أدعوه ولا أدعو غيره، ولو دعوتُ غيره لخيَّبَ دعائي، والحمد لله الذي أرجوه ولا أرجو غيره، ولو رجوتُ غيره لأخلفَ رجائي.
وصلِّ على محمد وآل محمد، واقسم لي حلماً يسدُّ عني باب الجهل، وهدئِ تمنِّي عليَّ به من كلِّ ضلالة.
وبعد..

يکمن الاهتمام بدراسة اللهجات في دراسة لغة القرآن الكريم، والمحافظه عليها، ومحاولة إبعاد كلِّ المحاولات التي أرادت تشويه اللغة وإماتتها، وإيجاد البديل الموجود في كلام العوام، وما أفرزته لغة التواصل الاجتماعي، لتكون لغة بديلة عن لغة القرآن.

فإنَّ من سعادة المرء أن يبحث في لهجة محلية تشكِّل مساحة واضحة في خريطة اللهجات المحليَّة في العراق، وتكبر السَّعادة أكثر عندما يكون الباحث أحد أفراد هذه اللهجة، عاش معها، وتعايش مع أهلها فترة من الزمن، فعرف أصواتها، وخبر مظاهرها وظواهرها.

إنَّ الحديث في اللهجات ليس بالأمر الجديد على البحث اللغوي؛ إذ كتبت في اللهجات العامَّة واللهجات المحليَّة كتبٌ وبحوثٌ، فوجدتُ من المناسب

أنّ نسّلط الضوء على لهجة تميّزت بألفاظها ونحوها وصرفها، وصوتها بكلّ ظواهره، عن اللّهجات المجاورة في خريطة اللّهجات المحليّة، على أنّ هناك مقارنة مع بعض لهجات الخليج، بيد أنّ الباحث نأى عن هذه المقاربة مقتصرّاً على اللّهجات المحليّة المجاورة لها. ولم أجد من بحث في هذه اللّهجة بحثاً مستقلاًّ سوى بعض البحوث العامّة التي تناولتها في الإطار العام بوصفها لهجة داخلية في لهجات جنوب العراق، غير ما اطّلت عليه متأخراً جداً، وهو بحث غير مترجم كُتب في لهجة هذه المنطقة بما فيها لهجة الأهواز في إيران بوصفها تقترب في بعض ألفاظها ومظاهرها من لهجة بني مالك.

ويبقى بالبحث في هذه اللّهجة حاجة إلى المزيد من العناية والتفصيل في مستوياته المختلفة، ومن هنا شرعْتُ بالعمل على جمع أشتات الظواهر الصوتيّة مقتصرّاً عليها في هذا البحث المتواضع، مسلّطاً الضوء على ما أقتنصه من الظواهر التي تميّز هذه اللّهجة عن غيرها ممّا يجاورها من اللّهجات، سواء كان ذلك في منطقة شمال البصرة، أو في مركز البصرة، أو في لهجة العراق بشكل عام؛ إذ إنّ هناك جملة من المشتركات بين هذه اللّهجات.

ومما وقفتُ عليه بعد متابعة الظواهر الصوتيّة، ووفق أحدث الدّراسات الصوتيّة، هو ظاهر الإبدال؛ إذ إنّها الظاهرة اللافتة في هذه اللّهجة، وأكثرها وضوحاً.

وهناك ظاهرة القلب، وظاهرة الماثلة، ومن الظواهر المميّزة لهذه اللّهجة هي ظاهرة سمّيّتها (ظاهرة الميل إلى الكسر)؛ لأنّها لا تدخل تحت معيار معيّن لظاهرة صوتيّة معيّنة، ومن المعلوم أنّ الظواهر الصوتيّة في اللّهجات المحليّة لا تخضع

في أغلب الأحيان إلى قوانين صوتية معينة، ومن هنا، فإنّ ظاهرة الميل إلى الكسر ربّما يدخل تحتها أكثر من حالة يجمعها عنوان الميل إلى الكسر.

ومن بين الظواهر الصوتية غير المنضبطة هي المقاطع الصوتية، ففي اللهجة محلّ الدّراسة وجدت أنّ النظام المقطعيّ الذي حدّده علماء الصوت لألفاظ اللّغة العربيّة يتغيّر في هذه اللّهجة في بعض مفرداته.

على أنّ هذه الدّراسة المتواضعة تحتاج إلى إتمام في الجوانب الأخرى التي تنماز بها هذه اللّهجة، ومن أهمّها هي الألفاظ الدّخيلة التي تدخل في قاموس هذه اللّهجة التي لا تتّصل بأصول اللّغة العربيّة؛ إذ ربّما تكون من أصول سومريّة؛ إذ إنّ هذه الرّقعة الجغرافيّة هي محلّ الحضارة السّومريّة، ولا زالت آثارها موجودة، ومنها ألفاظها وأصواتها، ولم أسلّط الضوء على ذلك، على أمل أن أقوم بتتمّة هذه اللّهجة بمستوياتها المختلفة إنّ وفّقنا الله إلى ذلك، فهو وليّ التّوفيق.

التمهيد

حدود اللهجة

إنَّ معرفة حدود أيِّ لهجةٍ معيّنة يبدأ من تعيين الحدود الجغرافية، والحدود اللهجية التي تنماز بها كلّ لهجة عن اللهجات المجاورة من جهة، وعن العربية الفصحى من جهةٍ أخرى. وقد تكون اللهجة خاصّة بمنطقة معيّنة، فتكون الحدود الجغرافية هي نفسها الحدود اللهجية. وربما تشغل اللهجة أكثر من منطقة جغرافية تختلف بالعرق، والعادات، والحدود البلدية. ومن هنا، تظهر المشتركة اللهجية مع اختلاف الجغرافية والتاريخ بين مناطق اللهجة المعيّنة. ومن ثمّ، فإنّ دراسة أيِّ لهجةٍ لا يمكن أن تكون منفصلة تماماً عن اللهجات الأخرى، لتتمّ عملية التمييز، وحصر اللهجة المراد دراستها. واللهجة كما يعرفها د. إبراهيم أنيس هي: «مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة»^(١)، ولا تقتصر الصفات اللغوية على جانب لغويّ دون غيره؛ إذ إنّ الجانب الصوتيّ، والدلاليّ، والنحويّ، والصرفيّ تُعدّ سماتٍ مميزة لكلّ لهجة تجتمع لتشكّل صورة اللهجة النهائيّة. ويرى إبراهيم أنيس أن الصفات الصوتيّة تحديد الصفات الأبرز والأهم في تعيين الحدود

اللّهجية وتحديدّها؛ إذ إنّ طبيعة الأصوات والاختلاف الصوتي، ومخارج الأصوات، ومقياس أصوات اللّين، هو الذي يفرّق اللّهجة عن الأخرى^(٢). إنّ اشتراك اللّهجات في مستويات اللّغة المختلفة أمرٌ مفروغ منه في اللّغة العربيّة، بوصفها لغة القرآن الكريم. وهو الذي حفظ لنا كثيراً من خصائصها. وإنّ افتراقها غالباً يكون في صفاتها الصوتيّة، ومن ثمّ، فإنّ التركيز على الحدود الفاصلة يُعطي لكلّ لهجة ملامحها الحقيقيّة؛ إذ ربّما تجد بعض الحدود الفاصلة بين لهجتين لا تجدّها في ظواهر أُخرى، وهذا لا يؤثر في أصل الدّراسة؛ إذ إنّ رسم الحدود اللّهجيّة في مدينة واحدة، أو منطقة واحدة أمرٌ لا يخلو من الصّعوبة؛ لما ذكرنا من تداخل.

يستطيع العربيّ غير العراقيّ أن يميّز لهجة العراقيّ. ويستطيع العراقيّ أن يميّز لهجة العربيّ أن يميّز لهجة البصريّ أن يميّز لهجة شمال البصرة من جنوبها. فاللهجة مجموعة من السمات التي تتسم بها كلّ منطقة بعينها، ترسم لها حدودها وتعيّنها. والباحث في هذا المجال يبحث عن هذه السمات المميزة. ولو كان هناك أطلّس لغويّ لكلّ المناطق لتبيّن ذلك، واتّضحت خريطة توزيع الأصوات وظواهرها. ومن المعلوم أنّ لهجة أهل البصرة تنماز ببعض صفاتها وظواهرها عن لهجات المناطق الأخرى في العراق. وهي أقرب إلى لهجة أهل الخليج، ولا أقول إنّها تأثّرت بلهجة الخليج، بل إنّ لهجة أهل البصرة والمنطقة كلّها بما فيها بعض بلدان الخليج، لها صفات مشتركة، فضلاً عن المشتركات الكثيرة بين لهجة بني مالك شمال البصرة مع لهجة أهل العمارة، أو محافظة ميسان. وربّما امتدّت المساحة الجغرافيّة لاشتراك بعض الصّفات اللّهجيّة إلى

منطقة الأهواز.

وتُعدُّ المفردات من الأسماء، والأفعال، والأدوات، بصيغها وأصوتها ونحوها ودلالاتها، من الظواهر المهمة في استقلال اللهجة، وهذه المفردات تنشأ من الظروف المحيطة بالمنطقة الجغرافية، سواء أكانت تسكنها قبيلة واحدة، أم أكثر، وكلّما زادت العزلة تعدّدت المفردات، وتميّزت. وتُعدُّ مفردات الصّيد والزّراعة والرّعي من سمات استقلال اللهجات؛ إذ نجد ثمة اختلافًا واضحاً في أسماء أجزاء النّخلة في البيئة العربيّة؛ إذ يُطلق أهل البصرة لفظ (الطلع) على جزء معروف في قلب النّخلة. ويسمّي أهل الحجاز (الكاسفور). و(العذق) بلهجة أهل البصرة هو (القنو) بلهجة الحجاز. وأهل اليمن يسمّون التمر (رمخ)، و(السّالدي) بلغة أهل المدينة، وأهل مكّة يُطلقون عليه (السّياب)، وهكذا^(٣). فالاهتمام بالألفاظ البيئية والطبيعة معروف في المجتمعات الإنسانيّة. وبخاصّة إذا كانت هذه الألفاظ تشكّل وجوداً مهمّاً في حياتهم اليوميّة.

وهكذا في كثير من الألفاظ الخاصّة بالزّراعة والرّعي، وغيرهما من مظاهر الحياة الخاصّة بهم. فضلاً عن الظواهر الصوتيّة التي تميّز كلّ لهجة عن الأخرى. سواء أكان ما يتعلّق بالفونيمات، أم الألفونات، أم ما يحصل فيها من ظاهرة الإبدال، والحذف، والقلب، والإعلال، وظاهرة الماثلة، والمخالفة، والنّبر، والتّعيم. وما يحصل من تغيير في المقاطع الصوتيّة في اللهجة الواحدة.

ربّما نجد اختلافاً واضحاً بين أبناء المدينة الواحدة ليس في اللهجة، بل في اللّكنة أيضاً. ويذكر (جين إتشسن) أنّ هناك لبساً يحصل بين اللهجة واللّكنة. فاللّكنة هي الاختلاف الحاصل في طريقة النّطق، ومن هنا، تجد الشّخصين

يتكلّمان اللهجة الواحدة، ولكن بلكنة مختلفة بينهما^(٤)، وتظهر بعضها في اللهجات المحليّة في المدينة الواحدة، والبلد الواحد، والبلدان العربيّة المتعدّدة. ويرى (فندريس) أنّ التقسيم الحقيقيّ للهجات ناشئ من الإحساس الحقيقيّ لدى سكّان الإقليم الواحد بأنّ كلامهم ليس على صورة كلام الأقاليم المجاورة^(٥).

ومن هنا، نجد أنّ لهجة بني مالك شمال البصرة تنماز عن غيرها من اللهجات المجاورة لها جغرافياً والبعيدة عنها ببعض الظواهر. وهناك عوامل تؤثر في تحديد الصّفات اللهجيّة لهذه الفئة، منها:

أولاً: العزلة الجغرافيّة التي تعيشها المنطقة؛ إذ إنّهم يسكنون في منطقة محدودة جغرافياً بين مركز قضاء القرنة من جهة، ومنطقة ناحية العزيز من جهة أخرى، وهي آخر منطقة من مناطق محافظة البصرة من جهة محافظة ميسان، أي: إنّها تفصل بين مدينتين كبيرتين، لهما خصائصهما الصّوتيّة، وتاريخهما الثقافيّ الذي ينعكس على لهجتهم، وتأثرهما بالمحيط الإقليميّ؛ إذ يرى (إبراهيم أنيس) أنّ هناك عاملين مهمّين في تحديد اللهجة، وهما: العزلة، والصّراع اللّغوي نتيجة الهجرات والغزوات. ويرى أنّ العزلة الاجتماعيّة لا تقلّ عن العزلة الجغرافيّة في التأثير والأهميّة^(٦)، وهما موجودتان في هذه المنطقة كما يتبيّن من النقطة الآتية. ثانياً: إنّ المنطقة تنتمي إلى عشيرة واحدة، وهي عشيرة بني مالك بمختلف أفخاذها. الأمر الذي يجعل أهلها منغلّقين على بعضهم، يتعايشون فيما بينهم، لديهم مستوى من الكفاية الاجتماعيّة والاقتصاديّة، تحول دون حاجتهم للاختلاط مع الآخر الذي يختلف معهم في اللهجة، والطبيعة، والبيئة، والانتماء.

ومن هنا، تبلورت لهجتهم الخاصة المستمدة من تراث الآباء والأجداد. ومن المعلوم أنّ اللهجات تتقارب مع مجاوراتها مع زيادة عوامل التقارب والتواصل فيما بينها. ويتجلى ذلك أكثر في عصر التواصل، ووسائله السريعة؛ إذ تتقارب الظواهر اللهجية لكثرة التواصل، وربما تتداخل فيما بينها، بل ربما يظهر ما يمكن أن نطلق عليه بعملية التآكل؛ إذ إنّ لهجة الأقوى تأثيراً تأكل لهجة الأقل أثراً ووجوداً اجتماعياً، أو سياسياً. وهو قانون طبيعي في التأثير والتأثير. ومن هنا يمكن القول، إنّ تمايز اللهجات في زمن سابق كان أوضح بسبب ما ذكرنا من قلة الاختلاط. ومن ثمّ، فإنّ لهجة شمال البصرة تأثرت في الوقت الحاضر بلهجة مدينة البصرة، بل إنّها تأثرت بلهجة بعض مناطق الوسط، أو لهجة بغداد؛ بسبب التواصل الإعلامي، والثقافي، والاجتماعي، والديني. ومع كلّ ذلك بقيت ميّزات وخصائص لهذه اللهجة تميّزها عن غيرها، سواء أكانت صوتية، أم صرفية، من الذين يتمسكون بلهجتهم الأصلية، والذين لا يتأثرون بعوامل التواصل، أو من كبار السنّ غير المتواصلين مع الآخر، أي: إنّهم يعدّون احتفاظهم بصفات لهجتهم جزءاً من هويّتهم وانتمائهم.

تأثير البيئة في الظواهر الصوتية

هناك عدّة تساؤلات يمكن أن تُثار عن علاقة البيئة بالظواهر الصوتية اللهجية، منها: هل البيئة التي يعيش أهلها حياة قاسية تميل للأصوات الشديدة، والمجهورية؟ ومن ثمّ، فهل أهل البادية، وسكّان الجبال، والقرى، تختلف عندهم الظواهر الصوتية عن أهل المدينة، أو الحاضرة؟

يرى (د. إبراهيم أنيس) أنَّ قبائل البدو تميل إلى الأصوات الشديدة؛ لوجود الغلظة والجفاء في الطبع؛ إذ يرى كذلك أنَّ الأصوات المجهورة أوضح في السَّمع في البيئة الصَّحراوية في حين يميل أهل البيئة المتحضَّرة إلى الأصوات المهموسة^(٧). ويبدو أنَّ هذا الحكم لا يمكن القبول به على إطلاقه؛ لعدم وجود استقراء تامٍّ للهجات، فضلاً عن أنَّ الأصوات الشديدة لا تُستعمل في كلِّ الموارد. ولم يتبيَّن مدى فائدتهم من الجهر والشَّدة في المواقف والأحداث وأنواع الألفاظ. أمَّا حاجتهم إلى مدِّ الصَّوت لطول المسافات، فلا يعني حاجتهم إلى الأصوات الشديدة أو المجهورة، بل ربَّما يحتاج المتكلِّم الذي يعيش حياة قاسية إلى أصوات سهلة النطق لتخفَّف عنه في التواصل. ومن ذلك أنَّهم غالباً ما يبدلون القاف، أو الجيم الشديديتين أصواتاً أخرى أكثر سهولة، فالجيم تُبدل ياءً. والقاف غيناً في أكثر البيئات القاسية، كما يعبر عنها من جهة المعيشة. غاية الأمر - كما يبدو لي - أنَّ هذه البيئات تحتاج أحياناً إلى انطلاق الأصوات ومدِّها لبعد المسافات بينهم. وستحدِّث عن ذلك فيما بعد. فالحياة الفقيرة ثقافياً تحتاج إلى لغة بسيطة خالية من التعقُّر والتعقيد؛ إذ تتوافر على انسيابية تامَّة لاستمرار التواصل وسهولته؛ إذ تحتلُّ الأصوات الهوائية وأصوات الاحتكاك والانتشار حيِّزاً متميزاً في خريطة أصواتها، بوصفها توافر أجواء سهلة للتواصل، ومثال ذلك صوت الشَّين والألف والهاء.

إنَّ أهل لهجة بني مالك يسكنون مجموعة من القرى المحصورة بين القرنه والعزير على حافة نهر دجلة، وهم يعيشون على الزَّراعة، والرَّعي، والصَّيد وتشكِّل الزَّراعة المورد الأكبر فيها، أي: إنَّ أهلها يمضون أوقاتهم في هذه

الأعمال وهي طبيعة حياة، ومسيرة عيش يومي. ومن ثمّ، فهل يمكن أن تعدّ مثل هذه المناطق من المناطق القاسية أو السهلة؟ والجواب كما يبدو لي أنّها قاسية من جهة تحصيل المعيشة؛ إذ يعيش الفرد في صراع مع الطبيعة لتحصيل لقمة العيش. ومن جهة أخرى هي حياة بسيطة من ناحية أدوات المعيشة ومتطلّباتها والعلاقات الاجتماعية. ومن هنا، فإنّ ما يتعلّق بتحصيل المعيشة يحتاج إلى أصوات تتسم بالوضوح غالباً على خلاف التعامل الداخليّ، بقطع النظر عن مسألة ارتفاع المستوى الأدائيّ، فهو لا يتعلّق بالظواهر الصوتيّة المعروفة.

بعض السمات الفونولوجيّة للّهجة

هناك بعض الأصوات تحتلّ مساحة مهمّة في مفردات أهل هذه اللّهجة، فالشّين والهاء.. من أهمّ الأصوات التي تتسم بها ألفاظ هذه اللّهجة. وبقطع النظر عن الأسباب التي أدّت إلى شيوع مثل هذه السّمة الفونولوجيّة، فهي موجودة بشكل ملحوظ؛ إذ نجد أنّ صوت الشّين -مثلاً- يدخل في كثير من المفردات المهمّة، والمتداولة بكثرة في حياتهم اليوميّة؛ إذ إنّ صفة الانتشار تتناسب مع الفضاءات المفتوحة التي يعيشها أهل اللّهجة، فالأراضي الزراعيّة الواسعة، والدّور الواسعة تحتاج إلى نمطٍ من التواصل يتوافر على أصوات مفتوحة. فالوقت الأكثر في الأراضي الزراعيّة يستدعي أفقاً واسعاً من الأصوات لإيصالها إلى الآخر في المناادة وتبادل الكلام.

فصوت الشّين موجودٌ في أدوات الاستفهام، مثل: شنهّي، أو شنهو، أو يضاف

إليها أحياناً صوت هاء أخرى لتكون شنهيه، أو شنهوه، وتعني: أي شيء هي أو هو؟ ومن المعلوم أنّ المتعارف في اللهجات المجاورة سواء أكانت محلّية، أو في بعض الدّول العربيّة هو اللفظ (شني)، أو (شنو)، أو (إيش)، أو (شو)، التي تعني: أي شيء هو؟ بيد أنّهم يضيفون الهاء زيادة في الانفتاح على الفضاء الخارجيّ، وإيصال الصّوت إلى أبعد مسافة. وتدخل الشّين في نهاية اللفظ أحياناً زيادة في التّفشّي في مثل قولهم: مامش، بدل (ماكو)، أي: غير موجود. فالشّين المتفشّية من جهة، والألف الهوائيّة الممتدّة في الفضاء من جهة أخرى، لفسح المجال لاستعمال هذا اللفظ في السّؤال تارة والجواب بالنفي تارة أخرى، وليكون من الألفاظ المفتوحة في الفضاءات الواسعة.

ويضاف صوت الشّين إلى اللفظ العامّي المتداول (مو)، بمعنى: (ما) النافية؛ إذ يقولون (موش)، فإذا أراد أن ينفي شيئاً معيّناً أو كيفيّة معيّنة، يقول: موش موجود. أمّا باقي اللهجات المجاورة، فيقولون: مو بدون إضافة الشّين. ومن الألفاظ الأخرى التي تنماز بها هذه المنطقة، التي يدخل فيها صوت الشّين ملمحاً صوتياً بارزاً، هي: (شكف)، أي: دَفَعَ عن شخصٍ ما الضّرب. و(شجخ)، أي: وضع أدواته الزّراعيّة، أو سلاحه في مكان ما بقوة، و(يواش)، أي: على مهلك.. وكلّ ذلك لا يدخل في شنشنة اليمن ولا كشكشة ربيعة. بل ربّما يرجع إلى أصول سومريّة لهذا الصّوت لا مجال للتفصيل فيه.

وكذلك صوت الهاء الهوائيّ المفتوح الذي يفتح على المسافات الواسعة؛ إذ إنّهم يحتاجون إلى صوت الهاء، وأصوت المدّ بكثرة؛ لتكون بديلاً عن الأسماء التي ربّما لا تتوافر فيها قابليّة الإيصال؛ إذ يقولون مثلاً في نداء الآخر البعيد:

هااو، أو هيوو، أو هووو مع مدّ الصّوت الأخير مدّاً طويلاً يصل إلى الآخر البعيد غالباً.

ومن المعلوم -أيضاً- أنّ النّبر في هذه الألفاظ يقع على صوت الشّين ليظهر بشكل واضح؛ لأنّه يمثّل روح الاستفهام بوصفه يدخل في أكثر متعلّقاتها. وهو السّؤال عن الشيء غالباً. ويظهر أحياناً في صوت الألف؛ إذ يتبيّن للسّامع البعيد صوت الألف فقط من النّداء، فيعرف أنّ نداءً معيّناً قد يكون هو المقصود، أو غير مقصود بحسب جهات النّداء.

التنوّع الفونولوجي للّهجة

هناك عدّة عوامل اجتماعيّة تؤثر في إيجاد التنوّع الفونولوجي بين أبناء اللّغة الواحدة، أو حتّى عند الفرد الواحد؛ إذ تتغيّر بعض السّمات النطقية لتناسب مع مواقف معيّنة، ويحصل ذلك أحياناً بشكل لا شعوريّ؛ إذ يغيّر الشخص نطق بعض الأصوات في المكانات الرّسميّة، وربّما يتغيّر نطق بعض الأصوات بين الرّجال والنّساء^(٨)، بيد أنّ مثل هذا التنوّع لا يحصل بكلّ سماته في بعض اللّهجات التي تنماز بنوع من الثبات فيما يتعلّق بالتنوّع الجنسيّ؛ إذ لا تتغيّر السّمات النطقية للنّساء عن الرّجال في البيئة الرّيفيّة، أو البدويّة غالباً؛ وذلك لمشاركة المرأة الرّجل في أغلب الظروف، والحياة الاجتماعيّة، واتّصافها بصفات الخشونة غالباً، ومن ثمّ، فلا يلحظ تغيّرات صوتيّة واضحة تكشف عن التنوّع بينهما في بعض المقاطع الصوتيّة.

أمّا التنوّع الفونولوجي في لهجة الفرد، فإنّه يحصل عند أهل اللّهجة الواحدة،

ومنها أهل هذه اللهجة؛ إذ تأثر كثير من الذين تعاملوا مع أهل الحاضرة، ومن هذا التأثر ما يحصل من تعديل في ظاهر الميل إلى الكسر، بوصفها من الظواهر البارزة عندهم، ومن ثم يضطر المتكلم بهذه اللهجة إلى تعديل هذه الظاهرة تماشياً مع المجتمع الذي يعيش فيه. بل ربّما نجد في الوقت الحاضر أنّ كثيراً من أهل هذه اللهجة عمدوا إلى تبديل بعض الأصوات إلى أصوات مقاربة إلى لهجة الحاضرة، سواء أكان هذا التبديل إلى أصوات مناطق مجاورة أم إلى أصوات مناطق بعيدة؛ بسبب التأثير الإعلامي، واللّجوء إلى تقليد الآخر المختلف، والدّخول في الأنساق الاجتماعية والثقافية المتنوّعة.

قانون السّهولة واليسر

من أهمّ القوانين التي تؤثر في عملية النطق الإنسانيّ بشكل عامّ ما يسمّى بقانون السّهولة واليسر، وهو ظاهر من التسمية تنطوي على فكرة ميل الإنسان إلى تسهيل الكلام والهروب من المشقّة، والجهد في عملية أداء الكلام؛ وذلك بإخراج الحروف وانسجامها مع بعضها في الكلمة الواحدة، بل في أكثر من كلمة ما دام الأمر يتعلّق بعملية التواصل مع الآخر. وما يؤثّر في ذلك عدم قدرة الإنسان، بل عدم استعداده في ظروف معيّنة على نطق الأصوات بشكلها الطبيعيّ، ما يستدعي، وبشكلٍ لا إراديّ البحث عن التقليل في الجهد، أو الانسيابية في النطق، وإن كان لا يحتاج إلى تقليل الجهد أحياناً، بيد أنّ الإنسان بطبعه يتوخّى السّهولة في الأشياء، فضلاً عن الكلام الذي يحتاجه باستمرار. وقد ذكر (د. رمضان عبد التّوّاب) أكثر من ظاهرة لهذا القانون، ومنها:

- ظاهرة إسقاط الهمزة في اللهجات العربيّة، وهو المميّز للّهجة قريش.
- وظاهرة انكماش الأصوات، أي: تحوّل الصّوت المركّب إلى ضمّة طويلة مثلاً، أو كسرة طويلة، مثل: يَوْم، ونُوم. والأصل: يَوْم، ونَوْم.
- وظاهرة اندثار الأصوات الأسنانيّة، وهي: الدّال، والثّاء، والظّاء، وإبدالها بالزّاي، والتّاء، والضّاد، في بعض اللهجات العربيّة.
- وظاهرة القلب.

وهكذا يرى (د. رمضان عبد التّوّاب) أنّ ذلك كلّ من التطوّر اللّغوي^(٩). ومن هنا، فإنّنا وبحسب الدّراسة والملاحظة القريبة لهذه اللّهجة محلّ البحث، ومن خلال المعايضة؛ نجد أنّ قانون السّهولة موجود في أغلب الظواهر الصوتيّة التي تمّ التعرّف عليها من خلال الاطلاع على هذه اللّهجة والبحث فيها؛ إذ إنّ ظاهرة الإبدال، والقلب، والميل إلى الكسر، والمقاطع، كلّها تدخل تحت تأثير قانون السّهولة واليسر.

ظاهرة الإبدال

تُعَدُّ هذه الظاهرة من الظواهر المعروفة في كلام العرب، بل عدّها ابن فارس من سنن العرب؛ إذ قال: «ومن سنن العرب: إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون: مدحه. مدهه»^(١٠). وبقطع النظر عن أسباب الإبدال، فإنّ الظاهرة تحصل بين الأصوات المتقاربة، وهو أمرٌ طبيعيٌّ يقوم به الإنسان، وهو يريد الكلام حتّى صار أمراً اعتيادياً. وعُدَّ عند المتقدّمين سنّة العرب. وما دامت كذلك، لماذا تُعَدُّ خروجاً عن اللّغة؟ ومن ثمّ، فإنّ أيّ حالة من حالات الإبدال

تُعَدُّ حالة صحيحة ما دامت موضوعة من الجماعة المتكلمة وليس من الشخص. ومن ثمّ، فلا أعتقد أنّ هذه الظاهرة تقتصر على أصوات معيّنة محدّدة؛ إذ إنّها تختلف باختلاف الأسباب والظروف. فالبينة، والمرض، وصغر السنّ، والتأثر وغيرها، عوامل للإبدال.

تحتلّ هذه الظاهرة مساحة كبيرة في خريطة الظواهر اللّهجيّة الخاصّة بهذه المنطقة، وليس لهذه الظاهرة معيارٌ واضحٌ يمكن أن يشكّل قانوناً للإبدال في هذه اللّهجة أو غيرها، غير قانون السّهولة، واليسر النوعي، وليس الشخصي. وإنّ الذي تمّ رصده من الإبدال في هذه اللّهجة كان في أصوات القاف، والهمزة، والكاف، والدّال؛ إذ إنّ ما وقفنا عليه يشكّل ملمحاً صوتيّاً، وظاهرة واضحة في هذه اللّهجة، مع أنها تشترك مع بعض اللّهجات في بعض حالاتها، بيد أنّ ما يميّزها أنّ هناك بعض الحالات الخاصّة التي يُعرف بها سكّان هذه المنطقة، ويميّز أهل المناطق المجاورة ذلك بسهولة عند الحديث معهم. ومن هذه الأصوات:

١- صوت القاف

يُعَدُّ هذا الصّوت من أهمّ الأصوات التي تعرّضت للإبدال تاريخيّاً، وجغرافيّاً. وكُلّ ذلك على ما يبدو بسبب صعوبة نطقه؛ إذ إنّهُ يُنطق برفع أقصى اللّسان ليلتصق باللّهاة، فيقف الهواء، ثمّ ينطلق بعد الضّغط، فينخفض أقصى اللّسان، ويندفع الهواء محدثاً صوت القاف الانفجاري^(١١). فهو صوت استعلاء، وشدّة، وقلقلة. وقيل: إنّهُ مجهور. ومن ثمّ، فإنّ سبب إبداله أمرٌ منطقيٌّ، وطبيعيٌّ بعد ما قلنا من قانون السّهولة واليسر.

يتبدّل صوت القاف في الأطلس الصّوتيّ العربيّ إلى الهمزة، والغين، والكاف، والجاف أو الجيم المصريّة (گ)، والجيم بثلاث نقط (چ)، والجيم الفصيحة؛ إذ نجد إبداله في مصر إلى الهمزة والجيم المصريّة (گ). وفي العراق يتبدّل إلى: الجيم الفصيحة، والجيم المصريّة، والغين. وهذا الإبدال موجود في خريطة أصوات البصرة، وتشتهر جنوب البصرة بإبداله غيناً. ويقلّ الإبدالان الآخران. وفي شمال البصرة، أي: في لهجة بني مالك، يتميّز إبدال القاف جيماً ليكون الملمح الأبرز في هذه اللهجة.

تعرّض هذا الصّوت إلى إبدال متنوّع وبمراحل أحياناً، أي إنّ أهل هذه اللهجة أمعنوا في الابتعاد عن هذا الصّوت، فهم تارة يبدّلونه بالجيم المصريّة (گ)، وأحياناً لا يكتفون بهذا الإبدال، بل ينقلون الكلمة نفسها إلى الجيم، بل أحياناً يتمّ الإبدال إلى الجيم المثلثة. فمثلاً كلمة (واقف) يتبدّل صوت القاف فيها إلى الجيم المصريّة (گ)، ليكون (واگف)، ثمّ ينتقل إلى الجيم الفصيحة ليكون (واجف)، ثمّ يتبدّل إلى الجيم بثلاث نقاط (چ)، بل ويبدل معه الفاء إلى الباء ليكون الاسم (واجب). وكذلك ما يحدث لكلمة (شرقي)، وهي عادة ما تستعمل للدلالة على جهة الرّياح؛ إذ تنتقل من شرقي إلى (شرجي) في لهجة عموم البصرة، ثمّ (شرژي) في لهجة بني مالك، فتبدل الجيم الفصيحة إلى الجيم الشاميّة. وكذلك لفظة (قتل)، التي تحوّلت إلى (كتل)، ثمّ إلى (چتل) في لهجة بني مالك بإبدال الكاف جيماً بثلاث نقاط.

ويمكن أن نطلق على هذه الألفاظ متعدّدة الإبدال؛ إذ إنّ موجة الإبدال تبدأ من الهروب من القاف إلى أن تصل إلى الجيم الفصيحة، ولما كانت الجيم

الفصيحة صوت مستقل، ومتداول يستبدل بعد ذلك إلى الجيم الشاميّة أحياناً. ومن هنا نبدأ باستعراض سريع لبعض الأصوات البديلة لصوت القاف، ومنها: أولاً: الجيم الفصيحة: ينطق برفع مقدّم اللسان تجاه مؤخّر اللثة، ومقدّم الحنك، ثمّ يفصل ببطء، وليس بشكل مفاجئ، فهي صوت مركّب لثويّ حنكيّ، أي له وقفة احتكاكيّة، ومن ثمّ فلا يُعدّ من الأصوات الشديدة على أحدث الآراء^(١٢)، ومن هنا يستبدل القاف بهذا الصوت في كثير من الأسماء والأفعال الأكثر استعمالاً في حياتهم اليوميّة لما يجدونه من سهولة في نطق هذا الصوت، وهو أسهل من صوت القاف.

إنّ الجيم كما ذكر (كمال بشر) هو صوت احتكاكيّ، أي يمكن مرور الهواء به ببطء، فيكون أسهل من القاف. ويبدو أنّ ثمة تفاوتاً ملحوظاً في هذا الإبدال بين الأفعال التي تبدأ بصوت القاف، أو التي يكون في وسطها، أو في آخرها. وكذلك بين الأفعال الثلاثيّة وغير الثلاثيّة.

ففي الأفعال الثلاثيّة التي تبدأ بحرف القاف يُبدل الصوت بصوت الجيم، ولكن يقلّ استعماله في الأفعال، فيقولون: جريب، أي: قريب، وجرب، أي: قرب بالماضي، و جرب بالأمّ. من الواضح أنّ الإبدال يرافقه التشديد في الفعل الماضي والفعل الأمر، مع الفارق في حركة حرف الراء. وفي الفعل (قَدَر) ومشتقاته، يقولون: (جادر)، أي: قادر، و(جادرين)، أي: قادرين بالجمع، ولا يقولون: (يجدر) بالمضارع، و(جدر) بالماضي، بل يعوّضونها ب(هو جادر). وفي الفعل (قَسَم) يقولون: (جَسَم)، و (جِسْمَة) إذا كان بمعنى القسمة، و جَسَم، ويجسّم. أمّا إذا كان الفعل مزيداً بالتضعيف، أي: الفعل الماضي على وزن

(فعل)، فإنّ الإبدال فيه واضح ومستعمل بكثرة؛ إذ يقولون في الفعل قدّم المشدّد: (جدّم).

أمّا الأفعال التي يتوسّط صوت القاف فيها، فيستبدل بصوت الجيم، ويصعب هذا الإبدال في استعمالهم للأفعال، ففي الفعل (وقف-واقف)، يقولون: (واجف- وموجف)، ولا نسمعهم يستعملون الأفعال (وجف- يوجف)، بل يلجؤون إلى الصيغ الاسميّة، فيقولون: (موجف، وواجف) بدل استعمالهم للأفعال. وكذلك الفعل (شقّف)، يتعدون معه عن استعمال الفعل الماضي مع هذا الإبدال؛ إذ لا يقولون: (شجف، ويشجف)، بل يقولون: (شاجف عنه)، أي: رافع عنه الضرر، ويشاجف.

ويبدو أنّ استعمالهم للأفعال التي تنتهي بحرف القاف أسهل مع الإبدال، فلا حرج عندهم في الفعل شهق؛ إذ يقولون: (شهج، يشهج، وشهيج، وشهيجة). والفعل (نَهَق): (نَهَج ينهج، نهيج)، والفعل (لَحَق): (لَحَج، يلحج، يلحجون)، والفعل (حَرَق)، يقولون: (حَرَج، ويحرج، وحريجة).

ومن الأسماء التي ورد فيها الإبدال نفسه:

(قرن) (جرن)، والمراد به قرن الحيوان، ومجرن، و(إبريق) (إبريج)، و(طريق) (طريج)، (طبق) (طبج)، و(رقي) (رجي)، و(عذق) (عثج).

ومن هنا، نجد أنّ أكثر الأصوات إبدالاً للقاف هو صوت الجيم، وبخاصّة في الألفاظ التي تتداول بكثرة بينهم، وذلك هرباً من قوّة صوت القاف الشديد. وما سوى تلك الحالات من الإبدال بصوت الجيم يأتي صوت (ك) ليكون

بديلاً ثانياً لصوت القاف.

ثانياً: (حرف گ) (كاف عليها شرطة): التي يسميها بعض الصّوتيين المحدثين بالجاف، جمعاً بين القاف والكاف؛ إذ يرى (كمال بشر) أنّها تنطق بين القاف والكاف، وهي تقابل (g) بالإنكليزية. وهو صوت حنكيّ قصيّ، وقفة انفجاريّة مجهور، يشبه القاف القاهريّة^(١٣). ويذكر ابن فارس أنّها لغة تميم؛ إذ ينطقون قاف القوم بين الكاف والقاف^(١٤). وهذا الصّوت موجود في اللهجات العربيّة بشكل واسع، وفي لهجة أهل العراق نصيب منه، ومنها البصرة والمنطقة محلّ البحث، ومن ذلك:

(قطن كطن، قلب گلب، قال گال، قمر گمر، حق حگ، قرنة گرنة، سبق سبگ، دق يدق دگ، لصق لزگ، قصب گصب، قوت گوت، قهوة گهوة، قصير گصير).

وغير ذلك الكثير ممّا يشترك فيها أهل هذه المنطقة مع غيرهم مع اختلاف بسيط، ومن الملاحظ أنّهم يلجؤون إلى هذا الإبدال في حال عدم إبدالها بصوت الجيم الفصيحة، أمّا لاختلاط المفردة التي يتمّ فيها الإبدال مع مفردة أصليّة أخرى، فلو أخذنا بعض هذه الألفاظ لوجدنا الأمر واضحاً، فقولهم: گلب، بدل قلب؛ لأنّ قلب القاف جيماً يجعل اللفظ يُقرأ جلب، وهو ما يُدخل المتكلم بدلالة أخرى، وكذلك (حقّ) إذا أبدلنا إلى صوت الجيم تكون (حج)، وهذه لها دلالة أخرى كما هو معروف. وكذلك كلمة (فوق) لا بدّ أن تُستبدل القاف إلى (گ)، ولا يصحّ إبدالها إلى الجيم لتكون (فوج)، ويقولون: (گصب)، ولا يقولون: (جصب) بدل (قصب)، ولا يقولون: (جال) بدل (قال)، وهكذا نجد

أنّ هذا النوع من الإبدال لا يأتي إلا بعد عدم إمكان إبدال القاف جيماً، فهو السّمة البارزة والمميّزة لل لهجة؛ وذلك إمّا لصعوبة نطقها، أو لأنّها تدخل في دلالة مفردة أخرى؛ لذا اقتضى التمييز بهذا الإبدال. الأمر الذي دعا إلى هذا الإبدال الذي لا خفّة واضحة فيه، وإلاّ فإنّهم في أكثر الحالات تجدهم يُبدلون القاف جيماً؛ لأنّها أخفّ نوعاً ما من القاف، حتّى في بعض الاشتقاقات التي أُبدلت بالجاف القاهريّة.

ثالثاً: الغين: وهو صوت رخو مجهور عند خروج الهواء يحدث شيئاً من الخفيف، ومن هنا فإنّه حنكيّ احتكاكيّ مجهور^(١٥)؛ لذا يستبدل من صوت القاف لسهولة النطق به قياساً لصوت القاف، وهذا الإبدال يحصل في مناطق البصرة المختلفة؛ إذ يشيع في جنوب البصرة استبدال القاف غيناً، واستبدال الغين قافاً، فهو إبدال متبادل، ويشيع في شمال البصرة في مناطق بني مالك إبدال القاف غيناً في بعض الألفاظ، ولكن لا يُعدّ ملمحاً صوتيّاً مهماً. وممّا يلاحظ على هذا الإبدال أنّه يحصل في الألفاظ الوافدة على المنطقة نتيجة التطوّر الحضاريّ ودخول بعض الألفاظ التي تحتوي على صوت القاف، ولما كانت هذه المناطق تهرب من صوت القاف، فهو يلجأ إلى الغين القريب عليه، والأسهل نطقاً، ومن ذلك:

(قاضي. غاضي، قبض غبض، قميص غميص، قوري غوري، قطار غطار، قانون غانون، قضية غضية).

رابعاً: الجيم بثلاث نقط (چ)، التي تُنطق بالإنكليزيّة (ch). مثل: (قتل) (چتل)، ويبدو أنّ هذا الإبدال جاء من صوت الكاف التي تتبدّل بشكل كبير

إلى هذا الصّوت، والذي حصل هو أنّ الفعل (قتل) تبدّل فيه صوت القاف إلى الكاف، وهو أمرٌ طبيعيٌّ مثل: (وقت وكت)، ثمّ تبدل إلى صوت الجيم بثلاث نقط. وإبدال القاف إلى (چ) موجود في لهجة بعض الخليجيين، وبخاصّة في لهجة (أبو ظبي)، كما ذكر (جونستون)؛ إذ يقولون: (حلجة)، أي: (حلقة)، و(طابج)، أي: (طابق)^(١٦).

ولا يتبدّل صوت القاف إلى المهمزة كما هو في لهجة أهل مصر وبعض البلاد العربيّة؛ إذ يقولون: (ألب)، أي: (قلب)، (أمر)، أي: (قمر). وهذا النوع من الإبدال غير موجود في لهجة أهل العراق.

٢- صوت الكاف

صوت شديد مهموس ينحبس الهواء قرب اللّهاة لاتصال أقصى اللّسان بأقصى الحنك، ثمّ ينبعث الهواء بشكل مفاجئ محدثاً صوتاً انفجارياً^(١٧). يُبدل هذا الصّوت في لهجة بني مالك بالـجيم بثلاث نقاط (چ)، وهي ليست الجيم المعطشة، وهذا الإبدال موجود في لهجة الخليج، ويرى (جونستون) أنّها تستبدل بلهجة الخليج إذا كانت مجاورة لأصوات اللّين الأماميّة^(١٨). ويبدو أنّ هذا الأمر ليس دائماً. يوجد هذا النوع من الإبدال في جنوب العراق، ولكن يتّضح هذا الإبدال بشكل واسع في مفردات بني مالك شمال البصرة؛ إذ ربّما أعرض أهل البصرة أو الخليج عن بعض الألفاظ التي يستبدل بها الكاف بهذه الجيم، نجد أنّ هناك من يتمسّك بهذه اللّهجة، ومن ثمّ، فإنّ الفرق بين لهجة بني مالك وغيرهم من العراقيين أو أهل الخليج هو في كمّ الألفاظ المستخدمة؛ إذ إنّ

الأكثر من اللهجات المجاورة فضلاً عن اللهجة محلّ الدّراسة يقولون: (جبد) للكبد، (چلب) للكلب، (ديچ) للديك، و(باچر) للغد، (چعب) للكعب... وفي الأفعال: (حچی و حجاية) للحكي، والحكاية، (چذب) كذب، (يبيچي) يبكي، (يچوچ) يحوك.

في حين نجد أنّ كثيراً من الناس لا يقولون: (چثير) للكثير، و(رچب) للركب، و(چريم) للكريم، و(بچر) للتبكير، (چسر) يعني: كسر، و(يچوچ)، يعني: يحوك، ولا يزال يتمسك بها أهل المنطقة. وهنا يفترق أهل هذه المنطقة عن لهجة سائر أهل البصرة أو العراق، وربما بقي شيء من ذلك في الخليج.

٣- صوت الجيم

وقد ذكرنا مخرج هذا الصوت وصفته، وبقي أن نذكر الأصوات البديلة لهذا الصوت في لهجة شمال البصرة واللهجات المجاورة، ففي جنوب البصرة تُبدل الجيم ياء، ويُنسب ذلك إلى لهجة تميم، وهو موجود في لهجة الخليج في الوقت الحاضر، وبخاصّة في دولة الكويت، وهذا الإبدال يبرّره التقارب المخرجي للصّوتين^(١٩). ولا نجد هذا الإبدال في لهجة شمال البصرة، وفي لهجة بني مالك خاصّة؛ إذ إنهم يُبدلون الجيم جيماً شامية (ژ)، ولعلّ هذا الصوت من مميزات هذه اللهجة، ومما تنفرد به على مستوى اللهجات المجاورة. وهو قريب من صوت الشّين، ويتّفق معه في كلّ الصفات، بيد أنّ الفرق بينهما هو أنّ الشّين مهموس والجيم الشاميّة مجهور^(٢٠). ومن هذه الألفاظ الموجودة في لهجة شمال البصرة، هي: (مجرى مژرى، جمد ژمد، جاع ژاع، وا ژاويد اجاويد، وشرژي

شرجي أي: شرقي، وثريشة جريشة، ودثاثة دجاجة)، وغيرها. ولا يفرق في ذلك وجود صوت الجيم في بداية الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها، ووجوده في الأفعال أو الأسماء.

٤- صوت الذال

يبدل هذا الصوت في لهجة بني مالك، وصوت الذال صوت رخو مجهور يخرج من بين أطراف اللسان وأطراف الثنايا العليا^(٢١)، وفي لهجة بني مالك ظاهرة إبدال هذا الصوت بصوت الظاء، ويبدو أن التقارب في مخرجي الصوتين هو سبب هذا الإبدال؛ إذ إن الظاء مثل الذال، بيد أن وضع اللسان عند النطق بالظاء ينطبق على الحنك الأعلى. ومن جهة أخرى ميل أصحاب اللهجة إلى التفخيم في الأصوات. ومن هذا الإبدال قولهم: (الحظر)، يعني: الحذر، (ظكر)، يعني: ذكر، ويقولون: (اظكر وتظكر)، و(ظاك)، يعني: ذاك، و(ظاك) يعني: ذاق، (ظراع)، يعني: ذراع.

وربما تبدل الذال زايًا، مثل قولهم: (بزر)، أي: بذر، فإنهم في وقت الزراعة يستعملون هذا اللفظ عند موسم بذر البذور. ويقولون عن الذرية: بزرية. وتُبدل الذال ثاء؛ إذ إن صوت الذال هو النظير المجهور للثاء، ولا فرق بينهما إلا في تذب الأوتار الصوتية في الذال، وعدم تذبها في الثاء^(٢٢)؛ إذ يقولون: (عثك)، أي: عذق، بيد أن هذا الإبدال مشترك مع اللهجات المجاورة، فلا يُعدّ ملمحاً صوتياً خاصاً بهذه اللهجة.

ه- صوت الهمزة

تُبدل الهمزة عيناً، وهو إبدال معروف في لغة العرب، وهي ظاهرة صوتيّة تسمّى (العننة)، تُنسب إلى قبيلة تميم، وهي أن تُبدل الهمزة المبدوء بها عيناً^(٢٣)، ويرى (د. إبراهيم أنيس) أن هذه الظاهرة لا تمثّل إلا أحكاماً خاصّة؛ إذ إنّها لم تأت من استقراء لباقي الحالات، ويخلص إلى الرأي الذي ذكرناه سابقاً من أن البدو يميلون إلى الجهر بالأصوات، وأقرب الأصوات إلى الهمزة هو العين؛ لذلك يُبدلون الهمزة عيناً^(٢٤). ومما يلاحظ في لهجة بني مالك أنّهم يبدلون الهمزة عيناً في بعض الألفاظ، وهي ظاهرة يتميِّزون بها عن غيرهم؛ إذ يقولون: (سعال) بدل سؤال، و(قرعان) بدل قرآن، و(يجعر) بدل يجأر، ويقولون: (لعن)، أي: (لأن). مع ملاحظة الإبدال الآخر في صوتي القاف والجيم الموجودين في (قرعان)، و(يجعر). ومن الملاحظ أنّ ما يسمّى بـ(العننة) يقتصر على الصوت الأوّل من الكلمة، وهو ما ذكر من لهجة تميم، أمّا في لهجة بني مالك، فليس هناك معيار في ذلك، فهم يُبدلون الهمزة عيناً أينما يجدون فيها صعوبة، سواء أكان الصوت في أوّل الكلمة، أم في وسطها، أم في آخرها، أم في الأسماء، أم الأفعال. ومن المعلوم أنّ صوت الهمزة من الأصوات التي يصعب نطقها؛ لذا يتمّ إبدالها، وليس لأنّهم يميلون إلى الجهر.

ظاهرة القلب

وهي ظاهرة لغويّة موجودة في كلام العرب، بل تُعدّ من سنن العرب كما يقول ابن فارس، وهي إبدال صوت مكان صوت في الكلمة نفسها، مثل:

جذب، وجبذ^(٢٥). وقد جمع السيوطي عدداً من الكلمات التي وقع فيها القلب في لغة العرب، منها: (ربض ورضب، وانبض وانضب، وصاعقة وصاقعة)، وغير ذلك كثير^(٢٦). وقد لاحظنا هذه الظاهرة في لهجة بني مالك في بعض مفرداتهم، مثل: (صكد)، أي: صدك، أي: صدق، و(جواز)، أي: زواج، وغير ذلك مما تنماز به هذه اللهجة، وهي ظاهرة قليلة الحصول فيها.

ظاهرة مدّ الصوت و تطويله

طول الصّوت يعني حساب الوقت الذي يستغرقه النطق بها وتؤثر في ذلك عدّة عوامل، منها: طبيعة الصّوت والأصوات المجاورة، ودرجة النبر، وعدد المقاطع^(٢٧).

ذكر علماء اللغة المحدثون أهميّة طول الصّوت في النطق، وهذا الطول إمّا أن يكون موجوداً بشكل طبيعيّ في الصّوت، أو مكتسب؛ إذ إنّ أصوات اللّين بطبيعتها أطول من الأصوات السّاكنة، أمّا العوامل المكتسبة في طول الصّوت، فهي بعض الظواهر الصوتيّة الأخرى، مثل: النبر، والتنغيم^(٢٨). والمراد بهذه الظاهرة الموجودة في هذه اللهجة ليست هي الموجودة في علم التجويد وما ذكره علماء الصوت من مدّ الصوت نفسه بنفس معيّن ومقدار معيّن، بل المراد هنا هو تطويل الكلمة بإضافة صوت اللّين إليها، وهو يدخل في تسهيل النطق لبعض الأفعال التي غالباً ما تبدأ بالهمزة؛ إذ يقومون بحذف الهمزة وإضافة صوت اللّين.

يلجأ سكّان هذه المنطقة في كثير من استعمالاتهم للأفعال إلى إضافة صوت

الّذين إلى الكلمة دون أن يكون ذلك من المخالفة أو المماثلة، بل هو من إضافة صوت المدّ لإطالة الكلام، ويبدو أنّ هذه الظاهرة موجودة في كلامهم، فيقولون: (كليت)، يعني: اكلت؛ إذ تمّ حذف الهمزة لصعوبتها، وإضافة الياء لتسهيل تمطيط الكلام ونطقه، و(شربيت)، يعني: شربت، و(زرعيت)، يعني: زرعت، و(لعبيت)، أي: لعبت، و(تعبيت)، أي: تعبت.

ظاهرة الميل إلى الكسر

وهي ظاهرة صوتيّة موجودة في كلام العرب يميل فيها المتكلّم إلى الجنوح إلى الكسر في الأسماء أو الأفعال، وبأشكال وظواهر معيّنة، ويدخل تحت هذا العنوان بعض الظواهر الصوتيّة المماثلة، والإمالة أو الإيتباع، وكسر أوائل بعض الأفعال.

وقد أشار إلى ذلك اللّغويّون القدماء والمحدثون. وقيل إنّ الميل إلى الكسر من سمات لهجة تميم، وهو أمر ظاهر في الإيتباع والإمالة وكسر حرف المضارع؛ إذ إنّ تأثير الكسر واضح في الكلمة، سواء أكانت صائتاً قصيراً أو طويلاً، وقد رُصدت في لهجة تميم عدّة ألفاظ اتّضحت فيها ظاهرة الكسر، لا تحدّها ظاهرة صوتيّة معيّنة^(٢٩)، وهذه الظاهرة تتمثّل بالقوانين الصوتيّة الآتية:

- المماثلة

تعني: تأثر الصّوت بالصّوت الذي بعده، أو الذي قبله، تأثراً يجعله مثله أو قريباً منه في المخرج أو الصّفة، تيسيراً لعملية النطق^(٣٠)، ويمكن أن يسمّى

هذا التأثير بالانسجام الصوتي، وهو موجود في كل اللغات على اختلاف بينها، وتقسم على قسمين، وهما: المماثلة التقديمية، والمماثلة الرجعية، أو ما يقارب هذين المصطلحين، مثل: المقبلة والمدبرة، ولا إشكال في التسمية ما دامت تكشف عن القوانين نفسها، وتأتي في الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، بلا فرق بين الأصوات الصائتة القصيرة والطويلة.

اللهجات العربية مالت إلى هذا التأثير، وربما كوّنت لها قوانين خاصة بتأثر الأصوات وميلها إلى الانسجام^(٣١)، ومن هنا يقوم الباحث بالتفتيش في لهجة شمال البصرة عن هذه الظاهرة الصوتية المهمة والكشف عن أمثلتها وشواهداها. ويبدو أن المماثلة الراجعة التي تتعلق بالصوائت القصيرة واضحة وموجودة في هذه اللهجة في الكثير من المفردات، وربما وجدنا في بعض لهجات العرب القديمة هذه الظاهرة، ومنها ما ورد في:

المماثلة الرجعية: وهي أن يقع الصوت الأول تحت تأثير الصوت الثاني، ففي الصوائت نجد بعض العرب، تقول: (بعيري)، بكسر الباء تأثراً بكسرة العين. قال أحدهم: «.. وحططُ رَحلي، وَرَسَغْتُ بعيري»^(٣٢)، ونسمع في لهجة بني مالك يقولون بشكل واضح وكثير، ولا يقتصر الأمر على كلمة أو كلمتين؛ إذ يقولون: (حشيش / حليب / جريب / جريم، أي: كريم، وشعير...)، في صيغة فعيل، ومن الواضح تأثير الصائت القصير (الكسر) المجاور للصوت الأول في السّين واللام والراء، والعين في الأسماء التي مرّت. ويقول غيرهم بفتح الحرف الأول من هذه الكلمات.

ولكنهم يقولون: فساد، وسِماد وشمال في صيغة (فِعال)، والأصل فتحها،

وليس هناك من تأثير للصّائت القصير (الكسر) في الصّوت المجاور. هذا في الأسماء، أمّا في الأفعال، فيبدو أنّ ظاهرة كسر أول فعل المضارعة لهجة عريّة تعود إلى تميم وقيس وأسد وربيعه؛ إذ إنّ المعروف من لهجتهم إنّه يقولون: تعلم، وتدرّي، بكسر حرف المضارعة. أمّا أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن، وبعض هذيل، فيفتحون حرف المضارعة، وبه جاءت لغة القرآن الكريم^(٣٣).

ولا يقتصر الأمر على المضارع، بل يكون الكسر في لهجة أهل العراق بشكل عامّ في كسر كثير من الأفعال الماضية، فيقولون: كسرت، وشربت، ولعبت.. وهناك ظاهرة أخرى تميّزت بها لهجة بني مالك، وهي ما يدخل في العنوان العامّ، وهو الميل إلى الكسر، وذلك عند نطقهم الألفاظ التي فيها الصّائت الطويل (الياء)، ففي كلمة (بيت) تنطق هذه المفردة بياء قصيرة تشبه حركة الكسر، وهي تشبه النطق بالصّوت الإنكليزيّ (i)، وهي على توصيف (د. إبراهيم أنيس) أشباه أصوات اللّين^(٣٤)، بيد أنّهم ينطقونها بالياء الطويلة المميّزة. ومثل ذلك صوت اللّين في كلمة اثنين؛ إذ تُنطق بالياء الطويلة، وكذلك عندما ينطقون لفظ (عليمن)، وهي من ألفاظ العامّة، ويُرَاد بها الاستفهام، أو تعني: على أيّ من، وهي من الألفاظ المنحوتة والمتداولة في اللهجة العراقيّة، بيد أنّهم في اللهجة ينطقونها بالياء الطويلة، أو صوت اللّين الطويل، أو الصّائت الطويل. وكذلك الأمر في لفظ (وين)، أي: الاستفهام بآين، فإنّها تُنطق في هذه اللهجة بشكل متميّز كما ذكرنا فيما قبلها من المفردات. ولما كانت هذه الظاهرة تميّز لهجة تميم عن غيرها من لهجات العرب نجد أنّ

هذه الظاهرة ممّا يتميَّز أهل المنطقة واللّهجة (بني مالك) بها، وتُعدّ من سماتهم اللّهجيّة في المنطقة؛ إذ إنّك تستطيع أن تميّز المالكيّ من غيره في المنطقة من خلال اختباره بهذه الظاهرة.

المقطع الصوتي

تنأز العربيّة كغيرها من اللّغات بنظام المقاطع الصّوتيّة في الكلام العربيّ؛ إذ تحدّث الصّوتيّون عن المقاطع وأنواعها بعد أن رصدوا -ومنذ القدم- أنّ الكلمة الواحدة تتألّف من مقاطع صوتيّة يمكن تقسيمها على مقاطع صوتيّة مغلقة وأخرى مفتوحة، بحسب نهاية المقطع. والمقطع «هو كمّيّة من الأصوات تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها»^(٣٥).

وفي اللّغة العربيّة ستّة أنواع من المقاطع:

القصير: (ص + ح)، أي: صوت صامت وحركة قصيرة، ومثاله المقطع الأوّل من (كتب).

المقطع المتوسّط: وهو إمّا: مفتوح (ص + ح) يتكوّن من صوت صامت وحركة قصيرة وصوت صامت. ومثاله المقطع الأوّل في (يكتب).

وإمّا مغلق، وهو الذي يتكوّن من صوت صامت وحركة طويلة. ومثاله المقطع الأوّل في (كاتب).

المقطع الطويل وهو ثلاثة أنواع: الطويل المغلق، والطويل المزدوج الإغلاق، والبالغ الطول المزدوج الإغلاق.

والأوّل يتكوّن من: صوت صامت، وحركة طويلة، وصوت صامت، وصوت صامت. ومثاله المقطع الثاني في (بر) بفتح الباء.

والثاني يتكوّن من: صوت صامت، وحركة طويلة، وحركة صامت، وصوت صامت. ومثاله المقطع الأوّل (مَهَام).

والثالث: صوت صامت، وحركة طويلة، وصوت صامت. ومثاله المقطع الأوّل في (ضالّين)^(٣٦).

بيد أنّنا عندما نتحدّث عن النظام المقطعيّ في اللهجات، ربّما لا تتفق هذه القواعد التي وضعها علماء الصّوت؛ إذ يرى (د. كمال بشر) أنّ اللهجات العامّة والمحليّة ليس لها نصيب من هذا النظام مهما كانت درجة قربها أو بعدها من العربيّة الفصيحة، بل لها نظمها الصوتيّة الخاصّة^(٣٧).

ومن هنا، فما نحن بصددّه الآن هو ما يتعلّق ببعض النظام المقطعيّ في لهجة بني مالك؛ إذ إنّ الملاحظ أنّنا نجد في بعض الألفاظ خروجاً عن النظام المقطعيّ لكلمات، مثل: (نَعَجَة، وَنَخْلَة، سَخْلَة)؛ إذ إنّ هذه الألفاظ تُقرأ بسكون الصّوت الثاني، وهو العين والخاء في هذه الألفاظ، أي إنّها تُلفظ على وفق النظام المقطعيّ بمقطعين فقط. بيد أنّهم يلفظونها بتحريك الصّوت الثاني لتكون: (نَعَجَة، وَنَخْلَة، وَسَخْلَة)، أي: بثلاث مقاطع صوتيّة، اثنان قصيران والثالث متوسّط. وهي قريبة من مقاطع الأفعال الماضية، مثل: كتب ورسوم، وغيرهما من الأفعال على وزن (فَعَلَ). ومن هنا، فإنّ هذه الظاهرة مما يميّز هذه اللهجة عن غيرها من مجاوراتها في المنطقة والمركز؛ إذ إنّهم يلفظونها على وزن (فَعْلَة) بسكون العين، وليس (فَعْلَة).

وكذلك في الفعل الماضي المتصل بتاء الفاعل؛ إذ إنّ المقطع الصوتي للفعل: زرعت: (ص ح) (ص ح ص) (ص ح).

وفي اللهجات المقاربة يكون الرسم المقطعي لهذا الفعل:

(ص ح) (ص ح ص) (ص).

وفي لهجة بني مالك، يقولون: (زرعيت): (ص ص) (ص ح ح) (ص)، و(لعبيت)، أي: لعبت، و(سمعيت)، أي: لعبت..

وهناك تغير في النطق المقطعي لبعض الأسماء المشتقة، مثل قولهم: (مصعاد، ومكعاد)، فالأوّل يعني: مصعد، على وزن مَفْعَل من صعد يصعد، أي: درج. وغالباً ما يكون هذا المصعد مصنوعاً من اللبن. والثاني هو مكان الجلوس، أي: مقعد، تحوّلت إلى مكعد، ثمّ تغير المقطع إلى مكعاد.

مصعاد: (ص ح ص) (ص ح ح) (ص) بثلاثة مقاطع، وهي بالأصل: مصعد تنطق بمقطعين: (ص ص) (ص ص).

وكذلك في نطق اسم المفعول، مثل: (مصيوب)، أي: مصاب من أصاب يُصيب، فهو مصاب، وهكذا تنطق في اللغة الفصيحة، وكذلك في أكثر اللهجات العراقية. وتنطق في هذه اللهجة (مصيوب): (ص ص) (ح ح) (ص)، وبالأصل هي: مصاب: (ص ح) (ص ح ص).

الخاتمة

توصّل الباحث بعد الجولة السريعة في أروقة الظاهرة الصوتيّة لل لهجة بني مالك إلى بعض النتائج المتواضعة، وهي:

- لهجة بني مالك في شمال البصرة لها حدودها وميّزاتها المعروفة بين اللهجات المجاورة، ويستطيع سكّان اللهجات المجاورة تمييزها بسهولة. ومن المفيد القول إنّ اللهجات المجاورة لهذه اللهجة هي مختلفة نوعاً ما بسبب اختلاف أنماط السكّان الموجودين في هذا المحيط. وهو محيط قضاء القرنة، والقرى، والنواحي، والبلديات القريبة منه.

- للبيئة الزراعيّة أثر في توجيه اللهجة؛ إذ إنّ الحياة البسيطة تُعطي لغة بسيطة في غالب الأحيان، ولما كانت بيئة اللهجة المدروسة من هذا النمط، فإنّنا وجدنا لهجة تتسم بالبساطة والبحث عن الأصوات السهلة.

- إنّ قانون السهولة واليسر من أهمّ القوانين التي تحكم جملة من الظواهر الصوتيّة الموجودة في هذه اللهجة فضلاً عن كثير من اللهجات؛ إذ يحتاج الإنسان الذي يعيش حياة الزراعة والرعي أن يتعامل مع الآخر ببساطة وسهولة لإتمام التواصل اليوميّ دون مشقّة وعناء.

- يُشكّل الإبدال ظاهرة من الظواهر الرئيسيّة في اللهجة المدروسة؛ إذ إنّ

قانون السهولة واليسر يضغط على المتكلم لإيجاد أسهل الأصوات، ومن ثم يقوم بإبدال الأصوات الصعبة إلى أصوات سهلة.

- يشكّل صوت القاف ملمحاً لهجياً متميّزاً في هذه اللهجة؛ إذ إنّهُ يتعرّض للإبدال في أكثر من صوت هروباً من صفاته الصعبة، ومن أكثر الأصوات بدلاً لصوت القاف في هذه اللهجة هو صوت الجيم الفصيحة للأسباب التي ذكرناها، ثمّ الأصوات الأخرى. وهذه الظاهرة وإن وجدت في أغلب اللهجات العربيّة، بيد أنّها متميّزة بميزات معيّنة في هذه اللهجة.

- وجدت في هذه اللهجة ظاهرة القلب في الكلمة الواحدة، وهي ظاهرة قليلة الحصول إلّا في بعض الألفاظ الخاصّة بهم؛ إذ تُعدّ مميّزاً لهذه اللهجة.

- ظاهرة المماثلة موجودة، ولكن بشكل غير منضبط، على شكل قانون؛ إذ إنّ تأثير الأصوات على بعضها موجود في لهجتهم. وهناك ظواهر أخرى مقاربة تدخل تحت عنوان التأثير بين الأصوات، ولا يجمعها إلّا عنوان الميل إلى الكسر، وهو ما وجدته ظاهرة بارزة وواضحة في كثير من الأصوات.

- يميل أهل هذه اللهجة إلى تمطيط الصّوت ومدّه أكثر من اللازم، وبخاصّة الأصوات اللّينة؛ وذلك لفسح المجال أمام المتكلم بإيصال الكلام إلى أبعد مسافة ممكنة، وذلك بإضافة صوت المدّ الواو أو الياء صوتاً زائداً على أصوات الكلمة ليتّسع فضاء الكلمة أو الجملة.

- وجدنا في هذه اللهجة اختلافاً في نطق بعض الألفاظ بحسب النظام المقطعيّ الصوتيّ.

الهوامش

- ١- اللهجات العربيّة، د. إبراهيم أنيس: ص ١١.
- ٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٣.
- ٣- يُنظر: دراسة اللهجات العربيّة، داود سلّوم: ص ٦-٧.
- ٤- يُنظر اللّسانيّات، مقدّمة إلى المقدّمات، جين إتشسن: ص ٢٣٤.
- ٥- يُنظر: اللّغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي: ص ٣١٣.
- ٦- يُنظر: في اللهجات العربيّة، إبراهيم أنيس: ص ٢١.
- ٧- يُنظر: اللهجات العربيّة: ص ٧١.
- ٨- اللّسانيّات، مقدّمة إلى المقدّمات، جين إتشسن: ص ٢٤٣.
- ٩- يُنظر: التطوّر اللّغويّ: ص ٧٦-٩٣.
- ١٠- الصّاحبيّ، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ): ص ٣٣٣.
- ١١- يُنظر: علم الأصوات، كمال بشر: ص ٢٧٦.
- ١٢- يُنظر: علم الأصوات، كمال بشر: ص ٣١١.
- ١٣- يُنظر: علم الأصوات: ص ٢٨٢.
- ١٤- يُنظر: الصّاحبيّ، ابن فارس: ص ٣٦.
- ١٥- يُنظر: علم الأصوات: ص ٣٠٣.
- ١٦- يُنظر: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربيّة، ت. م جونسون، ترجمة: د. أحمد الضبيب: ص ١١٥.
- ١٧- الأصوات اللّغويّة: ص ٧٣.
- ١٨- يُنظر: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربيّة: ص ٩٩.
- ١٩- يُنظر: علم الأصوات: ص ٣٣٦.
- ٢٠- يُنظر: علم الأصوات: ص ٣٣٧.

- ٢١- يُنظر الأصوات اللغوية: ص ٤٥.
- ٢٢- يُنظر علم الأصوات: ص ٢٩٨.
- ٢٣- يُنظر دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ص ٩٢.
- ٢٤- يُنظر اللهجات العربية: ص ٩٢-٩٣.
- ٢٥- يُنظر الصّاحبي: ص ٣٢٩.
- ٢٦- يُنظر المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٣٦٧.
- ٢٧- يُنظر دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ص ٢٣٤-٢٣٥.
- ٢٨- يُنظر الأصوات اللغوية: ص ١٢٨.
- ٢٩- يُنظر لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطليبي: ص ١٣٧.
- ٣٠- يُنظر المصطلح الصوتي عند علماء العربية، د. عبد القادر مرعي: ص ١٣٣.
- ٣١- يُنظر الأصوات اللغوية: ص ١٤٥.
- ٣٢- يُنظر الامالي للقالبي: ١/ ١٤٣.
- ٣٣- يُنظر دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح: ص ٧٣.
- ٣٤- يُنظر: الأصوات اللغوية.
- ٣٥- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التّواب: ص ١٠١.
- ٣٦- يُنظر علم الأصوات: ص ٥١٠ - ٥١١.
- ٣٧- يُنظر المصدر نفسه: ص ٥٠٨.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأصوات اللّغويّة، د. إبراهيم أنيس، مطبعة محمّد عبد الكريم حسّان، مصر، (د.ت).
- ٣- الأمالي، ويليّه الذّيل والنوادر، لأبي عليّ، إسماعيل بن القاسم، القالي (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٢٦م.
- ٤- التطوّر اللّغويّ مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التّوّاب، الشّركة الدّوليّة للطباعة، القاهرة، بيروت، ط ٣، ١٩٩٧م.
- ٥- دراسات في فقه اللّغة، صبحي الصّالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١١، ١٩٦٨م.
- ٦- دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربيّة، ت. م. جونسون، ترجمة: د. أحمد الضّبيب، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.
- ٧- دراسة اللّهجات العربيّة، داود سلّوم، المكتبة العلميّة، لاهور، باكستان، ط ١، ١٩٧٦م.
- ٨- الصّاحبي، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: أحمد الصّقر، دار إحياء الكتب العربيّة، (د.ت).
- ٩- دراسة الصّوت اللّغويّ، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ١٠- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.
- ١١- اللّسانيّات، مقدّمة إلى المقدّمات، جين اتشنسن، ترجمة: عبد الكريم محمّد جيل، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠١٦م.
- ١٢- اللّغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخليّ، المطابع الأميريّة، القاهرة، ٢٠١٤م.
- ١٣- لهجة تميم وأنرها في العربيّة الموحّدة، غالب فاضل المطليبي، منشورات وزارة الثقافة العراقيّة، ١٩٧٨م.

- ١٤ - اللّهجات العربيّة، د. إبراهيم أنيس، دار الفكر العربيّ (د.ت).
١٥ - المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدّين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، ضبط وتصحيح
فؤاد عليّ منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٨ م.
١٦ - المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة: د. عبد العزيز الصّبيغ، دار الفكر، دمشق،
سوريا، ط ١، ٢٠٠٠ م.

الشيخ إبراهيم فرج الله
حياته وشعره

Sheikh Ibrahim Faraj Allah

His Biography and Poetry

م.د. وسام جمعة لفطة المالكي
جامعة البصرة / كلية التربية / القرنة

Dr. Wissam J. Lafta Al-Maliky, Lecturer
College of Education, Qurna, University of Basra

ملخص البحث

يسلّطُ بحثنا الضوءَ على شخصيةٍ بَصْرِيَّةٍ لها تأثيرٌها وأثرٌها الواضحُ في مختلفِ ساحاتِ العلمِ، ومجالسِ المعرفةِ، والخطابةِ الحسينيةِ في النصفِ الثاني من القرنِ العشرين، فقد عُرِفَ الشيخُ إبراهيمُ ابنُ الشيخِ مالكِ ابنِ الشيخِ لطيفِ فرجِ الله بوصفه أحدَ أعلامِ أسرةِ (آل فرجِ الله) أسرةِ العلمِ، والأدبِ، والفقاهةِ، والزَّعامةِ الدينيَّةِ في مناطقِ (جزائرِ البصرة)، وهي ما عُرِفَ بعد ذلك بقضاءِ القُرنةِ، وتبعَ بعدها إداريًّا بقضاءِ (المُدَيَّنة) في الوقتِ الحاضرِ شمالِ محافظةِ البصرةِ، وقد نشأ الشيخُ فيها نشأةً علميَّةً بارزةً على أيدي شيوخِ أسرتهِ ورجالاتها الذين عُرِفوا كذلك بالعلمِ والأدبِ والخطابةِ، حتَّى غدا شاعراً متندِّراً، وخطيباً مفوَّهاً في صنوفِ المعرفةِ، و أفانينِ الكلامِ، وقد أردنا التعريفَ به شاعراً في طيّاتِ هذا البحثِ في ضمنِ ثلاثةِ مباحثٍ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

Abstract

This research paper sheds light on Sheikh Ibrahim bin Sheikh Malik bin Sheikh Latif Faraj Allah, the influential Basri personality that left its impact on various fields of science, knowledge, and Hussaini oration in the 2nd half of the 20th Century. Sheikh Faraj Allah has been one of the dignitaries of Aal Faraj Allah Family, known for their noticeable care for knowledge, literature, religious jurisprudence, and religious leadership. Their influence has been quite obvious in Jazaier (islands) of Basra, known later on as Qurna. Sheikh Faraj Allah grew up there as a prominent scholarly personality and then as a competent poet and a rhetorician. The present study seeks to highlight him as a poet in three sections.

المبحث الأول

موجز تاريخ آل فرج الله

ليس من اليسير التعريفُ بأسرة (آل فرج الله) تعريفاً وافياً شاملاً؛ لتعرض تاريخهم، وما دوّنه أجدادهم من سير، وأشعار، ومواقف، وأسرار، ومخطوطات، ومؤلفات إلى النهب، والسَّرقة والمصادرة إبان القمع البعثي؛ إذ أقدمت مؤسسات السُّلطة الصِّدامية الغاشمة على اعتقال كثيرٍ من رجالات هذه الأسرة، فضلاً عن مصادرة مكتباتهم الشخصية^(١)؛ لذلك ستكون مصادر تاريخ هذه الأسرة مصادر نقلية - في غالبيتها - اعتماداً على ما تحتزنه ذاكرة المعاصرين لها، فضلاً عن بعض الكتب التي تعرضت لتأريخ شمال البصرة، أو قضاء المدينة على وجه الخصوص.

ومنذ أربع مائة سنين وزيادة، تربعت هذه الأسرة على عرش الزعامة الدينيّة، والاجتماعيّة في منطقة البطائح (جزائر البصرة) في جنوب العراق، التي كان لها دورٌ بارزٌ ومؤثّرٌ في الحياة السِّياسيَّة، والاجتماعيّة منذ العصور القديمة، مروراً بالعصرين الإسلاميّ والحديث، فضلاً عن المعاصر^(٢)؛ إذ كانت مسرحاً للعديد من حركات التمرد ذات السِّمة الثوريّة التي قاومت سلسلة الاحتلال التي تعرض لها العراق عبر أزمائه المختلفة.

وأما تسمية هذه المنطقة الجغرافية بالجزائر، أو ما تعرّف على السنة أبنائها بـ(الجزاير)؛ فلكونها منطقة أهوار ومستنقعات مائية كثيرة، ويذكر فتح الله الكعبي أنّ المنطقة «علمٌ لمواضع كثيرة، أولّها قرية بني منصور، وبني حميد ونهر عنتر، ونهر صالح، وديار بني أسد، وديار بني محمّد، والفتحيّة، والقلاع، ونهر السّبع، والباطنة، والمنصوريّة، والإسكندريّة، وينتهي شمالاً إلى كوت معم»^(٣). ويبدو أنّ ديار بني أسد التي ذكرتها المصادر هم ذاتهم القبيلة العربيّة التي تنتمي إليهم أسرة آل فرج الله، وينقل الكاتب عبد الله السّامي العمانيّ في عام (١٣٧٩هـ) أنّه اشترى نسخة خطيّة من كتاب المبسوط للشيخ الطوسي، وقد وجد في آخر الكتاب أوراقاً بخطّ الشيخ فرج الله ابن الشيخ محمّد عليّ أحد أجداد الأسرة، وهي من مؤلّفات أخيه الشيخ شريف فرج الله، بعنوان (مختصر تاريخ إمارة ربيعة)، يتحدّث فيه عن قيام إمارة ربيعة في الجزائر بمنطقة التيمار من نهر عنتر، وذلك لنزول جدّ العائلة الأمير مخزوم في تلك المنطقة^(٤).

والذي يذكره المؤرّخون عن أحوال هذه المنطقة الجغرافية أنّها على الرّغم من نأيتها عن المدن، والخواضر العلميّة العربيّة، إلّا أنّها توفّرت على وجود مساجد، وحلقات علم، وفقهاء، ومجالس أدبيّة، ومدارس دينيّة^(٥)، وقد برزت عدّة أسماء علمائيّة تجاوز صيتهم بيئتهم المحليّة، كالسيدّ نعمة الله الجزائريّ، وولده السيّد عزيز، والشيخ محمّد بن عبد الحسين الجزائريّ، والشيخ عبد النبي الجزائريّ، الذي وصفه السيّد نعمة الله الجزائريّ بـ (خاتمة المجتهدين)^(٦).

ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ الشيخ عبد النبي، ووالده الشيخ صالح هما من أجداد أسرة آل فرج الله، مروراً برجالات الأسرة الآخرين، كالعلامة فرج الله

الكبير الملقب بـ (العلامة المقدّس).

وقد تعرّض رجال هذه الأسرة إلى استبداد الحاكمين بدءاً من حكومة أفراسياب التركيّ، وانتهاءً بعصر البعث الدّمويّ، الذي أعدم ما يقرب من (سبعة عشر رجلاً) أغلبهم من طلبة العلوم الدّينيّة، والخطباء، والأساتذة، وشرّد آخرين منهم في أصقاع مختلفة من العالم.

وكان من أشهر رجالات الأسرة في الثلث الأوّل من القرن المنصرم، وقد عُرفوا من قبل مَنْ عاصرهم بجملة كراماتٍ وألطف إلهيّة، وهم: الشّيخ سعد، والشّيخ حسين، والشّيخ كاظم، وغيرهم، فالشّيخ سعد الذي خرج بالناس بعد أن فتك بهم الطاعون إلى العراء، والناس تؤمّن على دعائه، ثمّ سجد طويلاً، وما إن رفع رأسه من السّجود حتّى كشف البلاء عن المنطقة^(٧)، ويشهد بذلك النّاس الذين عاصروه.

ومن أشهر مشايخ الأسرة الذين عُرفوا بنظم السّعر:

- الشّيخ محمّد الشّيخ جواد.

- الشّيخ عبد الرّحيم.

- الشّيخ محمّد جواد.

- الشّيخ إبراهيم الشّيخ مالك.

- الشّيخ حسن الشّيخ محمّد.

- الشّيخ عبد الخالق الشّيخ إبراهيم.

أمّا من أبنائهم المحدثين ممّن عُرفوا بالسّعر، فهم: الشّيخ ضياء ابن الشّيخ عبد الرزّاق المعروف في الأوساط الأدبيّة بـ (فرات الأسديّ)، والشّيخ محمّد تقي نجل الشّيخ محمّد جواد، وأنور فرج الله، وحسن فرج الله.

المبحث الثاني

حياة الشاعر الشيخ إبراهيم فرج الله

إبراهيم بن مالك بن لطيف بن شريف بن عبد النبي بن صالح فرج الله، يمتدّ نسبه إلى الشيخ عليّ بن الحسين صاحب المقام المشهور في منطقة الصبّاغية في قضاء الجبايش محافظة الناصرية، ابن الشيخ أحمد المتوّج، الذي قال عنه السيّد نعمة الله الجزائريّ: (تشرّفْتُ بالصلاة خلفه)، وقد ولد الشيخ إبراهيم في قرية الخاصّ التابعة لناحية الهوير سنة (١٩١٤م)، وتوفّاه الله سنة (١٩٩٣م) عن عمر ناهز الثمانين، عُرف بمواهبه في سنّ مبكّرة، وتلمذ على أبيه، فأتقن الفقه، واللّغة، والأدب، والخطابة، وارتقى المنبر في بدايات فتوّته وشبابه، ودرس مقدّمات العلوم الحوزوية على يد جدّه الشيخ درويش، ومبادئ العربيّة على يد عمّه الشيخ محمّد أمين، وعُرف عنه ذكاؤه وقوّة حافظته، حتّى أنّه حفظ كتاب الأجروميّة في ليلة واحدة.

ومّا رواه الشيخ لأسرته بعد خروجه من السّجن أنّ أحد ضبّاط أمن مديرية أمن البصرة، وهو فلسطينيّ الجنسيّة، قد أُعجب بثقافته، وحين سأله عن تحصيله الدّراسيّ، وعن أيّ مدرسة تلقّى، كان جواب الشيخ له بالنفي، فأوعز إلى مدوّن الإفادات: أن اكتب أنّه تلقّى علومه من أفواه الرّجال...

له في منتديات النّجف وأندية البصرة مشاركات عديدة، ونتائج مجيدة في مدح أهل البيت (عليه السلام)، وله في الإخوانيّات، والشّوقيّات، والمدائح، والمراثي والتهاني، ضاع قسم منها، وبقي الآخر مخطوطاً في خزانة العائلة الأدبيّة. كتب الشّعْر بالنمطين: الفصيح والدّارج، وعُرف بذائقته الأدبيّة المميّزة، حتّى أصبح ناقدًا متدوِّقاً الشّعْر بطريقة فريدة، متلمّساً أغراضه الفنيّة، مبيّناً رأيه الحصيف في توجيهه وتقويمه.

دخل السّجن مرّتين أسوة بأقرانه ورفاق الدّرب، من أمثال: الشّيخ عارف البصريّ، والشّيخ حسن فرج الله، والسّيّد نوري طعمة، والسّيّد مير محمّد، والشّيخ عبد الكريم فرج الله، والشّيخ فرج الله الشّيخ حسن، وغيرهم، والمرّة الثالثة التي دخل فيها السّجن كانت عقب انتهاء الانتفاضة الشّعبانيّة، وقد تعرّض إلى مضايقات كثيرة من قبل النظام البعثيّ بسبب خطابه المميّز؛ إذ كان خفيف المؤونة، كثير الفائدة، يراعي في خطبه (لكلّ مقام مقال)، حتّى عُرف عنه سرعة البديهة في اختيار عنوان المحاضرة وموضوعها حال صعوده المنبر.

كان له حضوره الاجتماعيّ المميّز، وهو ذو كاريزما مكّنته من ممارسة دوره الاجتماعيّ الإصلاحيّ في عموم مناطق محافظة البصرة والعمارة والناصرية وبغداد وكربلاء، وغيرها، فضلاً عن حلّ النزاعات الاجتماعيّة التي تنشأ بين أبناء القبائل.

أسهم كذلك برفقة بعض الفضلاء في حثّ المعنّين بتوفير الخدمات من ماء وكهرباء ومستوصفات طبيّة ومدارس، وغيرها، لأبناء مدينته.

فقد الشّيخ ولدين من أولاده، الأوّل: الشّهيد عبد الحسين، والثاني: الشّيخ

عبد الخالق، لكنّه برباطة جأش احتسبها عند الله شهيدين سعيدين، ثمّ أبناء أسرته وعمومته بين طبيب وأستاذ وعالم وأديب.

تعرّض وسائر أقرانه من خطباء المنبر الحسينيّ إلى السّجن والتعذيب ومختلف وسائل القمع، حتّى سُقي السّم بعد منتصف الثمانينيّات، فمكث ملازماً الفراش، حتّى شُفي بعد سنة من العلاج، ولم تُثنه كلّ المحن والابتلاءات والفقد والمعتقلات عن مواصلة السّيرة ومتابعة المسيرة، حتّى آخر أيّام وفاته سنة (١٩٩٣م)، وقد أحدث موته أثراً واضحاً بين أبناء المحافظة، وشهد تشييعه حضوراً لافتاً لم يُشهد من قبل، حتّى أدّى إلى تدخل قوّات الأمن، وحزب البعث، وأفواج الطوارئ، لتفريق الجموع المشيعة.

ورثاه أحد أحفاده مؤرخاً وفاته بقصيدة كان آخرها:

ولهت أسرتي فمنها رجالٌ ونساءٌ قد غادروك بُكيّاً

ونعتك الديارُ شجواً فأرّخ (أخليت إبراهيمها الأسيّاً)

ترجم له عدد من المؤرّخين المحدثين، منهم الشيخ الدكتور محمّد صادق الكرباسيّ في دائرة المعارف الحسينيّة، معجم خطباء المنبر الحسينيّ^(٨)، والباحث نزار عبد المحسن المنصوريّ في كتابه: النصر لشيعة البصرة^(٩)، والباحث الدّكتور عبد الباسط الدرويش في كتابه: معجم شعراء البصرة^(١٠).

المبحث الثالث

الشيخ إبراهيم فرج الله شاعراً

تميّز الشيخ إبراهيم بحافظة قويّة للشعر وغيره، ونظمه في مختلف ألوانه، وفنونه، فضلاً عن الخواطر الأدبية، والشعر الشعبي (العامي)، منشداً إياه في المحافل والأندية الأدبية في البصرة والنجف، وغيرهما، ونحن لا ندّعي - في بحثنا هذا - أننا نقدّم تراثه الشعريّ كاملاً؛ ذلك - كما ذكرنا - في طيّات البحث لتعرّض تراثه والعائلة إلى النهب من النظام البائد، لكنني استطعت أن أحصل على نماذج شعرية في موضوعات شعرية مختلفة من مدّخرات الأسرة التي يحتفظ بها حفيده الشيخ مالك فرج الله، وقد صنّفناها بحسب موضوعاتها إلى:

١- المديح:

نظم الشيخ في المديح قصائد كثيرة، جاء أكثرها في مديح عترة النبي محمد ﷺ، فقد قال في مدحه عليه السلام:

أشرفت أرض مكة وسماها وزهت بابتهاجها وسناها
واستطالت على السماء علواً وفخاراً قبلها وعلاها
وزاها الروض بالبهاء وغنت بفنون من الهوى ورقاها
وعلى الزهر بلبل البشر يشدو بأناشيد أطربت من وعائها

واستمال النفوس شوقاً فمالت
وهي في نشوة الهنا فدعاها
وحباها من الجزاء فقامت
غمر الله أرض مكة زهواً
فلمن صدق النبوة طوبى
ياذوي العقل والفضيلة بشرى
مولدٌ كان للفضيلة أساً
وبمعناه منطوٍ معناها

وقال في مديح أمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً:

أحسنت يا خير امري صاغ العلى
فيما نظمت من القريض وترجي
فابشر فكل من ارتضى حبّ الولا
وقال في الإمام علي عليه السلام أيضاً:

أبى الله إلا أن يُفْضَلَ حيدرًا
وفي محكم التنزيل نصّ على اسمه
فمن ذا يضاها المرتضى علم التقى
وتوراة موسى والزبور كلاهما
عليّ وليّ الله بعد رسوله
فيا سامعي هيا معي نقتدي به
ويا حائرًا في كنهه أقصر المدى
عليّ هو النور الذي يهتدى به

فصيره ذكرًا على ألسن الورى
وللنصّ حكم لا يُدافع بالمرأ
وفي نعت الإنجيل للخلق أخبرا
به أخبرا هل من بذلك ما درى؟
وليس يوالي الله من كان أنكرا
سئببك عن نهج النبيّ بما جرى
هو النور من نور الجلالة صورا
ومن يعش عن ذكره ليس مذكرا

فابليس طاووسُ السَّماءِ بزعمه وفي ظنِّه الأولى وما كان منكراً
فغن حَسِداً لما أبى في سجوده لآدَمَ وَلَّى صاغراً مُذْ تكبَّراً
لأنَّ عليّاً كان من نور ربِّه على عرشه خطَّ اسمه فتنوراً
لأهل السَّما والأرض صار خليفةً فيثرب نادته ومكَّة والقري
أخا العلم لا تجهل عليّاً وفضله فتصبح مخذولاً وتسي محقراً
ودع عنك ذاك الشكَّ والزم عقيدةً بها كنت ذا عقلٍ حَصيفٍ بلا مِرا
وإيَّاكَ أن ترتابَ فيه ولا تدع عدوك يُضللِكَ السَّبيل فتخسرا
إذا شئتَ أسبابَ النجاة فوالهِ تكن في الوري مولىً جليلاً مقدراً
وإن شئتَ أن تحيا حياةً كريمةً فصله تنل عزّاً وذخراً وأكثرأ
وإن شئتَ أن تهدي السَّبيل فمت به سعيداً لتلقى في القيامة مفخرا
إلى أن يقول:

إليك أبا السَّبطين يُهدى احتفالنا لآلِءِ نظمٍ كُنَّ فيك زواهرا
فخادمكم في الحشر يرجو شفاعَةً لتكفنه زُلْفى وتسقيه كوثرأ
وله قصيدة في مدح الإمام الحسين عليه السلام، يقول فيها:

يا ثالثَ الشَّهرِ من شعبانِ جئتَ لنا بمولِدٍ فيه للأنوارِ أنوارُ
بسيِّدٍ فيه عرشُ الله مزدهرُ تكادُ من نوره الأكوانُ تنهارُ
هو الحسينُ شفيعُ المذنبين ومن أحبه لم تنلُ جسماً له النَّارُ
وفي مديح الحسين عليه السلام، يقول كذلك:

أيها القائلون في الحفل بُشرى لكم من مقالةٍ حسناء
هذه اللَّيلةُ السَّعيدةُ فيها وُلِدَ السَّبْطُ سيِّدُ الشَّهداءِ

لو ترونَ السَّماءَ قَدْ طَبَّقَتْهَا ومضَّةٌ من جبينه بالسَّناءِ
لو ترونَ الجنانَ قَدْ زَيَّنَّوْهَا لموالي الحسين يا رُفَقائِي
ولهيب النِّيرانَ أُخْمِدَ فِيهَا وغشى أهلها مَهَبٌ هَوَاءِ
مولدٌ بين فاطمٍ وعليٍّ قَدْ تَسَامَى عُلىَّ على الجوزاءِ
وبحجر الحسين طفلاً تَرَبَّى ونما فيه يا لَهُ من نماءِ
لحسين الفداء نفسَ براها خالِقُ الخلق منه كبش فداءِ
وبنفس الحسين لطفٌ تَجَلَّى عَجِبْتُ مِنْهُ أَنْفُسُ الحُكَمَاءِ
فهو من نور ربِّه فيضٍ قدسٍ كان فخراً لسالف الأنبياءِ

.....

وفي مدح الإمام المهديّ عليه السلام، قال:

يا ابن طه فدتكَ نفسي حقاً ونفوس الورى إلى مَ الخفاءِ
قَدْ صَبَرْنَا على المكاره حيناً ليس تجلى وفي العيون قذاءِ
أَسْدَلُ الجَهْلُ ظِلَّهُ كظلامٍ مُسَدِّفٍ فالورى به عشواءِ
فَأَعَثْنَا فليس غيرُكَ غوثاً وأجرنا فقد علانا البلاءِ
ليس إلَّا بنور وجهك تجلى يا أبا العدل هذه ظلماءِ
جُدْ عليهم بالفضلِ أنتَ جوادٌ منك لا من سواكَ تُروى الظماءِ

.....

٢- الرثاء:

أغلب مراثي الشيخ إبراهيم كانت في بكاء أفراد أسرته من الذين توفاهم الله،

أو أُعدموا في زمن النظام البعثي، ويجد القارئ فيها اللوعة والحزن، والبكاء، وصدق المشاعر؛ إذ كانت تأتي بطريقة عفوية دون تكلف، وقصائده هنا بنات الأحداث التي مرّ بها الشاعر في فقدته أولاده، وأبناء عمومته، وعلماء المذهب والعراق، إبان الحكم البعثي، وتطالعنا إحدى قصائده التي نظمها قبيل تشييع ولده الخطيب الشيخ عبد الخالق عام (١٩٨٤م)، وقد خيف عليه وقتها، يقول فيها:

أيا ولدي يا قرّة العين والذي	به لحياي روحها ورجاؤها
لماذا وقد أوهيت مني قوتي	بفاجعة كبرى يحلّ بلاؤها
وفيم وقد أفنيت صبري مطلقاً	وقد سال من شؤبوب عيني ماؤها
وأودعني ما قد أنوء بمفردي	نوائحك اللائي يطول عزائها
وحملتني ما لا أطيق من البكا	فحقّ لعيني أن يفلّ وجاؤها
أيا ولدي هلاً رحمت صبابتي	وقد أخذت مني السنين ذماؤها
أيا ولدي ماذا تقول وقد غدت	ديارك بالأحزان يُشجي نداؤها
وقد سامرتني يوم كنت نديمها	وها هي باكٍ صبحها ومساؤها
ديارك والإخوان سيان حزنها	رجالاتها تبكي وتنعى نساؤها
بك النفس هلكت أو أبوء بغصّتي	كأنك خافٍ عنك ما كان داؤها
لقد كنت في الحسبان أنت بقيتي	ففارقتني والنفس أعياء داؤها
فما عشت لا أنسى مرارة فقدكم	لك الروح ظمأى أو يجاب دعاؤها
وهل كنت أنساكم بني وعدي	إلى حين يأتي بالمنية فاؤها
وهل كان لي في العيش بعدك مطمعٌ	إذا قيل تختار الردى قلت هاؤها

وما خلّنتي أهوى البقا بعد أسرتي وأستلهم السلوان حيث بقاؤها
ففاجأني موت العميد بحالة لها يتلاشى من حشاي رداؤها
فيا لرزايا قد دهنني عجالة ويا لحياتي إذ يدوم بكاؤها
ويا لديارٍ أوحشتها صروفها وها هي تنعاه بحزنٍ فناؤها
لعيني حقّ إذ تسيل دموعها على أسرةٍ بالعلمٍ شعّ سماؤها
فقف نبكها يا صاح بعد فراقها فليس يزين الدّار إلا ضياؤها

.....

وقال راثياً العلامة آية الله الشيخ محمد حسن المظفر رحمته :

حيناً أرى البشر والأحزان أحيانا فكيف تأمن يا ذا العقل دنيانا
إذا تأملت دنيا ملؤها غيرٌ أرتك من صورِ المكروه ألوانا
فكيف بي وعظيم الخطب طوّفتني ولم أجد لعظيم الخطب سلوانا
إذ كلُّ يومٍ من الأيام تدهشنا بالنعي فاجعةً والخطب ينعانا
أما ترى الكون والأفلاك قاطبة تردّد الحزن ألحانا فألحانا
لأنّهم فقدت كيوان زينتها ولم تجد بدلاً تدعوه كيوانا
فلتنعّ الأرض ولتبك السماء له لأنّ في فقدته للدين نقصانا
وليبكّه الملاء الأعلى وحقّ له يبكي على مثله بالدمع عقيانا

.....

وله قصيده في رثاء أحدهم، ويُظنُّ أنّه ولده الشهيد، يقول فيها:

أطلتُ التفكّر في أدمعي لأيّ مصابٍ جرت همّعي
وساورنَ قلبي إثر المصاب وتضطرمّ النّار في أضلعي

وقد طَوَّقَ الحزن جسمي أسيَّ لذا كدتُ أخرج عن موضعي
وعدتُ على أثر النائحات تطوَّح أصواتها مزمعي
فكيف لقلبي بسلوانه وقد كان في كلِّ وقتٍ معي
فهل أحدٌ مثله في الكمال من القلبِ حلَّ بذا الموقعِ
ويقول فيها كذلك:

أيا نورَ عيني ويا مؤنسي إذا ما خلونا إلى مفرعِ
لماذا تركت ربوع الدِّيار وها هي تنعاك بالأذرعِ؟
سلامٌ عليك من الواهات بصوتٍ ترنُّحه أدمعي

.....

٣- الغزل:

وله في الغزل أبيات لطيفة شفيفة المعنى، تنمُّ عن حسٍّ مرهف، وعاطفة تتحسَّس الجمال، وتصطفي لطائف التعابير، لتتناسب وموضوع الغزل، وقد كثر هذا الفنَّ عند الشعراء العلماء بصورة لافتة وجميلة، كالشريف الرضيِّ، والسَّيِّد الحبَّويِّ، وغيرهما، وقد علَّلها بعض النقاد بالنزعة الصوفيَّة، وبأنَّها رموز لجمال حبيب يتخفَّى وراء أبيات الشَّاعر، أو أنَّها رغبة منهم في طرق هذا اللون من الشُّعر، ونجد بعض المقطوعات الشعرية في هذا الشَّأن عند شاعرنا، يقول فيها:

خلعتُ وقارَ الشَّيبِ من فرطِ ما عندي

وجاوزتُ بالأشواقِ حدًّا بذِي دعدٍ

هوى النفس لا أخفيك قد مزَّق الحشى
وبتُّ أُجِيلُ الطرفَ في ناعمِ الخدِّ
فيا عاذلي دَعْ عنكَ لوميَ جانباً
فقد سلبتني اللَّبَّ مشوقهُ القدِّ
إذا أقبلتْ كان الغرامُ حليفُها
وإنْ أدبرتْ هامِ الفؤادِ مِنَ الوجدِ
كأنَّ ثناياها إذا ابتسمتْ لنا
مِنَ اللُّؤلؤِ المنظومِ في القالبِ الهندي
تكادُ إذا ما لامستْ جسمَ مدنفٍ
تُعاودُهُ بالروحِ مِنْ رَقَّةِ الجلدِ

.....

ويقول في أخرى:
رأيتُ فتاةً في الطريقِ كأنَّها
من التَّيه والإعجابِ تمشي بلا فكرِ
تُحرِّكُ جناحيها إذا ما نظرتها
لتكشف عن صدرٍ مكلَّلٍ بالدُرِّ
وتبسم عن ثغرٍ كأنَّ جداره
لآلئ قد أفرغْنَ من صدف البحرِ
وترفع عن صدغي أفاعٍ كأنَّها
شرائطُ من تبرٍّ تموجُ على النحرِ

وَمِنْ سَعَةِ الْعَيْنَيْنِ حِينَ تَدِيرُهَا
يَشْدُ كَبِيرُ الْفَهْمِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
فَهَلْ كَانَ صَبْرِي بِصَرْفِ النَّفْسِ عَنْ هَوًى
فَأَحْيَا سَعِيداً أَمْ أَعُوذُ بِمَا صَبِرَ

.....

٤- العتاب:

وكتب معاتباً الشيخ محمد جواد فرج الله، وكان الأخير قد بعث برسالة من
النحف يخص فيها أسماء من الأسرة من دون ذكره فيها:

لَعَمْرِي مَنْ كَانَ الْغَرِيُّ مَقْرُهُ وفيما يرى أَنَّ المحيط به العلمُ
وَمَنْ يَكُنْ الْإِيمَانُ قَدَمًا لَهُ أَبًا ومنشؤه الأخلاق وهي له أُمُّ
وَمَنْ يَكُنْ الْإِحْسَانُ فَرْشَ مَنَامِهِ ومطلعه الإسلام وهو به نجمُ
إِذَا طَلَبَ الْإِخْوَانُ مِنْهُ نَوَالَهُ أجابَ وإنَّ منهم بلبته كلمُ
لِمَاذَا عَلَيْنَا بِالسَّلَامِ بِخَلْتُمْ ونحن لكم في كلِّ أوقاتكم سلمُ

.....

٥- التهاني:

ونجد في هذا الفن كذلك قصيدة يهنئ فيها السادة آل السيد سلطان بزواج
ولدهم، يقول فيها:

أَدْرِ الْكَأْسَ وَاسْقِنِي يَا سَاقِ فلقد هزني لسلمي اشتياقي
ذَاتَ وَجْهِ لَوْ فِي السَّمَاءِ جَعْلُوهُ كان للبدرِ نوره بوفاقِ

فعلى البعد لو ترى مقلتيها مثل نجمين في ذرى الآفاق
إلى أن يقول:

سادة المجد يفخر المجد فيكم (بمضيف) لآل سلطان باق
وبكم بالفخار يبلغ كعباً فالحمى من رقي هاشم راق
من ذرى هاشم وعبد مناف والذي كان للحجيج الساقى

٦- أغراض أخرى:

وهناك نماذج شعرية أخرى في أغراض مختلفة، نجده على سبيل التمثيل
نظم في أثناء مرضه الذي ألم به بعد أن سقي السم إبان الحملة على خطباء المنبر
الحسيني، فتورمت قدماه، وأصبح مقعداً يقول فيها:

ربّ إنّي أدعوك دعوة عبد خاضع خاشع من الإشفاق
مسني الضرّ والبلا غمّ روحي وسوى الله ما لها من راق
فاستجب يا كريم منّي دعائي فلقد كدرت حياتي ساقى
ليس لي غير أن أثّك شكواي وأدعو بدمعي الرّراق
قد سئمت الحياة لا ولدٌ عندي فيُدعى سوى النساء الرّقاق
خذُ بسقمي إليك أخذ كريم فلك المنتهى بعين البواقى

.....

ونجده في مقطوعة طريفة المناسبة والموضوع، يخاطب فيها امرأة تعمل في
دائرة الأمن أيام معتقله اسمها (سناء)، يحثّها على ارتداء الحجاب، فما كان منها
إلا احتجبت به بعد ثلاثة أيام، يقول فيها:

حصّني الوجه عفة يا سناء
واسدلي فوق جسمك الغضّ ثوبا
وتحلي بالمكرمات ليبقى
وارتدي حلة العفاف حجاباً
فالزمي الاحتشام فهو أمان
فلقد حصّن النساء إله الـ
زينب الطهر رغم تلك الرزايا
كم دعت في الطّفوف وهي مثال
لك بالمحصنات أسوة خير
إنما قيمة النساء الحياء
من عفافٍ ليعترِك البهاء
مشرق العهد وجهك الوضاء
تتملى على هُداك النساء
ودعي الابتذال فهو بلاء
عرش بالصّون، فالحجابُ نقاء
تشهد الأرض صونها والسّماء
فلها في مدى الحياة بقاء
وبفخر المخدرات اقتداء

الخاتمة

- لم تسبق دراستنا هذه أي دراسة أخرى تناولت حياة الشيخ الشخصية أو الأدبية، ما خلا بعض الترجمات الموجزة في بعض الكتب، ما جعل أغلب مادتنا التاريخية، أو جمع نصوصه الشعرية، قد اعتمد على النقل الشفاهي من حفدة الشيخ وأبناء أسرته، كالشيخ مالك فرج الله، والدكتور سعد فرج الله.
- ينتمي الشاعر الشيخ إبراهيم فرج الله إلى جيل الشعراء العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي المدة التي شهدت فيها الساحة الشعرية العراقية بروز شعراء كبار.
- ينتمي الشاعر إلى أسرة علمية انمازت بتقديم شخصيات علمية، وتربوية، وأدبية وذوي مواقف وطنية وتاريخية.
- كان للسمت الديني أثر واضح في شعره، سواء في الموضوعات الدينية والإرشادية التي استحوذت على القسم الأعظم من شعره، أم في غيرها.
- شكّلت مدائح أهل بيت النبي ﷺ القسم الأعظم ممّا بقي من شعره.
- كانت النبرة الخطابية جلّية بارزة في تراكيبه وموسيقاه، ما يدلّ على أنّ وظيفة الخطابة الحسينية متشربة في وجدانه وروحه **رحمته**.
- تميّز شعره الرثائي بالبكائية، واللوعة، وصدق الإحساس؛ بسبب معاناته

الحقيّة التي عايشها هو وأمثاله في حقبة الإجرام الصّدّاميّ البعثيّ، فضلاً عن فقدانه بعض أولاده وأبناء عمومته وأصدقائه من الخطباء ورجال العلم، الذين أعدموا، أو شرّدوا في تلك الحقبة.

- بدا شاعراً جميلاً شفيف العبارة، رقيق الألفاظ في شعره الوجدانيّ والغزليّ.
- يرى الباحث ضرورة تسليط الأضواء على الشخصيات الدنيّة، والأدبيّة من أمثال الشّيخ إبراهيم وأقرانه الذين ضاع أكثر تراثهم الشخصيّ والشّعريّ إبّان النظام القمعيّ السّابق.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله الطاهرين.

الهوامش

- ١- مقابلة شخصية مع حفيد الشاعر (الشيخ مالك فرج الله)، بتاريخ: ٢١/٨/٢٠١٧م.
- ٢- يُنظر: المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني (١٥٤٦-١٧١٨م)، حسام طعمة ناصر وزميله: ص ١٥، وما بعدها.
- ٣- زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر: ص ٣٧، وما بعدها.
- ٤- يُنظر: مختصر تأريخ إمارة ربيعة، الشريف شريف الجزائري، كتاب مخطوط: بلا.
- ٥- يُنظر: المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني: ص ١٣٩، وما بعدها.
- ٦- يُنظر: الأنوار النعمانية: ٤/ ٢١٠، وما بعدها.
- ٧- مقابلة شخصية مع حفيد الشاعر (الشيخ مالك فرج الله)، بتاريخ: ٢١/٨/٢٠١٧م.
- ٨- يُنظر: معجم خطباء المنبر الحسيني، الجزء الأول (دائرة المعارف الحسينية): ١/ ٢٦٤.
- ٩- يُنظر: النصر لشيعه البصرة، نزار المنصوري: ص ٣٠٢، وما بعدها.
- ١٠- يُنظر: معجم شعراء البصرة: ص ١٥.

المصادر والمراجع

- ١- الأنوار النعمانية، السيّد نعمة الله الجزائريّ، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٢- زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، فتح الله الكعبيّ، ط٢، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٣- مختصر تأريخ إمارة ربيعة، الشّريف شريف الجزائريّ، كتاب مخطوط.
- ٤- المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثمانيّ (١٥٤٦-١٧١٨م) دراسة في الأحوال السّياسيّة والاجتماعيّة، حسام طعمة ناصر ومشتاق عيدان اعبيد، مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة، ط١، منشورات العتبة العبّاسيّة المقدّسة، ٢٠١٥م.
- ٥- معجم خطباء المنبر الحسينيّ (دائرة المعارف الحسينيّة)، الشّيخ الدكتور محمّد صادق الكرياسيّ، المركز الحسينيّ للدراسات، لندن، ١٩٩٩م.
- ٦- معجم شعراء البصرة، أ.د. عبد الباسط خليل الدرويش، ط١، دار الرّافدين، بيروت، ٢٠١٧م.
- ٧- النصرة لشيعّة البصرة، نزار عبد المحسن المنصوريّ، مطبعة القلم، قم، إيران ١٤٢٣هـ.

تاريخُ جامع الميرزا في البصرة، والوقفات التابعة له

History of Al-Mirza Mosque in Basra and
Endowments Following it

م. عباس فالح حسن المرهون / جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم علوم القرآن

م.م. أحمد فرج فليح / جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abbas F. Hassan Al-Marhoon, lecturer

Department of Qur'anic Sciences, College of Education

for Human Sciences, University of Basra

Ahmad F. Flayyeh, assistant lecturer

Department of History, College of Education for Human

Sciences, University of Basra

ملخص البحث

إنَّ أوَّل بيت وضع للنَّاس للعبادة في مكَّة كانَ هو المسجد؛ إذ كان موضع اجتماع المسلمين والتقاءهم، يؤدِّي دوره في حفظ الإسلام، وتثبيت أسسه، ونشر تعاليمه وأحكامه، ففيه يتعلَّم المسلمون أحكامهم، ويتفقهون في دينهم، ويتلقَّون الإرشاد من وعظهم وعلمائهم، وإنَّ كان المقصد الأصيل من توقيف المساجد هو: إقامة الصَّلَاة فيها.

لقد مارست الحكومات الظالمة طرائق شتى لطمس تراث مدرسة أهل البيت عليه السلام وكلِّ ما يمتُّ إليهم بصلة، ومن ذلك مساجدهم ومدارسهم وحوزاتهم وحسينياتهم، فجاء هذا البحث ليوثِّق توثيقاً ميدانياً أحد الجوامع البارزة في التاريخ البصريّ، والرَّاسخة في وجدان مجتمعه، والمسَّمَّى (جامع الميرزا)، الذي تُقام فيه صلاة الجُمُعة منذ عام (١٨٨٨م)، وإلى يومنا هذا؛ وقد خلت كتب تاريخ البصرة المعاصرة من ترجمته بصورة فنيَّة لائقة.

سنحاول أن نسلط الضَّوء على هذا المعلِّم الحضاريّ والدينيّ البصريّ، فنتناول في البحث الأوَّل: تاريخ جامع الميرزا، ويتضمَّن أولاً: الموقع والتسمية، ثانياً: تأسيسه ومراحل إنشائه وتطوُّره العمرانيّ، والمتولِّين عليه، وأئمَّة الجُمُعة والجماعة فيه من أسرة آل جمال الدِّين، وترجمة سيرهم باختصار، ثالثاً: خدِّمة

الجامع ومؤذنه، وقراء القرآن الكريم، وقارئو التعزية الحسينية، رابعاً: زائر و
الجامع، وخامساً: نشاطاته الثقافية والفكرية، وغيرهما، سادساً: ديوانية الميرزا.
وسيتّرجم في المبحث الثاني أهم الوقفات التابعة للجامع، وهي:
الأولى (جامع أبو الحسن الصغير)، والغالب أنّه أُسس قبل عام ١٩٣٧ م.
والثانية: (حسينية ربيعة في كربلاء المقدسة)، والمؤسسة في عام ١٩٤٩ م،
ومراحل إنشائها وإنجازها ومصادرتها من أضرار النظام المباد، والخراب الذي
لحقها، واستعادتها من غاصبها، والموكب العزائي للجامع في أربعينية الإمام
الحسين عليه السلام.

والثالثة: (حسينية ربيعة في النجف الأشرف)، الموقع، ومراحل الإنشاء،
والأنشطة.

الرابعة: (الحسينيات المشاركة في موكب ربيعة)، وستسجّل الدراسة مسرداً
بأسماء الحسينيات التي تقع في البصرة، والمشاركة في تعزية موكب ربيعة في
حسينيتي كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، القديمة منها والمنشأة بعد عام
٢٠٠٣ م.

وأخيراً، سيُلحق بالمبحث صور للجامع والوقفات التابعة له.

Abstract

This research paper documents one of the outstanding mosques in the history of Basra, namely Al-Mirza Mosque. This mosque has been one of the first mosques to be established by Shi'ites in Basra in 1888. It has been carrying out its religious mission from that time up to now. The mosque is only scarcely mentioned in the books written on the history of Basra. The first section of the paper is about the history of the mosque: location, nomination, establishment, stages of construction, people in charge of it, Friday Imams of Aal Jamal Eddin and their careers, people serving the mosque, muddhens and reciters of Hussaini condolences. The paper tackles also the endowments affiliated to this mosque, namely husainiyyat.

المقدمة

من المفاهيم التي تزامنت ولادتها في الثقافة الإسلامية مع مصطلحها (المسجد)؛ إذ صار معناه ينصرف إلى المبنى الذي يُقيم فيه المسلمون الصلاة؛ ليتعارفوا، ويتدارسوا، ويتعاونوا، ويتوحدوا، ليستشعروا أنهم يقفون صفّاً واحداً بين يديّ الله جلّ وعلا.

وقد بدأت حركة بناء المساجد في التاريخ حيثما وجد المسلمون جغرافياً، فبناء المسجد يعبر عن هوية الأمة الثقافية، ويميّزها عن سواها من الجماعات والأقوام، فكان مكان عبادة اليهود (بيع)، ومكان عبادة النصارى (صوامع)، أما المسلمون، فقد وسم الله مكان عبادتهم بالمسجد في قوله تعالى: ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾^(١).

إنّ للمسجد أدواراً رسالية وحضارية ينهض بها في حياة المسلمين، فهو محراب العبادة، ومنار التوحيد، ومركز الصفاء الروحي، ومحور التوجيه الفكري، ودار العدالة، وملأ المحتاج، وملجأ المظلوم، ومحلّ تمجيد الله وإعلاء كلمته من خلال الصلاة، والدعاء، وتلاوة الذكر الحكيم، يقول تعالى في سورة النور: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٢).

المبحث الأول: تاريخ جامع الميرزا

أولاً: الموقع والتسمية

يُعدُّ جامع الميرزا من الجوامع القديمة في البصرة^(٣)، يقع في مركز البصرة القديمة محلة أبي الحسن (السَّيْمَر)، خلف بنايتي البلدية والأوقاف القديمتين، وبينه وبين شارع الجزائر الشهير محلة الخضراوية، وكان في السابق يحاذي الجامع - من المدخل - نهر يُعرف (بنهر التاورى)، وهو فرع عن نهر السَّيْمَر، رُدم بعد ذلك^(٤)، ويحدُّ الجامع من الخلف مدرسة عاصم الابتدائية حالياً. وفي هذه المحلة يقع جامع (محسن محاسن)، الذي يُعدُّ من أقدم الجوامع فيها؛ إذ يرجع تاريخ تأسيسه إلى عام (١٧٨٢م)^(٥).

واسم جامع الميرزا الأول هو جامع الإمام الصادق عليه السلام؛ سُمِّي بذلك تيمناً بإمام المذهب الجعفريّ أبي عبد الله الصادق (ت ١٤٨هـ) عليه السلام^(٦). استُبدل اسم الجامع بمسجد الجمعة في عام (١٩٧١م)، ومن أسباب تغيير اسم الجامع:

أولاً: تمويه السلطات الحكومية، وإبعاد الشبهات الأمنية حفاظاً على الجامع ومرتابه؛ إذ كانت فيه مكتبة عامّة تسمّى بمكتبة الإمام الصادق عليه السلام، وقد تعرّضت للمداهمة، وصُودر ما بداخلها^(٧)، وهذا في أثناء الاعتقالات العشوائية التي مارسها النظام الصداميّ المباد ضدّ أبناء العراق في سبعينيات القرن الماضي بسبب النشاطات الإسلامية الشبائية.

ثانياً: أنّ هذا الجامع لم تنقطع فيه صلاة الجمعة.

اشتهر المسجد بجامع الميرزا، وهو لقب عُرفت به أسرة آل جمال الدين^(٨)، أئمة الجمعة والجماعة الراتبين في المسجد إلى يومنا هذا. وإن التعبير بـ (الميرزا) يرجع إلى ما أفاده المحدث النوري في (خاتمة مستدرک وسائل الشيعة)، من أنه لقب للدلالة على السيادة؛ فإن (ميرزا) - كما صرح في (الذهان) - مخفف (أمير زائدة)، كما أن الأمير مخفف عنه، بل و(مير) أيضاً؛ ولذا يعبرون عن السادات في كتب الأنساب كثيراً بالأمير فلان أو مير فلان، وكلها إشارة إلى أنه من أولاد أمير المؤمنين عليه السلام. وقد بقي هذا المعنى للقب عند علماء الهند إلى يومنا هذا؛ فلا يطلقون (الميرزا) على غير السيد^(٩)، حتى أنهم يعبرون عن السادة الأشراف ممن اتصل نسبه بآل البيت عليهم السلام بالميرزا أيضاً، كالميرزا السيد حسن الشيرازي المرجع الكبير، والميرزا محمد الشهرستاني، والميرزا أبي القاسم المرعشي، والميرزا محمد تقي الطباطبائي التبريزي، وغيرهم^(١٠).

ثانياً: تاريخ التأسيس

ويمكن إجمال تاريخ تأسيس الجامع ومراحل إنشائه وإعادة بنائه وتجديده وأئمة الجمعة والجماعة - بعدهم المؤسسين والمتولّين على الجامع منذ تأسيسه إلى غاية اليوم - فيه على النحو الآتي:

أسس الجامع عام (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م)^(١١) عندما جاء السيد الميرزا حسين جمال الدين^(١٢) (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م - ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م)^(١٣) رحمته إلى البصرة واتخذها موطناً، ويُنقل أنه نزلها بعد وفاة أكبر أخوته وهو الميرزا محمد^(١٤)، الذي توفي عام (١٢٧٠هـ/ ١٨٣٢م)^(١٥)، وهذا اشتباه لا يستقيم حساباً؛

إذ إنّ الميرزا حسين ولد عام (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م)، وأخاه الميرزا محمد توفي (١٢٧٠هـ/ ١٨٣٢م)، فالفرق بينهما أحد عشر عاماً، فهل يُعقل أنّ الميرزا حسين وهو ابن أحد عشر عاماً نزل البصرة وبني مسجداً؟!

ولكنّ الأقرب إلى الصّواب هو ما ذكر^(١٦) من أنّ للميرزا حسين ولداً اسمه محمد توفي عام (١٢٨٨هـ/ ١٨٧٢م) في ذي قار، وبعدها غادر إلى البصرة، أي: أنّ عمر الميرزا حسين بحدود (٢٩) عاماً، وهذا ما يُمكن قبوله، حقيقة وواقعاً، وقد حصل هذا الالتباس بسبب التشابه بين الأسماء.

ومعنى هذا أنّ تاريخ تأسيس المسجد يتأرجح بين عامي (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م و ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٢م)، ولكنّ الأوّل هو الراجح، أي: أنّ تاريخ التأسيس هو سنة (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م)؛ لأنّه مدوّن في كتبٍ علميّةٍ رصينةٍ.

فالميرزا حسين هو مؤسس الجامع ومتولّيه الشرعيّ، وأوّل إمام للجمعة والجماعة فيه؛ لذا يفخر هذا المسجد باستمرار إقامة صلاة الجمعة فيه لما يزيد على مائة سنة، ابتداء من عام (١٨٨٨م) إلى يومنا هذا. وتقدر مساحته الكلّية - آنذاك - بـ (٢٥٠٠م^٢)، فكانت مساحة الحرم (٢٥٠م^٢)، وبطبقة واحدة، وأمّا الـ (٢٥٠م^٢) الأخرى، فتشمل المدخل والملحقات (الحمامات، والمغتسل^(١٧))، والمطبخ، وكان بناؤه إبان تلك المدّة من الطين (اللبن)، وسقفه من البواري وجذوع النخيل. وفي عام (١٣١٨هـ)، أي: بحدود عام (١٩٠٠م) انتقل الميرزا حسين جمال الدّين إلى رحمة ربّه الواسعة، ودُفن في ذي قار - سوق الشيوخ في (كرمة بني سعيد)؛ إذ وافته المنية في مسقط رأسه **رحمته**^(١٨).

تولّى إمامة المسجد بعده ولده السيّد ميرزا محمد تقي جمال الدّين (١٢٨٨ -

١٣٥٧هـ) في حدود عام (١٩٠٠م)، وكان عمره آنذاك (٢٨) سنة، وهو (من علماء البصرة المعاريف في عصره)^(١٩)، قام بوظيفته إماماً للجمعة والجماعة في هذا الجامع، ومرشداً وموجهاً للناس، وكان يقيم صلاة الجماعة في أوقات الصلاة جميعها، ولاسيما صلاة الفجر؛ إذ كان «عاشقاً لها، وخاصة صلاة الفجر لم ينقطع عنها إلا لمرض أو عارض يمنعه عنها»^(٢٠).

توفي السيد عام (١٣٥٧هـ)، أي: عام (١٩٣٧م)، عن عمر ناهز (٦٩) عاماً، ودُفن في البصرة في المقبرة المعروفة بمقبرة (إبراهيم الخليل)، وعرفت بعدئذٍ بـ(مقبرة الميرزا)، وشيئت على قبره قبة ما زالت شاهقة إلى الآن^(٢١).

وقام مقامه ولده السيد ميرزا عباس جمال الدين (١٩١١ - ١٩٧٨م)، وقد نشأ السيد في البصرة وترعرع فيها في كنف والده **قدس سره**، وانتهل من ينبوع علمه الدافق. هاجر إلى النجف سنة (١٩٢٣م) لدراسة العلوم الدينية، ولم يتركها حتى وفاة والده في عام (١٩٣٧م)، من كتبه المطبوعة: (التقليد للأئمة المعصومين، طبع في مطبعة الآداب، النجف الأشرف، سنة ١٩٥٨م)، وكتاب (الحقائق من الكتاب السنّة، البصرة ١٩٥٣م)، وكان يُعرف بسمو أخلاقه العظيمة التي كسب بها ودّ البصريين جميعاً... وأما عن ورعه وتقواه، فقد كان مثلاً يُحتذى به في الزهد والصّلاح... أصيب الميرزا عباس **رحمته** في العام (١٩٧٦م) بمرض عضال اضطرّه إلى العلاج في مستشفيات بغداد، إلاّ أنّه سرعان ما توفي عام (١٩٧٨م)، ودفن في مدينة كربلاء المقدّسة بجوار جدّه الإمام الحسين **عليه السلام** في الحسينيّة التي أسسها هناك، التي تُعرف بحسينيّة موكب ربيعة^(٢٢).

وكان له ديوان^(٢٣) خاصّ يتّصل بداره المطلّة على محلة المجصّة^(٢٤) (أبو

الحسن)، يُعرف بديوانية الميرزا، وهي وقف تابع للجامع. وبعد أن استقرّ الحال بالميرزا عباس رحمته، توجّه إلى عمارة الجامع، ففي عام (١٩٤٧م) استُبدل سقفه القديم بما يعرف آنذاك بالقوق (الجندل)، عن جذوع النخيل والبواري^(٢٥).

أُعيد بناء الجامع (الحرم والمدخل فقط) في عام (١٩٦١م) على نفقة الوجيه الحاج (محسن أحمد غريب)، وإشراف الميرزا عباس، بمادة الطابوق، وسُقف بالكونكريت، وبُنيت فوق مدخله منارة بارتفاع (١٥) متراً تقريباً. وفي العام نفسه أنشئت مكتبة عامّة عُرفت باسم مكتبة الإمام الصادق عليه السلام، وقد شُيّدت المكتبة فوق ملحقات الجامع الصحيّة (المغاسل والحمامات) سابقاً، وكانت ملتقى طلبة العلم والباحثين، وقد شرع الميرزا عباس رحمته بإلقاء الدّروس الدّينية فيها، ولا سيّما الفقهيّة يومياً (صباحاً ومساءً)^(٢٦).

وقبل وفاة الميرزا عباس رحمته بعام، كلف ولده العلامة السيّد ميرزا فاضل جمال الدّين (١٩٣٤ - ١٩٩٥م) بالقيام بإمامة الجُمعة في المسجد ابتداء من سنة (١٩٧٦م). وقد التحق السيّد ميرزا فاضل بالحوزات العلميّة ينهل من منابعها في كربلاء المقدّسة، ثمّ النجف الأشرف منذ عام (١٩٤٤م)، وبقي في الأخيرة قرابة ثمانية وعشرين عاماً، عاد إلى البصرة عام (١٩٧٢م) ليواصل المسيرة مع والده بطلبٍ من أهالي البراضعيّة، فأصبح إماماً لجامع البراضعيّة الكبير يُقيم صلاة الجماعة فيه، ويسكن في محلة البراضعيّة كذلك، وطول هذه المدة كان يحضر للصلاة يوم الجُمعة خلف والده الميرزا عباس إلى غاية وفاة الأخير^(٢٧).

وبقي السيّد فاضل في عام (١٩٧٦م) متنقلاً بين مسجد البراضعيّة إماماً للجماعة فيه طوال الأسبوع، وبين جامع الميرزا يقيم الجُمعة فيه فقط، وابتداء

من عام (١٩٧٨م) أي: بعد وفاة والده الميرزا عباس، قام بوظيفته إماماً للجمعة والجماعة راتباً، في المسجد الجامع المعروف بـ (جامع الميرزا) في البصرة، وبعدها استوطن في محلة أبي الحسن (السّيمر) في عام (١٩٨٠م)، ومارس مهامه الدّينية والثقافية في جامع الميرزا إلى حين وفاته^(٢٨).

بقي الميرزا فاضل رحمته في عقد الثمانينيات في المسجد يؤدّي وظيفته في إقامة الصلوات ونشر الوعي الثقافي والعلمي والدّيني والأنشطة الدّينية الأخرى إلى غاية كانون الثاني (١٩٨٦م)؛ إذ أجبرته الأحوال في تلك المدة على مغادرة البصرة والإقامة في كربلاء المقدّسة، إبّان التهجير الإجماليّ في الدّاخل في أثناء حرب الثمانينيات، وفي هذا الوقت تعرّض المسجد للسرقة والنهب، ولاسيما الكتب والمخطوطات.

عاد السيّد إلى البصرة في (١/٩/١٩٨٧م)، فبدأ بتنظيف المسجد وترميمه، وإقامة الصلوات والفروض الأخرى فيه، فأكسيت أرضية المسجد بالكاشي المرمر، وتوافرت وسائل التبريد المركزي في حرم المسجد، وفي سنة (١٩٩٠م) بدأ بالتوجيه لجمع التبرّعات بذريعة ترميم المسجد خشية أمن الدّولة التي تمنع ذلك، ولكن حقيقة الأمر هي لتوسعة الجامع وبنائه، ولكنّ الوضع الصحيّ لم يمهله طويلاً لإنجاز مشروع توسعة الجامع وإعادة بنائه؛ إذ وافته المنية في (٢٥) شباط ١٩٩٥م، عن عمر يناهز (٦١) عاماً إثر نوبة قلبية في ليلة رمضانية من ليالي القدر المباركة، وشيّع ودُفن في كربلاء المقدّسة بحسب وصيّته رحمته.

ومن إنجازات السيّد العلميّة: إشرافه على طباعة كتاب (الأصول الأصيلة) للعلامة الشيخ ملا محسن، المعروف بالفيض الكاشاني (تعمّده الله برحمته) طبع

في مطبعة الآداب في النجف الأشرف بحدود عام (١٩٧٩م)، وكتاب (هداية الأبرار من فقه النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ) تركه مخطوطاً، ولم يستطع طبعه ونشره للأحوال الصعبة التي ألمت به، وخطب الجمعة (مخطوط) (٢٩).

آلت تولية المسجد وإمامة الجُمُعة والجماعة فيه عام (١٩٩٥م) إلى غاية اليوم إلى ولده السيّد ميرزا عقيل جمال الدّين، وهو الولد الأكبر للسيّد الميرزا فاضل رحمته. ولد في النجف الأشرف عام (١٩٦٣م)، التحق بالحوزة العلميّة عام (١٩٩٥م) وتحديدًا بجامعة النجف الأشرف الدّينيّة، التي كان عميدها آية الله السيّد العلامة محمّد كلنتر قدس سرّه.

ومن أنشطة السيّد العلميّة: (منية الطالب في أجوبة بعض المطالب) جمع وتحقيق، طبع في سنة (٢٠١٣م)، و(المختارات الباصرة من الحقائق الناضرة)، وطبع بجزئه الأوّل عام (٢٠١٤م)، وقام بإعادة طباعة كتابي ميرزا عباس بمجلّد واحد: وعنوانها (التقليد للأئمة المعصومين)، و (الحقائق من الكتاب والسنة). بدأ السيّد عقيل العمل في توسعة المسجد في عام (١٩٩٦م) بإشراف المرحوم المهندس (محمّد جواد عبد الرضا التاوري)؛ إذ قام الأوّل بما توافر لديه من أموال كانت قد جُمعت على عهد أبيه رحمته للغرض نفسه - كما أشرنا سالفاً - بالمباشرة في عمليّة تشييد الجامع وتوسعة مساحته بضمّ المطبخ والحمامات البالغة (٢٢٥٠م²) وكان العمل على مراحل:

المرحلة الأولى: شراء الدّار المحاذية للمسجد من جهة اليمين ومساحتها ما يقرب من (٤٠٠م²).

المرحلة الثانية: هدم البناء القديم بالتدريج ابتداءً من المدخل وفوقه المنارة

وملحقات الجامع والمطبخ والحرم، وكان ذلك بمساعدة المؤمنين وأصحاب الأيدي الكريمة، وبقي العمل مستمراً إلى غاية عام (٢٠٠١م)؛ إذ اكتمل المسجد بطبقتين تضمّن في الطبقة الثانية مطبخاً كبيراً لإحياء المناسبات الدينيّة. وهو الآن بناء شامخ منيف تعلوه قبة خضراء مزخرفة بالكاشي الكربلائي، وبمساحة كليّة تبلغ (٩٠٠م^٢)، بحيث أصبح المسجد يسع قرابة ألف مصلٍّ، وما زال يقصده العدد الكبير من المصلّين لأداء صلاة الجمعة التي يقيمها السيّد. تعرّض السيّد عقيل في (١٧ / ٧ / ٢٠٠٨م)^(٣٠) لمحاولة اغتيال، وكان الحادث في تقاطع شارع الجزائر وسط مدينة البصرة القديمة، أصيب على أثرها، وقد نجّاه الله وكتب له السلامة، وفي أثناء ذلك اضطرّ للعلاج في الهند، وحينها أوكل إمامة المسجد لأخيه المرحوم السيّد ميرزا عبد العظيم جمال الدين (١٩٦٩ - ٢٠١١م)^(٣١)، وهو الولد الثاني للميرزا فاضل، ولد عام (١٩٦٩م) في النجف الأشرف، والتحق بالحوزة العلميّة عام (١٩٩٥م)، وبالتحديد بجامعة النجف الأشرف الدينيّة المتقدّمة الذكر، له كتاب بعنوان (ملاحم من سيرة الأئمة الأطهار ويتلوه بحث في السجود على التربة الحسينيّة وبعض من الصلّاة المستحبّة)، طُبِع في النجف الأشرف في الأوّل من رجب المعظّم عام (١٤٢٢هـ)، وحقّق كتاب والده الموسوم (هداية الأبرار) المذكور سالفاً، وألحقه بترجمة لوالده بعنوان (ذكرى الصّالحين في سيرة فقيه المحدثين السيّد فاضل جمال الدين **تقّي**)، وبجهوده والخيرين معه أعاد بناء الحسينيّة المعروفة بـ (حسينيّة علويّة نجف) الواقعة في محلة أبي الحسن في البصرة، وهذا في عام (٢٠٠٦م)، وأسّس فيها مكتبة آل جمال الدين للعلوم والبحوث الإسلاميّة^(٣٢)، وأسّس مسجداً سمّاه بمسجد آل جمال

الدّين، يقع في قرية مهيجران على طريق أبي الخصيب، وما زال قيد الإنشاء منذ عام (٢٠٠٩م)^(٣٣)، وفي المسجد نفسه محلّ مرقده رحمته الله^(٣٤).

فكانت نيابة السيّد عبد العظيم رحمته الله في إمامة جامع الميرزا طول سفره العلاج لأخيه، وهي مدّة وجيزة جدّاً، بعدها استأنف السيّد عقيل وظيفته في إمامة الجُمُعة والجماعة في الجامع إلى غاية اليوم، وعند غيابه ينوب عنه في الجامع ولده السيّد محمّد، وهو من طلبة جامعة النجف الأشرف الدّينيّة، وما زال مستمرّاً بالدراسة.

ثالثاً: خدّمة المسجد ومؤذّنوه

لقد كان في جامع الميرزا - كما هي بيوت الله - آفاق روحية تيسّر للإنسان أن يسمو بها وينهل منها، وتجذبه للمكوث فيه، فكان خدمة المسجد من المصلّين فيه كثر، غير أنّ أبرزهم والراغبين للخدمة فيه هم:

الحاج عليّ الدّوغجيّ، وخادم الجامع ومؤذّنه الحاج عبد عليّ السّواد، وابنه الأستاذ حامد، وخادم الجامع ومؤذّنه الحاج شهاب أحمد الجزيريّ (أبو كاظم)، والمؤذّن الحاج فالح (أبو حسن)، والحاج عبد الكريم، وخادم الجامع الحاج عبّود أبو صادق، والحاج محمّد عليّ المولاني، وزاير محمود (أبو شاكر)، والشّهيد الشّاب المؤذّن عليّ مكّي، وقارئ القرآن والمؤذّن الأستاذ حسن الحدّاد، وغيرهم كثير، رحمهم الله تعالى.

أمّا أشهر قراء التعزية، فمنهم: سماحة السيّد نور الدّين الموسوي الكاظميّ، وأخوه سماحة السيّد شمس الدّين الموسوي الكاظميّ، والملا عبّود الدّوغجيّ،

والملا عبد الهادي الرّمضان (أبو ملا صالح)، والملا محسن يوسف أحمد.
ومن الرواديد: الشيخ حسين الرادود، والملا فاضل الرادود، والرادود الملا
حمزة الزغير، رحمهم الله تعالى.

رابعاً: زوّار المسجد

زار المسجد عددٌ من الشخصيات الدينيّة والسياسيّة والأدبيّة، ومنهم:
العلامة المرجع الشيخ محمد طاهر آل شبير الخفائي، والعلامة الشيخ سلمان
الخفائي، والعلامة الشيخ محمد جواد السهلاني، العلامة الوقور السيّد يحيى
النور، والعلامة الميرزا السيّد إبراهيم جمال الدين، ورئيس الوزراء العراقيّ
الأسبق عبد الرّحمن البرّاز في حكومة عبد الرّحمن عارف^(٣٥)، الذي زار ديوانيّة
الميرزا التابعة للمسجد، والشاعر الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين، والأستاذ
كاظم خليفة، والأديب محمد جواد جلال، والأديب محمد صالح عبد الرضا،
والعلامة الشيخ عليّ الصّغير، والدكتور محمد حسين الصّغير، والسيّد مسلم
الجابريّ، والشيخ محمد الإزيرجاويّ، والشاعر كاظم مكّي حسن، والصّحفي
جواد الشيخ حسين، والشاعر محمد مصطفى جمال الدين، والشاعر السيّد عبد
الأمير جمال الدين، والشيخ عبد الأمير الحسناويّ.

خامساً: أنشطة الجامع

تقدّم أنّ صلاة الجُمعة لم تنقطع في هذا المسجد، وتقام فيه كذلك صلاة
الجماعة يومياً لفريضتي المغرب والعشاء، وتقرأ ختمة قرآنيّة بشكل جماعيّ
كلّ يوم جمعة قبل الصّلاة، وإحياء ليالي الجُمع بصلاة الجماعة وقراءة القرآن

والأدعية والزيارات، وإقامة جميع مناسبات شهري محرم وصفر ووفيات الأئمة المعصومين وولاداتهم عليهم السلام.

وإنّ مراسيم إحياء عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام في المسجد خلال شهر محرم تكون بواقع ثلاثة مجالس للتغزية صباحاً وعصراً وليلاً، وبعد الظهر في يوم عاشوراء يستقبل سماحة السيّد المعزّين باستشهاد جدّه، ويبقى الأوّل في استقبالهم إلى وقت الغروب.

ويشارك الجامع بموكب تغزية في أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام انطلاقاً من حسينيّة موكب ربيعة في كربلاء المقدّسة إلى الحرم المقدّس، وكذلك موكب تغزية لأمير المؤمنين عليه السلام في وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله، واستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وذكرى شهادة الزهراء عليها السلام، وانطلاقاً من حسينيّة موكب ربيعة في النجف الأشرف التي أُسست وأنشئت أخيراً^(٣٦) إلى مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن فعاليّات الجامع الراتبية في شهر رمضان إحياء ليلاليه بقراءة القرآن والأدعية والتغزية المستمرة طول الشهر الكريم، ولاسيّما إحياء أعمال ليلي القدر، وغيرها من الأنشطة التي تقوم بها اللّجنة الثقافيّة في الجامع، وإقامة الدّورات الدينيّة المتخصّصة بتعليم القرآن وأحكام قراءته وللأعمار كافّة، وإقامة مراسيم زيارات العتبات المقدّسة في العراق وإيران وسوريا، وزيارة بيت الله الحرام، لأداء العمرة وزيارة قبر رسولنا محمد صلّى الله عليه وآله.

سادساً: ديوانيّة الميرزا^(٣٧)

من الوقفيّات التابعة إلى جامع الميرزا، تبعد عن الجامع ما يقرب (٢٠٠م)،

وتُعرف بـ (ديوانية الميرزا)، أُسست قبل عام (١٩٣٧م)؛ إذ كانت مطلّة من دار السيّد الميرزا محمّد تقي جمال الدّين (١٨٨٦ - ١٩٣٧م) ^(٣٨)، وكانت آنذاك مبنية بالطين، ومسقّفة بجذوع النخل، ثم بُنيت على عهد الميرزا عبّاس جمال الدّين عام (١٩٦٩م)، وجُعِلت وقفاً محبّساً للإمام الحسين عليه السلام، وبمساحة قدرها (١٨٥م^٢)، وكانت في بداءة تأسيسها قسماً:

الأوّل: يتضمّن غرفة استقبال مبنية ومسقّفة بالجنّدل.

والثاني: مساحة مكشوفة تُستخدم في الصّيف.

جُدّد بناؤها في نيسان (١٩٧٠م) بالطابوق والكونكريت، وبُنيت في الطبقة الثانية غرفتان، وتتضمّن في الطبقة الأرضية مكتبة الميرزا عبّاس التي تحتوي على ما يقرب من (١٠٠٠) كتاب، ما بين مطبوع بالطباعة الحجرية أو المطابع الحديثة ^(٣٩). وكانت تضمّ أمّهات الكتب، وقليلاً من المخطوطات المختصة، إلا أنّه -مع الأسف- فقدت بسبب المصادرة أو السرقة.

وانطلاقاً من قول الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «تزاوروا، فإنّ في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها، رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها، ضللتُم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم» ^(٤٠)، فقد كانت الدّيوانية وما زالت ملتقى علماء الدّين، والأدباء، والمثّقين البصريّين، ومحبي السّادة آل جمال الدّين، وطلبة العلم، وخطباء المنبر الحسيني، والصّيواف من خارج البصرة، ومحلّ استقبال المراجعين لمختلف الشؤون، ولاسيّما الدّينية، وحلّ النزاعات الاجتماعيّة، وفصل الخصومات، وغيرها من الموضوعات والمشكلات التي يفزع فيها الناس للميرزا في ديوانه.

وقد أنشئت الديوانية حفاظاً على حرمة الجامع، وإبعاده عن الكلام بشؤون الدنيا، وهي غير منقطعة الضيوف يومياً منذ تأسيسها لغاية اليوم، وتقدم خدمات كبيرة - باعتبار مَنْ فيها - منها: الإجابة على الأسئلة الشرعية، وتولي الأمور الحسينية، وعقد قران الزواج، والجدير بالذكر أنّ هذا الديوان لم يشهد إجراء صيغة طلاق منذ تأسيسه لغاية اليوم، فالمرزا يحاول بسبل شتى الإصلاح بين الزوجين.

ونتيجة للتضييق والمنع عن إقامة مجالس التعزية إبان التسعينيات، فلا يحقّ لأحد إقامة مجلس عزاء على سيد الشهداء عليه السلام إلا بإجازة من مديرية الأمن؛ ولأنّ الديوانية ليست مسجداً ولا حسينية لتشمل بالمنع، صارت المحلّ الذي تُعقد فيه مجالس التعزية الحسينية، واستُخدمت لإحياء ليالي القدر في شهر رمضان في المدة نفسها.

وللديوانية دور فاعل في إرشاد المؤمنين وتوجيههم وتنميتهم اجتماعياً ودينياً، وقد أدّت وظيفتها بالتذكير بأحكام الشريعة وتبيين طريق النجاة والخلاص من الفتن والمحن والابتلاءات التي عصفت بالعراق والبصريين وأتباع أهل البيت عليهم السلام، على مرّ العقود. ولما كان بناؤها قديماً، فقد بُوشر العمل في هدمها لغرض إعادة تشييدها في (٢٠/٧/٢٠١٧م)، وبعون الله وتوفيقه، وبإشراف سماحة السيّد عقيل جمال الدين المتوّلي على الديوانية، وبجهود الخيرين من المؤمنين المادية والمعنوية سيّعاد بناء هذا الصرح العلمي الحسيني ليمارس دوره في التوعية والإرشاد وهداية الناس.

قال الدكتور الجابري في وصف ديوانية الميرزا في أثناء زيارته البحثية والإقامة

فيها إبان عهد الميرزا عباس: «الميرزا عباس بن محمد تقي بن حسين... رجل فاضل... ومجلسه عامر (الديوانية)، التقيتُ به خلال الفترة ١٩٦٧-١٩٦٩م، فتعرّفتُ عن كُتب على نشاطه الفكري والاجتماعي، كما درستُ خلال ذلك سلوك أتباعه، فكانوا حتى أحاديثهم الشخصية يستشهدون بأخبار الباقر والصادق عليهما السلام، وغيرهم من الأئمة عليهم السلام، فتح لي - جزاه الله خيراً - وبلا تحفظ خزانة كتبه النادرة، فاستفدتُ منها الكثير، لم ألحظ أنَّهم يقدّمون إلى مرتاد مجلسه القهوة! واستعاضوا عنها بعصير النومي بصرة (الليمون اليابس) الذي يقدّم في أفداح القهوة»^(٤١).

ويقول الأستاذ (علي الخاقاني) صاحب (مجلة البيان) حينما زار الميرزا عباس جمال الدين في الديوانية عام (١٩٤٥م) في رحلته البحثية للبصرة: «ومجلس العلامة السيد ميرزا عباس جمال الدين... يفرض عليك البقاء فيه دون أن تحسّ بمقاييس الزمن، وكنتُ أشعر بحلاوة فيه في الوقت الذي أحاول أن أظفر بالسبب، فلم أجد غير شخصية صاحبه التي تفرض عليك حبّها والإخلاص لها... ويتمشى معك في الحديث، فتخيّل أنّه ينطق بما تحبُّ وتعتقد»^(٤٢).

المبحث الثاني: أهم الوقفيات التابعة للجامع

الأولى: جامع أبو الحسن الصَّغير^(٤٣) تاريخه وأنشطته

يقع الجامع في البصرة القديمة (السَّيْمَر) المسماة (محلة أبي الحسن)، وتحديدًا خلف جامع الحاجي (فقير) المعروف بـ(جامع الفقير)، ويوسم كذلك بجامع محلة أبو الحسن.

والواقف والمؤسس هو رجل إيراني يُعرف بـ(أبي الحسن)، وسميت المحلة باسمه (محلة أبي الحسن)؛ إذ كان يملك بستاناً كبيراً في هذا المكان، وقد خصَّص مساحة صغيرة تقدَّر بـ (٨٠ م^٢) لبناء هذا المسجد.

وجعل الواقف (أبو الحسن) تولية الجامع للميرزا (محمد تقي جمال الدين)، وعليه يعود تاريخ تأسيسه إلى ما قبل عام (١٩٣٧ م)، وقد آلت التولية من بعده إلى ولده الميرزا (عبَّاس)، ثم ولده الميرزا (فاضل)، ثم الميرزا (عقيل).

كان بناء المسجد قديماً وآيلاً للسقوط؛ لذا شرع المتولي السَّيد (عقيل جمال الدين) بجمع التبرَّعات من المؤمنين لإعادة بنائه، وكان ذلك في شهر مايس لسنة (٢٠١٧ م)، وما زال العمل مستمراً إلى اليوم.

أنشطة الجامع:

نظراً إلى وجود مساجد كبيرة بالقرب من الجامع، فضلاً عن الحسينيات، فنشاطاته محدودة، لكنه يُفتح في أوقات الصلاة يومياً، وتقام فيه بعض المناسبات الخاصة بالمعصومين الأربعة عشر عليه السلام، ومناسبات المؤمنين الخاصة بأهل البيت عليه السلام، أو المناسبات الخاصة بهم، ولاسيما المجاورين له، وفي الجامع خادم

يقوم بشؤون الجامع كافة.

وبذا، فكما أراد الله تعالى لبيته أن يكون مصدر إشعاع رساليّ، فيظلّ المسجد ساحة الوعي الروحيّ، والمكان الذي يحمي الإنسان به نفسه كما يحمي المقاتل نفسه من الرصاص والقذائف التي توجه إليه من العدو، وإنّ في الابتعاد عن المسجد يبقى الإسلام عند المسلم مجرد كلمات واستعراضات لا نبض فيها ولا روح، ففي المسجد، وفي الصلوة، وفي الانفتاح على الله، نستطيع أن نبقي على الصراط المستقيم الذي يربط العقيدة بالسلوك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٤٤).

الثانية: حسينية موكب ربيعة في كربلاء المقدسة^(٤٥)

وقبل الترجمة للحسينية لابدّ من مقدّمة بفقرتين:

أ: تاريخ الحسينيات ووقفها النوعي

يُعتقد بأنّ العراقيين بدأوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ببناء الحسينيات بوصفها مؤسسات دينية ثقافية مثل: التكايا؛ لإقامة الشعائر والطقوس الدينية، ولاسيما عزاء سيّد الشهداء عليه السلام^(٤٦). فالتخذت اسم الإمام الحسين عليه السلام شعارها، وسُميت بـ (الحسينية)، وهو مصدر صناعي، أي: المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام.

ويُظن أنّ تاريخ تأسيس أوّل حسينية شُيّدت في العراق يعود إلى عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٦م)، وهي الحسينية الحيدرية في الكاظمية، وأوّل حسينية

بُنيت في كربلاء عام (١٩٠٦م)، وأنشئت أوّل حسينيّة في النجف الأشرف عام (١٨٨٤م)^(٤٧).

غير أنّ تاريخ إنشاء الحسينيّات كان أقدم من ذلك، ولم تكن معروفة بسبب القمع والمنع الذي مورس ضدّ أتباع أهل البيت عليهم السلام في العهد العثمانيّ في العراق، فالمجالس الحسينيّة كانت تُعقد في البيوتات وبشكل سريّ غالباً، وهذه المجالس تمثّل بذرة أولى لإنشاء حسينيّة، فبعض أصحاب المجالس الدوريّة من الطبعيّ أنّه أوقف بيته لاستمرار إقامة الشعائر الحسينيّة بعد وفاته، وبعدئذٍ يتحوّل إلى حسينيّة موقوفة لتأدية عزاء سيّد الشهداء، غير أنّها لا تُعرف إلّا لاحقاً للأسباب المذكورة سالفاً^(٤٨).

ب- وقف الحسينيّات النوعيّ

إنّ المقصود الأصيل من وقف الحسينيّات عامّة هو إقامة مجالس عزاء سيّد الشهداء عليهم السلام، لكن السبيل المتبع بين المؤمنين يُلاحظ ما هو أعمّ من ذلك، فالحسينيّة منتدى يجمع أهل البلاد في مواسم الخير ومناسباتهم، فهم يقيمون فيها عزاء الرسول صلى الله عليه وآله، وعزاء سائر المعصومين عليهم السلام، ومحافل مواليد المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، ويقيمون مجالس الفاتحة والذكريات لسائر المؤمنين، وإذا حضر وقت الصلّاة والناس فيها أو من خارجها أدّوا فرضهم، وإن لم يكن هذا من أصل صيغة الوقف الشرعيّ، لكنّ الملحوظ في الوقفيّة ما يعمّ الاجتماع فيها^(٤٩) لأعمال البرّ والخير.

وتنأز الحسينيّة عن المسجد بعدم إلحاق أحكام المسجديّة بها، فقد تكون

أكثر من المسجد فائدة من ناحية مشاركة عامة الناس من غير أن يمنعهم محذور شرعيّ، كدخول الحائض والنفساء والمجنب والنجس والمتنجس وغير المسلم، فهي مكتملة لدور المسجد، وليست بديلاً عنه.

تاريخ الحسينية

تقع حسينية ربيعة في كربلاء المقدسة في مركز المدينة وما يعرف سابقاً ببستان شمس الدولة^(٥٠)، على مقربة من مرقد العلامة ابن فهد الحليّ (ت ٨٤١هـ)، وبمسافة لا تقلّ عن (٢٠ متراً)، أي: في شارع باب قبة الإمام الحسين عليه السلام العام (الرئيس) من جهة اليسار للذهاب إلى مرقد سيّد الشهداء عليه السلام، وفي هذا الوقت يُعرف المكان الذي تقع فيه الحسينية إدارياً بـ (المخيم).

اسم الحسينية

سُمّيت (حسينية ربيعة) على ما يظهر لسببين:
الأول: إن المشتركين فيها غالباً يرجعون نسبياً إلى ربيعة العدنانية المعروفة بـ (ربيعة الخيل)^(٥١).

الثاني: التزام الربيعيين المشتركين في موكب ربيعة بطريقة المحدثين في تلقي العقيدة والأحكام الشرعية منذ وجودهم في البصرة، فالربيعيون هم المؤسسون للموكب؛ لذا تبدّى للميرزا عباس هذه التسمية، فهو سيّد ربيعة ومعلمهم الأول وجامعهم على المحبة والألفة والصّلاح، وقد عمل بجدّ على لمّ شملهم، وهم سامعون له ومطيعون، وهو الذي دعاهم وشجّعهم على التبرّع بالمال والإصرار على إنشاء هذه الحسينية، وكان يسعى سعياً حثيثاً لرفعتهم ورعايتهم،

ومن اعتنائه الكبير بتثقيفهم وتنميتهم دينياً واجتماعياً وعلى الأصعدة كافة قال في مقدمة أحد كتبه: «أكتب هذه الأسطر الوجيزة وأريد بها وجه الله تعالى، وتقرباً إلى رسوله، ونيتي تثبيتاً لقلوب المؤمنين من (ربيعة) وغيرهم....»^(٥٢)، وجاء في إحدى رسائله إلى ربيعة ناصحاً ومرشداً لهم ما نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين: إلى ربيعة الخير، إلى ربيعة الجود والإحسان والسّخاء، إلى ربيعة الإيمان والصّلاح والمروّة والمكارم:

سلام الله عليكم وتحياته وبركاته: يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٥٣)، ولن تنالوا العزّ حتى تتوحدوا، ولن تنالوا القوّة حتى تتكاتفوا، ولن تنالوا السّعادة حتى يؤازر بعضكم بعضاً ويسند بعضكم بعضاً، ولن تظفروا بالنجاح حتى تكونوا كالبنين المرصوص، لا تهمّمكم العواصف ولا يثنيكم عن عملكم الصّالح الجبار قلة المال أو ضعف الحال؛ فإنّ القليل من الكثير كثير، وإنّ همم الرّجال تزيل الجبال، وتوجد المحال.

يا ربيعة الخير، كونوا أبطالاً في أعمالكم ومهمّاتكم ومشاريعكم، كونوا كراماً في عطائكم وبذلكم، بيعوا أنفسكم وأموالكم إلى ربيعة»^(٥٤).

تأسيسه:

قلنا سابقاً إنّ من أنشطة جامع الميرزا الخروج بموكب تعزية في أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام يسمّى موكب ربيعة، وكان تأسيس الموكب أولاً في عهد الميرزا محمد تقي جمال الدّين، وفي هذه المرحلة كان يُستأجر بيت لإقامة المعزّين

القادمين من البصرة لأداء شعائر الأربعينية، وكان السيد قد بدأ بجمع التبرعات لشراء حسينية آنذاك. وبمساعدة المؤمنين وإشراف الميرزا (عبّاس جمال الدين)، وبما توافر لديه من أموال جمعت في حياة أبيه، اشترى بيتاً قرب النهر، أي بمسافة غير بعيدة عن موقع الحسينية الآن؛ إذ كان هذا المكان بستاناً كما تقدّم، وهذا ما بين عامي (١٩٤٨-١٩٤٩م)، وبقيت الحسينية في هذا المكان لمدة سنة، ثم برعاية الله وبركات الإمام الحسين (عليه السلام) تيسر للسيد موضوع شراء قطعة أرض بقرب الحسينية حالياً، تزيد مساحتها على (٣٠٠م^٢)، وكان بناؤها شبه خان تتوسطه باحة مكشوفة، وتحيطه غرف تقدّر بـ (١٥) غرفة مبنية بالطابوق، ومسقفة بجذوع النخل، وتتضمّن مطبخاً وبطبة واحدة فقط. وفي عام (١٩٧٠م) وُسّع شارع قبلة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد شملت التوسعة الحسينية، فلم يبق منها سوى (٧٠م^٢) تتضمّن أربع غرف.

وفق الله السيد ميرزا عباس ومن معه من المؤمنين عام (١٩٧٢م) لشراء البستان التي خلف هذه المساحة المتبقية (موقع الحسينية الحالي)، وبمساحة قدرها (٦٠٠م^٢) - واشترى من ضمنها تسعة أمتار من أمواله الخاصة لتكون محلاً لقبره ولذريته من أهل العلم والتقوى والإيمان^(٥٥) - وفي هذه المدة منعت السلطات الحكومية المواكب الحسينية من ممارسة شعائرها.

آلت تولية الحسينية للسيد ميرزا فاضل عام (١٩٧٨م)، وبعد التوكّل على الله وسعي المؤمنين معه، حصل على إجازة بناء للحسينية في عام (١٩٨٠م)، وبالفعل فقد أُنجزت الطبقة الأولى بمساعد المؤمنين، وبجهود الخيرين، وهذه الطبقة الأرضية تتضمّن قاعة مفتوحة، وأربع غرف متبقية من البناء القديم.

وبُنيت الطبقة الثانية وبنظام الغرف فقط في عام (١٩٨٢م)، واكتمل بناء الطبقة الثالثة وبنظام الغرف كذلك في (١٩٨٣م).

وفي حرب الثمانينيات أضحت الحسينية مأوى آمناً للعوائل البصرية؛ لأنّ كربلاء الحسين عليه السلام أحد محالّ «الكهف الحصين، وغياث المضطرّ المستكين، وملجأ الهارين»^(٥٦)، حيث مرقد خامس أصحاب الكساء، وربّان سفينة النجاة، الذي خاطبه المعصوم في زيارة يوم العيدين، بقوله: «السّلام عليك يا سفينة النجاة»^(٥٧)، وفي زيارة رجب خاطبه بقوله: «السّلام عليكم يا سُفن النجاة»^(٥٨)، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زُجٌّ فِي النَّارِ»^(٥٩)، ولقوله: «النّجوم أمان لأهل السّماء، وأهل بيتي أمان لأمتي»^(٦٠)، فإيماناً واعتقاداً بأمان أهل الذّكر وسفينتهم المنجية في وادي الطفوف؛ التجأ البصريّون في حصن من دخله كان آمناً.

فهبّ أهل البصرة من المشتركين في حسينية ربيعة، وركبوا في سفينة الحسين عليه السلام، وسكنوا في الحسينية إلى غاية انتهاء الحرب في عام (١٩٨٨م)، وبوابع عائلتين أو أكثر في الغرفة الواحدة، وكذا سكن السيّد ميرزا فاضل في الحسينية، وقام بأداء دوره الرّساليّ فيها، فقد كان يُلقّي دروساً في الفقه والثقافة الإسلامية يومياً وللرجال فقط، إلى أن رجع الناس إلى بيوتهم بسلام.

مصادرة الحسينية والاستيلاء عليها

تعرّضت حسينية ربيعة في عام (١٩٩٠م) للمصادرة كما تعرّضت سائر الحسينيات في كربلاء للمصادرة والهدم والنهب والتخريب في محاولة من النظام

الصّدّاميّ لمحاربة شعائر سيّد الشهداء عليه السلام لإخماد جذوة الثورة الحسينيّة في نفوس محبّي الإمام الحسين عليه السلام، وما علموا أنّ الله وعد بنصر أوليائه والمؤمنين معهم ولو بعد حين؛ إذ قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٦١).

وفي هذا المرحلة من تاريخ العراق؛ إذ الانتفاضات الشعبيّة التي قامت ضدّ النظام، وفي المقابل حملات الاعتقال التي مارسها أزام صدام، وعمليّات إزالة الحسينيّات وكلّ مظاهر الشّعائر الحسينيّة في كربلاء وبقية المحافظات، حتّى مرقد سيّد الشهداء عليه السلام تعرّض للتخريب، ولاسيّما قبّته الشريفة، وفي أثناء ذلك سيطر أزام النظام على حسينيّة ربّيعه، واستُخدمت في أوّل الأمر مخزناً للروضتين المطهّرتين الحسينيّة والعبّاسيّة، لمُدّة ثلاث سنوات.

بعدها استحوذ على الحسينيّة في عام (١٩٩٣م) أحد أتباع الشيطان الصّدّاميّ المسمّى شيخ (لطيف الدارمي)، الذي كان من الرجال الطالبيين للدّنيا، وهو من رجالات الأمن العامّة، وله سطوة في محافظة كربلاء، وحظوة لدى حكومة بغداد وبعثتها المجرم، فصيرّ حسينيّة ربّيعه فندقاً إلى غاية عام (١٩٩٦م)، وأضحّت الحسينيّة سكناً لأراذل الناس وأوغادهم من رجالات الأمن وغيرهم، ممّن لا يقيمون حرمة ولا قداسة لمرقد سيّد الشهداء عليه السلام فضلاً عن الحسينيّة.

كان الميرزا فاضل رحمته مضيقاً عليه ومراقباً من قبل السّلطة، فلم يستطع استعادة الحسينيّة من هؤلاء الظالمين إلى حين وفاته عام (١٩٩٥م)^(٦٢).

وبعد أن رحل إلى جوار ربّه آلت إدارة الحسينيّة وتوليّتها لولده السيّد عقيل، علماً أنّ الحسينيّة موقوفة وقفاً شرعيّاً محبّساً للإمام الحسين عليه السلام لإقامة الزوّار من

أهالي البصرة، وعلى وجه الخصوص المشتركين في موكب ربيعة، ومن غيرهم من الزوّار شريطة عدم مزاحمة موكب التعزية.

وبمعيّة السيّد عقيل ومتابعته، سعى الخيّرون والمؤمنون وعشّاق الإمام الحسين (عليه السلام) من رجالات البصرة بجهود حثيثة واستثنائية لا تكلّ ولا تمّل للتفاوض والمراجعات والتوسّط لاستعادة الحسينيّة من سارقها، واعظ السّلطة، الشيخ (لطيف الدارمي)، وقدّ طلب الأخير مبلغاً كبيراً -آنذاك- وقدّر بمبلغ (٨,٠٠٠,٠٠٠) دينار عراقي، وبعدها استقرّت المساومة التي كانت بعنوان شراء الحسينيّة بعقد (سرقفليّة) على مبلغ وقدره (٨٠٠,٠٠٠) دينار عراقي، ولكن بقي مستأجرو المحلّات معاندين، رفضوا إخلاءها إلّا مقابل أموال بدل سرقفليّة، وبركة الإمام الحسين (عليه السلام)، وبعد جهود كبيرة بُدلت في التفاوض والمناقشات معهم، أُخليت المحلّات، وكان موعد تسلّمها في (٣٠/١١/١٩٩٦م).

وكان لابدّ للظالم من ترك أثرٍ لظلاماته، وفعلاً تسلّمت الحسينيّة جدراناً فقط، خبرة من دون أثاث ولا أبواب ولا شبابيك ولا كهربائيات ولا... الخ، ولم يبق مكان فيها يصلح للسكنى والإقامة، فقد تعرّضت للنهب والسّرقه والدمار في ملحقاتها كافّة، ويكفي دليلاً على خرابها سيارات الحمل العديدة التي نقلت النفايات والأنقاض بعد تسلّمها، وقد استُرّجع بعض الأثاث بمبالغ زهيدة ممّن أخذها من الجهلة في أثناء السّلب الذي طال الحسينيّة.

ومنذ نهاية عام (١٩٩٦م) بدأت حملات التنظيف والترميم، واستكمال الكهربائيات المسروقة والمعطّلة، والخدمات الصحيّة وتجهيز الحسينيّة بالأثاث

والمستلزمات الأخرى، واستمرّ العمل إلى غاية عام (٢٠١٦م)، ففي عام (٢٠١٥م) زيد على الحسينيّة طبقتان بنظام القاعة المفتوحة، زيادة على خدمات الراحة للمنام والإقامة، في كلّ طبقة مطبخ يحتوي عدداً من الطباخات، والغسّالات، والحمامات المخصّصة للسباحة، فضلاً عن المرافق الصحيّة بالماء البارد والسّاخن، وتحتوي كلّ غرفة على وسائل التبريد والتدفئة. وتقع القاعات في الطبقة الأولى، وقد قُسمت الطبقتان الثانية والثالثة نصفين، نصف غرفاً، والآخر قاعة مفتوحة، أمّا الطبقتان الرابعة والخامسة، فهما قاعتان فقط، من دون غرفٍ، فيها الخدمات الصحيّة كافّة، ووسائل التدفئة والتبريد، وتتضمّن الحسينيّة في الطبقة الأرضيّة (١٢) محلاً تجارياً مؤجّرة، وتولّى مديريّة أوقاف كربلاء متابعتها إدارياً وقانونياً، وتُصرف إيجاراتها لحوائج الحسينيّة المختلفة.

و تستقبل الحسينيّة - في الوقت الحالي- الزوّار على مدار العامّ، ولزوّار البصرة وغيرها، ومن المشتركين فيها وغير المشتركين، بطاقة استيعابية تقدّر بـ(٥٠٠) عائلة، وبما يقرب من (١٠٠٠) شخص، وفي الزيارة الأربعينيّة تستوعب الحسينيّة من (١٥٠٠-٢٠٠٠) زائر، يقيمون فيها من يوم (١٦-٢٠) صفر، وهو يوم استعراض مواكب البصرة، وفي هذه الزيارة تخصّص الحسينيّة للرّجال فقط.

أنشئ في الحسينيّة مصعدٌ كهربائيٌّ في عام (٢٠١٦م)، وكان بتبرّع الخيرين والمؤمنين من أهالي البصرة، ليكون عوناً لكبار السنّ، للصّعود إلى غرفهم أو إلى قاعة الطعام في الطبقة الرابعة، وكذا نصب كاميرات للأغراض الأمنيّة، وتوفّر

مولدة كهرباء كبيرة توافر الطاقة الكهربائية للحسينية بمرافقتها كافة.

شعار الموكب

للسيد الدكتور مصطفى جمال الدين رحمته، قصيدة رائعة كتبها في ذكرى زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، اقتطف منها بيتان ليكونا شعاراً لموكب ربيعة، وهما قوله:

هذي ربيعة يا منار رشادها^(٦٣) جاءت بذكرى أربعينك تهدي

عقدت شفاعتها عليك وطالما فاز المشفع فيك يا ابن محمد

وعندما خطت ورفعت شعاراً للموكب، أعجب السيد ميرزا عباس بها، وقام إجلالاً لوقعها في نفسه الزكية، وما زالت شعاراً لموكب ربيعة إلى يومنا هذا^(٦٤).

الثالثة: حسينية ربيعة في النجف الأشرف^(٦٥)

موقع الحسينية:

تقع الحسينية في النجف الأشرف في العمارة القديمة في شارع المدينة العام، وفي بداية الشارع الفرعي المؤدي إلى مكتب المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم دامت له، وفي الاتجاه المقابل تقع مكتبة العلامة الشيخ باقر شريف القرشي رحمته، أما موضوع شراء أرض الحسينية وتنقل موقعها ومراحل بنائها، فهي كالآتي:

كان لدى المؤمنين رغبة ملحة لمشاركة موكب ربيعة في المناسبات الدينية

والزيارات التي نصّ فيها المعصومون عليه السلام على زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتقديم العزاء له في تلك الزيارات؛ لذا بدأ التثقيف على أهميّة تأسيس حسينيّة بجوار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعليه وجّه السيّد عقيل جمال الدّين المؤمنين وحثّهم على التبرّع لإنجاز هذا المشروع؛ وإذ إنّ عناية الله ترعى ما كان له، وبما جُمع من أموال للحسينيّة، تحرّك المؤمنون بإشراف السيّد عقيل لشراء الأرض بغية بناء حسينيّة ربيعة في النجف الأشرف.

مرّ مشروع شراء حسينيّة ربيعة في النجف الأشرف بمخاض عسير حتّى تكلّل بولادة هذا الصّرح الشّامخ في شارع المدينة، ففي بدء الأمر اشترت قطعة أرض جرداء ومساحتها (٢٢٠٠م^٢) في الوادي بقرب المقابر، وتقريباً على الشارع الحولي، وبمبلغ قدره (٢٠,٠٠٠,٠٠٠)، وبعد سنة استبدل بالقطعة بيت قديم في حيّ حنّون لكنّه قديم آيل للسّقوط لا يصلح للسّكن وبمساحة قدرها (٢١٠٠م^٢)، وفي عام (٢٠٠٨م)، وبعد التوكّل على الله استبدل بهذا البيت دار ببناء قديم كذلك، وبمساحة قدرها (٢٢٠٠م^٢)، وبطبقتين، تقع في حيّ الأنصار مقابل المرآب الجنوبيّ.

ثمّ وُفق السيّد عقيل ومَن معه لشراء الحسينيّة في موقعها الحالي في عام (٢٠٠٩م)، وقد حُبست وقفاً شرعيّاً لإقامة الزوّار، ومن أهالي البصرة على وجه الخصوص، ومن غيرهم، شريطة عدم مزاحمة الموكب، واستُكملت الإجراءات القانونيّة في مديريّة أوقاف النجف الأشرف كذلك، وسُجّلت التولية باسم السيّد عقيل جمال الدّين بعدّه المشرف على إنشاء الحسينيّة وبنائها، وكان ذلك برغبة المؤمنين والمتبرّعين والمعزّين والمشاركين في موكب ربيعة.

كانت الحسينية داراً قديمة ومساحتها (١٠٠م^٢)، وبعدئذٍ وتحديدًا عام (٢٠١١م) بدأت عمليّات الهدم والبناء والتشييد، وقد أُنجزت وفُتحت -بحمد الله- في عام (٢٠١٥م)، وهي الآن بستّ طبقات تتوفّر فيها خدمات الرّاحة والإقامة كافّة، ففي كلّ طبقة أربع غرف تستوعب الصّغيرة أربعة أشخاص، والغرفة الكبيرة ستّة أشخاص، وتتضمّن خدمات صحّيّة وثلاجة، ووسائل التدفئة والتبريد والأفرشة والأسرة، وفي الطبقة الثانية قاعة تستوعب (٥٠) زائراً، وفي الحسينية مصعد كهربائيّ، فضلاً عن مولدة للطاقة الكهربائيّة.

أنشطة الحسينية

مشاركة المواكب لتعزية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذكرى وفاة الرسول عليه السلام وشهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وشهادة الزهراء عليها السلام، وانطلاقاً من الحسينية إلى الحرم المقدّس، واستقبال الزوّار - ولاسيّما أهالي البصرة كافّة، وغيرهم بشرط عدم مزاحمة موكب التعزية- على مدار العام في مناسباتهم الخاصّة -كأربعينية موتاهم-، والعامة، وغيرها من المناسبات الأخرى.

الرابعة: الحسينيّات المشاركة في موكب ربيعة

كان السيّد (عقيل جمال الدّين) -وما زال- يدعو المؤمنين ويحثّهم ويثقفهم ويساعدهم على بناء الحسينيّات أو تجديد بناء القديمة منها، ولاسيّما المشاركين في موكب ربيعة للتعزية في كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف، فأتت هذه الدّعوة ثمارها ببناء حسينيّات أو تجديد بنائها، وهي تزيد على خمس وثلاثين حسينيّة في أماكن متعدّدة في البصرة، منها:

حسينيات في شط العرب (الجزيرة): (حسينية الحجة المنتظر عليه السلام / لآل علي حبيب، حسينية الإمام موسى الكاظم عليه السلام / الحاج خزعل جواد، حسينية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله / آل حمزة، حسينية الإمام الحسن المجتبي عليه السلام / آل عبادي، حسينية فاطمة الزهراء عليها السلام / آل حمزة، حسينية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام / الحاج عبد الحسين أبو سلمان، حسينية الزهراء عليها السلام / الحاج محمد عبد الله الربيعي، حسينية مسلم بن عقيل / الجزيرة الثانية، جامع الكباسي / الكباسي، حسينية الإمام الصادق عليه السلام / حجي محمد حسين، حسينية بيت علي البصري / الشيخ علي البصري، حسينية محمد الحاتم / الجزيرة، حسينية حجي عبد الحسن الحدة / حجي عبد الحسن، حسينية بيت التوبلاني، وحسينية بيت حميد).

حسينيات أبي الخصيب: (حسينية جيكور / بيت الخمام / جيكور، حسينية جهاد ملا علي / نهر خوز، حسينية بيت حجي كاظم الياي / دورة أم زباله، حسينية الزهراء / محيلة، حسينية الياي / حمدان، حسينية بيت الفرسان / حمدان، حسينية أحمد السلطان / فجة النعمة، حسينية المصطفى / يوسفان، حسينية بيت حريجة / الحاج أحمد حريجة / كوت ثويني، حسينية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله / بيت الرمان / محولة آل الزهير، حسينية الشافي / بيت الرازي / كوت الضاحي، حسينية الحجة بن الحسن عليه السلام / أبو عير / سكة عون، حسينية آل عاشور / السنيدية، حسينية الإمام الهادي / بيت الدوغجي / في مناوي لجم، حسينية الإمام الحسن المجتبي / في مناوي لجم، حسينية السبطين / بيت حجي حسن جاسم العبود وإخوانه المطيحة).

حسينيات البراضية القديمة التي جدد بناؤها، ومن المشاركين في تعزية

موكب ربيعة على وجه الخصوص: (حسينية بيت المرهون/ الحاج علي المرهون، حسينية السادة الفردان / السيد ناصر الفردان، جامع وحسينية الإمام الحجة عليه السلام / الحاج طالب عبد آل يحيى، مآتم الإمام الحسين عليه السلام / للنساء / بيت الشطي). أما حسينيات البراضعية التي شُيّدت بعد (٢٠٠٣م)، فهي: حسينية حجة حليلة الشطي/ بيت الطويل، حسينية عبد الله الرضيع/ حجي إبراهيم الغردة، حسينية السيد علاء الموسوي الغريفي، حسينية نور الزهراء/ بيت العواشير، حسينية الحاجة مهديّة التوبلاني).

الحسينيات المتفرقة في البصرة: (حسينية قمر بني هاشم في خور الزبير، حسينية بيت ملا يوسف/ خور الزبير، حسينية أم البنين/ السبية، حسينية الرسول/ بيت الكندوري الرباط، حسينية الحجة المنتظر عليه السلام / حجي محمد (أبو عادل)/ القبلة)، وغيرها من بيوت الإمام الحسين عليه السلام (الحسينيات) الموقوفة لإقامة عزائه خاصة.

وخير الختام كلام أهل العصمة، وهم يُنبئون محبيهم بأن الله تكفل برعاية قبر سيّد الشهداء عليه السلام، وأنّ الشعائر الحسينية باقية على مرّ الأيام والدهور؛ إذ يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام لزائدة:

«بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً، فقلت: إنّ ذلك لكم بلغك، فقال لي: فلماذا تفعل ذلك، ولكم مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا، فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إنّ ذلك لكذلك، فقلت:

يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً» (٦٦).

الخاتمة

١- يعود تاريخ تأسيس الجامع إلى عام (١٨٨٨م) على رأي، أو إلى عام (١٨٧٣م)، ولكن الأول أرجح، وعلى أية حال، فهو من المساجد المبنية إبان العهد العثماني، ويعدُّ الميرزا حسين جمال الدين مؤسس الجامع ومتولّي الشرعي، وأول إمام للجُمُعة والجماعة فيه، وقد استمرّت إقامة صلاة الجُمُعة في هذا المسجد ما يزيد على مائة سنة تقريباً.

٢- عُرف المسجد بثلاثة أسماء، وهي: جامع الإمام الصادق عليه السلام، وهو الاسم الأول له سُمّي بذلك تيمناً برئيس المذهب الجعفري الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ) عليه السلام، واستُبدل اسم الجامع بمسجد الجُمُعة في عام (١٩٧١م) لأسباب أمنيّة. وفيما بعد اشتهر المسجد بجامع الميرزا، وهو لقب عُرفت به أسرة آل جمال الدين أئمة الجُمُعة والجماعة الراشدين في الجامع.

٣- أنشئت في الجامع عام (١٩٦١م) مكتبة عامّة عُرفت باسم مكتبة الإمام الصادق عليه السلام، وكانت ملتقى طلبة العلم والباحثين، وقد تعرّضت عام (١٩٧١م) للمداهمة، وصودرت كلّها.

٤- زار المسجد عديد من الشخصيات الدينيّة والأدبيّة والسّياسيّة، وأبرزهم رئيس وزراء العراق، الذي زار ديوانيّة الميرزا التابعة للمسجد، وهذا يدلّ على

أهميّة المسجد ومكانة أئمة الجُمعة والجماعة فيه لدى الأوساط المختلفة؛ ولأنّهم من الأسر العلميّة البارزة في البصرة.

٥- مرّت على الجامع مراحل عمرانيّة عديدة من عمليّات ترميم البناء وتجديده، ابتداءً من (١٩٤١م) إلى غاية عام (٢٠٠١م)، وكانت مرحلة البناء للفترة من (١٩٩٥-٢٠٠١م) أكبر حملة من حيث حجم المساحة وحادثة البناء الذي تكلّل بطبقتين، وهو البناء العامر اليوم.

٦- في الجامع موكب عزاء يشارك في أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام ويرجع تاريخ تأسيسه إلى عام (١٩٤٩م)، ويستعرض التعزية مع مواكب البصرة في يوم (١٩ أو ٢٠) صفر بحسب الجدول الذي يصدر عن هيئة المواكب الحسينيّة في العتبة المقدّسة، ويكون ترتيبه الثاني بين مواكب البصرة بعد موكب بني عامر.

٧- ترتبط بالجامع (ديوانيّة) وهي عبارة عن مكتب استفتاءات وحسينيّات: في كربلاء المقدّسة، والنجف الأشرف، والبصرة، تؤدّي دورها في إحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام، زد على ذلك الأنشطة والفعاليّات المتنوّعة التي لها دور كبير في شدّ أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى أنتمهم المعصومين.

الهوامش

١- سورة الحج: ٤٠

٢- يُنظر: دور المساجد في حياة المسلمين: ص ٧، وما بعدها، والآية في سورة النور: ٣٦-٣٧.

٣- يُنظر: موسوعة تاريخ البصرة، عبد القادر باشا أعيان العباسي: ١/ ٣٤٠، وهو بالتسلسل رقم (٦٤)، والنصرة في معرفة تاريخ مساجد البصرة، د. عبد الباسط خليل محمد: ص ٩٥، وهو بالتسلسل رقم (١٠٩)، وإتحاف الأسرة بتاريخ البصرة، د. عبد الباسط خليل محمد: ٣/ ٧٠، والنزوح إلى أرض السواد... البحرينيون في البصرة، مقال للكاتب وسام السبع في صحيفة الوسط البحرينية، العدد: ٣٨٨١ في ٢٣/ أبريل / ٢٠١٣ م؛ إذ ذكر اسم الجامع في مقاله.

٤- لقاء مع الأديب محمد صالح عبد الرضا التاوري يوم ٥/ ٥/ ٢٠١٧ م في ديوان الشيخ أحمد سلمان السوييف الشيخ العام لقبيلة ربيعة في البصرة.

٥- يُنظر: (جوامع مركز مدينة البصرة في العهد العثماني دراسة تاريخية)، بحث أ.م.د. طالب جاسم محمد الغريب، مجلة آداب البصرة العدد (٤٣)، لسنة ٢٠٠٧ م: ص ١٢٢. وتكثر المساجد في هذه المحلة أيضاً مثل: (جامع العجم وهو مسجد آل شبر، جامع الحاج الفقير، ومسجد السيمر، وجامع الفيلي، وجامع السيد ناصر البحراني، وجامع أبو الحسن الصغير... فضلاً عن مساجد التحسينية، وهي الجهة المقابلة لمحلة السيمر) يُنظر: موسوعة تاريخ البصرة: ١/ ٣٤٠، وجوامع مركز مدينة البصرة: ص ١٢٢.

٦- الذي نشطت في عهده مدرسة أهل البيت عليه السلام، وكثرت الرواية عنه إبان تلك المدة.

٧- وقد يكون السبب هو إغلاق السلطة مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في البصرة في (نظران)، فاستُبدل اسم الجامع؛ لئلا يحصل اللبس بسبب تشابه التسمية بين جامع الإمام الصادق عليه السلام ومدرسة الإمام الصادق عليه السلام.

٨- وهي من الأسر العلوية العريقة في العراق، خرج منها الكثير من العلماء ومشاهير الأدباء والشعراء واللغويين، وقد لُقبت الأسرة بـ (آل جمال الدين) نسبة إلى الجد الثاني عشر للأسرة، وهو (الميرزا محمد الأخباري)، الذي كان يلقب بـ (أبي أحمد ميرزا محمد جمال الدين)؛ نتيجة تبحره بالعلوم الدينية، ولناظراته مع علماء الأشاعرة وتغلبه عليهم في بغداد، يُنظر: سيّد النخيل المقفى، السيّد مهّد جمال الدين: ص ١٥. وقد يكون لُقّب جدّه بالأخباري - بالهمزة المكسورة - لنقله الحديث، أو بالأخباري - بالهمزة المفتوحة - لاشتغاله بالأخبار حفظاً وعملاً في الأصول والفروع، يُنظر: سبيكة اللّجين في الفرق بين الفريقين، العلامة السيّد ميرزا عليّ ميرزا محمد جمال الدين (ت ١٢٧٥هـ)، تحقيق: د. ضرغام الموسوي، منشورات دار الحسين (عليه السلام): ص ٥ بتصرّف (كلمة دار الحسين في الكتاب).

٩- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تأليف خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى (سنة ١٣٢٠هـ): ٢ / ١٨٣-١٨٤. بتصرّف.

١٠- واقع الحال فيمن كتب وقال، العلامة السيّد إبراهيم جمال الدين: ص ١٢.

١١- يُنظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية دراسة تحليلية لموقف الفكر السلفي في الإسلام عموماً وعند الاثنا عشرية على وجه الخصوص من منطق وفلسفة اليونان، أ.د. عليّ حسين الجابري: ص ٥٣٥، الهامش رقم ٣، نقلاً عن (ثبت أسرة آل جمال الدين في البصرة)، وللمزيد، يُنظر: فلك المعارف الجاري مجرى الكشكول والطرائف، العلامة السيّد إبراهيم جمال الدين: ص ٣٧٣، وما بعدها.

١٢- قال الشيخ الطهراني في ترجمته: «هو الميرزا حسين ابن الميرزا عليّ ابن الميرزا محمد الأخباري، المعروف، عالم فاضل، كان جدّه الميرزا محمد من مشاهير علماء عصره، قُتل بمشهد الكاظمين (عليه السلام) في (١٢٣٢هـ)، وكان له ولدان، الميرزا أحمد قُتل معه، والميرزا عليّ والد المترجم له، وكان من الأجلّاء أيضاً، توفي عام (١٢٧٥هـ)، أنجب عدّة أولاد منهم المترجم له. كان من أهل العلم والفضل، له آثار منها: (الدّر المنظوم في تقليد غير المعصوم)، يُنظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلامة الشيخ آقابزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ): ٨ / ٧٨.

١٣- يرجع نسب السيّد إلى السيّد حسين ابن أبي أحمد موسى المبرقع ابن الإمام الجواد (عليه السلام)، يُنظر: تحفة الأزهار في نسب السادة الأطهار، السيّد ضامن بن شدم الحسيني المدني، الورقة الخامسة ج ٣، رقم الكتاب ٦٦، (خطي) في مكتبة الإمام الحكيم في النجف

الأشرف، ويقول السيّد مرتضى جمال الدّين: وقد طبع الكتاب الآن في قم، فيرجع هناك إلى نسب الإمام الجواد، يُنظر: فلك المعارف الجاري: ص ٣٦٠ الهامش، ويُنظر: إيقاظ النبيه في ذكر من أجمع عليه واختُلف فيه: ١/ ٣١٣.

وقد أعدّ السيّد مرتضى جمال الدّين مشجراً لأسرة آل جمال الدّين، وشهد بصحة النسب وباركه آية الله العظمى السيّد محمد كلانتر، وغيره، وللإطلاع على المشجّر، يُنظر: أسرة آل جمال الدّين/ فيسبوك، مناطق سكن السّادة آل جمال الدّين وتواجدهم/ فيسبوك.

١٤- يُنظر: الفكر السّلفي عند الشّعبة الاثنا عشرية: ص ٥٣٥ الهامش رقم ٣، النجف الثانية (سوق الشيوخ حاضرة العلم والأدب)، طاهر آل عكلة: ص ٣٥٢.

١٥- وتاريخ الوفاة هذا كتبه أحد تلامذته على مخطوطات الميرزا، وتتوافر ثلاث مخطوطات لدى السيّد تحسين جمال الدّين من تأليف المترجم له. مراسلة إلكترونية مع السيّد تحسين جمال الدّين بتاريخ: ١/ ٨/ ٢٠١٧ م.

١٦- مراسلة إلكترونية مع السيّد تحسين جمال الدّين بتاريخ: ١/ ٨/ ٢٠١٧ م.

١٧- كان في الجامع محلّ لتغسيل الأموات، أُزيل لاحقاً بسبب الاعتراض الذي أظهره أهل المحلّة لعويل أهالي الموتى وصراخهم بين البيوت، وكان ذلك سنة ١٩٦١ م.

١٨- يُنظر: هداية الأبرار من فقه النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ، السيّد عبد العظيم جمال الدّين: ص ٢٣٦.

١٩- نفسه: ص ٢٤٩.

٢٠- نفسه: ص ٢٥٠.

٢١- يُنظر: الذّكرى الخالدة لفقيد الإسلام السيّد ميرزا عناية الله جمال الدّين، الأستاذ الأديب الشّيخ ثامر الحمودة آل مزيعل: ص ٢٢، والبصرة ولاتها ومتسلّموها مراقدها ومزاراتها الدّينية، الشّيخ حسن ثجيل النصار، والأستاذ عبد العظيم إسحاق راضي: ص ٢٥١.

٢٢- يُنظر: مجلّة الموسم، مؤسّسها محمد سعيد الطريحيّ، العددان (٩/ ١٠)، ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م: ص ٦٢٦ بتصرّف.

٢٣- يُعرف بديوانية الميرزا، سيترجم لها لاحقاً.

٢٤- يُنظر: مجلّة الموسم العددان (٩/ ١٠): ص ٦٢٦ بتصرّف.

- ٢٥- لقاء مع متوليّ جامع الميرزا ساحة السيّد عقيل جمال الدّين يوم ١/ ٥ / ٢٠١٧ م.
- ٢٦- نفسه.
- ٢٧- نفسه.
- ٢٨- نفسه.
- ٢٩- وقد حقّقه ولده المرحوم السيّد عبد العظيم، وقام بجمع خطب الجُمعة لوالده، وترجم سيرته وذريّته من أهل العلم في الكتاب نفسه، وطبع في عام ٢٠١٠ م.
- ٣٠- يُنظر: موقع بنت الرافدين الإلكترونيّ، ومنتديات العراق بالفيس بوك.
- ٣١- على الرّغم من مرضه العضال الذي كان يعانيه إلّا أنّه قام بأداء هذه الوظيفة بكلّ إخلاص وصدق.
- ٣٢- يُنظر: هداية الأبرار: ص ٣٢٧-٣٢٨.
- ٣٣- مراسلة إلكترونية مع نجل المؤسس بتاريخ ١١/ ٩ / ٢٠١٧ م. وهو السيّد فاضل عبد العظيم جمال الدّين من طلبة كليّة الفقه بجامعة الكوفة.
- ٣٤- يُنظر: البصرة ولائها ومتسلّموها: ص ١٦٥.
- ٣٥- عبد الرّحمن البزّاز (١٩١٣-١٩٧٣ م)، شغل منصب رئيس الوزراء خلال فترة حكم الرئيسين: عبد السّلام عارف، وعبد الرّحمن عارف (ويكيبيديا). وكان زيارته لديوانيّة الميرزا وذلك حينما زار بعض الشخسيّات البارزة في البصرة، ومنهم ساحة السيّد ميرزا عبّاس، وقد استمع الأوّل إلى ملاحظات السيّد، وبعد فترة وجيزة ودّعه شاكرًا له كرم الضّيافة والحفاوة التي استقبل بها والوفد المرافق له. وبعدها يقول أحد الأشخاص: وكان ضمن هيئة الاستقبال أنّه لما خرج رئيس الوزراء من ديوان الميرزا، قال: إنّني وجدت السيّد جبالاً من الأخلاق. هداية الأبرار: ص ٢٦٢ بتصرّف.
- ٣٦- سيّرجم لها لاحقاً.
- ٣٧- ويُعرف في النجف الأشرف بـ: (البرّاني).
- ٣٨- يُنظر: هداية الأبرار: ص ٢٤٩.
- ٣٩- يُنظر: هداية الأبرار: ص ٢٧٥.
- ٤٠- الفصول المهمّة في أصول الأئمّة، محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ: ١/ ٥٢٤.
- ٤١- الفكر السلفيّ: ص ٥٤٣ هامش رقم (٣).

- ٤٢- البصرة ذكرى مدينة، مجموعة دراسات وذكريات عن البصرة جمعها، أ.م.د. حامد الظالمي، (أشأت عراقية ٣): ص ١٥١.
- ٤٣- لقاء مع متولي جامع أبو الحسن الصغير ساحة السيد عقيل جمال الدين بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٧م.
- ٤٤- يُنظر: موسوعة الفكر الإسلامي، السيد محمد حسين فضل الله: ٧/ ٨٧. والآية في سورة فصلت/ ٣٠.
- ٤٥- لقاء مع المتولي ساحة السيد عقيل جمال الدين بتاريخ: ٢٥/٦/٢٠١٧م.
- ٤٦- يُنظر: تراجيديا كربلاء سوسولوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري: ص ٦٨.
- ٤٧- نفسه.
- ٤٨- يُنظر: مركز الأبحاث العقائدية (الأسئلة والأجوبة)، تاريخ الحسينيات وسبب إنشائها.
- ٤٩- بين السائل والفقير، المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٩٩٨م): ص ١٩١-١٩٢ بتصرف.
- ٥٠- يُنظر: منتديات ياحسين.
- ٥١- يُنظر: قبيلة ربيعة مختصر في أنسابها وتاريخها، محمد صالح عبد الرضا: ص ٢٢، وقبيلة ربيعة البحارنة نسب وتاريخ ومواقف، نجاح الربيعي: ص ١٧ و ١٦٩.
- ٥٢- الحقائق من الكتاب والسنة، السيد ميرزا عباس جمال الدين: ص ٥.
- ٥٣- سورة آل عمران: الآية ١٩٢.
- ٥٤- نص الرسالة بخط وإمضاء الميرزا عباس، حصلنا عليها من الشيخ زهير الدوغجي شيخ حمولة الدوغجي في البصرة. لقاء معه يوم ٢٩/٦/٢٠١٧م.
- ٥٥- وقد شُيد له فيها ضريح خلد اسمه **عليه السلام**، فقد ضمت هذه الحسينية الجسد الطاهر الذي وضع اللبنة الأولى فيها أساساً لهذا الصرح الشامخ، فكان تخليداً لمجده وعزاً وذخراً للحسينية، وبركات الله وجلالة قدره فقد حماها بروحه الطاهرة يوم تواتل أيدي الشر ومعاول الظالمين في العهد المباد على تهديم كل الحسينيات، فكانت الحسينية الأولى والوحيدة في كربلاء التي لم تهدم. هداية الأبرار: ص ٢٦٢-٢٦٣. بتصرف، وسيأتي الحديث عن هذه المرحلة التي صودرت فيها الحسينية.

- ٥٦- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: ص ٢٠١-٢٠٢، وهذا ما ورد في الصلوات الشعبية.
- ٥٧- يُنظر: مفاتيح الجنان: ص ٥٠٧.
- ٥٨- يُنظر: مفاتيح الجنان: ص ٤٩٩.
- ٥٩- عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ): ١/ ٣٠.
- ٦٠- صفوة من ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، للعلامة الحافظ محب الدين الطبري الشافعي (ت ٦٩٤هـ): ص ٣٨.
- ٦١- سورة غافر: الآية ٥١.
- ٦٢- لقاء مع المتولي ساحة السيد عقيل جمال الدين، بتاريخ: ٢٥/٦/٢٠١٧م.
- ٦٣- المخاطب الإمام الحسين عليه السلام.
- ٦٤- هداية الأبرار: ص ٢٣٦ بتصرف. وقد أكد الأديب محمد صالح عبد الرضا صحة نسب البيتين للشاعر، وقد كتبهما في إحدى سنوات الخمسينيات مراسلة إلكترونية بتاريخ ١٥/٧/٢٠١٧م.
- ٦٥- لقاء مع المتولي ساحة السيد عقيل جمال الدين، بتاريخ: ٢٥/٦/٢٠١٧م.
- ٦٦- كامل الزيارات، تأليف الشيخ الأقدم أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي المتوفي (٣٦٨هـ): هامش ص ٤٤٤، وبحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف العلامة الحجة فخر الأئمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ): ٢٨/٥٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- ١- إتحاف الأسرة بتاريخ البصرة، د. عبد الباسط خليل محمّد، مطبعة الفيحاء البصرة ٢٠١١م.
- ٢- إيقاظ النّبيّه في ذكر مَنْ أُجْمِعَ عليه واختُلف فيه، الميرزا محمّد الأخباريّ (١٢٣٢هـ)، حقّقه وألحق به ترجمة مفصّلة عن أحوال المؤلّف: السيّد ميرزا إبراهيم جمال الدّين، مطبعة الثغر، البصرة، ١٩٣٧م.
- ٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، تأليف العلامة الحجة فخر الأئمة المولى الشيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت ١١١١هـ)، الجزء الثامن والعشرون مؤسّسة الوفاء بيروت - لبنان الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٤- البصرة ذكرى مدينة، مجموعة دراسات وذكريات عن البصرة جمعها، أ.م.د. حامد الظالميّ (أشنت عراقية ٣)، مؤسّسة البصرة للكتاب الثقافيّ، دار ومكتبة البصائر، بيروت ٢٠١٢م.
- ٥- البصرة ولاتها ومتسلّموها مراقدها ومزاراتها الدّينيّة، الشّيخ حسن نجيل النصار، والأستاذ عبد العظيم إسحاق راضي، دار الكفيل للطباعة، مكتبة الميزان في البصرة، ٢٠١٥م.
- ٦- بين السّائل والفقيه، المرجع الدّينيّ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين (ت ١٩٩٨م)، الأميرة للطباعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ٧- تحفة الأزهار في نسب السّادة الأطهار، السيّد ضامن بن شدقم الحسينيّ المدنيّ، الورقة الخامسة ج ٣، رقم الكتاب ٦٦، (خطي) في مكتبة الإمام الحكيم في النجف الأشرف.
- ٨- تراجم كربلاء سوسولوجيا الخطاب الشيعيّ، إبراهيم الحيدريّ، دار السّاقبي، ١٩٩٩م.

- ٩- ثبت أسرة آل جمال الدين في البصرة، د. صباح جمال الدين، مطبعة البصرة، ميسان ١٩٦٨م.
- ١٠- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ)، تحقيق: محمد تقي الإيرواني، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.
- ١١- الحقائق من الكتاب والسنة، السيد ميرزا عباس جمال الدين، مطبعة الأديب، البصرة، ١٩٥٣م.
- ١٢- دور المساجد في حياة المسلمين، دار التوحيد، الكويت، ٢٠٠٥م.
- ١٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلامة الشيخ آقابزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- ١٤- الذكرى الخالدة لفقيد الإسلام السيد ميرزا عناية الله جمال الدين، الأستاذ الأديب الشيخ ثامر الحمدودة آل مزيعل، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٢هـ.
- ١٥- سبيكة اللجين في الفرق بين الفريقين، العلامة السيد ميرزا علي ميرزا محمد جمال الدين (ت ١٢٧٥هـ)، تحقيق: د. ضرغام الموسوي، منشورات دار الحسين عليه السلام، ١٤٣٧هـ.
- ١٦- سيد النخيل المفقى، السيد مهتد جمال الدين، المكتبة الأدبية المختصة، ١٩٩٨م.
- ١٧- صفوة من ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، للعلامة الحافظ محب الدين أحمد ابن عبد الله الطبري الشافعي (ت ٦٩٤هـ)، تحقيق: محمد جواد أبو القاسمي، دار العرش للأبحاث، (١٣٨٥ شمسي) في حدود عام ٢٠٠٦م.
- ١٨- العمل الصادق من مسائل الحدائق، الشيخ حسن آل عصفور، دار التفسير، قم، ١٤٣٥هـ.
- ١٩- عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق، محمد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الجزء الأول منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٠- الفصول المهمة في أصول الأئمة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين، لمؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٢١- الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية، دراسة تحليلية لموقف الفكر السلفي في

- الإسلام عموماً وعند الاثنا عشرية على وجه الخصوص من منطق وفلسفة اليونان، أ.د. عليّ حسين الجابري، دار السلام للطباعة، بيروت، منشورات دار الحسين لسنة ٢٠١٥م.
- ٢٢- فلك المعارف الجاري مجرى الكشكول والطرائف، العلامة السيّد إبراهيم جمال الدّين (ت ١٩٨٦م)، تحقيق: السيّد مرتضى جمال الدّين، منشورات دار الحسين، ١٤٣٧هـ.
- ٢٣- قبيلة ربيعة البحارنة نسب وتاريخ ومواقف، نجاح الربيعي، تموز للطباعة، ط ١، ٢٠١٢م.
- ٢٤- قبيلة ربيعة مختصر في أنسابها وتاريخها، محمّد صالح عبد الرّضا، دار الكتب للطباعة، جامعة البصرة، ١٩٩٦م.
- ٢٥- كامل الزّيارات، تأليف: الشيخ الأقدم أبي القاسم، جعفر بن محمّد بن قولويه القميّ المتوفّى (٣٦٨)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، مطبعة مؤسّسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٢٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تأليف: خاتمة المحدّثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفّى سنة (١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التّراث، الطبعة المحقّقة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٧- مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القميّ، دار المرتضى، طبعة جديدة، ٢٠١٢م.
- ٢٨- موسوعة الفكر الإسلامي، السيّد محمّد حسين فضل الله، دار الملاك.
- ٢٩- موسوعة تاريخ البصرة، عبد القادر باشا أعيان العبّاسي، شركة التايمس للطبع، بغداد، ١٩٨٨م.
- ٣٠- النجف الثانية (سوق الشيوخ حاضرة العلم والأدب)، طاهر آل عكلة، دار السلام بيروت ٢٠١٦م.
- ٣١- النّصرة في معرفة تاريخ مساجد البصرة، د. عبد الباسط خليل محمّد، مطبعة الفيحاء البصرة، ٢٠١٠م.
- ٣٢- هداية الأبرار من فقه النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، السيّد عبد العظيم جمال الدّين (ت ٢٠١١م)، إصدارات مكتبة آل جمال الدّين للدراسات والبحوث الإسلامية في البصرة، مطبعة دار السّعد، بيروت ٢٠٠٩م.
- ٣٣- واقع الحال فيمن كتب وقال، العلامة السيّد إبراهيم جمال الدّين (ت ١٩٨٦م)،

منشورات دار الحسين في الكويت.

- الدوريات -

- جوامع مركز مدينة البصرة في العهد العثماني دراسة تاريخية، بحث أ.م.د. طالب جاسم محمد الغريب، مجلة آداب البصرة العدد (٤٣)، لسنة ٢٠٠٧م.
- التزوح إلى أرض السواد.. البحرينيون في البصرة، مقال للكاتب وسام السبع، صحيفة الوسط البحرينية، العدد (٣٨٨١) في: (٢٣/ أبريل/ ٢٠١٣م).
- مجلة الموسم، مجلة تعنى بالآثار والتراث، مؤسسها محمد سعيد الطريحي، أُسست عام ١٩٨٩م، العددان (٩/ ١٠) ١٤١١هـ، ١٩٩١م، تصدر الآن من هولندا.

- اللقاءات -

- لقاء مع الأديب محمد صالح عبد الرضا التاوري، يوم (٥/ ٥/ ٢٠١٧م) في ديوان الشيخ أحمد سلمان السويف الشيخ العام لقبيلة ربيعة في البصرة.
- لقاء مع الشيخ زهير الدوغجي شيخ حمولة الدوغجي في البصرة، يوم (٢٩/ ٦/ ٢٠١٧م).
- لقاءات متعددة مع كبار السن من مرتادي الجامع، والمشاركين في موكب حسينية ربيعة.
- لقاء مع متولي الحسينيتين ساحة السيد عقيل جمال الدين، بتاريخ (٢٥/ ٦/ ٢٠١٧م).
- لقاء مع متولي جامع أبو الحسن الصغير ساحة السيد عقيل جمال الدين، بتاريخ (٢٢/ ٦/ ٢٠١٧م).
- لقاء مع متولي جامع الميرزا ساحة السيد عقيل جمال الدين يوم (١/ ٥/ ٢٠١٧م).

- المراسلات الإلكترونية -

- مراسلة إلكترونية بتاريخ (١٥/ ٧/ ٢٠١٧م)، مع الأديب محمد صالح عبد الرضا التاوري، من أدباء محافظة البصرة الرواد.
- مراسلة إلكترونية بتاريخ (١/ ٨/ ٢٠١٧م)، مع السيد تحسين جمال الدين متخصص بمخطوطات أسرة آل جمال الدين من محافظة ذي قار.

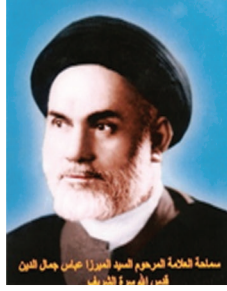
- مراسلة إلكترونية بتاريخ (١١/٩/٢٠١٧م)، مع السيّد فاضل عبدالعظيم جمال الدّين من طلبة كليّة الفقه بجامعة الكوفة.

- المواقع الإلكترونيّة

- أسرة آل جمال الدّين / فيسبوك.
- مركز الأبحاث العقائديّة (الأسئلة والأجوبة) تاريخ الحسينيّات وسبب إنشائها، التابع لمكتب المرجع الدّيني السيّد علي السيستاني دام ظلّه.
- مناطق سكن السّادة آل جمال الدّين وتواجدهم / فيسبوك.
- منتديات العراق / فيسبوك.
- منتديات يا حسين.
- موقع آل جمال الدّين / خطب الجمعة: خطبة الجمعة رقم (٩٣)، للسيّد العلّامة ميرزا إبراهيم جمال الدّين (ت ١٩٨٦م).
- موقع بنت الرافدين الإلكترونيّ.
- (ويكيبيديا).



السيد الميرزا
فاضل جمال الدين



السيد الميرزا
عباس جمال الدين



السيد الميرزا
محمد تقي جمال الدين

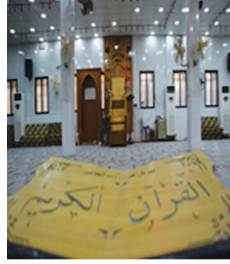


السيد الميرزا عبد العظيم جمال الدين



السيد الميرزا عقيل جمال الدين





صور من جامع الميرزا



جامع محلة أبو الحسن في البصرة

ديوانية الميرزا



حسينية موكب ربيعة في النجف الأشرف

حسينية موكب ربيعة في كربلاء المقدسة

Iraq. 5th ed. Translated into Arabic, Baghdad, n.d.

Nasser, Hassan Tu'ma and Ubaid, Mushtaq Edan. Jaza'er of Basra during the Ottoman Era, 1546-1718 (in Arabic). Karbala, 2015.

Nippur, Carston. Trip to Arab Peninsula and Other Arab Neighboring Countries. Trans. Abeer Al-Mundher. Beirut, 2017.

Otter, Jan. Iraq and the Arab Gulf in Jan Otter's Trip (1736-1743). Trans. Khaled Abdul Latif. Beirut, 2017.

Ozeran, Saleh. Ottoman Turks and the Portuguese in the Arab Gulf (1534-1581). Trans. Abdul Jabbar Naji, Baghdad, 1979.

Parsons, Ibrahim. Ibrahim Parsons' Trip (1774-1775). Trans. Anees A.K. Mahmood. Beirut, 2013.

Tavernier, J. Paptist. Iraq in the 17th Century. Trans. Basheer Francis and Gorgis Awwad. Baghdad, 1944.

Trips between Iraq and Sham Desert During the 16th Century. Trans Anees A.K. Mahmood. Beirut, 2013.

Bibliography

Al-Azzawi, Abbas. History of Iraqi Money Following the Abbasid Era (in Arabic). Baghdad, 1958.

----- . History of Iraq between Two Occupations (in Arabic). Baghdad, n.d.

Al-Huwaizy, Abed Ali bin Rahma. History of the Afrasiab State (in Arabic). Karbala, 2016.

Ali, Sa'ad K. Jabur. Qurna District, 1869-1918 (in Arabic). M.A. Thesis, College of Arts, University of Basra, Iraq, 2017.

Al-Jaza'ery, Ni'mat Alla. Flowers of Spring (In Arabic). Najaf, 1954.

Al-Ka'by, Fathalla bin Alawy. Provisions of the Traveler (in Arabic). Baghdad, 1924.

Al-Mustafa, Hussain A. Ubaid. Basra in the Early Ottoman Period, 1546-1668 (in Arabic). Beirut, 2012.

----- . Formation of Modern Basra (in Arabic). Karbala, 2016.

Bayat, Fadhel. Arab States in the Ottoman Documents (in Arabic). Beirut, 2012.

Della, Valey. Della's Trip to Iraq during the 17th Century. Trans. Butris Haddad. Beirut, 2006.

Longrigg, Stephen Hemsley. Four Centuries of the History of Modern

46. Ibid, pp. 81-86
47. Al-Azzawi, op cit, pp. 90-95; Trip of Father Parthemly Cavay in Iraq , the Arab Gulf, and Sham Desert (1669-1674). Trans. Anees A.K. Mahmood and Khaled A.L. Hussain, Beirut, 2014, pp. 40-66
48. Al-Azzawi, op cit, Vol. 5, p. 133
49. Al-Azzawi, ibid, Vol. 7, p. 193
50. ibid, p. 142
51. Hussain A. Ubaid Al-Mustafa. Basra in the Early Ottoman Period (in Arabic), p. 77, p. 137
52. Al-Ka'by, op cit, p. 39
53. Hussain A. Ubaid Al-Mustafa, Basra in the Early Ottoman Period, p. 71
54. Sa'ad Kh. Jabur, Qurna District (1869-1918). Unpublished M.A. thesis, College of Arts, University of Basra, p. 94
55. Ibid, p. 82
56. Ibid, p. 96; Longrigg, op cit, p. 132

Afrasiab State. Study and investigation by Sa'doon J.A. Al-Azzawi.

32. Tareq N. Al-Hashimy, op cit, p. 40
33. Abed Ali bin Rahma Al-Huwaizy, op cit, p. 364
34. Hussain A. Ubaid Al-Mustafa, Basra in the Early Islamic Era, pp. 157-158
35. Abed Ali bin Rahma Al-Huwaizy, op cit, p. 407
36. For more details on the Persians' attempt to invade Basra, see Della Valley's Trips to Iraq during the 17th Century. Trans. Butris Haddad. Beirut, 2006, pp. 124-129
37. For more details on these events, see Abed Ali bin Rahma Al-Huwaizy, op cit, pp. 243-167
38. Ibid, pp. 269-283
39. Ibid, pp. 327-344; Tareq N. Al-Hamdany, op cit, p. 86
40. Ibid, p. 87
41. Abed Ali bin Rahma Al-Huwaizy, op cit, p. 327, p. 334
42. Al-Azzawi thinks that Hussain Pasha's assumption of power followed his father Ali Pasha's death. Yet, Al-Ka'by thinks that Hussain Pasha assumed power in 1647 during his father's period. See Abbas Al-Azzawi, op cit, p. 44
43. Fathalla bin Alwan Al-Ka'by, op cit, pp. 19-20; Abbas Al-Azzawi, op cit, Vol. 5, pp. 47-50
44. Abbas Al-Azzawi, ibid, Vol. 5, pp. 75-76
45. Ibid, pp. 78-80

Publications, 2015, pp. 55-65.

21. Trips between Iraq and Sham Desert during the 16th Century. op cit; see also Tareq N. Al-Hamdany, Basra Province: A Study of its Political, Administrative and Economic History (1534-1638) (in Arabic). Baghdad, 2017, pp. 55,61, 63-65

22. Fadhel Bayat, Arab Studies in the Ottoman Documents, op cit, Vol. 3, pp. 194-195, 261; Hussam T. Nasser and Mushtaq E. Ubaid, op cit, pp. 73-79.

23. Tareq N. Al-Hamdany, op cit, p. 65

24. Ibid. pp. 65-66

25. Ni'mat Alla Al-Jazaiery, Flowers of Spring (in Arabic). Najaf, 1954, Vol.2, pp. 126-129

26. Tareq N. Al-Hamdany, op cit, p. 67

27. Trips between Iraq and Sham Desert, op cit, p. 109

28. Tareq N. Al-Hamdany, op cit, pp. 67-68

29. He is known as Darwish Ali Pasha by some sources.

30. See Abbas Al-Azzawi, History of Iraqi Money Following the Abbassid Period (in Arabic). Baghdad, 1958, p. 143

31. Writers give different opinions about his descent. Some consider him as an Arab. In fact, the policies he has adopted with his sons were based, to a large extent, on Arab values and traditions. He, for instance, called himself emir instead of pasha. Some sources called him Afrasiab. See Hussain A. Ubaid Al-Mustafa, Basra in the Early Islamic Era (in Arabic), pp. 155-158; Abed Ali bin Rahma Al-Huwaizy, History of the

10. Hussain Ali U. Al-Mustafa. Formation of Modern Basra (in Arabic). Karbala, Basra Heritage Center, 2016, pp. 43-44
11. An Arab Emirate established in Al-Jaza'er of Basra. It belongs to Shammar Tribe.
12. Hussain Ali U. Al-Mustafa. Basra at the Beginning of the Ottoman Period, 1546-1668 (in Arabic). Damascus, 2012, p. 46.
13. Fadhel Bayat, Studies of the History of the Arabs in the Ottoman Period (in Arabic). Beirut, 2003, p. 41
14. For more details, see Abbas Al-Azzawi, History of Iraq between Two Occupations, Vol. 4, pp. 46-47; Saleh Ozeran, Ottoman Turks and the Portuguese in the Arab Gulf (1534-1581). Trans. Abdul Jabbar Naji, Baghdad, 1979, pp. 29-32.
15. See Stephen H. Longrigg, Four Centuries of Modern History of Iraq. 5th ed., Translated into Arabic. Baghdad, n.d., p. 48
16. Ali Sh. Ali, "Administrative Arrangements in Basra Province During the Second Half of the 16th Century" (in Arabic). Gulf and Arab Peninsula Bulletin, No. 35, 1983, p. 129.
17. Fadhel Bayat. Arab Studies in the Ottoman Documents (in Arabic), Vol. 2, Istanbul, 2011, p. 119
18. Ibid, p. 120
19. Ibid, p. 296
20. Abbas Al- Azzawi, op cit, p. 73. For more details, see Hussam T. Nasser and Mushtaq E. Ubaid, Al-Mdaina (Al- Jaza'er of Basra) in the Ottoman Period (1546-1718). Karbala, Basra Heritage Center

Footnotes

1. Fathalla bin Alwan Al-Ka'by, Traveler's Provisions (in Arabic). Baghdad, 1924, p. 38.
2. Trips between Iraq and Sham Desert during the 16th Century. Trans. and comments by Anees Abdul Khaleq Mahmood. Beirut, 2013, p. 74.
3. Ibid, p. 135
4. Tavernier's Travel to Iraq in the 17th Century. Trans. by Basheer Francis and Gorgis Awwad. Baghdad, 1944, pp. 93-94
5. Father Jose de Santa Maria Al-Kirmily. Sabastiani Trip. Trans. and comments by Father Butris Haddad. Beirut, 2006, pp. 42-43
6. Iraq and the Arab Gulf in John Otter's Trip (1736-1743). Trans. Khaled A. Hussain. Beirut, 2015, p. 121
7. Al-Arja' was a center of a county within Baghdad district. It flourished for a time then disappeared. It was located on the right bank of the Euphrates north of Nasiriyya. See: Yacoub Sarkis, Iraqi Studies, Vol. 3, Baghdad, 1981, pp.170-174
8. See Carston Nippur, A Trip to Arabia and Other Neighboring Countries. Trans. Abeer Al-Mundher, Vol. 2, Beirut, 2007, p. 184
9. Abraham Parsons' Tour (1774-1775). Trans. and comments by Anees A. Mahmood. Beirut, 2013, p. 115

Basra Ali Pasha behaved strangely by selling Basra to an Ottoman official known as Afrasiab who was a relative of some people of Al-Dair. A semi-independent emirate was thus established in Basra (Aal Afrasiab Emirate). Ali Pasha succeeded in attracting Aal Elayyan and other tribes.

It is concluded from this survey how important Al- Jaza'er was to the center of Basra. It represented the first defense line of the city against the Ottoman and Persian threats. It is important for agricultural and economic reasons. It also served as a center for collecting taxes from ships sailing between Baghdad and Basra.

decided to occupy Basra, Aal Elayyan in Al-Jaza'er joined Aal Mghamis who were ruling Basra to counter the Ottomans. Although the Ottomans could occupy Basra in 1546, the tribes of Al-Jaza'er did not obey and continued to attack them.

The Ottomans then attempted to subjugate Al- Jaza'er politically. A decree was issued in 1552 to transfer Basra city center from Al-Pasha Quarter to Al-Mdaina to beguile the population of Al-Mdaina that they are qualified to be the leaders of Basra. What actually happened is that the Ottoman ruler has moved to Al-Mdaina to be close to the activities of Aal Elayyan and curb their power. Such a situation continued for two years only.

Aal Elayyan attacks continued against the Ottoman troops. The Ottomans, as a result, decided to send a massive military campaign against them. Aal Elayyan, however, were not defeated; instead, they resorted to 'the attack and retreat strategy' against the Ottomans up to 1567.

The Ottoman administration in Basra became weak at the end of the 16th Century. The Ottoman ruler of

local boats were used to carry papyrus and canes to feed animals inside the marshes, to transport animal products to Qurna, to fish, or to hunt birds.⁽⁵⁶⁾

It is clear that Al-Jaza'er of Basra had an outstanding economic importance. It assumed the second rank, after Ashar, in collecting taxes which represented a significant source for the treasury of Basra district. Besides that, it provided the center of Basra with cereals, animal products, and materials used for constructing houses.

5. Conclusion

Al-Jaza'er of Basra has been the whereabouts of a number of Arab tribes. These tribes outnumbered people who used to live in Basra city center. They used to gather near the rivers. Qurna and Mdaina were most notable among other populated areas. The foreign travelers who passed by these two cities gave detailed accounts of their nature and their powerful people. Those tribes' attitude was not to yield to regional or local powers. They were instead keen to fight them especially the Ottomans. When the Ottomans

outside the area. This is also clear from the taxes imposed by Ali Pasha Afrasiab on these districts.⁽⁵²⁾

Qurna, in fact, has been at that time a market for bringing goods from some of the Tigris and the Euphrates villages to be exported to Basra center. These goods included agricultural and animal products such as cereals, fish, dairy, cheese, fat, animals leather and wool. The date-palm trees were huge in number in Al-Jaza'er since the beginning of the 16th Century.⁽⁵³⁾ People used to plant barley and wheat in huge quantities at the beginning of the 19th Century. Wheat production amounted to 14.750 tons, barley 8.250 tons, and rice 2000 tons.⁽⁵⁴⁾

Al-Jaza'er marshes were proper places for breeding buffalo, the most important animal for producing milk and other dairies. There was also rice cultivation and production of cane mats which were sold in various parts of Basra to meet people's needs of building up their houses.⁽⁵⁵⁾

Qurna has become an important place for producing boats. Materials necessary to build up these boats such as wood, tar, and nails were brought from outside Qurna. The

number of Jews who worked as money-changers and money lenders. The Sabeans excelled in producing silver pots, working as goldsmiths, and building up boats known locally as mashhoof.

It is clear from the available data that the population who lived in Al-Jaza'er area and its suburbs were more than those who lived in the south of Basra. That area had agricultural and animal fortunes. It also represented an export point for the center of Basra, some Arab states, and Persian ports.⁽⁴⁹⁾

When the Ottomans occupied Basra in 1546, they set up a big castle in Qurna to collect the customs duties from the ships sailing between Basra and Baghdad. A Janissary garrison was stationed in Qurna. Ali Pasha Afrasiab built up a big impenetrable castle and Qurna name was changed to Al-Aliyya. Hussain Pasha later on built up three more military castles making Qurna thus the first defense line for Basra.⁽⁵⁰⁾ In 1655, Al-Jaza'er became a district with Qurna as its center. By the same token, Al-Iskandariyya, Al-Rahmaniyya, and Zartook became districts as well.⁽⁵¹⁾ These districts had an economic production, some of which was exported

Pasha forced them to retreat. They, however, reattacked Basra with fighters outnumbering his troops. The Wali was defeated and then killed. The allied fighters advanced towards Basra center led by Mani', Sheikh of Al-Mintifig. But the sheikhs and dignitaries of the city convinced him to go back to his stronghold in Suq Al-Shiyukh. He responded to their appeals and appointed Sheikh Hassan Al-Jamal ruler of Basra.⁽⁴⁷⁾

It is worth mentioning that Al-Jaza'er and Aal Elayyan were not mentioned in the historical sources since the beginning of the 18th Century. Focus, instead, centered on Al-Mintifig Emirate which played a noticeable military and political roles in the southern part of Iraq at that time. Even Al-Jaza'er and Qurna fell under its control until the Era of Medhat Pasha (1869 - 1871) who could rid Al-Jaza'er and Qurna, administratively, of Al-Mintifig control.⁽⁴⁸⁾

4. The Economic Role

A majority of Arab-Muslims resided in Al-Jaza'er area. There lived also a minority of Mandeian Sabeans, and less

Such an order meant a new fierce battle. Military forces from Diyar Bakr, Shahrzoor, and Riqqa were mobilized. This big army moved to Basra in 1668. The Ottoman troops headed for Al-Mansuriyya, Qurna, and Bani Asad area. They engaged in a fierce battle with the tribesmen. Then they proceeded to Al-Sharesh and set up a bridge on the river to be able to mount their cannons to shell the tribal fighters. Hussain Pasha, on his part, stationed in Al-Suwaib and was in contact with his forces entrenched in Qurna. But these forces were unable to withstand the besiege. They were forced to cross Al-Zakiyya River into Al-Jazeera open land. The Ottomans therefore occupied Qurna. Hussain Pasha sought refuge in Al-Dawraq in the eastern side of Shatt Al-Arab and then fled to India. This battle heralded the end of the Afrasiab rule in Basra. A historian like Al-Ka'by called this fierce battle 'the horrors of Doomsday'.⁽⁴⁶⁾

The Ottomans consolidated their control on Basra for about two decades after they have ended the rule of the Afrasiab Emirate. In 1690, The Sheikh of Mitifig allied with Al-Jaza'er tribes to attack Basra. The Wali of Basra Ahmad

reached the city center, they found it in turmoil. Al-Ka'bi states that Ibrahim Pasha sent them and other sheikhs a letter inciting them for rebellion. They therefore decided to disobey Hussain Pasha orders. Yet, the followers of Hussain Pasha in Qabban and the eastern bank of the Shatt Al-Arab burst into the city center and suppressed the rebellion. Ibrahim Pasha, realizing the developments in Basra, resorted to diplomacy to secure peace between the two combating sides according to certain conditions.⁽⁴⁵⁾

A number of Aal Abdul Salam sheikhs (Pasha Ayan) decided to travel to Istanbul to meet the Ottoman Sultan. Their aim was to complain of the conditions in Basra under Hussain Pasha rule. On their return to Baghdad, Mustafa Pasha consulted them on appointing Yahya Pasha as the ruler of Basra instead of Hussain Pasha. They approved such a proposal. He, therefore, asked Hussain Pasha to submit the amount of money already agreed on. Hussain Pasha could not afford to pay the money at that critical time. Mustafa Pasha consequently passed a decree appointing Yahya Pasha as the ruler of Basra instead of Hussain Pasha.

broke out and ended in annexing Al-Ahsa' to Basra.⁽⁴³⁾

At that time, the decision-makers in Istanbul decided to suppress the Afrasiab Emirate. For this purpose, Ibrahim Pasha was committed to carry out this mission in 1665 and bring back the ruler of Al-Ahsa' to his former position. An army of about 50.000 soldiers was prepared to move to Basra. Hussain Pasha was forced to be ready for war. Al-Jaza'er people expressed their support for Hussain Pasha due primarily to their hatred for the Ottomans. Ibrahim Pasha besieged Qurna for two months, but he could not burst into the defenses of Basra fighters owing to Hussain Pasha's effective preparations for war.⁽⁴⁴⁾

Ibrahim Pasha got ready again to invade Basra in the same year. He led his troops from Baghdad and brought cannons to destroy the castles. He arrived at Al-Mansuriyya and set up tents there. A fierce battle flared up where Hussain Pasha troops were forced to withdraw to Qurna. The Ottomans pursued them and besieged them there. Hussain Pasha aimed at detaining the merchant ships at Qurna and asked the merchants to go back to the Port of Basra. When they

Ahmad Pasha therefore became the ruler of Basra in 1653. Honoring Murtadha Pasha, he offered a big amount of money to him as a gift. But Murtadha Pasha, greedy and avid as he was, did not feel satisfied, and he took hold of Hussain Pasha and his Family's money. Then he took hold of the fortunes of rich people in the city. When Arab tribes knew of all those acts of Murtadha Pasha, they decided to fight him. The battle took place in Al-Sharesh where the tribes could defeat the Ottoman troops, preventing their ships in Al-Dair to sail to Al-Sharesh to support the Ottoman soldiers. The Ottomans were besieged and were then forced to withdraw to Baghdad.⁽⁴²⁾

The people of the city were obliged to write to Amir Hussain Pasha Afrasiuab requesting him to come back and be the ruler again after realizing that the Ottoman rulers intended to impoverish the people of Basra by confiscating their money and imposing taxes. Hussain Pasha headed for Basra and expressed his sadness publicly for the murder of his two uncles. He continued to rule Basra without noticeable problems up to 1665 where Al-Ahsa' Battle

Pasha and the Ruler of Shiraz where gifts were exchanged.

(39)

When the tense relationships between Persia and the Afrasiab Emirate ended, Ali Pasha turned to control Al-Jaza'er. He could get rid of his enemies in 1629 by killing bin Mani' and subjugating Hassan Agha. Even more important was bin Elayyan's defeat and his escape outside Al-Jaza'er which was ruled by the Afrasiab Emirate.⁽⁴⁰⁾

in 1651, Amir Ali Pasha Afrasiab died. His son Amir Hussain Pasha assumed power.⁽⁴¹⁾ Hussain Pasha started his career by mistreating his relatives including his two uncles Ahmad Beg and Fathi Beg. He then imposed taxes on people. This motivated his two uncles, incited by Aal Pasha Ayan Family, to seek protection with the Ottoman state. Al-Azzawi states that Basra tribes and troops were ready to follow Ahmad Beg due to their love for him. As a result, he and Murtadha Pasha, the Wali of Baghdad, led a military campaign and could occupy Qurna first and then headed for Basra. Feeling perplexed and frightened, Hussain Pasha did not dare to resist and so he fled to the borders of Persia.

area. Some developments happened later on as some sheikhs encouraged bin Elayyan to breach his pledge towards Ali Pasha. He responded positively to their requests and therefore fortified his castle in Saleh River in 1628. Ali Pasha, on his part, sent a land and marine military campaign. A fierce battle broke out where the castle was destroyed, and many fighters of bin Elayyan were killed. Bin Elayyan himself escaped north to Al-Arja' ruled at that time by Hassan Agha. Bin Elayyan's movement represented the most dangerous threat to Basra.⁽³⁸⁾

The enmity between the Afrasiab Emirate and Persia continued. In 1628, Persia sent a new military campaign against Ali Pasha rule under the leadership of Emam Qali Khan. This massive campaign reached Basra western borders. Basra, however, escaped this danger again as Shah Abbas died at that time. The Persian leader of the campaign ordered his army to withdraw from Basra. When Shah Safeyyeddin ascended the throne, the relationships between Persia and the Afrasiab Emirate improved for the period (1629 -1642). A treaty was concluded between Ali

of Ali Pasha troops, they asked for his pardon. Ali Pasha agreed, but Al-Huwaishy moved to Al-Sharesh and violated his promises. Ali Pasha's troops, then, attacked the fighters of Al-Huwaishy and defeated them. His troops took after them up to Saleh River where Al-Huwaishy was killed with his followers. ⁽³⁶⁾

Ali Pasha Afrasiab focused on facing Abdulla bin Mani', the Amir of Al-Mintifig who tried to delude Ali Pasha that he proceeded along to Al-Dair to fight there. But he soon went back to Basra center. Realizing this, Ali Pasha sent special forces to pursue bin Mani' fighters. In Basra at that time, there were troops ready to defend the city. Abdulla bin Mani' was forced to retreat to his headquarters in Kwaibda castle. The troops of Ali Pasha moved to fight Ni'mat Alla bin Elayyan. Bin Elayyan sought the mediation of some notable personalities including Taha bin Abdul Salam, from Pasha Ayan Family. These mediations succeeded in forgiving the two. ⁽³⁷⁾

Ali Pasha Afrasiab could later on consolidate his control over Al-Jaza'er. This shrank the rule of Aal Elayyan at that

Pasha Afrasiab were mobilized there to counter the Persian troops. Abdul Salam Al-Abbasi, from the family of Aal Pasha Ayan, mobilized fighters to support Aal Afrasiab, together with Sabeen fighters. But the Persian troops withdrew quickly because of their dire need to face the Portuguese in Hormuz Strait or defend Baghdad against the Ottomans. ⁽³⁵⁾

The Arab tribes in Al-Jaza'ir exploited Pasha Afrasiab's involvement in facing the Persian threat and rebelled against Aal Afrasiab. One main reason is that the Arab tribes in Al-Jaza'ir, especially Aal Elayyan, used to have power over their region. They were therefore not ready to submit to Aal Afrasiab to be subject then to taxes and orders. In 1624, Abdulla bin Mani', the leader of Al-Mintifiq, allied with Ni'mat Alla bin Elayyan. Essa bin Mohammad Al-Huwaishy, the Amir of Antar River Castle and Nasser El-Din Al-Zubaidy, the Amir of Qurna castle, who have already allied with Ali Pasha Afrasiab in fighting the Persians, joined this alliance. Ali Pasha, however, put a plan to fight each one of them separately. He first attacked Al-Huwaishy and Al-Zubaidy by besieging their strongholds. Recognizing the supremacy

all this, Ali Pasha, the last Wali in Basra ⁽²⁹⁾, realizing that Basra financial resources were continuously declining, decided to sell the city to Afrasiab for a small sum of money ⁽³⁰⁾ on condition that Afrasiab should go on mentioning the name of the Sultan in Friday sermons.⁽³¹⁾

After Afrasiab Emirate could establish itself well in Basra, its hegemony expanded to include other areas including Al-Jaza'ir where Ottoman repeated military campaigns could not subjugate it. During Abdul Amir Ali Pasha era, various areas, including Kut Mu'ammara and Kut Al-Zakiyya were conquered.⁽³²⁾ All through that, the Arab-supported policy, the administrative methods which were away from overpower and despotism, and the respect shown to Aal Al-Bayt doctrine motivated the people of Al-Jaza'ir to join them.⁽³³⁾ The rulers of Basra paid due attention to the north of Basra region especially Ali Pasha Afrasiab who set up a big castle in Qurna in 1639 and called it Al-Aliyya, a nomination that covered Qurna as a whole. ⁽³⁴⁾

In 1625, the Persians launched a new attack on Basra. Qurna was the main battlefield where the troops of Ali

of the 16th Century did not witness developments in Al-Jaza'er region. It seems that the Ottomans could not impose their full control on the north of Basra. For instance, traveler John Neobre, who visited Basra in 1583, showed that the Ottomans were unable to subjugate those Arab tribes due to their special techniques of fighting that prevented the Ottomans from achieving any victory.⁽²⁷⁾

At that time, Sultana Safiyya, wife of Sultan Murad II (1574 - 1595), sent a message to Queen Elizabeth I of England in which she boasted of her husband's invasion of Al-Jaza'er. The message, however, did not mention big cities like Cairo or Damascus as part of the Ottoman empire.⁽²⁸⁾

3. Al-Jaza'er of Basra During Afrasiab Emirate

The political conditions in Basra deteriorated during the last decades of the 16th Century. These conditions were the result of the repeated attacks of Arab tribes on Ottoman troops, and the Ottomans' involvement in continuous wars against European states and Persia. The Ottomans, therefore, did not pay due attention to Basra. As a result of

received them cordially and accepted their offer for peace as he knew well that war would be useless. Yet, he asked them to pay a yearly tax amounting to 50.000 florins to Basra treasury. He also said that he would take a number of sheikhs' sons as hostages to ascertain their loyalty! In spite of all these procedures, and the Ottoman victory, some tribes did not show compliance.⁽²⁴⁾

Resistance of the Arab tribes in Al-Jaza'ir continued after this campaign. All Ottomans attempts to intimidate them were useless. Prior to his return to Baghdad, Eskandar Pasha sent a letter of threat to bin Elayyan on late 1567. Bin Elayyan responded with a strongly-worded message.⁽²⁵⁾ Eskandar Pasha later on appealed for the help of Sultan Saleem II (1566-1574) who sent a letter in Arabic addressed to bin Elayyan expressing his desire for peace, security and settlement in Al-Jaza'ir, though it had an implicit threat to Bin Elayyan.⁽²⁶⁾ Such a move clearly shows how important Al-Jaza'ir was to the strategy of the Ottomans in Iraq and the Arab Gulf.

It is noticeable, however, that the first three decades

tribes, but the army was defeated.⁽²¹⁾ Due to the continued attacks of Aal Elayyan and their allies on the Ottoman troops, the Ottomans decided to send a massive military campaign led by the Wali of Baghdad Eskandar Pasha with the aim of subduing these tribes. They have already undertaken preventive procedures such as banning military materials and foodstuff from going into Al-Jaza'er and closing up checkpoints in that area. Preparations for this campaign started in 1565⁽²²⁾ by building up a fleet consisting of 450 war ships with 2000 Janissaries, 200 cannons, and 6000 fighters chosen from the tribal gatherings supporting them. On 12 July 1567, the campaign headed for the strategic Zartuk Castle nearby to Qurna. A garrison from Basra backed up the campaign. The Arab tribes, however, could not face the heavily-supplied Ottoman troops after losing large numbers of their fighters.⁽²³⁾ Recognizing the critical situation, Ali bin Elayyan resorted to the diplomatic option in order to reorganize his fighters. He, therefore, sent a delegation to the Commander of the Ottoman army with very precious gifts requesting peace. Eskandar Pasha

the Ottoman government wanted to be very close to the center of events in the north of Basra to be able to handle any emergency promptly. All these procedures, however, came to an end following the murder of Wali Qubad Pasha in 1533 and the appointment of Mustafa Pasha as the Wali of Basra in the district center in Al-Mishraq and not in Al-Jaza'er or Al-Mdaina.⁽²⁰⁾

The Ottomans tried in 1554 to prevent the tribes from launching new attacks. They therefore sent the Marine Force Commander Seedy Ali Rayyes to support Wali Mustafa Pasha to attack Aal Elayyan. Such an attempt failed to attain any result as the Arab tribes constituted a constant threat to the routes leading to Basra. Traveler Cezar Fedrig described these Arab tribes' courage. The tribal attacks against Ottoman troops continued up to 1565 where the Arab tribes in Al-Jaza'er decided to attack Basra and to besiege the city center.

Later developments witnessed tribal armed protests against the heavy taxes imposed on them by the Ottomans. On their part, the Ottomans sent an army to face those

districts and 3 counties in 1552. The area had originally 4 districts, namely Al-Sharesh, Al-Garrafi, Sadr Al-Suwaib, and Al-Shamal.⁽¹⁶⁾ During 1552 also disturbance increased. The Wali of Basra Qubad Pasha could not repress tribal activities in the city. This led decision-makers in Constantinople to order the Wali of Baghdad Ali Pasha to transform Al-Mdaina specifically into a province, and that Basra should be a district affiliated to it following Basra occupation by the Wali of Baghdad. In accordance with this, a decree was issued to appoint Qubad Pasha Wali of Al-Jaza'ir and Al-Mdaina. His son was appointed as an amir of a district of Basra.⁽¹⁷⁾ The other districts had to support him financially. There were also orders to build a mosque for Friday prayers, in addition to a number of forts in the area.⁽¹⁸⁾ In spite of all these high orders and preparations, there is no mention in references of setting up a headquarters in Al-Jaza'ir or Al-Mdaina.⁽¹⁹⁾ It is thought that the Ottoman stance in this respect is mere a political attempt to delude the population of the north of Basra that they were highly respected and that they were qualified to be leaders. The reality is that

Aal Elayyan to work together against the Ottoman army, ignoring all past discrepancies. He thought that the north of Basra was of utmost importance to protect the center of Basra, and that repelling the military campaign there would prevent the invaders from occupying the city. Acceding to such a request, Aal Elayyan prepared themselves to face the Ottoman troops in cooperation with Aal Mghamis men. The Ottoman troops, however, were much bigger in number and equipment. The battle ended with the occupation of Basra. The fighters of the wali of Basra withdrew to the west desert of Basra while Aal Elayyan men withdrew into Al-jaza'er. ⁽¹⁴⁾

The Ottoman annexation of Basra ushered the beginning of problems. The tribes of the north of Basra continued to attack the Turkish castles and entrenchments. According to Longrigg, ⁽¹⁵⁾ the rebellious tribes were not defeated despite the Ottomans' occupation of Basra and the tribes withdrawal into the marshes.

The north of Basra area became under the Ottoman hegemony in 1550. As a result, Basra was divided into 8

cooperation with the Ottoman army to expel the infidels (the Portuguese) from that area. The message referred also to the religious bonds between the two adding that he would meet them in Qurna and then continue to control Basra. This is, in fact, the first Ottoman reference to the importance of the north of Basra as a strategic area. ⁽¹³⁾ Recognizing the real intentions of the Ottomans, Aal Elayyan decided to line up with Aal Mghamis irrespective of their differences, not allowing the Ottomans, as strangers, to occupy Basra.

Sultan Sulaiman Al-Qanuni conquered Baghdad in 1536. Wali of Basra Rashed bin Mghamis offered loyalty to the Ottoman Sultan, but he did not show complete obedience. However, as the Ottoman policy was aiming at extending its hegemony up to the Arab Gulf, the Ottomans thus decided to annex Basra. For this purpose, a big army was sent to carry out this mission. To be sure, the military campaign had to come from the north of Basra across the Tigris passing through both Qurna and Al-Mdaina. Mani' bin Rashed Aal Mghamis, on his part, thought of coordinating with

due attention to the area at that time.

2. Security Role of the North of Basra

Transition from first Basra (established in 14th of Hijra) to second Basra incarnated in the movement of big well-known families into places such as Al-Mishrag and Al-Qibla. Most important among those families are Aal Mghamis (of Mintifig) and Aal Abdul Salam (Bash Ayan) later on, and Rifa'y Family.⁽¹⁰⁾

Basra, at that time, was directed by Aal Mghamis Family that could extend its authority northward. But it soon collided with the powerful Aal Elayyan Emirate.⁽¹¹⁾ They therefore sought to ally with the Portuguese by offering economic facilities against Aal Elayyan in Al-Jaza'er. That alliance did not lead to positive results, and the Portuguese themselves did not have the desire to take risk in this concern.⁽¹²⁾

At that time, Baghdad wali Ayas Pasha sent a message to Amir Ali bin Elayyan, shortly before the occupation of Basra. In a diplomatic manner, he asked him for help and

1739, he found it a city, but in fact it was big village having a customs office, an old mud castle guarded by Janissary soldiers, and a state official appointed by Wali (ruler) Ahmad Pasha.⁽⁶⁾ German traveler C. Nippur cites interesting details on Basra in 1765. The information given on 1765 on Qurna is not quite useful except that Ali Pasha Afrasiab fortified it. His son Hussain Pasha built a second wall, increased fruit orchards and wheat fields in Qurna. He also described other areas of Al-Jaza'er of Basra and mentioned that Qurna was rather badly built having a newly-built twofold wall to check out any Ottoman aggressions. Five Janissary battalions stationed there. Qurna geographic situation was described as good with limited trade. Al-Mansuriyya was a big village where taxes were paid to the Ottomans. In Kut Mu'ammarr village, taxes were paid to the Pasha of Basra while in Al-Arja', ⁽⁷⁾ taxes were paid to Aal Saleh of Al-Mintifig. The areas there were full of streams, and people were proficient farmers.⁽⁸⁾ The Scottish traveler A. Parsons in 1774 described Qurna as a big city surrounded by beautiful green plains with many populated villages.⁽⁹⁾ The rulers paid

mentioned by this traveler. Traveler John Eldred reported the same information in 1583, adding that the Turks had a castle located at the meeting place of both rivers where merchants had to pay a small tax.⁽³⁾ On his part, the French traveler Tavernier gave a more detailed information in 1652. He said that Qurna had three fortresses, the most fortified of which was built at the meeting-place of both rivers where the son of the Amir of Basra Hussain Pasha Afrasiab used to live. The second and third fortresses were close to this one where one was a place for collecting customs duties from passing ships. The customs officers were friendly, yet keen in their inspections of the ships.⁽⁴⁾ During Italian traveler Sebastiani's trip to Basra in 1666, he reported names of villages of the north of Basra including Mansuriyya, Al-Mdaina, Al-Fathiyya, Qurna, etc, located at the meeting-place of the Tigris and the Euphrates. In this place, he mentions, customs officers collect taxes. Qurna, as he states, is apparently a big city surrounded by mud walls.⁽⁵⁾

When Swedish traveler Jean Oher arrived at Qurna in

been covered by general and more specific sources that mainly deal with Iraq, Basra, and the Arab Gulf.

The events that took place in Basra were related to the Al-Jaza'er with a lot of details. The researcher therefore tended to sum up these events and focused on Al-Jaza'er.

The term 'North of Basra', however, is not mentioned in the Ottoman historical documents. Instead, the nomination 'Al-Jaza'er of Basra' is mentioned to point to the expansive marshes including areas such as Bani Mansour, Bani Hameed, and Antar River, being the biggest places in the north of Basra. That broad area included more than 300 rivers such as Salih River, Banu Asad, Al-Fathiyya, Al-Kila' and many other rivers. Each river represented a residential area. Al-Jaza'er itself included many villages, all were annexed to Amir Ali Pasha Afrasiab's Emirate.⁽¹⁾

Qurna is mentioned in travelers' books since mid-Sixteenth Century. Traveler Fedrici mentions, before arriving at Basra in 1563, that he has passed by a castle or a fort named Qurna, the meeting-place of the Tigris and the Euphrates forming a big river named Shatt Al-Arab⁽²⁾, not

1. Introduction

'North of Basra' is a geographic name covering all places and residential areas situated to the north of Basra center. This could go back to the Islamic era or to the following eras including the Ottomans where the Jaza'er of Basra was predominant at that time.

This research paper focuses on the security or military role of that area, in addition to the economic role of Basra center at that time. The paper seeks to answer the following questions: When was that area first mentioned in historical sources? What security role did that area play during the Ottoman rule for Basra center? Did that area have any economic importance?

This paper uses the historical sources that cover the period (1546 - 1869) in Basra. Of special importance are the books of the travelers that tackle the location of the area under study focusing on Qurna being the meeting place of the Tigris and the Euphrates where travelers pass through on their way from Baghdad to Basra, or during their trips from the Gulf area to Baghdad. The military events have

ملخص البحث

تُعَدُّ شمال البصرة منطقة مهمّة لولاية البصرة منذ بداية العهد العثمانيّ؛ لأهمّيّتها الاستراتيجية والاقتصاديّة، وحتّى الناحية الدّينيّة. وكانت تسمية مدنها معروفة منذ بداية القرن السادس عشر، وأشهر تلك المدن القرنه والمدينة.

يركّز البحث على الدّور الأمني والاقتصاديّ لهاتين المدينتين، وما تبعهما من مراكز سكنيّة، وانعكاساته على مركز ولاية البصرة، ويصحّ القول إنّ الدّور الأمنيّ لهما كان مهمّاً للحفاظ على مركز الولاية، بحيث يمكن عدّهما خطّ الدّفاع الأوّل عن البصرة؛ ولذا لا يمكن أن نتصوّر نجاح أيّ حملة عسكريّة على مركز البصرة من الشّمال أو الشّرق إلّا بعد اجتيازها لشمال البصرة، ما اضطرّ العثمانيّين إلى الطلب من بعض الولاة القادة مع قوّاتهم ومسؤوليهم في بعض الأوقات أن يكون انطلاق حملاتهم من شمال البصرة.

وتجلّى الدّور الاقتصاديّ لشمال البصرة في كون القرنه مركز استحصال الضّرائب على السّفن المارّة فيها من جنوب البصرة إلى المدن في نهر دجلة حتّى بغداد، وبالعكس، وما يدرّ ذلك من مبالغ ماليّة للولاة. فضلاً عن التجارة الداخليّة التي تنشط بنقل المتوجات الزراعيّة والحيوانيّة منها إلى مركز ولاية البصرة. فُسِّمَ البحث على مقدّمة وتمهيد ومبحثين، الأوّل تناول الدّور الأمنيّ، والثاني الدّور الاقتصاديّ، والخاتمة.

their military campaigns from the north of Basra.

The economic role of the area, on the other hand, is connected with Qurna being a center for collecting taxes from the ships heading from the south of Basra, passing by Qurna, and then sailing to Baghdad and vice versa. The big sums of money levied from ships go to the rulers. There was also the internal trade that focused on transporting agricultural and animal products from that area into the center of Basra.

The paper is divided into an introduction, a preface, and two sections: the first tackles the security role and the second tackles the economic role, followed by a conclusion.

Abstract

The area situated at the north of Basra is of vital importance to Basra Province since the beginning of the Ottoman Era. This is primarily due to its strategic, economic and religious importance. The names of cities of the area have been known since the beginning of the 16th Century. Most famous of these cities are Qurna and Mdaina.

This research paper focuses on the security and economic roles of these two cities and the residential areas affiliated to them, and their influence on the center of Basra. The security role is so important to secure the center of the Province which can be considered as the first defense line of Basra. Consequently, no military campaign targeting the center of Basra from the north or east can be carried out successfully unless it crosses the north of Basra. For this reason, the Ottoman authorities were sometimes obliged to order some rulers, together with their troops, to launch

Security and Economic Role of the
North of Basra (Jaza'er of Basra) During
the Ottoman Era (1546 - 1869)

الدَّورُ الْأَمْنِيُّ وَالْاِقْتِصَادِيُّ لَشَمَالِ الْبَصْرَةِ
(جَزَائِرِ الْبَصْرَةِ) فِي الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ
(١٥٤٦ - ١٨٦٩ م)

Professor Hussain A. Ubaid Al-Mustafa

Department of History, College of Education for Human

Sciences, University of Basra,

أ.د. حسين علي عبيد المصطفى

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Religious Coexistence in Basra Through Books of Trips 291

Dr. Mit'eb Kh. Ja'far, professor - Dr. Muntaser H. Dhaireb, lecturer
(Department of History, College of Education for Human Sciences, Al-Mutjanna University)

Historical Importance of Adam Tree and Khiaber Hill (Two Archaeological Locations) 323

Dr. Muhsin M. Fahad Al-Hajjaj, assistant professor
Basra Studies and Arab Gulf Center

Phonetic Phenomena in the Dialect of Bani Malek (North of Basra) 357

Dr. Enjaire T. Yousif, assistant professor
Department of Arabic, College of Arts, University of Basra

Sheikh Ibrahim Faraj Allah (His Biography and Poetry) 399

Dr. Wissam J. Lafta Al-Maliky, Lecturer
College of Education, Qurna, University of Basra

History of Al-Mirza Mosque in Basra and Endowments Following it 425

Abbas F. Hassan Al-Marhoon, lecturer
Department of Qur'anic Sciences, College of Education for Human Sciences, University of Basra
Ahmad F. Flayyeh, assistant lecturer
Department of History, College of Education for Human Sciences, University of Basra

Security and Economic Role of the North of Basra (Jaza'er of Basra) During the Ottoman Era (1546 - 1869) 17

Professor Hussain A. Ubaid Al-Mustafa
Department of History, College of Education for Human Sciences, University of Basra

Contents

Basri Juristic Scholar Sheikh Mefleh Al-Saimery and his Book - The Purpose of Intention in Explaining the Laws of Islam (Selling of Monsters or Predators as an Example) 23

Dr. Mahmood M. Chaied Al-Edany, assistant professor
Al-Mustafa University, Holy Qum, Iran

Poets of Basra The Voice of Political and Economic Reforms (The Umayyad Era as an Example) 95

Dr. Saja J. Mohammad, assistant professor
Dr. Anwar M. Sarhan, Lecturer
(College of Arts, University of Baghdad)

Ali bin Zaid bin Jad'an Al-Basri and his Intellectual Role in Citing Shiism Traditions 119

Dr. Alaa' H.Mardan Allamy
Imam Kadhimi University College of Islamic Sciences

Recounts of Aal Al-Bayt by Mu'ammarr bin Rashed Al-Basri 155

Dr. Mohammad A. Hussain, assistant professor
Dr. Maha A.R. Hussain, Lecturer
(College of Education for Human Sciences, Diyala University)

The Influence of Al-Basri Al-Amawi Al-Utbi on Islamic Codification 199

Dr. Tayseer Hmaiyyed A. Al-Rekabi, assistant professor - College of law, University of Basra
Dr. Mohammad Hmaiyyed A. Al-Rekabi, Lecturer - Basra Education Directorate

Efforts of Basra Scholars in Identifying the System of Ethical Values and Doctrines (Al-Jahez Book Refinement of Ethics as an Example) 249

Dr. Khaleel Kh. Al-Juboory, assistant professor - Dr. Rashid E. Ibrahim, assistant professor
(Department of History, College of Arts, University of Tikrit)

other works of heritage are vital due to their links with the present influenced by the various expected perspectives of researchers.

It is worth mentioning that Basra still motivates more and more research work that tackles various aspects of the city. Studies on the city seek to investigate ignored or unfamiliar topics or explore the salient and important phenomena from new angles. This Number of the Journal is a vivid example as it has disparate topics and studies, all related to one specific place, namely Basra.

Opening Address

To secure success, a scholarly journal has to work professionally and industriously to attain the required objectives. One main reason for this orientation is the large number of academic journals and bulletins that cover various aspects of knowledge. Recognizing this fact, Basrah Heritage Journal is always keen to attain qualitative additions in different scholarly fields. It also seeks to avail itself of the manifold viewpoints and diverse methodological approaches in reading Basra heritage more closely, directly and precisely.

The diversity of approaches would definitely renew the relationship with heritage, uncover its phenomena and facts and promote our awareness of the present, and so helps us to revive and develop it. This is in harmony with the idea that spatial marks (monuments, for example) have their significance together with the memories, events, and situations connected with them. Scientific, literary, and

wherefores of the disapproval.

e: Research papers to be published are only those given consent by experts in the field.

f. The researcher would be bestowed a copy of the journal in which the research paper is published, together with a financial reward.

13. Priority in publication is dictated by the following:

a. Research papers delivered in conferences or symposiums held by Basra heritage Center.

b. The date of receiving the research papers concerned by the Editor-in-Chief of the journal.

c. The date of submitting the research papers after carrying out the required modifications.

d. Diversifying research papers topics as much as possible.

14. Research papers should be emailed to the Center's main office location:

Basrah heritage Center

Al Buradieia

Syd 'Amin Street,

Basrah, IRAQ

publication.

11- The ideas contained in the research paper manifest the viewpoints of the researchers themselves; it is not necessary that they come in line with the general policy of the Journal. The research papers arrangement is subject to technical priorities.

12- All research papers are exposed to confidential revision to secure their reliability for publication. No research paper would be returned to researchers, whether they are approved or not. The publication procedures are as follows:

a: The researcher should be notified to deliver the research paper for publication in a two-week period maximally from the time of submission.

b: The researchers whose papers are approved are notified of the expected date of publication.

c: The papers to be rephrased or those that require any modification, before publication, would be sent back to the respective researchers together with the notes to be prepared for final publication.

d: Notifying the researchers whose research papers are not approved; it is not necessary to state the whys and

documented in the endnotes, taking cognizance of the common scientific procedures in documentation including the title of the book, editor, publisher, publication place, version number, publication year and page numbers. Such procedure is used in the first reference to the source. But if it is used again, documentation should include only the title of the book and the page number.

7- In the case of having foreign sources, there should be a bibliography apart from the Arabic one, and such books and researches should be alphabetically ordered.

8-Printing all tables, pictures, graphs and charts on attached papers, and making an allusion to their sources at the bottom of the caption. There should be a reference to them in the context.

9- Attaching the curriculum vitae. If the researcher contributes to the journal for the first time, it is necessary to manifest whether the research paper was submitted to a conference or a symposium for publication or not. There should be an indication to the sponsor of the project, scientific or nonscientific, if any.

10- The research paper presented should never have been published before, or submitted to any means of

Publication Rules in Basrah Heritage Journal

Basrah Heritage Quarterly Journal receives original research papers under the provisions below:

1- The paper should cope with the interests and goals of the journal(Basrah Heritage issues).

2- Research papers or studies to be published should strictly be according to the globally-agreed- on standards.

3- The paper should be printed on (A4). Three copies and a (CD) having ,approximately, 5000-10000 words using simplified Arabic or Times New Roman font and in pagination should be delivered to the Journal Editor in Chief.

4- An abstract in Arabic or English, not exceeding one page,150 words, with the research title, should be delivered with the paper.

5- The front page should have the title, the name of the researcher/researchers, occupation, address, telephone number and email. Name(s) of the researcher / researchers in the context should be avoided.

6- All sources used in the research paper should be fully

Managing Editor

Assist. Prof. Amir Abed Muhsen Al Sa'ad

Editorial Secretary

Dr. Tariq Muhammad Hassan Mutar

Editorial Board

Prof. Husain Ali Al Mustafa \College of Education for Humanitarian
Sciences\University of Basrah

Prof. Raheem Hilo Muhammad\College of Education for Women
\University of Basrah

Prof. Shukri Nasser Abdul Hassan/College of Education for
Humanitarian Sciences\University of Basrah

Prof. Najim Abdulla Al Musawi \College of Education\University
of Maysan

Assist. Prof. Abdul Jabbar Al Helfy \College of Administration and
Economics\ University of Basrah

Assist. Prof. Muhammad Qasim Ni'ma \College of Education for
Women \University of Basrah

Assist. Prof. Emad Jghaim Owaid \College of Education\University
of Maysan

Assist. Prof. Sabah Edan Al Ebadi \College of Education\University
of Maysan

Assist. Prof. Ali Majid al-Badri /College of Arts \University of Basrah

Arabic Language Check-up

Dr. Tariq Muhammad Hassan Mutar

Financial Administrator

Sa'ad Salih Besheer

Website

Ahmad Husain Al Husainy

Design and Printing Production

Muhammad Shihab Al Ali

The general Supervisor

Seid. Ahmad Al Saffy
The General Guardian of Al-Abbass Holy Shrine

Scientific Supervisor

Sheikh Ammar Al Hilaly
Chairman of the Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs
Department in Al-Abbass Holy Shrine

Editor in Chief

Sheikh Shaker Al Muhammady

Advisory Committee

Prof. Sae'd Jasim Al Zubaidy/University of Nazwa/Sultanate of
Oman

Prof. Abdul Jabbar Najy Al Yasiry \House of Wisdom\Baghdad
Prof. Tariq Nafa' Al Hamdani\College of Education \University of
Baghdad

Prof. Hasan Essa Al Hakeem \University Islamic College\ Al Najjaf
Al Ashraf

Prof.Fakher Hashim Sa'ad Al Yasery / College of Education for
Humanitarian Sciences\University of Basrah

Prof. Majeed Hameed Jasim/College of Arts\University of Basrah
Prof. Jawad Kadhum A Nasr Alla\College of Arts \University of
Basrah

Assist. Prof. Mahmoud Mohammed Jayed Alaidani/Scientific
Committee Member of the University of Mustafa/Holy Qom

A decorative frame with a central yellow hexagonal area. The frame is composed of intricate geometric patterns in brown and gold, including star and floral motifs. The central area contains text.

In the Name of Allah Most Gracious Most Merciful

This day I have perfected your
religion for you and completed
my favor to you. I have approved
Islam to be your religion

(From Surat Al-Maida - verse (3))



Secretariat General of
Al- 'Abbas Holy Shrine



Basrah Heritage
Center

Print ISSN: 2518 - 511X

Online ISSN: 2617-6734

Mobile: 07800816579 - 07722137733

Email: basrah@alkafeel.net

**Consignment Number in the Housebook and
Documents in Baghdad:** 2254, 2017.

Iraq - Basrah

Al-Abbas Holy Shrine. Department of Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs.
Basrah Heritage Center.

Basrah Heritage : A Quarterly Refereed Journal Specialized In Basrah Heritage \
Issued by Al-Abbas Holy Shrine Department of Islamic Knowledge and Humanitarian
Affairs Basrah Heritage Center.- Basrah, Iraq : Al-Abbas Holy Shrine, Department of
Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs, Basrah Heritage Center, 1438 hijri =
2017-

Volume : illustrations ; 24 cm

Quarterly.-Second Year, Volume 2, Issue 5-6 (September/December 2018)-

ISSN : 2518-511X

Includes bibliographical references.

Text in English ; summaries in Arabic.

1. Basrah (Iraq)--History--periodicals. 2. Arabic literature--Iraq--Basrah--History
and criticism -- Omayyad period, 661-750--periodicals. 3. Muslim scholars--
Biography--periodicals. A.Title.

LCC : DS79.9.B3 A8373 2018 VOL. 2 NO. 5-6

DDC : 910.45

Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of
Al-Abbas Holy Shrine



BASRAH HERITAGE

**A Quarterly Refereed Journal
Specialized in Basrah Heritage**

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

**Department of Islamic Knowledge and
Humanitarian Affairs**

Basrah Heritage Center

Second Year -Volume No.2- Issue No.4-5

Muharram-Rabie ela'akher 1440A.H

September - December 2018A.D